

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



كلية أصول الدين

قسم العقيدة ومقارنة الأديان

رقم التسجيل: .....

الرقم التسلسلي: .....

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

قسنطينة

الأصول الفكرية للحركة الصهيونية بين التعاليم الدينية والدوافع  
السياسية - دراسة مقارنة -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في مقارنة الأديان

تحت إشراف الأستاذ:

د. كمال معزي

تقدم الطالب:

عبد الوهاب العمري

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
بشير كردوسي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	رئيسا
كمال معزي	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	مقررا ومشرفا
لمير طبيبات	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	عضوا مناقشا
موسى معيرش	أستاذ التعليم العالي	جامعة خنشلة	عضوا مناقشا
إسماعيل زروخي	أستاذ التعليم العالي	جامعة قسنطينة 2	عضوا مناقشا
مراد زعيمي	أستاذ التعليم العالي	جامعة عنابة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2014-2015

## المقدمة

يعد هذا البحث " الأصول الفكرية للحركة الصهيونية بين التعاليم الدينية والدوافع السياسية دراسة مقارنة " مساهمة علمية متواضعة في مجال الدراسات الدينية المقارنة والحوار بين الأديان، والمحاضرات، ومحاولة لفهم الآخر من منطلقاته الفكرية وتوجهاته العقديّة بعيداً عن التلفيق المغرض والنزعة التآمرية، وحرصت أن يكون ذلك من زاوية محايدة توخياً للموضوعية وعدم غمط الحقيقة حقها. وذلك بالولوج إلى أعماق الفكر الصهيوني والتعاليم اليهودية ومحاولة استقراء مكنوناتها وعرضها على المقاييس والمعايير العلمية لمعرفة مدى تأثير الديني على السياسي والعكس وما مدى توظيف أحدهما لخدمة الآخر .

كل ذلك حتى أساهم - بجهد المقل - في تشكيل رؤية واضحة عن " الآخر"، وخاصة الآخر اليهودي عموماً والصهيوني خصوصاً، وبذلك نخرج من شرنقة " رؤية الآخر عن الآخر"، وتشكيل رؤية خاصة بنا وفق معاييرنا وقيمتنا، ومن جهة أخرى حتى لا تفرض علينا مقاييس غير موضوعية ولا محايدة للحكم على الأشياء كالتالي يُحاول " الآخر" أن يفرضها علينا اليوم باسم "سلطة النموذج"، والهيمنة الغربية التي يشهدها العالم في ظل عولمة طاغية ذات مظاهر متعددة، وسيادة إمبراطورية شاملة على مصادر الإنتاج وميادين التجارة والاقتصاد والفكر، والسياسة والعلاقات الدولية، والتي تسعى من خلالها إلى فرض نموذج ثقافي وحضاري واحد، وقيَمٍ نَمَطِيَّةٍ واحدة تدير بها الصراع والحوار معاً متى وأينما أرادت، والتي تعدت حتى إلى مجال عولمة الفكر وحتى تعريف الأشياء والظواهر وفق منظورها، فالحق والصواب هو ما تراه هي حقاً وصواباً، وأن غيرها في نظرها مازال غراً، غير مُمكن من النظر في الأشياء ناهيك الحكم عليها، فهو لم يبلغ بعدُ - في عرف الحضارة الغربية - سن الرشده.

## تحليل مضمون الإشكالية

في ظل كل هذا المخاض يأتي هذا البحث كمحاولة لدراسة موضوع الحركة الصهيونية بين التعاليم الدينية والدوافع السياسية، أو بالأحرى كيف يتم توظيف الدين لتحقيق أهداف سياسية؟، وكيف تستغل السياسة للتمكين للتعاليم الدينية؟ وهذا الذي يمكننا من فهم خلفيات الصراع العربي الإسرائيلي من جهة، ورصد مسار و أفاق حل مشكلة القضية الفلسطينية من جهة أخرى على ضوء فهم حركية الآخر اليهودي أو الصهيوني.

لا يكاد يخفى على أحد- في اعتقادنا- أن الصراع العربي الإسرائيلي هو صراع ديني حضاري، قبل أن يكون سياسياً أو مجرد مقاومة للاحتلال، وكما كشف محمد عابد الجابري في كتابه "نقد العقل العربي 3. العقل السياسي العربي"، وهو يناقش ابن خلدون في أن ما يحرك الإنسان هو: إما العقيدة (الدين)، أو الغنيمة (المصلحة)، أو القبيلة (الجماعة)، وما وجود الكيان الصهيوني اليهودي في قلب الوطن العربي "فلسطين"، إلا أساسه فكرة دينية بحتة متجسدة في "أرض الميعاد"، والتي حُشدت لها كل الأساليب السياسية والعسكرية لتحقيق.

امتزاج "الديني" الذي أصله ظاهرة التقديس، "بالسياسي" الذي أصله تحقيق غنيمة القبيلة (الجماعة اليهودية) يستوجب - على أقل تقدير- أن تكون الدراسة دينية واجتماعية نفسية وسياسية في آن واحد، لفهم آليات هذا الصراع، وهذا ما جعل هذه الدراسة تقوم على ثلاثة أبعاد: البعد الديني، والبعد النفسي الاجتماعي والبعد السياسي.

علما أن اعتماد أحدها دون الآخر يجعل الرؤية في اعتقادنا قاصرة بعيدة عن الموضوعية والتشخيص الصحيح، في حين نلاحظ أن الطرف اليهودي والصهيوني يطوع ويكيف ويوظف وسائله الاجتماعية و السياسية وفق البعد الديني الذي به أوجد هذا الكيان، وبه استمر ردها من الزمن.

لذا حاولت في هذه الدراسة الإجابة على سؤال رئيس وهو:

هل وظفت الصهيونية التعاليم الدينية اليهودية لتحقيق مآربها السياسية؟.

فإن كان الأمر كذلك، فكيف شكلت تعاليم التوراة والتلمود وغيرها من التعاليم الدينية اليهودية العقل الصهيوني، حتى حقق ما حققه من أهدافه السياسية؟  
الإجابة على هذه الأسئلة يقتضي الإجابة على تساؤلات أخرى منها:  
هل استفادت التعاليم الدينية اليهودية من الدوافع السياسية للصهيونية، حتى تحققت بعض أشكال الدولة الدينية المرجوة؟ وما مساحة التعاليم الدينية اليهودية في الخطاب والممارسة السياسية الصهيونية؟ و ما مساحة الدوافع السياسية في تفعيل الخطاب الدين اليهودي؟.

ما هي البيئة الفكرية اليهودية التي سادت قبل نشأة الصهيونية؟ وما هي الأجواء و الإرهاصات الأولى التي مهدت لها أسباب الوجود؟  
من هم المؤسسون للصهيونية؟ وما هي هياكلها التنظيمية؟ وما هي المؤتمرات الصهيونية التي قامت عليها؟ وكم كان عددها؟ وما كان يطرح فيها؟  
كيف وظفت الصهيونية التعاليم الدينية حتى تحقق رغباتها السياسية؟ وهل تحققت؟  
هل كان هناك تحالف أو تعارض بين الجماعة الدينية والجماعة السياسية؟ أم هل وظف أحدهما الآخر؟ هل تعايش الحاخام مع العسكري؟، أم أن العسكري ما هو إلا حاخاما متخدقا؟. هل يتبادلان الأدوار أم كلاهما يكمل الآخر؟ أم هما معا وجهان لعملة واحدة؟

هل الوعد بالأرض المقدسة عند اليهود عموما والصهيونية خصوصا، وعدا مفتوحا في كل زمان يُطلب ويُؤخذ بجميع الوسائل المشروعة وغير المشروعة متى سنحت الفرصة بذلك؟  
كيف وظفت الصهيونية التاريخ اليهودي على جغرافيا الواقع لتحقيق أهدافها؟  
هل فلسطين هي أرض الميعاد عند اليهود والصهيونية، وإن كانت كذلك فلم لم يُقم اليهود عليها ملكهم من قبل، لما سنحت لهم الفرصة التاريخية بذلك؟ ولو كان هذا الوعد مقدسا فلماذا انقسمت مملكتهم إلى مملكتين مملكة الشمال ومملكة الجنوب؟ أم أن الأرض لم تكن مقدسة أصلا لذا زهد فيها الأوائل؟

كيف ساهم الغرب في بناء هذا الكيان دخل النسق الاسلامي الذي يرفضه؟  
هل يمكن إنهاء الصراع بين الطرف الإسلامي واليهودي بمجرد تنشيط الحوار  
واتفاقيات السلام بين الطرفين؟

كل هذه الأسئلة وغيرها تعمل الإجابة عليها على بلورة مختلف التصورات لتأثيرات  
التعاليم الدينية على التوجهات السياسية من جهة، وكذا تأثيرات الدوافع السياسية في توجيه  
وتوظيف التعاليم الدينية من جهة أخرى، في جدلية توضح لنا الرؤية الإستشرافية والمستقبلية  
في كيفية التعامل مع الكيان الصهيوني، حتى تتضح آفاق تسوية القضية الفلسطينية .

## أسباب اختيار البحث

أما أسباب اختياري هذا البحث فيعود لسببين أحدهما ذاتي والآخر علمي:  
أما الذاتي فلأن الاحتلال الصهيوني لفلسطين والمقدسات الإسلامية يُعد طعنة في  
قلب كل مسلم غيور على ثوابته ومقوماته، ولا تزول غصة الاحتلال، إلا بتحرير المسجد  
الأقصى من براثن الاحتلال الصهيوني، وما اختياري لهذا البحث إلا شعوري العميق بأني  
فدائي يجاهد بقلمه، واقفا على ثغر من الثغور التي يجب ألا يُؤتى الفدائي من قبلها، مدافعا  
عن القضية العادلة من خلال فضح العدو، وكشف خلفياته الدينية والسيكوسوسيولوجية و  
السياسية التي يبرر بها اغتصاب الأراضي العربية و المقدسات الإسلامية.

وأما السبب العلمي فهو متعدد الوجوه منها:

- محاولة فهم الآخر اليهودي أو الصهيوني بناء على خلفيته الدينية والثقافية، و  
محاولة تحديد العلاقة بينهما من جهة، ومن جهة أخرى لتحديد مساحة التداخلات بينهما  
لتسهيل عملية رصد تأثيرات أحدهما على الآخر، بعيدا عن النظرة العاطفية التعصبية،  
القائمة على التفسير الذاتي، ليسهل تحديد آليات التعامل معه بدقة.

- بيان أن الصراع العربي الإسرائيلي هو صراع ديني حضاري ناتج عن هيمنة فكرة  
المقدس قبل أن يكون صراعا سياسيا، لذا فالتعامل مع الكيان اليهودي أو الصهيوني لا بد



ألا يتعارض مع معتقداتنا الدينية، وقيمنا الأخلاقية، وعليه يجب تكييف الحلول والمقترحات السياسية وفق هذا المنظور دون معارضته، أو محاولة القفز عليه تحت أي تأثير، كدعوى فصل الدين عن السياسة، أو كدعوى التفتح نحو الآخر، أو التزام الموضوعية مثلا، فلا الفصل بين الدين و السياسة، ولا الانفتاح نحو الآخر ولا الموضوعية تعني التنازل عن المعتقدات الدينية والقناعات السياسية، وهذا عينه ما يطبقه الطرف اليهودي أو الصهيوني في التعامل معنا.

- محاولة اكتشاف مدى صحة وصف الدولة الصهيونية "بالدولة العلمانية" التي فصل فيها الدين عن الدولة.

- إثبات أن أي دراسة تحاول التركيز على البعد السياسي دون البعدين الديني و السيكوسوسيولوجي أو العكس تعد - في نظرنا- أحادية البعد غالبا ما تكون قاصرة، بعيدة عن النظرة الموضوعية ذلك أن تأثير الديني على السياسي أكبر من تأثير السياسي على الديني. لذا فالإحاطة بالمعطيات والخلفيات الدينية الإسلامية واليهودية من شأنه أن تعطي للمحاور السياسي دفعا قويا وفعالية كبيرة عند الحوار.

- فضح العنصرية الصهيونية وحججها الواهية والتي تحاول من خلالها إثبات أحقيتها في امتلاك الأرض المقدسة.

## الغرض من البحث

وقد قسمت هذا البحث إلى فصل تمهيدي وثلاثة فصول:

تناولت في الفصل التمهيدي، تحديد وضبط بعض المصطلحات التي تحتاج إلى شرح وتوضيح علما أن كل كلمة مبهمه نشرحها عند إطلاقها لأول مرة عبر الفصول والمباحث والمطالب والفروع.

- الفصل الأول: وقد عنونته " حال الجماعة اليهودية قبل و بعد ظهور الصهيونية وموقف الملل اليهودية منها " والغرض منه القيام بمسح شامل للجماعة اليهودية قبل ظهور

الصهيونية بغرض الوقوف عند المحطات الكبرى التي شكلت الفكر اليهودي وكونت الفكر الصهيوني وقد قسمته إلى مبحثين:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- الأول: " حال الجماعة اليهودية في أوروبا قبل ظهور الصهيونية": وعدت فيه إلى حال الجماعة اليهودية وهي مشتتة (الدياسابورا) في أوروبا، ومعزولة في شتاتها في أسوء بقعة وتجمع إنساني ألا وهو حياة "الجيتو" ، وقد فصلت في تاريخه، وبنيته، ونظامه، وذكرت الانعكاسات النفسية والفكرية التي تتولد من العيش فيه، وآثارها السلبية إن على اليهود أو على مضيفيهم من سكان أوروبا، ثم عرّجت إلى بيان أسباب عزلة اليهود في الجيتو هل هي اختيارية أم قهرية؟ لنبين من خلالها قيمة اليهودي عند الأوروبي يومها. وهذا ليتبين لنا مساحة الانقلاب التي حدثت عند الأوروبي حتى غير نظرتهم إلى اليهودي.

الثاني: " حال الجماعة اليهودية في أوروبا عصر النهضة" وبينت فيه كيف كانت استجابة اليهود للتحرر ولعصر التنوير، وكيف انقسموا إلى حركات ومذاهب شتى، كان لكل منها زعماء وأفكار من الحركة الإصلاحية ( Mouvement Réformiste)، إلى الحركة الأرثوذكسية (Mouvement Orthodoxe)، إلى الحركة المحافظة ( Mouvement Conservatif)، وكيف وضعت كل حركة تصوراتها لتقنين حياة اليهودي وبيان مصيره. ثم عرّجت على ذكر الإرهاصات الأولى التي مهدت الطريق لظهور الصهيونية، فأبي مشروع لا ينطلق من فراغ ناهيك إن كان مشروع إنشاء دولة، وركزت في ذلك على الأفكار والأجواء، التي كان لها الدور الفعّال في نشأة الفكرة الصهيونية ومراحل تطورها، في خضم هذا التعدد الفكري والمذهبي. وكيف استغلت الصهيونية هذا الانقسام، لتجمع شتات اليهود حول فكرتها وتصورها للذات والمصير اليهودي، ثم بينت أثر ظهور القوميات الأوربية المتطرفة في ظهور ثم تعوّل الفكرة الصهيونية، بتفعيلها لفكرة اللاسامية، التي استعملتها كسلاح يُشهر في وجه كل معارض لها. وكيف طورتها وصنعت بها ومنها فكرة " الشعب المقدس" ، وحددت مكانته بين الأغيار. ثم أنهت المبحث و الفصل بذكر موقف الملل و المذاهب اليهودية من الصهيونية، بين موافق ومعارض.



- الفصل الثاني: وقد عنونته " الحركة الصهيونية والتعاليم الدينية ": والغرض منه معرفة العلاقة بين الصهيونية والتعاليم الدينية اليهودية المتمثلة في العهد القديم بأسفاره ومناقشة موقف الصهيونية منها هل هو موقف المطبق أم موقف الموظف. وقد قسمته إلى مبحثين:  
-الأول: " الصهيونية بين عقيدة الأرض الموعودة والشعب المقدس ": وبينت فيه الأمور التي ركزت عليها الصهيونية في بناء نسيجها العقدي ومدى تطبيقها لتعاليمه، وركزت على عقيدة الأرض و الوعد، والشعب. ففصّلت في مدلول "العهد" بين الدين والسياسة (اليهودية/الصهيونية) وأوضحت حدود الأرض بين الحقيقة والخيال، من واقع أسفارهم.  
كما ناقشت قضية "شعب الله المختار بين التقديس والتدنيس"، وذكرت فيه النصوص التي تقدس "شعب الرب" والتي تروج لها الصهيونية وتصنع بها إنسانا "سوبرمان" في علاقة حميمية حلولية مع الرب وأثبتت زيفها، بنصوص أخرى تدنس شعب الرب وتحطه في أسفل سافلين، وبينت كيف تجاوزتها الصهيونية باستعمالها الحيل النفسية والعقلية كقاعدة للاقتناع، ثم بينت كيف نسي اليهود الشروط وركنوا للوعود.

الثاني: العقائد المصطنعة ودورها في صوغ أيديولوجيا الإبادة الأهداف والوسائل " وبينت فيه كيف قعدت الصهيونية للعنف وإبادة الآخر العربي عموما والفلسطيني خصوصا والذي ترمز له بعمالق يشوع، بالعزف على وتر التمييز العنصري، وكيف انبثقت عن ذلك فكرة الخلاص اليهودي كهدف، وجعلت بناء الهيكل وسيلة لتحقيقه، مستعملة سياسة هجرة اليهود نحو فلسطين، وبالمقابل تهجير الفلسطينيين نحو الشتات، تفعيلا لفرية: أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض.

- الفصل الثالث: وقد عنونته "دولة إسرائيل من التخطيط إلى الإنجاز". والغرض منه إبراز الدعائم والأهداف السياسية التي قامت عليها الصهيونية، لتسهل فيما بعد مقارنتها بالتعاليم الدينية حتى نعرف ما إذا طبقت الصهيونية تلك التعاليم، أم أنها وظفتها فحسب لأغراضها السياسية. ومن جهة أخرى رصد حركة دولة إسرائيل من التخطيط إلى الإنجاز، وذلك ببيان مشاريع الاستيطان لفلسطين بين الصهيونية والامبريالية الغربية

وقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين:

-الأول: الحركة الصهيونية والمشروع السياسي في إسرائيل: الأهداف والوسائل": وتطرق فيه بالتفصيل إلى مخططات وأهداف الحركة الصهيونية لبناء الدولة وعليه عرجت على تاريخ ثيودور هرتزل أب الصهيونية كيف كانت بداياته في الطريق وما المواقف التي أثرت فيه، وكيف رسم مع غيره أهداف الصهيونية وكيف حدد وسائل تحقيقها بابتكار المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية وجعلهما يسيران نحو وجهة وحدة بتخصصات متنوعة، وكيف تفاعلتا فيما بينها و كيف فعّلتا الإمبريالية لتنشيط الاستيطان عبر وعد بلفور وإعلان الاستقلال لدولة إسرائيل الحديثة، ثم بينت كيف احتضن الغرب المشروع الصهيوني وكيف فرضه على العالم الإسلامي من جهة وعلى المجتمع الدولي من جهة أخرى وكيف انتقلت الصهيونية من اليد البريطانية إلى اليد الأمريكية تماشياً مع الأقوياء.

أما الثاني: نتائج المشروع الصهيوني بين الموالاتة والمعارضة، وتعرضت فيه لبعض النماذج من الحركات والجماعات الدينية المؤيدة للمشروع الصهيوني كحركة كتلة الإيمان: غوش أمونيم وحركة كاخ والوسط الديني ميماد. ثم ذكرت نقيضاتها من الحركات والجماعات الدينية المعارضة للمشروع الصهيوني كحركة حباد الحسيدية والطائفة الحريدية وحركة حراس المدينة ناظوري كارتا" علما أننا لم نفضل في تواريخها ولا توجهاتها حتى لا نخرج عن الموضوع وإنما اكتفينا بما يخدمه حتى لا يتحول الموضوع إلى موضوع تاريخي أو سياسي.

بحمد الله ومنته أتميت بحثي هذا بخاتمة استعرضت فيها النتائج العامة للبحث والمبرزة للشروط الموضوعية التي يجب أن تتوفر لإيجاد حل نهائي شامل وعادل للقضية الفلسطينية من جهة، وتحدد مصير اتفاقيات السلام المبرمة من جهة أخرى، كما بينت نقاط القوة التي كانت في الصهيونية وأهلها حتى استطاعوا من لاشيء بناء كيان

حتى ولو كان جيرانه يلفظونه، وختمت ببعض التوصيات والأفاق المستقبلية التي يمكن لهذا البحث أن يفتحها ليساهم في رسم معالم جديدة لأشكال الحوار في المستقبل، على ضوء التغيرات الدولية المعاصرة.

## المنهج المستخدم

أما المنهج المستخدم في الدراسة هو " تحليلي مقارن " إذ أحلل النصوص والمعطيات التاريخية من جهة، وأقارنها بما يقابلها سواء وفق منظور التعاليم الدينية اليهودية، أو وفق الدوافع والمخططات السياسية الصهيونية وأسنتج ما يمكن استنتاجه.

## الدراسات السابقة والأفاق المستقبلية

لا يوجد- بحسب علمي واطلاعي - بحثا جامعيا، أو رسالة أكاديمية، أو دراسة متخصصة بحثت موضوع " الأصول الفكرية للحركة الصهيونية بين التعاليم الدينية والدوافع السياسية دراسة مقارنة " يمثل هذا العنوان وهذا الخط الذي حاولت السير عليه بالوقوف على الأسباب النفسية والاجتماعية والدينية والسياسية لقيام الدولة الصهيونية، وهذا من شأنه أن يساهم في معرفة الآخر الصهيوني بتسليط أكبر ضوء ممكن من زوايا متعددة على خلفياته وهو يصارعنا أو يحورنا. وحتى لا أرفع سعر هذه الدراسة فوق قدرها، تجدر الإشارة إلى أن هناك دراسات جادة شبيهة بما درست منها ما ركزت على غير الجوانب التي ركزت عليها، ومنها ما كانت أحادية الجانب إما سياسية بامتياز وإما تاريخية بامتياز أيضا.

أما ما تضيفه هذه الدراسة هو محاولتها فتح أفاق مستقبلية جديدة لدراسة هكذا موضوع بأبعاد متعددة (Poly-dimensionnelle): دينية وتاريخية وسياسية و ببيكوسوسولوجية ، وهي مقارنة في رأينا جديدة، تضيئي على الدراسة نوعا من الشمول والتكامل والدقة، تمكن الباحثين من الاستفادة منها كل حسب تخصصه، فتعدد مجالات الدراسة والبحث في موضوع واحد يعطينا تصورا واضحا له يكون أقرب للواقع والموضوعية

منه للافتراض والذاتية. ومن جهة أخرى لنعطي دفعا للمتخصصين في علم مقارنة الأديان للولوج في هذه المساحات الأكاديمية والتي كانت لوقت قريب حكرا على العلوم السياسية أو الاجتماعية فحسب، فبهذا الأفق الجديد يمكن تشخيص وفهم الأسباب الحقيقية للصراع العربي الإسرائيلي، وإيجاد آليات فعّالة لإنهائه وفق تظافر جهود وتراكمات دراسات أكاديمية متخصصة.

## دراسة نقدية لبعض المصادر والمراجع

ويمكن تقسيم المصادر و المراجع التي اعتمدت عليها فيما يلي :

مصادر خاصة بضبط المصطلحات و الألفاظ :

وأستفدت منها تحديد المعنى اللغوي و الاصطلاحي للألفاظ التي تحتاج إلى شرح،

ومن بين هذه الكتب:

اعتماد بعض المعاجم والقواميس "كلسان العرب" لابن منظور و"مختار الصحاح للرازي"، وكذلك "التعريفات" لعلي بن محمد الجرجاني وكذا "الفائق في غريب الحديث" لمحمود الزمخشري، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية للعلامة عبد الوهاب المسيري، و"معجم الإيمان المسيحي" لحمودي صبحي و كوريون جان، والموسوعة السياسية لعبد الوهاب الكيالي وآخرون وكذا موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية للعلامة رشاد الشامي وكذلك " Le petit Larousse compact " وكلها تضبط معاني الألفاظ ودلالاتها اللغوية. والاصطلاحية.

أما المصادر والمراجع الخاصة بالنظرة الإسلامية فقليلة لطبيعة الموضوع الخاص بالجانب اليهودي الصرف بين زاويتييه الدينية والسياسية، ولكنني تطرقت للجانب الإسلامي كلما سنحت الفرصة، و من هذه المصادر والمراجع فمنها:

- مجموعة من التفاسير: "كتفسير القرآن العظيم" لإسماعيل بن كثير الدمشقي و"جامع البيان عن تأويل آي القرآن" لمحمد بن جرير الطبري، والتي أخذت منها تفاسير

بعض الآيات التي تخدم موضوع الدراسة، بما فيها أسباب نزولها. خاصة وأن دراستي لم تتناول المقارنة من الزاوية الإسلامية فالموضوع كان يهودي صهيوني بحت. مصادر خاصة باليهودية والصهيونية:

و استفدت منها في عرض التعاليم الدينية اليهودية وذلك بالعودة إلى النصوص المقدسة وتفسيراتها وكذلك المصادر والمراجع المعرفة للصهيونية وتاريخها ورجالها وأفكارها وأهدافها ووسائلها ومنها:

"الكتاب المقدس"، وكذا "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية": لعبد الوهاب المسيري، والذي تطرق فيها إلى نقد اليهودية والصهيونية وأبرز تاريخها ومصطلحاتها إن بالعربية أو العبرية، أو الإنجليزية، و مما يلاحظ على هذه الموسوعة أن صاحبها التزم في نقده لليهودية والصهيونية خطأ علميا موضوعيا، كما يلاحظ أنه لم يتطرق في نقدهما إلى البعد الإسلامي في النقد، إذ لا تكاد تعثر على آية قرآنية أو حديث نبوي واحد.

كتاب "الملل المعاصرة في الدين اليهودي" وكذا كتاب: أصول الصهيونية في الدين اليهودي"، وكلاهما لإسماعيل راجي الفاروقي الذي فكك في الأول مرجعيات الفكر اليهودي ومراحله وكيف نشأت الصهيونية من بين الفرق والمذاهب، أما الثاني فبين فيه كيف نشأ الفكر الصهيوني منذ قرون وكيف وظفت الصهيونية التعاليم الدينية اليهودية، ورصده حركة الانتقال من القومية الدينية إلى الدين القومي. علما أن الكتابين يحتجان إلى دراسة مستفيضة.

كتاب "ملف إسرائيل: دراسة الصهيونية السياسية" لروجيه جارودي واستفدت منه نقده للصهيونية و مرجعياتها الفكرية، كما أخذت منه تصريحات مؤسسي دولة إسرائيل المبلورة للفكر والحلم الصهيوني، و المحددة لأشكال الحوار والشارحة للأصول اليهودية بناء على توجهاتهم وقناعاتهم.

كتاب "التلمود والصهيونية" لسعد رزوق "فضح التلمود، تعاليم الخاخامين السرية": لـ "آي.بي.برنايتس" و كتاب "الكنز المرصود في فضائح التلمود" لعبد الله الشرقاوي،

وكتاب "التلمود تاريخه وتعاليمه" لظفر الإسلام خان، و استفيد منها استفادة جممة من خلال أخذني لبعض نصوص التلمود للتعليق عليها ولتوظيفها بما يخدم موضوع الدراسة، فانعدام الترجمة العربية للتلمود تجعلني أتخذها مصدرا أساسيا في أخذ النصوص التلمودية منها. كما استفيد من نقدهم لتعاليمه.

مصادر متفرقة

منها: كتاب " بنو اسرائيل في ميزان القرآن الكريم" لصابر طعيمة والذي يكشف عن طابع الشخصية اليهودية من خلال الوصف القرآني لها وكذا كتاب " اليهودية، عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية" لعرفان فتاح ، الذي تطرق إلى مسيرة الفكر اليهودي وأطواره وبيان موقف اليهود من الآخر والتي تختلف من طور لآخر حسب الظروف التاريخية التي أحاطت باليهود وشكلت منظومة تفكيره. وكذا كتاب "الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها" والذي يحوي مجموعة من الدراسات والمقالات وهي بمثابة ردود على مقال "صدام الحضارات" لصاموئيل هانتغتون وغيرها من المصادر والمراجع والتي استفدت منها كل في موضعه.



## الفصل الأول

حال الجماعة اليهود قبل وبعد ظهور الصهيونية وموقف الملل اليهودية منها

المبحث الأول: حال الجماعة اليهودية قبل ظهور الصهيونية

المطلب الأول: حال الجماعة اليهودية في أوروبا قبل التحرر من الجيتو

المطلب الثاني: حال الجماعة اليهودية في أوروبا بعد التحرير والتنوير

المبحث الثاني: ظهور الفكرة الصهيونية وموقف الملل اليهودية منها

المطلب الأول: عوامل نشأة الفكرة الصهيونية ومراحل تطورها

المطلب الثاني: موقف الملل و المذاهب اليهودية من الصهيونية

## الفصل التمهيدي

### تحديد وضبط لبعض مصطلحات الموضوع

قبل الخوض في تفاصيل الموضوع يجدر بنا تعريف بعض المصطلحات التي يدور عليها موضوع الرسالة، "الأصول الفكرية للحركة الصهيونية بين التعاليم الدينية والدوافع السياسية، دراسة مقارنة"، وإن كنا نرى أنها مصطلحات معروفة عند المتخصص، و لا تحتاج إلى كبير تفصيل، علما أننا سنعرّف كل مصطلح يحتاج إلى تعريف عند إطلاقه أول مرة في بدايات المباحث والمطالب، فدفعنا لشبهة استشكال بعضها على غير المتخصص نوضحها كالتالي وبالله التوفيق.

### الأصول الفكرية:

أصول جمع مفردة أصل: وهو قاعدة الشيء وما يبنى عليه غيره، سواء أكان حسياً كالأساس الذي يشيّد عليه البناء فهو أصله، أم عقلياً كبناء الأحكام الجزئية على القواعد الكلية<sup>1</sup>.

والأصولية اصطلاحاً من "الأصول" المتعلقة بعلوم الدين. ويطلق لفظ "الأصول" على مصطلحات مختلفة.

---

1 - ابن منظور محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، ج11، ص16، وكذا مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان، الطبعة الثامنة، 2005، ص961 وكذا تاج العروس مادة أصل، ج14، ص18

والأصولية (Fondamentalisme) هي اصطلاحٌ سياسي فكري مستحدث يشير إلى نظرة متكاملة للحياة بكافة جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية نابعة عن قناعة متأصلة، نابعة عن إيمانٍ بفكرةٍ أو منظومة قناعات، تكون في الغالب تصوراً دينياً أو عقيدةً دينية. أن الكلمة جاءت من عنوان سلسلة نشرات أو كتيبات سميت الأصول أو الأساسيات والتي ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الفترة 1910 و 1915 م واستخدم فيها مصطلح الأصول ليعني عناصر العقيدة التقليدية أي النص كوشي وسلطة، كنصوص التوراة، أو العهد القديم، أو التلمود... وغيرها مما يشكل المقدس في الاعتقاد اليهودي، وكألوهية المسيح ومعجزة إنجاب مريم العذراء وغيرها من الثوابت التي يراها الأصوليون المسيحيون اليوم.<sup>1</sup>

"الفكرية": من الفكر: جاء في لسان العرب أنّ الفكر " إعمال الخاطر في الشيء"<sup>2</sup>  
أى تناوله للشئ وتأمّله ونظره .

ويقول الرازي في (مختار الصحاح) : " التَّفَكُّر التأمّل، والاسم الفِكر و الفكرة ،  
والمصدر الفَكر بالفتح"<sup>3</sup>.

و يقول الإمام الراغب الأصفهاني : " قال بعض الأدباء : الفكر مقلوب عن الفَرك  
لكن يستعمل الفِكر في المعاني ، وهو فَرَكُ الأمور وبحثها طلباً للوصول الى حقيقتها."<sup>4</sup>

1 - الموسوعة الحرة ويكيبيديا مادة أصولية بتصرف . <http://ar.wikipedia.org>

2 - ابن منظور ، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري: لسان العرب ، دار صادر- بيروت ، ط1 ، ج 5 ، ص65

3 - الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر:مختار الصحاح، التحقيق: محمود خاطر، دار النشر-بيروت 1995، ج1 ، ص 213 .

4 - الأصفهاني، العلامة الراغب: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار العلم - دمشق، ط1، 1992 م، ص643.

وجاء في المنجد " الفكر جمع أفكار : تردد الخاطر بالتأمل و التدبر بطلب المعاني ، ما يخطر بالقلب من المعاني ، يُقال ( لي في الأمر فكرٌ ) أى نظر و رؤية.<sup>1</sup>"  
وكل هذه التعاريف اللغوية تأتي بمعنى التأمل ، وبحث الأمور طلباً لحقيقتها ، والنظر و الرؤية وتأمل المفكر في شىء مادياً كان أو مجرداً، بقصد فهمه من كل نواحيه الظاهرة والخفية للحصول على فهم كنهه، أو أقرب تفسير له. وهذا يتم بعملية ذهنية ممنهجة حسب الهدف المطلوب سواء كان هذا الهدف فهماً، أو تخطيطاً، أو قراراً، أو حلاً لمعضلة. والذي ينتج من هذه العملية يسمّى فكراً . والشىء المفكر عنه يكون صفةً للفكر حيث يقال ( الفكر الفلاني ) كقولك : الفكر اليهودي أو الفكر الصهيوني أو الإسلامي ...  
هذا بالنسبة لكلمة (فكر) في اللغة العربية و معناه اللغوي و العلمي عند اللغويين. أما عند ترجمة كلمة ( فكر ) إلى اللغة الفرنسية (penser)<sup>2</sup> أو الإنكليزية (thought)<sup>3</sup> فالكلمتين مطابقتين لها في تفسير الفكر، تشير دائرة المعارف البريطانية إلى أنه : هو الردود الرمزية السرية إلى شىء جوهري أو عرض ، وتقول : هو أحياناً مرادف للميل إلى الاعتقاد، أي أقل من الثقة الكاملة كأن تقول: أعتقد أنه سيأتي ، لكنني لست متأكداً . وفي بعض الأحيان يدل على حضور البديهة و الفطنة كقولك: أجبتة مباشرة دون تفكير<sup>4</sup> ..

1 - لويس معلوف: المنجد في اللغة و الأدب و العلوم / المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية -بيروت، ط17، مادة : فكر، ص 591

2 - : Le Petit Larousse compact,1998, édition Larousse, p763

3 - قاموس القارىء (انكليزي - عربي) English - Arabic Reader's Dictionary ، العزيبي . هورنبي، ثارنويل ، دار جامعة أكسفورد للطباعة والنشر ، 1980 ، مادة : thought .

4 - للمزيد حول كلمة (thought) أنظر. Encyclopedia Britannica,2002، النسخة الإلكترونية، مادة thought .

وفي التفكير تقول دائرة المعارف : أنه عمل ثقافي يستهدف إيجاد جواب لسؤال أو إيجاد وسائل إنجاز هدف عملي مرغوب . و في مواضع أخرى تحاول دائرة المعارف أن تفسر التفكير تفسيراً فسيولوجياً حيث نراها تقول ( لكن العلماء النفسانيين لم يصلوا إلى الإتفاق على أىّ تعريف أو تمثيل للتفكير ، للبعض هو مسألة تعديل ( تراكيب إدراكية )، كما ينظر الآخرون إلى التفكير كسلوك داخلي لحل مشكلة ما . وهناك نفسانيون ورجال غير متخصصين ربطوا التفكير بالتجارب الواعية ..

و بالنسبة لدور الظواهر العضلية في عملية التفكير تقول دائرة المعارف : الظواهر العضلية ليست العربات الفعلية للتفكير لكن تمثل بالأحرى وسائل تسهيل النشاطات الملائمة في الدماغ عندما تنتزع مهمة ثقافية خصوصيةً و مكانةً لدى المفكر<sup>1</sup>.

أما مفهوم الأصول الفكرية الذي قصدناه في هذه الدراسة فنعني به: النظرة المتكاملة للحياة بكافة جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية النابعة عن قناعة متأصلة نابعة عن إيمانٍ بفكرةٍ أو منظومة قناعات، تكون في الغالب تصوراً دينياً أو عقيدةً دينية<sup>2</sup>.

---

1 - المرجع نفسه ، مادّة ( thought ) .

2- الموسوعة الحرة ويكيبيديا مادة أصولية. <http://ar.wikipedia.org>

## تعريف الحركة الصهيونية:

### تعريف الحركة ( Movement )

في لغة السياسة هي التيار العام الذي يدفع طبقة من الطبقات أو فئة اجتماعية معينة إلى تنظيم صفوفها بهدف القيام بعمل موحد لتحسين حالتها الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو تحسينها جميعاً، ومن أشهر الحركات العالمية : الحركة العمّالية ، والحركة الفلاحية، والحركة النسائية، والحركة الطلابية، والحركة أكثر شمولاً وأقل تماسكاً وانضباطاً من الحزب، إذ يمكن أن تكون نقابة ، أو جماعة ضغط ، أو تياراً عريضاً ، أو حتى حزباً سياسياً، وقد تلجأ العديد من الأحزاب إلى وصف نفسها بأنها حركة لتوحي بتحررها من القيود العقائدية والانضباطية الصارمة المفروض توافرها في الحزب السياسي.<sup>1</sup>

### تعريف الصهيونية

جاء في معجم الإيمان المسيحي: " صهيون (Sion): في جبل صهيون، في الزاوية الجنوبية الشرقية لمدينة أورشليم، بين وادي قدرون ووادي تيريبون، كان موقع موقع اليوسيين المحصنة، التي استولى عليها داود فأصبحت مدينة داود(2 صم 6/5-9). ما لبثت المدينة أن امتدت إلى التلال الغربية والشمالية المجاورة، فانتقل اسم الجبل إلى المدينة كلها، ولاسيما في أقوال الأنبياء والمزامير. من الناحية الشعرية، كانوا يسمون أحيانا سكان المدينة، ولاسيما

1 - الكيالي عبد الوهاب، وآخرون: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج 2، ص 222-223



النساء منهم، " بنت (بنات) صهيون"، ومن ثم، أخذت صهيون تجسد الشعب الإسرائيلي، فهي مسكن الرب ومسيحه وملتقى جميع الأمم في المستقبل [اشعيا 3:2].<sup>1</sup> وعرفها الأستاذ نور الدين خليل في قاموس الأديان الثلاثة بقوله: "صهيون (في الكتاب المقدس): اسم التل الشرقي من تلّي أورشليم القديمة، وموقع مدينة اليبوسيين التي استولى عليها داود ملك إسرائيل ويهوذا. وأصل التسمية ومعناها يشوبهما الغموض، ويبدو أنها اسم كنعاني للتل الذي بنيت عليه أورشليم قبل عصر الإسرائيليين، و" جبل صهيون " اسم شائع ويدل على المدينة وليس التل نفسه."<sup>2</sup> ومما يؤكد أنها عبارة كنعانية ما ذهب إليه عيسى اليازجي وهو يعرف الصهيونية بقوله: "تشتق كلمة "الصهيونية" من "تلة صهيون" التي يزعم اليهود أنها المكان الذي بنى عليه "سليمان" الهيكل اليهودي في "أورشليم- القدس"، مع أن " صهيون" عبارة كنعانية تعني "المشمش الجاف".. إذ تتكرر هذه التسمية في مناطق مختلفة من الجمهورية السورية، فهناك "قرية صهيون" قرب بلدة "صافيتا"، و"قلعة صهيون" قرب مدينة "الاذقية".<sup>3</sup>

علما أن كلمة "صهيون" تكررت في العهد القديم كاسم "لأورشليم" مائة وأثنان وخمسون (152) مرة، منها ستة وأربعون (46) مرة في سفر أشعيا، وثمانية وثلاثون (38)

1 - حمودي صبحي و كوربون جان: معجم الإيمان المسيحي، دار المشرق، بيروت، ط 1، 1994، ص 300-301

2 - Nourelain Khalil :English /Arabic Dictionary of the Three Great Religions, Judaism – Christianity – Islam, Horus International Institution for Publishing and Distribution, Alexandria, Egypt , 2007,p 816-817

3 - عيسى اليازجي: المسيحية المتهددة في خدمة الصهيونية العالمية، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، سورية- دمشق، الطبعة

الأولى 2004، ص 36-37

مرة في سفر المزامير، ولم تُذكر في العهد الجديد إلا سبع (7) مرات، خمس (5) منها اقتباس من العهد القديم.<sup>1</sup>

ويختصرها الباحث محمد علي باخرية كونها تأتي على ثلاث معان:

-أنها مدينة الملك الأعظم أي مدينة الإله ملك إسرائيل.

-هو اسم حصن سماه نبي الله داود عليه السلام حسب ما جاء في التوراة في مدينة القدس

-هو اسم جبل يقع إلى الشرق من القدس.<sup>2</sup>

## مفهوم الصهيونية

أما مفهوم الصهيونية كمصطلح فيقال إن ناثال بيرنباوم<sup>3</sup> **Nathan Birnbaum** هو

مبتكر تعبير "الصهيونية"، ويؤكد "إسرائيل كوهن" في كتابه أن هرتزل كان على جهل تام

بكتابات من سبقوه، مثل موسى هس، و هيرش كاليشر **Hirsch Kalisher**، و ليون بنسكر

---

1 - نور الدين خليل: المرجع السابق.

2 - محمد علي باخرية: الصهيونية بايجاز - أصل نشأة المخططات الصهيونية العالمية ذات النزعة العنصرية-، مكتبة الملك فهد

الوطنية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 2001، ص 14

3- ناثال بيرنباوم **Nathan Birnbaum** : ولد في فيينا سنة 1864، كان بارزا في شبابه، وكان عضوا مؤسسا لحركة الطلبة كديما

(Kadima)، نشر سنة 1885 أول جريدة قومية صهيونية، شجع من خلالها تحقيق الحلم الصهيوني وهو الهجرة والإقامة في أرض

إسرائيل. وعند ظهور هرتزل سرعان ما انضم للحركة الصهيونية وأصبح من أهم شخصياتها، حيث كان من المحضرين للمؤتمر الصهيوني

الأول سنة 1897. في سنة 1898 غادر الحركة الصهيونية دفاعا عن مبادئه وإيمانه بالدياسبورا، وجعل اليديشية كأساس للثقافة واللغة

القومية لليهود، وبذلك انخرط في صفوف الحركة الأرثوذكسية اليهودية، وكان من الأعضاء المؤسسين لحزب أغودات إسرائيل، ثم صار

زعيمًا ورئيسًا له. أثناء الزحف والضغط الألماني بقيادة هتلر، غادر ألمانيا نحو هولندا حتى مات سنة 1937.

Leon Pinsker. وغيرهم من الذين كان عندهم هاجس العودة لصهيون إلا أنهم يفتقدون لتخطيط وتنظيم لتجسيد هذه الفكرة.<sup>1</sup>

فالصهيونية دعوة وحركة عنصرية دينية استيطانية تطالب بتجميع اليهود في دولة خاصة بهم في فلسطين.<sup>2</sup> علما أن الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة كاملة لم تظهر بين عشية وضحاها، وإنما ظهرت بالتدريج، ففي كل مرحلة من المراحل كان يُضاف عنصر جديد إلى أن اكتملت الصورة بشكلها النهائي مع صدور وعد بلفور، فجمعت الصهيونية الاستعمارية الوعدين معا لتحقيق كيانها على الأرض، وعد بلفور و وعد الربّ المزعوم.<sup>3</sup>

كما يميّز بعض الكتاب الغربيين بين الصهيونية الدينية و الصهيونية السياسية مع أنهما في الحقيقة وجهان لعملة واحدة، والتاريخ اليهودي القديم و ما فيه من أساطير تستمد منه الحركتان قوتهما. و هذا ما تؤكدته الكتابات اليهودية الفكرية و السياسية التي ترجع إلى القرنين 19 و 20 الميلاديين، و التي شرحت العلاقة "الأصولية الصهيونية" بمفاهيم العلاقة بين التاريخ اليهودي و العقيدة اليهودية من جهة، و الفكر السياسي اليهودي من جهة أخرى و على ذلك يمكن القول بأن مؤسس عقيدة هذه الأصولية هي الأسس الدينية التاريخية و

---

1-رجينا الشريف: الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 96 ديسمبر 1985، هامش ص 21 ، وانظر أيضا إسماعيل راجي الفاروقي: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، دار التضامن للطباعة، القاهرة، ط 2، 1988، ص 106-110

2- مسعود خولد: الموسوعة التاريخية الجغرافية ، الشركة العالمية للموسوعات، بيروت، 2004، ج 1، ص 364 .

3-لمزيد من التفاصيل أنظر أحمد بن عبد الله بن ابراهيم الزغبى: العنصرية اليهودية وأثرها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، 1998، ج 1، ص 236-244 وكذا يوسف أبوب حداد: هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ط 1 يناير 2004، ج 1، ص 328-335

التمييز العرقي ،التي تشير إلى "أنّ ملكية العالم المادي هو من حق اليهود فقط كعنصر متفوق"<sup>1</sup>، وهذا ما سنفصله في الفصول اللاحقة.

ويعرف محمد دياب "الصهيونية العالمية" بقوله: هي حركة ديناميكية نشطة تتميز بحفاظها على الترابط المستمر بين أهداف الماضي وأعمال الحاضر ومخططات المستقبل. ولقد قامت على فلسفة تستمد أصولها من الفكر اليهودي الذي يتغير حسب الظروف والأحوال. وهي حركة منظمة تنظيماً مركزياً عالمياً تستهدف استعمار أرض العرب وإجلائهم عنها من النيل إلى الفرات واستبدال أهلها بقوم من مختلف الأجناس في دولة إسرائيل تدين لها بالولاء وتمثل لأوامرها جماهير اليهود من رعايا الدول الأخرى"<sup>2</sup>

ويعرفها ندى الشقيفي بقوله: والصهيونية هي حركة سياسية تتغذى من الفكر الصهيوني الذي يجمع بين عقائد التوراة والخرافات الملفقة من قبل الحاخامات اليهود في التلمود. وتستمد الصهيونية قوتها من ارتباط الفكر اليهودي بعقائد دينية وعرقية وعنصرية، لا تتغير أو لا تنسجم مع تطوّر المراحل ومتطلباتها الإنسانية، إضافة إلى أطماع سياسية وعدوانية تتقوّل في إطار توطين أكبر عدد من "اليهود" في العالم في الأراضي العربية وإبادة وتشريد السكّان الأصليين لهذه الأراضي."<sup>3</sup>

1- يحيى أحمد الكعكي : في الأصولية الصهيونية ، الشركة العالمية للموسوعات ، بيروت 2004 ، ج1، ص 47\_49 .

2 - محمود دياب: الصهيونية العالمية و الرد على الفكر الصهيوني العالمي، دار الكتب المصرية، 1976.

3 - ندى الشقيفي: الهولوكوست: حقيقتها والاستغلال الصهيوني لها، باحث للدراسات، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2001، ص11

واعترض الباحث الطيب بوعزة على كثير من تعاريف الصهيونية بما فيها التي قدمها المسيري في موسوعته، فيرها على أهميتها وقيمتها إلا أنها لا تصلح للاستعمال بوصفها تحديداً مفهوماً. وذلك لافتقارها إلى وجازة التعبير التي تشترط في التعريف المفهومي. فهو يراها من الناحية النظرية صيغة جيدة استطاعت أن تستجمع مختلف أبعاد الظاهرة الصهيونية، ولكنها بسبب من الصيغة المنهجية التي قدمت بها تخرج من سياق التحديد المفاهيمي القابل للاستحضار والتداول إلى صيغة تصور أو مقالة موسعة. لذا فهو يرى ضرورة تقديم مفهوم بديل للصهيونية تتوافر فيه الدقة والإيجاز، مع الاقتدار على استحضار حقيقة الصهيونية كحركة استعمارية استيطانية، تلك الحقيقة التي تحاول الصيغة التعريفية الصهيونية أن تخفيها.

وفي هذا السياق واستثماراً للعديد من الأبحاث يقترح الباحث التعريف التالي:

"الصهيونية حركة ظهرت في القرن التاسع عشر استجابة لمشكلات أوروبية، وقد استثمرت التراث الثقافي اليهودي والدعم الأوروبي فانتهدت إلى إقامة دولة عنصرية في فلسطين، مرتكزة في إقامتها لدولتها هذه على جدلية الإجماع والتوطن، إجماعاً للفلسطينيين أصحاب الأرض وتوطن اليهود بدلاً عنهم".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - لشرح أبعاد هذا التعريف أنظر الباحث المغربي الطيب بوعزة: مصطلح "الصهيونية" .. نحو صياغة تعريف بديل، مقال نشر في الجزيرة نت، ركن المعرفة، قسم مقالات رأي (تحليلات)، الثلاثاء 1430/1/16 هـ - الموافق 2009/1/13 م، <http://www.aljazeera.net>

## اتجاهات الصهيونية

يرى بعض الباحثين أن الصهيونية السياسية بالمفهوم الذي أقره مؤتمر بازل، ثم تطور حتى قيام دولة "إسرائيل"، هي أكثر الاتجاهات الصهيونية شهرة وانتشاراً، إلا أن ذلك لا ينفي وجود غيرها. فقد طُرحت الصهيونية منذ نشأتها من عدة وجوه، فكانت الصهيونية الدينية اليهودية، و الثقافية، والاقتصادية، والعملية، والسياسية، ومع تطور الصهيونية تزايدت فروعها، فكانت الصهيونية الاشتراكية، والمركبة...<sup>1</sup>

### أ/ الصهيونية الدينية

وتعتبر أركان العقيدة الدينية اليهودية وهي الشاهد الحي على تواصل المعتقد الديني بين الأجيال، ومكائنه حتى اليوم، وهي تقوم على أربعة أسس رئيسية وهي: الإيمان بالإله الواحد، الإيمان بأن اليهود هم شعبه المختار، الإيمان بأن المسيح سوف يرسله الرب لتخليص شعبه والإنسانية، الإيمان بعودة اليهود إلى وطنهم الأصلي. علماً أن العودة عندهم تكون بإذن الرب الذي يحكم وحده على سلوك أبنائه اليهود، بأنهم لا يعبدون غيره وأنهم طبقوا أوامره، ذلك أنهم يرون أن العهد الذي قطعه الرب لليهود مبني على شرط التطبيق والامتثال وهو متجدد، فإن هم وصلوا إلى الحد الواجب الوصول إليه من المثالية الأخلاقية، الذي يرضاه منهم، استدعى ذلك تصحيح العهد وتجديده، فيرسل لهم مسيحاً ليخلصهم من الشتات، ويعيدهم إلى الأرض

1 - بيان نويهض الحوت: فلسطين القضية الشعب الحضارة، دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 1999، ص 26. وكذا

ندى الشقيقي: الهلوكوست: حقيقتها والاستغلال الصهيوني لها، مرجع سابق، ص 26



المقدسة. فالصهاينة المتدينون لا يرون في أي مؤتمر سياسي طريق للعودة، ولا يرون حتى عذاب الهولوكوست ومعسكرات النازية سببا للعودة، فالعودة إن لم تقترن بالإرادة الإلهية، بقدم "المسيح الجديد"، هي عودة باطلة. وعليه فقيام دولة إسرائيل عندهم قيام باطل، لأنه جاء بناء على قرار سياسي لا إلهي. لذا ظهرت مواقف وأقوال متعددة من قبل اليهود، تشرح وجهة النظر الدينية الأرثوذكسية، كان من أولها عريضة "بترسبورغ" صدرت سنة 1889، جاء فيها "نحن لا نعتبر أنفسنا شعبا بل جماعة دينية، ولذلك فنحن لا نتوقع عودة إلى فلسطين." أما من عادوا منهم قبل ولادة الدولة الصهيونية فهم معارضون لها وقد وصف عالم الدين اليهودي الدكتور جاكوب بيتشوفسكي حالهم بقوله: "سياسيا... لم يكن لديهم أية تطلعات بل على العكس من ذلك، فهم اعتقدوا أن كلّ الجهود المنصبة على إنشاء دولة يهودية في فلسطين ما هي إلا معصيات ترتكب بشأن الموعد الزمني الذي لا يقرره إلا الله." بخلاف الصهيونية السياسية "الهرتزية" التي قرر رجالها في مؤتمر بازل سنة 1897 العودة إلى الأرض المقدسة، ولم ينتظروا معجزة إلهية ولا عودة المسيح المخلص "الميسيا أو همشِيح".<sup>1</sup>

### ب/ الصهيونية الثقافية - الروحية

الصهيونية الثقافية، أو الصهيونية الروحية، كما يطلق عليها أيضاً، تنبع فلسفتها في القومية اليهودية من أولوية التراث الثقافي والخلقي، واللغة العبرية، وعلى الرغم من الأهمية التي تعطيها لقضية تجميع اليهود في أرض الأجداد، فإنها ترفض، من أجل الحصول على الأرض، إدعاء الصهيونية السياسية بحجة معاداة السامية واستفحالتها، أو بالأوضاع المتردية التي تحيط

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 326-327

باليهود اقتصادياً وسياسياً، وعضواً عن ذلك، فهي ترى أن أعظم تهديد لبقاء اليهود في العقد الأخير من القرن التاسع عشر خاصة، يكمن في الضعف الداخلي للمجتمعات اليهودية، وفي فقدانها أي إحساس بوحدتها، وفي تداعي إمساكها بالقيم التقليدية والمثاليات والآمال. وقد برز العديد من المفكرين اليهود الذين أكدوا على أهمية العامل الثقافي في بعث القومية اليهودية، ومن أبرزهم موشي هس و بيريز سمولنسكين، ويعود الفضل في تطوير مضامين الصهيونية الثقافية، فكرياً وتوجيهياً إلى "آحاد هعام"<sup>1</sup>، الذي كان يشدد على اللغة العبرية والقيم اليهودية التاريخية. وكان من المعارضين لسياسة هرتزل ولمؤتمر بازل، ويوصي بعدم جعل الأسلوب السياسي وسيلة للوصول إلى الهدف، وأنه أسلوب يميع القضية ويؤخرها، فهو يقول: إن خلاص "إسرائيل" لن يأتي عن طريق الدبلوماسية، و يتبنى خطة جديدة وبديلة في العمل تقضي بتشجيع الهجرة الجماعية، واحتلال الأراضي الفلسطينية، على أن يلازم ذلك الدخول في مفاوضات للحصول على الموافقات السياسية والقانونية اللازمة. ويؤكد ذلك بقوله: "ما من دولة تُبنى على أساس البراءة، لأن البراءة ليست سوى السقف أو

---

<sup>1</sup> - آحاد هعام (Ahad Ha-am): لفظة عبرية تعني "واحد من العامة" أو "واحد من الشعب" وهو الاسم المستعار لواحد من زعماء "أحباء صهيون" الكاتب اليهودي الروسي آشرف غينزبيرغ، كان يكتب بالعبرية. ويُعدُّ آحاد هعام من أهم الكُتَّاب والمفكرين في أدب العبرية الحديث، كما يُعدُّ فيلسوف الصهيونية الثقافية، أي الصهيونية الاثنوية العلمانية، بل يعتبره بعض المؤرخين المؤسس الحقيقي للفكر الصهيوني والذي خرج من تحت عبائه كل المفكرين الصهاينة، خصوصاً العلمانيين. وقد نشأ آحاد هعام في عائلة حسيدية في قرية صغيرة بالقرب من كييف، وكان أبوه عضواً في حركة حيد. تلقى تعليماً يهودياً تقليدياً حتى أن معلمه منعه من تعلم الألفبائية الروسية لأن هذا كان يُعدُّ ضرباً من الهرطقة والجنون. ولكنه، مع هذا، التحق في نهاية الأمر بمدرسة ثانوية في روسيا. وقد دفعته دراسته الجديدة إلى هجر الحسيدية، ثم تخلى بعد ذلك عن كل إيمان ديني وإن كان قد عبر عن إعجابه بالحسيدية في إحدى مقالاته، وذلك بسبب طابعها اليهودي الإثني أي اليهودية كفلكلور. ولا شك في أن النزعة المتطرفة في الحسيدية قد تركت أثرها فيه وفي بنيان فكره.

السطح الذي يستظله الكائن العضوي السياسي، إقامة دولة وإرساء قواعدها وأسسها يجب أن يتم بطريق الاستيطان التدريجي والبطيء".<sup>1</sup>

### ج/الصهيونية العملية

اشتهرت الصهيونية العملية كمصطلح في تاريخ الحركة الصهيونية، وكحركة نشيطة ذات برنامج واحد، بعد صعود هيرتزل وصعود برنامجه السياسي معه، فالصهاينة العمليون كانوا يرون في النشاط الدبلوماسي اللاهث وراء وعود وضمانات دولية مضيعة للوقت، لذلك عارضوا هيرتزل، وحضروا جهودهم في تنمية المستعمرات داخل فلسطين، والعمل على زيادة الهجرة إليها، حتى تفرض سياسة الأمر الواقع نفسها. إلا أن هذا لا ينفي وجود بدايات، ولو متعثرة، للصهيونية العملية، تندرج في نشاطات الحركة التي عرفت باسم "أحباء صهيون".<sup>2</sup>

أما العامل المباشر وراء نشاط هذه الحركة، هو مقتل القيصر الروسي "ألكسندر الثاني" (Alexander II)، وقد نجم عن ذلك موجة قتل واضطهاد وعنف شديدة ضد اليهود، والتي نجم عنها ردّة اجتماعية وتراجع رهيب عن أفكار التحرير والاندماج، فكانت ردة الفعل اليهود واضحة وطبيعية، فكفروا بكل الروابط التي تربطهم بالمجتمع الروسي، وخاصة المؤمنون منهم بالاندماج فيه، فبعد هذه الصفحة الروسية، أفاق اليهودي من سحر الحرية والاندماج

---

1 - رجا عبد الحميد عرابي: سفر التاريخ اليهودي، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الثانية شباط 2006، ص522، ووانظر أيضا بيان نويهض الحوت: فلسطين القضية الشعب الحضارة، مرجع سابق، ص328-329. وكذا ندى الشقيقي: الهلوكوست: حقيقتها والاستغلال

الصهيوني لها، مرجع سابق، ص27

2 - رجا عبد الحميد عرابي: سفر التاريخ اليهودي، المرجع السابق ص331.

الهش والموهوم ، وعاد إلى ذاته اليهودية من جديد، حتى أن الشباب الذين كانوا يعتبرون المعابد الدينية من مخلفات الماضي، صاروا يبحثون عنها ويدخلونها لأول مرة، وكأن لسان حالهم يقول: "بكيث في يوم فلما صرت إلى غيره بكيث عليه". وبدأ البحث عن شرنقة "الجيتو" من جديد، يجمع شتات ما تبقى، ويبحث عن الأمل المفقود: الأمن والخلاص ، وبدأت حركة "الهجرة الجماعية" إلى خارج روسيا، فكانت الهجرة اليهودية إلى أمريكا والتي تضاعفت بعد موت القيصر الروسي، من أربعين ألف (40000) يهودي روسي، إلى مائة وخمسة وثلاثون ألفا (135000)، ورغم كثافتها إلا أنها لم تحل الأزمة. كثرة الضربات توحد الصفوف وتجمع الشتات فخلال سنتي 1881-1882 نشأت تجمعات وروابط متعددة باسم وحدة المصير المشترك، كان هدفها تحقيق هجرة اليهود إلى فلسطين، وكانت في البداية بسيطة ومستقلة عن بعضها البعض، ضم بعضها متدينين وطلابا ثوريين، وبعضها جمعت متعاطفين ومحسنين على استعداد للتبرع من أجل اليهود القاطنين في فلسطين ، أو الذين ينوون الهجرة إليها، جمعهم حب صهيون ثم صاروا يلقبون باسم "أحباء صهيون". تحركت الهمم وتوحدت الجهود كما توحدت المعاناة، فكانت مجموعة طلاب جامعة "كراكوف"<sup>1</sup>، من أول وأنشط المجموعات ، حيث بدأت تطوف البلاد وتجمع أسماء

---

1 - كراكوف (Krakow/Cracow): (بالبولندية: Kraków)، هي واحدة من أقدم وثاني أكبر المدن البولندية، تقع المدينة على نهر فيستلا في المنطقة بولندا الصغرى، ويرجع تاريخ المدينة إلى القرن السابع الميلادي. وكان كراكوف تقليديا واحدة من المراكز الرائدة في الأكاديمية البولندية والثقافية والفنية والحياة. المراكز الاقتصادية الأكثر أهمية في بولندا. كانت عاصمة لبولندا 1038-1569 ؛ والكومنولث البولندي الليتواني 1569-1596؛ و أصبحت مدينة بدون أن تكون عاصمة لأي مقاطعة أو دولة 1815-1846؛ عاصمة للدوقية لكراكوف 1846-1918، وعاصمة كراكوف فويفود من القرن 14 إلى عام 1999. وقد نمت المدينة من مستوطنة العصر الحجري إلى مدينة بولندا. بدأت قرية صغيرة على "فاغل هيل" وكانت كمركز تجاري مزدهم في أوروبا السلافية في 965. أكدت كراكوف دورها كمركز

المستعدين للهجرة إلى فلسطين، وجمعت في البداية خمسمائة (500) اسم فقط، كانوا من الشباب المتحمسين لفكرة الهجرة نحو فلسطين، فاتخذوا لأنفسهم شعارا توراتيا من [سفر إشعيا 5:2]: "يَا بَيْتَ يَعْقُوبَ، هَلُمَّ فَنَسْلُكُ فِي نُورِ الرَّبِّ". وشكلت الحروف الأولى منه بالعبرية كلمة "بيلو"، فاتخذوها اسما لهم. فكانت جماعة البيلو (Bilou/Bilu) وبدأ الإعداد للهجرة نحو فلسطين عمليا، علما أنه تقلص عدد البيلو المهاجرين في الدفعة الأولى من المئات إلى العشرات، حيث ما وصل منهم إلا أربعين إلى آستانة للتفاوض في شراء أرض فلسطين ولكن دون جدوى، فلما فشلوا تفرقوا ولم يصل منهم إلى فلسطين إلا ستة عشر (16) في يوليو 1882، فكانوا الطليعة الأولى في الهجرة إلى فلسطين،<sup>1</sup>

#### د/الصهيونية السياسية

اصطلاح يستخدم للتمييز بين البدايات الصهيونية مع جمعية "أحباء صهيون" التي كانت شبه ارتجالية تعتمد على صدقات أغنياء اليهود وبين صهيونية هيرتزل التي حولت المسألة اليهودية إلى مشكلة سياسية، وخلقت حركة منظمة محددة الأهداف والوسائل. وتعتبر الدعوات الفكرية التي أطلقها رواد الصهيونية، ولاسيما "بنسكر"، حجر الأساس في قيام الصهيونية السياسية التي أطلقها هيرتزل سنة 1897، وبمعنى آخر، فالصهيونية السياسية كانت قائمة، لكن في عالم النظريات، حتى جاء هيرتزل وحولها إلى حركة سياسية. وسنتناول هذه الحركة بالتفصيل في ثنايا هذا البحث.

---

الأكاديمية والفنية وطنية كبرى. وبعد اجتياح القوات الألمانية لبولندا خلال الحرب العالمية الثانية، تحولت كراكوف إلى عاصمة الحكومة العامة. تم نقل السكان اليهود من المدينة إلى منطقة مسورة والمعروفة باسم الغيتو كراكوف <http://ar.wikipedia.org>

1 - بيان نويهض الحوت: فلسطين القضية الشعب الحضارة، مرجع سابق، ص 331-332

وهناك من يكتفي بالإشارة إلى الصهيونية السياسية بالصهيونية فقط، غير أن نعتها بالسياسية قد نجم عن معارضة الصهاينة العمليين والثقافيين لهيرتزل، مما أدى إلى تمييز دعوته ونهجه على أساس كونها "الصهيونية السياسية" أو "الصهيونية الدبلوماسية". وسنبسط التفصيل فيها، من خلال مباحث هذه الرسالة<sup>1</sup>.

### ه/الصهيونية العمالية

يركز الصهاينة العماليون أو الاشتراكيون على الجانب الاقتصادي والاجتماعي في وضع اليهود الناتج عن فقدان القدرة على الاندماج، لا على الجانب الديني من المسألة اليهودية. ولعل أهم تيارات المدرسة الصهيونية العمالية هي مدرسة غوردون التي ركزت على فكرة اقتحام الأرض والعمل كوسيلة من وسائل التخلص من عقد المنفى ووسيلة عملية لغزو الأرض وصهر القومية اليهودية الجديدة.<sup>2</sup>

### التعاليم الدينية

هي مجموعة العقائد والشرائع والطقوس وقواعد السلوك والأخلاق، المنبثقة من النص الديني كوحي وسلطة، كنصوص العهد القديم، أو التوراة، أو التلمود، وفتاوى الحاخامات... وغيرها، بحيث تشكل في مجموعها نظرة متكاملة للحياة بكافة جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، مما يشكل المقدس في الاعتقاد اليهودي، وهي

1 - المرجع السابق ، ص 336-337. وكذا <http://ar.wikipedia.org>

2 - <http://ar.wikipedia.org>

نابعة عن قناعة متأصلة، وعن إيمانٍ بفكرةٍ أو منظومة قناعات، تكون في الغالب تصوراً دينياً أو عقيدةً دينية.

علما أن الدين اليهودي، نشأة وتاريخاً، يختلف عن سائر الأديان المعروفة لكونه مجموعة من الشرائع والطقوس وقواعد السلوك والأخلاق، تراكمت وتطورت على مدى آلاف السنين. أي أنها لم تنزل على نبي واحد. فتاريخ النبوة لدى الإسرائيليين يواكب تاريخهم الاجتماعي والسياسي، وهو حلقات متواصلة منذ بداية تاريخهم حتى بداية القرن الرابع قبل الميلاد. ففي بداية القرن الرابع قبل الميلاد، يتوقف المدققون من أحبار اليهود معتبرين أن مرحلة النبوة قد توقفت. أما سواهم من غير المدققين، فيتخطون القرن الرابع، وتستمر عندهم مرحلة النبوة على أيدي الكهنة والأحبار الذين تلوا الأنبياء الأخيرين: دانيال، وإستر، وعزرا، ونحميا، وملاكي، استمراراً للوحي والنبوة في هذا المجتمع. ويبقى باب النبوة مفتوحاً لدى مؤرخي الفكر الإسرائيلي الديني، ليدخل منه أنبياء أنكرهم اليهود وكفروا بهم، ومنهم: يوحنا المعمدان (النبي يحيى عليه السلام)، والسيد المسيح عليه السلام. وهذا إن لم يُيقَ بعض الغلاة من الصهاينة باب النبوة مفتوحاً حتى مطلع القرن العشرين، ليدخل من بابه العريض تيودور هرتزل.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه، دار القلم دمشق - دار الشامية بيروت، الطبعة الرابعة، 1999، ص 5

## مفهوم الدوافع السياسية

### - تعريف الدافع و الدافعية (Motivation)

يجمع علماء اللغة أن الدافعية أو الدافع مشتقة من الدفع: وهو الإزالة بقوة...  
والدفعة من المطر: مثل الدفقة. والدفعة، بالفتح: المرة الواحدة. وتدفع السيل واندفع: دفع  
بعضه بعضا. والدفاع، بالضم والتشديد: طحمة السيل العظيم والموج.  
والدفاع: كثرة الماء وشدته. والدفاع أيضا: الشيء العظيم يدفع به عظيم مثله،  
على المثل: الدفاع الكثير من الناس ومن السيل ومن جري الفرس إذا تدافع جريه، وفرس  
دفاع. ويروى بدفاع، يريد الفرس المتدافع في جريه. ويقال: جاء دفاع من الرجال والنساء  
إذا ازدحموا فركب بعضهم بعضا.

وقال الأصمعي: الدوافع مدافع الماء إلى الميث، والميث تدفع إلى الوادي الأعظم.  
والدافعة: التلعة من مسایل الماء تدفع في تلعة أخرى إذا جرى في صلب وحدور من حذب،  
فترى له في مواضع قد انبسط شيئا واستدار ثم دفع في أخرى أسفل منها، فكل واحد من  
ذلك دافعة، والجمع الدوافع، ومجرى ما بين الدافعتين مذنب، وقيل: المدافع المجاري  
والمسایل.<sup>1</sup>

أما في اصطلاح علماء الموارد البشرية وعلماء النفس، فمنهم من يفرق بين الدافع  
والدافعية، إلا أن أغلب الباحثين في ذات المجال لا يفرقون بينهما، ويرون أنهما مترادفان، كل  
منهما يدل على الآخر. ويعرفونها في اصطلاحهم كالتالي:

1 - ابن منظور محمد بن مكرم: لسان العرب، مرجع سابق، ج8، ص 87



يعرف الدكتور مصطفى نجيب شاويش الدوافع على أنها: تلك المسببات الداخلية للسلوك، التي تتضمن قيام فرد ما بعمل معين وتحدد اتجاه ذلك العمل، فتكون الدافعية هي كل ما يتعلق بتلك القوى التي تنشط السلوك الإنساني، أو تحافظ عليه في مستوى معين، أو توجيهه وجهة معينة، وبعبارة أخرى فإن الدافعية هو كل ما يتعلق بتلك القوى التي تحافظ أو تغير اتجاه طبيعة وشدة سلوك ما<sup>1</sup>.

أما الباحثة نايف يرنوطي سعاد فتعرف الدافعية: أنها عملية نفسية تتناول تلك القوة التي تحرك الكائن الحي وتوجه سلوكه أي إنها العملية التي تدرس الدوافع<sup>2</sup>.

ويعرف الدكتور علي محمد رابعة الدافع بأنه: مؤثر داخلي يحرك شعور الفرد ويحدد سلوكه نحو عمل معين، وتعتبر الدوافع والحاجات هي المحرك الرئيسي في السلوك الإنساني<sup>3</sup>. ويعرفها محمد سعيد سلطان بأنها تعود إلى الكلمة اللاتينية " (MOTIVER) ": أي يحرك ويدفع، ثم اتسعت لتمرير حول رغبة الفرد ثم أصبحت اصطلاحاً عاماً و شاملاً دالاً على المنبه، والحافز، والباعث، والحاجة والرغبة.

ومن الباحثين النفسانيين من يُفصّل في مفهوم الدافع، فيعتبره بمثابة "مثير" داخلي شعوري، أو لا شعوري، بيولوجي أو نفسي، يحرك طاقات الكائن الحي، ويوجهها مستهدفاً خفض حالة التوتر لديه، أو لاستثارته، أو استعادة توازنه البيولوجي أو النفسي. وعليه يصبح للدافع وجهان دقيقان:

---

1 - مصطفى نجيب شاويش: إدارة الموارد البشرية: إدارة الأفراد، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الرابعة 2006 ص44  
2 - سعاد نايف يرنوطي: إدارة الموارد البشرية: إدارة الأفراد، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع - عمان الأردن، الطبعة الثالثة-2007 ص344  
3 - علي محمد رابعة: إدارة الموارد البشرية: تخصص نظم المعلومات الإدارية، دار الصفاء، عمان-الأردن، 2003م، ص79

أ/ وجه داخلي يتمثل في حالة التوتر والضييق التي تطلب وتلح على الإشباع.

ب/ وجه خارجي يتمثل في الأهداف و لذا فنتيجة الدافع لا تُعرف إلا من خلال أهدافه.

ومن هنا يشير مصطلح الدافع إلى مجموعة الظروف الداخلية والخارجية، التي تحرك الفرد من أجل إعادة التوازن الذي اختل. فالدافع بهذا يشير إلى نزعه للوصول إلى هدف معين، وهذا الهدف قد يكون إرضاء " حاجات " داخلية، أو " رغبات " خارجية، أما الحاجة: فهي حالة تنشأ لدى الكائن الحي عند انحراف أو حيد الشروط البيولوجية أو النفسية اللازمة لحفظ بقاء الفرد على الوضع المتزن والمستقر.

أما الهدف فهو ما يرغب الفرد في الحصول عليه ويشبع الدافع في نفس الوقت . وعندما يكون الهدف خارجيا أي مرتبطا بالبيئة الخارجية يسمى الحافز أو الباعث، فالدافعية إذن هي عبارة عن الحالات الداخلية أو الخارجية للعضوية التي تحرك السلوك وتوجهه نحو هدف أو غرض معين. وتحافظ على استمراريته حتى يتحقق ذلك الهدف.

وعليه يكون للدافع ثلاث وظائف أساسية<sup>1</sup>:

- 1- تحريك وتنشيط السلوك.
- 2- توجيه السلوك نحو وجهة معينة دون أخرى. (اختيارية)
- 3- المحافظة على استدامة السلوك طالما بقي الإنسان مدفوعا، أو طالما بقيت الحاجة قائمة.

<sup>1</sup> - مصطفى نجيب شاويش: إدارة الموارد البشرية: إدارة الأفراد، المرجع السابق

وعلى العموم فالدفعية هي قوة تدفع الفرد للقيام بسلوك قصد إشباع حاجة أو تحقيق هدف، وبإسقاط هذا الكلام على مجال دراستنا، تصبح الدوافع في هذه الحالة "دوافع سياسية"، تدفع إلى إشباع حاجة في النفسية اليهودية، وهي تحقيق ذاتية اليهودي وقوميته، وتحقيق هدف سياسي لطالما حلم به وهو: قيام كيان يهودي على الأرض الفلسطينية تحقيقاً لوعد الربّ المزعوم.

و لكن السؤال الذي يطرح نفسه كيف نسقط هذا الكلام النظري عن الدوافع، على الواقع العملي وهو الدافع السياسي الصهيوني الذي يمثل مجال هذه الدراسة؟.

تجيبنا عن ذلك الباحثة "بيان نويهض الحوت" بقولها: "... إن جوهر الديانة اليهودية يتلخص في أن المسيح (المخلص) لم يأت بعد. و انتظار المسيح لا يتم إلا فوق أرض فلسطين، وتحت سقف "هيكل سليمان". فاليهودي هو ذاك الإنسان الذي ما برح ينتظر قدوم المسيح منذ ألفي سنة. و طال الانتظار، فكانت الحركة الصهيونية الحديثة، وهي من أقوى الحركات السياسية الأخطبوطية المعاصرة، إنهاء الجسر لتحقيق الحلم الديني الموعود بحكم فلسطين. تلك هي الصورة ظاهرياً، أما الحقيقة، فعلى العكس من ذلك، إذ أن بناء الدولة هو الهدف، والحلم الديني هو الجسر إلى ذلك الهدف. فمنذ زوال مملكة دوود وسليمان عليهما السلام، واليهود ينتظرون من الربّ مسيحاً يخلصهم من حكم الرومان، واستمروا يفتشون عن المسيح حتى جاء المسيح عليه السلام، لكنهم لم يُصدّقوه. وقد سأل اليهود السيّد المسيح مرات: أأنت هو المسيح، أم ننتظر مسيحاً آخر؟ فيجيب: "إذا قلت لكم، لا تصدقون". وكان يقول لهم ذلك لأنه كان يعلم صفات المسيح الذي يحملون به، كانوا يعتقدون أنه سيأتي بسطان زمني يحقق لهم الحلم الدنيوي الكبير، أي دولة إسرائيل. لكن المسيح عليه السلام بشرهم بخلاص روحي، لم يُرزقهم ذلك، ولم يكفهم الخلاص الروحي: فرفضوه،

و تأمروا عليه وصلبوه"<sup>1</sup>. هذا حسب الرواية اليهودية، أما حسب الرواية الإسلامية فقال تعالى: "فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (52) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (53) وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (54) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ إِذْ رَفَعْتُكَ إِلَىَّ وَمُطَهَّرْتُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (55). [سورة آل عمران: 52-55]

<sup>1</sup> - بيان نويهض الحوت: فلسطين القضية الشعب الحضارة، مرجع سابق، ص 5

## الفصل الأول: حال الجماعة اليهودية قبل وبعد ظهور الصهيونية

### وموقف الملل اليهودية منها

الأصل في الأشياء أنها لا تولد صدفة ولا من فراغ، بل لابد لها من مخاض، ومقدمات حتى تكون، ثم تنمو حتى يستقر نموها، ثم تفتى كباقي الكائنات، وتدور الحياة دورتها، " وَيَبْقَى وَجْهٌ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ " [الرحمن 27].

والحركة الصهيونية وكيانها كذلك، لم تولد من فراغ، بل كانت لها جماعات ومنظمات حاضنة، تتغير أفكارها وأدوارها وروادها، حسب ظروف ومتطلبات كل مرحلة. وحتى نفهم أي فكرة أو مشروع أو جماعة، علينا أن ندرس مسار حركاتها التاريخية، والأطوار التي مرت بها، فنذكر متى، وأين، وماذا حدث لها؟... فمعرفة البدايات يمكننا من فهم الحاضر، واستشراف المستقبل. لذا كان لزاما علينا قبل الخوض في دراسة الصهيونية، أن نعرف البيئة الفكرية والاقتصادية والاجتماعية، التي كانت تحيط بالجماعة اليهودية، قبل أن يكون لها كيان سياسي، وتحتل المكان المقدس " فلسطين ".

## المبحث الأول: حال الجماعة اليهودية في أوروبا قبل ظهور الصهيونية

قد يسأل سائل لماذا التركيز على الجماعة اليهودية في أوروبا تحديدا وليس في العالم؟  
والجواب: أن تكوين الصهيونية ومنشأها الأول هو أوروبا لذا اقترن تاريخ الصهيونية بالتاريخ الأوروبي. وهذا ما سنفصل الحديث عنه فيما سيأتي.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> - راجع تفصيل ذلك في الصفحة 91 من هذا البحث.

## المطلب الأول: حال الجماعة اليهودية في أوروبا قبل التحرير من الجيتو

السامع للفظ قبل التحرير يتساءل: وهل كان اليهود يعيشون حالة استعمارية في أوروبا حتى يتحرروا...؟! والجواب عن ذلك: أي نعم...!، فقبل تاريخ 1791/09/27 - وسنعود إليه بالتفصيل - كان اليهود يعيشون حالة من العبودية والدونية والدّل، في محتشدات كان يطلق عليها اسم "الجيتو ghétto".

فما الجيتو؟، وما بنيته؟، وما نظامه؟، وهل عزل اليهود أنفسهم داخله طواعية، أم عُزلوا فيه قهراً، ولماذا؟، وما كانت آثار ونتائج العيش فيه على اليهود و على غيرهم؟...

هذه الأسئلة وغيرها ما سنحاول الإجابة عنها، حتى نكشف البيئة الاجتماعية والنفسية التي كان يعيشها اليهودي، ونعرف ما كان وزنه وقيّمته الاجتماعية في أوروبا، وكيف فكّر وقدرّ و عمل، حتى رفع سعره، فهزم العالم الإسلامي عموماً، والعالم العربي خصوصاً، واحتل فلسطين؟.

## حياة الجيتو وآثرها على اليهود وغيرهم

قبل الخوض في حياة الجيتو يجدر بنا تعريفه:

### تعريف الجيتو ghetto

الجيتو ghetto : قيل أن الكلمة اشتقت من الإيطالية Ghetto أي " مسكب المدافع" إشارة إلى الحي المجاور لهذا المسكب الذي كان يسكنه اليهود. وقيل أنها مشتقة من كلمة Judaca أي مكان سكن اليهود، أو من الكلمة العبرية " جت " الواردة في التلمود بمعنى " الانفصال".<sup>1</sup>

ويعرف عبد الوهاب المسيري كلمة "الجيتو Ghetto" بقوله: (هو الحي المقصور على إحدى الأقليات الدينية أو القومية. ولكن التسمية أصبحت مرتبطة أساساً بأحياء اليهود في أوروبا. وللکلمة معنيان: عام وخاص. يعني الجيتو بالمعنى العام أي مكان يعيش فيه فقراء اليهود دون قسر من جانب الدولة، أو حي اليهود بشكل عام. ويعود تاريخ هذه الجيتوات إلى الإمبراطورية اليونانية والرومانية. أما الجيتو بالمعنى الخاص الذي أصبح شائعاً، فيعني المكان الذي يُفرض على اليهود أن يعيشوا فيه، وقد استُخدمت الكلمة بهذا المعنى للإشارة إلى جيتو البندقية (عام 1516). وأصل الكلمة غير معروف على وجه الدقة، فيقال إنها حي اليهود في البندقية نسبة إلى "فلجيتو Villgetto" أو "مصنع المدافع" الذي أقيم بجواره. ويُقال أيضاً إن الكلمة مشتقة من الكلمة الألمانية "جهكتر أورت Geheckter Ort" التي تعني "المكان المحاط بالأسوار"، أو هي من الكلمة العبرية "جت" أو "جيط" بمعنى "الانفصال" أو

<sup>1</sup> - إسماعيل راجي الفاروقي: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، دار التضامن للطباعة، القاهرة، ط 2، 1988، ص 23



"الطلاق" الواردة في التلمود. وربما كان أكثر الافتراضات قرباً من الواقع هو ذلك الذي يعود بالكلمة إلى لفظة "بورجيتو" الإيطالية التي تعني القسم الصغير من المدينة، أي أن كلمتي "جيتو" و"بورجوازية" مشتقتان من أصل واحد. ومن أسماء الجيتو الأخرى في ألمانيا: "يودين شتراس" **Judenstrasse** أي "شارع اليهود"، أو "يودين جاسي" **Judengasse** أو "جاسي" **Gasse** فقط، أي "حارة اليهود"، أو "يودين فيرتيل" **Judenviertel**، أي "حي اليهود". وفي البرتغال سُمِّي الجيتو "جودياريا" **Judaria** وفي فرنسا سُمِّي "جوفيري" **Juiverie**، وفي إيطاليا سُمِّي "جيدিকা" **Guidecca**، وسُمِّي بالإنجليزية "جوري" **Jewry**. وكلها كلمات تصف اليهود باعتبارهم كتلة متماسكة.<sup>1</sup>

وبالوقوف عند تعريف المسيري لم أجد السبب أو القرينة اللغوية أو العلمية التي جعلته يرجح أو يميل إلى ترجيح معنى على آخر، فكان بإمكانه سرد الأقوال والتعاريف دون محاولة ترجيح أو صرف النظر إلى معنى بذاته دون قرينة الصرف والتوجيه، كما تدل هذه الجملة "... وربما كان أكثر الافتراضات قرباً من الواقع هو ذلك الذي يعود بالكلمة إلى لفظة "بورجيتو الإيطالية ...".

مهما يكن من اختلاف حول أصل كلمة "الجيتو" فالمهم مدلولها ومحتواها، الذي لا يكاد يُذكر إلا ويثير في النفسية والمخيال اليهودي، معاني الغربة، والإقصاء، والدَّلة، والعبودية

---

1 - عبد الوهاب المسيري: الجماعات الوظيفية اليهودية نموذج تفسيري جديد، دار الشروق - القاهرة، الطبعة الثانية، سبتمبر 2002، ص 111-112، انظر أيضا رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد 102، يونيو 1986، ص 17، انظر أيضا يوسف أيوب حداد: هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ط1 يناير 2004، ج1، ص 278 وما بعدها.

والشعور باضطهاد الآخر المسيحي الغربي له. كما أنه في الوقت نفسه يثير في نفسية الغربي كل معاني الاشمئزاز والقذارة والحقارة والخيانة والشيطنة تجاه اليهودي، ذلك أن همّ الكنيسة وقساوستها، من البابا إلى آخر قس في القرية، كان فصل المسيحيين عن اليهود، فصلا تاما، و) يحملون على كل من تعامل مع اليهود من رعيتهم تعاملًا سافرا. كما أن المجالس البلدية كانت تحذو حذو مجلس " رافينا"<sup>1</sup> في إيطاليا حيث قرر سنة 1317م: "أنه بالرغم من سماح الكنيسة لليهود بالبقاء في الديار المسيحية، يجب ألا يسمح لهم (أي اليهود) بأن يؤذوا المسيحيين. ذلك لأنهم يردّون الحسنة بالسيئة والصدّاقة بالاحتقار والعداء. ولهذا، وبما أن فضائح عديدة حصلت بسبب تمازج اليهود بالمسيحيين فإن المجلس الخاص بهذه المقاطعة والمجتمع قرر أن على رجال اليهود وضع دائرة من القماش الأصفر على ظهورهم ، وعلى نسائهم وضعها على رؤوسهن، كي يتسنى لكل تمييزهم عن المسيحيين."<sup>2</sup>

بهذه الصورة البشعة طرد المسيحيون اليهود من الدائرة الاجتماعية وحكموا عليهم بالمعيشة الانعزالية قهرا، وأنزلوهم في إقامة جبرية جماعية باسم القانون. كانوا يكرهونهم كرها شديدا، باسم كل الشعوب والأجناس والطوائف، وعلى حد تعبير "الأب بولس حنا مسعد" الذي قال عنهم: ( فالعالم لم يكره أبناء إسرائيل إلا لسوء أخلاقهم وفساد آدابهم وختلهم ودهائهم وحبّهم للدسائس والمراوغات. قال عنهم مفكر: " كلما أطلتُ درس أطوارهم

---

1 - رافينا: مقاطعة رافينا (بالإيطالية: Provincia di Ravenna) ، مقاطعة شمال إيطاليا في إقليم إميليا رومانيا عاصمتها مدينة رافينا ، مساحتها 1858 كيلومتر مربع و بها 18 مدينة و بلدة ، تحدها شمالا مقاطعة مودينا ، و غربا مقاطعة بولونيا ، و جنوبا إقليم توسكانا (عند مقاطعة فلورنسا) و مقاطعة فورلي تيزينا ، تطل شرقا على البحر الادرياتيكي.

2 - إسماعيل راجي الفاروقي: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، مرجع سابق ص 23

تَبَلَّجَتْ لي من ختلهم ودهائهم مشاكل جديدة"، فهم على الشعوب وباء روجي، أسوأ أترا من الموت الأسود)<sup>1</sup>.

وهذا ما يفسر ردّة فعل البابا بولس الرابع (1550-1559)، حيث أصدر نشرة بابوية في عام 1555م، تأمر بعزل اليهود إجبارياً. لذا في 26 يوليو 1555م رُحِّل اليهود من روما، إلى الحي الجديد- حي التعاسة والمهانة -، الواقع على الضفة الشمالية من نهر التير، حيث أحيط على الفور بسور لعزلهم عن المدينة، ثم عمّ قرار العزل كل المدن الواقعة تحت سيطرة البابا، واعتباراً من سنة 1562 أُطلق رسمياً على هذا الحي الجديد في البندقية اسم "الجيتو"<sup>2</sup>. وفي مطلع القرن السادس عشر اندفعت مدن أوروبا الواحدة تلو الأخرى، إلى سن قوانين تفرض على اليهود السكن في الجيتو حتى عمّ الأمر كل القارة الأوربية.<sup>3</sup>

### بنية الجتو:

لم يكن الجيتو منتجعا سياحياً، وإنما هو مكان داخل المدينة أو خارجها محاط بسور عال له بوابة (أو أكثر) تُغلق عادةً في المساء<sup>4</sup>. وكان من غير المصرّح به لأعضاء الجماعات اليهودية، في بعض المراحل التاريخية ببعض الدول، أن يظهروا خارج الجيتو في يوم الأحد أو في أيام أعياد المسيحيين. وكان الجيتو بأسواره العالية يهدف إلى عدة أشياء متناقضة، منها:

1 - الأب بولس حنا مسعد: همجية التعاليم الصهيونية، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية 1983، ص 65-74

2 - رشاد عبد الله الشامي: المرجع السابق، ص 18

3 - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، المجلد 4، ص 290

4 - تفاصيل أكثر لتاريخ وبنية الجيتو انظر: سناء عبد اللطيف حسين صبري: الجيتو اليهودي دراسة للأصول الفكرية والثقافية والنفسية للمجتمع الإسرائيلي، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى - 1999، ص 15 وما بعدها. وانظر أيضاً رشاد عبد الله الشامي: المرجع السابق،

ص 9-16 وما بعدها

حماية اليهود كجماعة وظيفية وسيطة، وسهولة تحصيل الضرائب منهم، ومراقبتهم وعزلهم وفصلهم عن الأغلبية المسيحية. كما كان يضمن ألا يهرب أعضاء الجماعة إلى بلد آخر، فقد كانوا مادة استعمالية وأداة إنتاج وإدارة يستفيد الإمبراطور أو الحاكم من وجودها.<sup>1</sup>

هذا من الناحية الشكلية الظاهرية، أما من الناحية الداخلية، والتي كان لها كبير الأثر على الجوانب النفسية والاجتماعية، فقد كان الجيتو في معظم الحالات يقع في أوسع وأردأ البقاع، ولم يكن له منفذ للتوسع، رغم ازدياد السكان القاطنين فيه، لذلك كان الجيتو في كل مكان غاصا بالسكان مما يسهل انتقال العدوى والأوبئة، وإقامة اليهود الإجبارية فيه، ومنع الاتصال بالمحيط المسيحي، سهل انتشار أسوأ الأفكار والانطباعات عن اليهود وحياتهم. لم يكن الجيتو معقل الأوساخ والقاذورات المادية فحسب، بل العيوب النفسية والاجتماعية. فكان مركز المومسات وبؤرة الفساد والدسياسة ومقر المتعاملين بالربا...<sup>2</sup>، لذلك لم يكن اليهود ليتأثروا بالحركات الفكرية والسياسية والعلمية والفنية التي ازدهرت في المجتمعات الأوربية حولهم لأنهم كانوا يعيشون ويفكرون داخل الصندوق، صندوق الجيتو.<sup>3</sup>

---

1 - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، المجلد 4، ص 117

2 - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 24

3 - "التفكير داخل الصندوق": مصطلح يقصد به التفكير برتابة أي بنفس الطريقة وفي نفس الدائرة، دون محاولة الخروج منها لإيجاد طرق جديدة، وعكسه: "التفكير خارج الصندوق" (Thinking outside the box)، أو التفكير على غير العادة وهي عبارة تستعمل للإشارة إلى التفكير الإبداعي. وأول من نكر هذا المصطلح وألف فيه، الباحثان: مايك فانس، وديان ديكون في كتابهما الموسوم بـ "التفكير خارج الصندوق"، ويفصل هذا الكتاب في اكتشاف الصناديق السلوكية التي يعيش بداخلها الفرد والجماعة، كالخوف وإدمان التردد، والماضي والعجزو توقعات الآخرين والنرجسية... إلخ، والتي تأسر الإنسان وتحوّل دون تحقيق أهدافه في الحياة، والمقصود بالصندوق هنا، هو النمط السلوكي الذي يجعل الإنسان حبيسا له، ويحد من رؤيته للفرص، وإحساسه بالمشاعر، واستمتاعه بالمغامرات التي تزخر بها الحياة من حوله. فعندما يقوم المرء بتحديد الصناديق التي يعيش بداخلها، سيملك القدرة على الخروج منها، وتغيير حياته للأبد. لذا قال أينشتاين: "لا يمكن حل مشكلة حاليا، بنفس طريقة التفكير التي كانت سائدة خلال نشوء المشكلة وتشكلها. الحل المناسب يحتاج إلى

والذي يدقق النظر في هذا الميَّز العنصري، وهذا التعامل الفظ، يجده قد وُلد عند اليهودي حاسة الانطواء على الذات، وروح الانتقام والعدوانية، والذي تجسد بكل وحشية في الجدار العازل الذي بنته وتبنيه الصهيونية على الأراضي فلسطينية هذه الأيام، لعزل الفلسطينيين وإذاقتهم طعم الجيتو على أوسع نطاق، على شعب بأكمله.

كانت ثقافة أهل الجيتو جد ضحلة فقد ترك الانحطاط الاقتصادي والمعماري للجيتو أثراً عميقاً في وجدان يهود شرق أوروبا ووسطها القاطنين فيه، وعمَّق انفصالهم عن العالم الخارجي. وقَدِم عصر النهضة وعصر الإصلاح الديني، ثم عصر الاستنارة في أوروبا، واليهود داخل أسوار الجيتو، الاقتصادية والوجدانية، فكان معظم أعضاء الجماعات اليهودية من يهود شرق أوروبا، معزولين عن الثقافة العامة، لا يدرسون إلا التوراة والتلمود والمدراش، ولا يقتربون البتة من تاريخ الأغيار، إذ كان كل ما يعينهم هو تاريخ اليهود كما جاء في كتب اليهود المقدَّسة<sup>1</sup>، بل وصلت حالة الانفصال عن المجتمع حدَّ العتمة، فلم يتعلم اليهود لغات المجتمعات التي كانوا يسكنون فيها، وإن تصادف وعرفوا إحدى هذه اللغات، بحكم وجودهم الفعلي في البلد، فإنهم كانوا يجهلون التراث الثقافي لهذا البلد. وعليه استحدثوا في الجيتو لغة خاصة بهم<sup>2</sup>، هي عبارة عن مزيج وخليط من العبرية والألمانية والبولندية والروسية

---

طريقة جديدة في التفكير ومبتكرة. "لمزيد من التفصيل أنظر مايك فانس، ديان ديكون: التفكير خارج الصندوق، مكتبة جرير - الرياض، الطبعة الأولى 2002.

1 - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية المرجع السابق، المجلد 4، ص 294، وكذا سناء عبد اللطيف حسين صبري: الجيتو اليهودي، مرجع سابق، ص 40-52

2 - عبد الفتاح محمد ماضي: الدين والسياسة في إسرائيل، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1999، ص 102-103

وغيرها فكانت تسمى " اليدشية " ( Yiddish )<sup>1</sup> ، هذا عند اليهود الغربيين "الإشكناز" ، أما السفارديم<sup>2</sup> ، وهم اليهود النازحين من الأندلس وشرق أوروبا، فكانت لغتهم في الجيتو تعرف بلغة اللادينو ( Ladino ) ، وهي خليط من العبرية والإسبانية.<sup>3</sup>

## نظام الجيتو

كان النظام الاجتماعي السائد في القرون الوسطى هو نظام الأسر، وكانت مكانة الفرد فيه بمكانة أسرته شريفًا كان أو وضيعًا، وكانت للأسرة الأوروبية سلطة فعلية على الفرد إذ لا بد من الرجوع إليها في أي حق من حقوقه. وكان النظام الأسري مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالكنيسة، فالأسرة تحصل على هويتها وهوية أفرادها من الكنيسة. فهي القائمة على التعميد و التزويج والتثبيت، ودون هذه المراسم لا وجود لأي أسرة في الواقع الاجتماعي. أما اليهودي فلم يكن معنيا بهذا النظام ، وبما أنه لا بد له من نظام يعيش به وفيه ، أملت الحاجة على المسيحيين أن يعترفوا بالنظام المللي - نسبة إلى الملة -<sup>4</sup> ، القائم على اعتبار اليهود كلهم في منطقة من المناطق كأسرة أو قبيلة واحدة (ملة واحدة)، وحصر السلطة والحقوق في رئيس أو مجلس يتولى إدارة أمورها، ويمثلها لدى القضاء و سلطات البلاد ، فكان الحاخام أو مجلس الربانة المسمى " بيت الدين "، يأمر اليهود ويحكم ويحاكم ويسجن ويقتل ويجازي باسم ملك البلاد، فقامت حياة الجيتو كلها، من مأكمل

1 - رشاد عبد الله الشامي: المرجع السابق، ص 11

2 - حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه، مرجع سابق، ص 202-204

3 - إسماعيل راجي الفاروقي: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، مرجع سابق ص 25

4 - كان اليهود خاصة الذين نزحوا من البلاد الإسلامية يعرفون النظام المللي الذي عاشوا به في المجتمع الإسلامي فعدهم ملة واحدة.

ومشرب، ومعاملة وأخلاق، وحياة وممات، على القانون- أي التوراة - مقيدة على كل مستوى. فكانت منظمة الشعب اليهودي هي التي تتولى شؤون التعليم وتصرف عليه ، وشؤون العبادة فتعين الحاخامين والمفتشين، وشؤون الأمن والنظام داخل جدران الجيتو. فهي التي كانت تجي الضرائب من اليهود لا للأمور الداخلية والخاصة فحسب، بل للدولة، إذ كانت حكومة الملك أو الأمير، تفرض الضريبة على الشعب برمته، وكان للمنظمة اليهودية شأن توزيعها وجبايتها، فهذه المنظمة العامة للشعب اليهودي في منطقة ما، كانت هي المنظمة الأولية التي تخضع لها، أو تتفرع عنها جميع المنظمات اليهودية الأخرى.<sup>1</sup>

ومن هنا أنقذ نظام "الملل" الجماعة اليهودية، وأصبح فتحاً عظيماً وحلاً لمشكلة الكيان اليهودي في أوربا. فالسلطة الأبائية التي كان يتمتع بها رئيس الأسرة في القانون الروماني، وضعت بموجب هذا النظام في الشعب اليهودي كشعب، وتركوا له أمر تنظيم نفسه..<sup>2</sup>

### اليهود بين العزلة و الانعزال:

الانعزال هو اختيار العزلة طواعية، دون قهر ولا إكراه، كقولك: "اعتزل اللاعب الفلاني عن اللعب". أما العزل فهو إكراه الآخر، وعزله جبراً، سواء عن رتبة أو محيط، كقولك: "عزل الطبيب المريض في غرفة العزل الصحي، حتى لا يُعدي الآخرين".

1 - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 27-28

2 - لمزيد من التفصيل راجع عبد الفتاح محمد ماضي: المرجع السابق، ص 102-103

و المعنى الثاني (العزل) هو بالذات ما فعلته الكنيسة باليهود، إذ عزلتهم كالمصاب بمرض معدي فتآك، في مكان العزل الصحي وهو الجيتو. والدارس لظاهرة الانعزال والعزل اليهودي، يجد أن وراءهما فكرة دينية بجثة الأولى يهودية والثانية مسيحية:

فاليهود قبل عام 1555م اختاروا العزلة الطوعية باسم تعاليم التلمود، فالعزلة اليهودية كانت قائمة على مر العصور لأسباب دينية وطقسية، تقول دائرة المعارف العبرية: "إن واقع وطابع حياة اليهود دفع بهم دائما إلى التجمع والإقامة سويا في شارع واحد، أو في حي واحد للمحافظة على الشرائع الدينية " المنيان"، والمقابر والمطهر (بركة التطهير)، والمساعدة المتبادلة للأقلية المضطهدة والمهانة، وانعدام الأمن لديهم كغرباء ومكروهين، جعلتهم ينضمون سويا ويخلقون شوارع أو أحياء لليهود في كل البلدان الأوروبية. "وهكذا فإن البناء الحضاري للجيتو زاد من هذه العزلة.<sup>1</sup>

أما بالنسبة للكنيسة وهذا ما يجيب على السؤال الذي يطرح نفسه بقوة: ما هي الأسباب الحقيقية التي جعلت الكنيسة تعزل اليهود في الجيتو إجباريا، رغم أنهم عزلوا أنفسهم اختياريا؟

يجيبنا على هذا السؤال الأستاذ إسماعيل راجي الفاروقي بقوله<sup>2</sup>: "يرجع نظام الجيتو إلى حجة لاهوتية تنطق بها المسيحيون في اضطهادهم لليهود كعنصر من العناصر المكونة

---

1 - رشاد عبد الله الشامي: المرجع السابق، ص 17. وكذا سناء عبد اللطيف حسين صبري: الجيتو اليهودي، مرجع سابق، ص 39-51  
2 - إسماعيل راجي الفاروقي: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، مرجع سابق ص 25-26. للتفصيل أكثر أنظر عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، المجلد 4، ص 288-294



للدراما اللاهوتية المسيحية، أي أن اليهود هم الذين قاموا بصلب المسيح وقتله، ثم برفضه كمخلص للبشر. (...) ولهذا اعتقد المسيحيون، أنه لا بد لليهود من العذاب في الدنيا، جزاء لهم على عنادهم. ولكن المسيحيين الغربيين، لم يكونوا يفرحون بدخول اليهود في دينهم. فهم أرادوا لهم البقاء كيهود معذبين في الأرض، ليكونوا مثلاً وتحقيقاً لخسران الراغبين عن المسيح ودينه. لذلك حافظوا عليهم، إذ كان بمقدورهم القضاء على الجنس اليهودي برمته. ففي روما، مثلاً، كان السكان اليهود يقعون في عهدة البابا بالذات، يحافظ عليهم ويرعاهم برعايته، كي يكونوا مثلاً حياً للبشر الذي جاء المسيح ليخلص البشر منه، وكأنهم إخوان للشياطين على الأرض في معرض دائم للبشر أجمع.<sup>1</sup>

حافظوا على اليهود لا حبا ورغبة فيهم، ولكن لبيان صدق المسيح ﷺ، كمخابر اللقاح التي تحتفظ بالفيروسات والجراثيم لا حبا فيها، ولكن حبا في عائدات اللقاحات المضادة لها التي تنتجها.

ومن ثم فقد رسخ في عقول ووجدان المسيحيين كراهية اليهود، والحقدهم عليهم، ولهذا السبب في عام 1890م، صرح القيصر " ألكسندر الثالث (Alexander III) ، بقوله: "نحن لا ننسى أبدا أن اليهود قتلوا سيدنا، وفرقوا دمه المقدس."<sup>2</sup>

1 - انظر أيضا طعيمة صابر: بنو إسرائيل في ميزان القرآن الكريم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص 286

2 - سناء عبد اللطيف حسين صبري: الجنيتو اليهودي، مرجع سابق، ص 100

## آثار ونتائج حياة الجيتو

وقد كان التأكيد على العزلة، بعض النتائج بالنسبة للواقع اليهودي "الجيتوي" نذكر منها:  
أولا: قتل من اختلاط اليهود بالمسيحيين يوما بعد يوم، وبالتالي زادت الشبهات تجاه اليهود، خاصة أنهم كانوا متفوقين في علوم الطب، والجراحة و الكيمياء ...، بسبب اتصالمهم بالعرب ونقلهم هذه العلوم عنهم، فاعتبرهم المسيحيون سحرة ومشعوذين، فتأكد ما نقله لاهوتيو الكنيسة من أن اليهود إخوان الشياطين مثبت بالفعل.<sup>1</sup>

ثانيا: منعت الكنيسة اليهود من التوسع في مساحة الأحياء اليهودية ، فاضطروا إلى التوسع الرأسي بزيادة طوابق لا تحملها المباني الآيلة للسقوط، وازدادت الكثافة السكانية، وضاق المكان بأهله، وانحط مستوى المعيشة، وتفشت الأمراض، وتراكت القاذورات بأنواعها المادية والنفسية، والاجتماعية، مما ترك أثرا عميقا على وجدان اليهود القاطنين - بالجيتو-، وعمق من انفصالمهم عن العالم الخارجي، وانحصارهم داخل عالم يتصورون أن كل ما فيه يهودي خالص.<sup>2</sup>

ثالثا: انعدام الإحساس بالأمن لدى اليهودي خارج أسوار الجيتو لوجود المسيحي الحارس والكاظم على الأنفاس، يراقب الداخل والخارج عند بوابة الجيتو، فتعمقت ثقافة وحاسة الكره بين الطرفين فلا يرى أحدهما الآخر إلا شريرا، وقد وصف هذا الحال الباحث ف. لوفسكي (F.Lovsky) وهو يبرر التعامل المسيحي بقوله: " إن الاضطهاد المسيحي لليهود

1 - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 26

2 - أحمد شلبي: مقارنة الأديان - اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية-1967، ص 42، وكذا رشاد عبد الله الشامي: المرجع

السابق، ص 18-19

لم يكن منشؤه التعاليم المسيحية ، ولكنه القانون الوضعي الذي حظ من قدر اليهود، وضاعف من الظلم والهوان الذي وقع عليهم، وجعل المسيحي واليهودي عدوَّين لدودين، ينبغي أن يوضع بينهما حدّ فاصل في علاقتهما الاجتماعية ، لذلك فرض المسيحيون الجيتو على اليهود، ليكون قفصا وسجناً يعزلهم عن باقي المجتمع.<sup>1</sup>

فصار اليهودي يشعر بأن عالم ما وراء أسوار الجيتو، عالما غريبا ، معادٍ وشرير، أما داخل الأسوار فكان يجد الأمن والطمأنينة، والثقة والإيمان العميق بأنه ينتمي إلى الأمة المقدسة والشعب المختار. يقول أحد أبحار اليهود: "إن الفرق بين اليهودي وغيره كالفرق بين الماس والملح، ضع أي جوييم في أي مجتمع فسرعان ما يذوب ولا ينصهر، بل ينسج حول ذاته غلافا شفافا من فولاذ، منسوجاً من إيمانه وتقاليده وعاداته." ويستطرد قائلاً: " لقد نجحنا في إيجاد الجيتو، وجعلنا الجوييم يعتقدون أننا أصبحنا أسرى له... بينما الحقيقة، أن الجيتو كان بمثابة قلعنا التي بها نحتمي، ونمارس داخلها كل شرائعنا، ونتمرن على ممارسة فن الحكم، حتى إذا جاء اليوم الموعود قفزنا من خارجه للاستيلاء على السلطة."<sup>2</sup>

ومن هنا اتفقت رؤية الطرفين على أمر واحد، وهو أن المسيحي لا يشعر بالاطمئنان إلا إذا رأى اليهودي داخل أسوار الجيتو، وصار اليهودي لا يشعر بالاطمئنان كذلك إلا داخلها. ومن ثم تعمقت الفجوة بين الطرفين، وتحول الجيتو بالنسبة لليهودي إلى محمية العقيدة والشخصية من الانهيار و الذوبان في المجتمع الغربي، ذلك أن حياة اليهود مع بعضهم بعضا، ضمن جدران الجيتو، وتعرضهم للمصير الواحد، زكى فيهم شعلة تضامن،

---

F.Lovsky: Antisémisme et Mystere D'Israel, Edition Alibun Michel, Paris, 1953, p.239

- 1

2 - سناء عبد اللطيف حسين صبري: الجيتو اليهودي، مرجع سابق، ص46

كانت ولا تزال من أقوى وأوثق العرى التي عرفها الإنسان، لا تفصم حتى بالموت. فقد أدى الجيتو إلى نشوء وعي جماعي بين اليهود، انحصر في امتثال اليهودي لرؤسائه وتوليته لشعبه أجل الولاء، ومحافظة على القانون- أي التوراة - وتحقيق الواجبات المنبثقة عنها.<sup>1</sup>

إن دراسات علم النفس وعلم النفس الاجتماعي.. تؤكد أن الجماعة التي تتوحد حول فكرة أو كيان، كلما تعرضت لضربات خارجية، تزيد قوتها وتماسكها ووحدتها والتفافها حول ذاتها، أما إن كانت الضربات من الداخل، فهذا ما يؤدي - عموماً - لانفجارها الداخلي، وتشتتها وانقسامها على نفسها<sup>2</sup>. لذا نجد أن المحامات استثمروا شعور كره الآخر لهم، واغتنموا الفرصة وحولوه إلى المبالغة في حب الذات، - ورفع سعرها -، مما نمت شعور العنصرية لديهم<sup>3</sup>، للرد على عنصرية المسيحي، فصار اليهودي ينظر للآخر - المسيحي - على أنه " جويم " غوغائي لا يستحق الحياة، وعلى اليهود أن يعزلوا عن بقية الشعوب، ليحموا أنفسهم و يصونوا جنسهم النقي من الاختلاط بالغوغاء والحشرات

1 - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 27، وانظر أيضا رشاد عبد الله الشامي: المرجع السابق، ص 18

2 - باولو فرايري: تعليم المقهورين، دارالقلم، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى 1980، ص 93

3 - راجع المسألة بالتفصيل عند إبراهيم خليل أحمد: إسرائيل فتنة الأجيال العصور القديمة، مكتبة الوعي العربي، 1969، ص 154-156

4 - الجويم. الكلمة عبرية على صورة الجمع ومفردا "جوي"، واصل اشتقاق الكلمة غير معروف، ويرى بعض العلماء أنها جاءت من أصول غير سامية قديمة جدا، واستخدمها العبريون في العصور القديمة بمعنى الهوام والحشرات التي تزحف في جموع كبيرة، مكررة مرتين للتهويل، فكانوا يقولون "جوي- جوي". ومن هذا التركيب الإزدواجي بقي في لغتنا العربية- لفظ "غوغاء"، ومعناه أيضا جموع الجراد و نموه من الحشرات، ثم انتقل إلى معنى الكثير المختلط من الناس، ثم أصبح يدل على السوقة والأشرار بصفة خاصة. وقد سلكت "جوي" العبرية نفس الطريق في تطورها، من إفادة معنى الهوام والحشرات إلى اختلاط الناس، ثم إلى سفلتهم وأشرارهم. ومن هنا خصصتها العنصرية الإسرائيلية منذ القدم للإشارة إلى الناس جميعا من غير بني إسرائيل. وقد توسع أحبار اليهود في مدلول الكلمة فأضافوا إليها معنى القذارة المادية والروحية والكفر، وأصبحت بمثابة سبة تلتصق باليهودي الذي يتعدى حدود الدين. أنظر رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، ص 32

والأشرار والسوقة، من باقي شعوب العالم الفاني، الذين ما خلقوا على هيئة الإنسان إلا ليكونوا خداما وعبيدا لبيت إسرائيل ونسله.<sup>1</sup>

فالجيتو إذن هو أكبر وأهم العوامل التي أدت إلى الحفاظ على القانون وبالتالي على يهودية اليهودي. ولم يكن لليهودي اختيار آخر. فإما أن ينتصر أو يعرض نفسه للقتل و السبي والنهب، أو أن يطيع أوامر الحاخام، ويمثل لإرادة الشعب اليهودي، المتجسمة في التوراة وتعاليمها، كما يرويها له الحاخام، ويحكم بما عليه أو له. لم يكن للفرد اليهودي أي حق، في تحويل أو تعديل أو تأويل القانون، أو استئناف ما يحكم به "بيت الدين" عليه، إذ كانت تقاريره "Takkanoth" تطبق على الجميع دون تراجع عنها لأي كان.<sup>2</sup>

لقد كانت حياة الجيتو على حد تعبير البعض "دولة داخل دولة"، وقد يحدث أن يعيش اليهودي حياته كلها، دون أن تتطأ قدماه الأرض الواقعة على حدود الجيتو، نتيجة التشبع والاكتفاء الذاتي الذي يتمتع به داخل الجيتو.<sup>3</sup> لذا نجد من الباحثين من يرى أن حياة الجيتو كانت نعمة وليست نقمة، فلولاها لذاب اليهودي في محيطه، وهذا ما اعترف به - الساعد الأيمن لهرتزل ومهندس صياغة مؤتمر بازل - ماكس نوردو (Max Nordau) (1849-1923)، وهو يصف إيجابيات حياة الجيتو وبركاتها على اليهود أفرادا وجماعات، فيقول: "إن اليهودي حرص على عزل نفسه، فكان إذا لم تضعه السلطات في مكان منعزل، تراه يبني

---

1 - الشراقوي عبد الله: الكنز المرصود في فضائح التلمود، دار عمران، بيروت، ط 1، 1993، ص 79 وما بعدها. وانظر أيضا عبد الفتاح محمد ماضي: الدين والسياسة في إسرائيل، مرجع سابق، ص 103.

2 - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 29. وكذا سناء عبد اللطيف حسين صبري: الجيتو اليهودي، مرجع سابق، ص 50-51

3- محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، دارالمعارف-القاهرة، الطبعة الأولى-1981، ص 29

لنفسه منطقة منعزلة من تلقاء نفسه، يسكن فيها بمفرده دون أن يختلط مع المسيحيين (الجويم)، إلا في أمور العمل، وبالرغم من أن كلمة "حارة اليهود" أو منطقة الانعزال، تُعتبر اليوم وصمة عار واحتقار، لكن علماء النفس والقومية والتاريخ، يعترفون أن مناطق العزلة كانت لليهودي في الماضي بمثابة ملجأ وليس سجنًا. "و يستطرد قائلاً: "إنها حقيقة تاريخية أن مناطق الانعزال اليهودية هي التي أعطت اليهودي الفرصة للنجاة من الاضطهاد الذي قام في العصور الوسطى، وكانت حياة اليهود خارج الجيتو غير آمنة ومعرضة للخطر غالباً، أما في الداخل فكانت حياة متكاملة، لا ينقصهم من عناصر الحياة الاجتماعية شيء، فعرفوا أهمية المنطقة المنعزلة بالنسبة لحياتهم الخاصة، وفي مناطق الانعزال كانت للصفات اليهودية قيمتها الخاصة، التي يحصل الانسان بواسطتها على أعلى درجة من الإعجاب الذي يشكل أقوى حافز للروح الإنسانية، وكان الواحد منهم يحاول أن ينال احترام إخوانه، لذا حرص اليهود في الجيتو على أن يشيدوا حول أنفسهم أسواراً غير مرئية، تكون أعلى وأمنع من الأسوار المبنية من الحجارة التي أحاطت بهم، وكانت كل العادات والتقاليد اليهودية تهدف إلى شيء واحد وهو، الحفاظ على اليهودية، وذلك بعدم الاختلاط "بالجويم" من أجل الحفاظ على المجتمع اليهودي."<sup>1</sup>

ومما تجدر الإشارة إليه أن التاريخ سجل للمسلمين صفحات بيضاء في التعامل مع اليهود، ذلك أن الذين عاشوا منهم بين المسلمين، عاشوا دون قيود اجتماعية، فلم تُفرض عليهم حياة الجيتو بأي شكل من الأشكال، إلا ما كان باختيار منهم، وهذا باعتراف

---

1 - سناء عبد اللطيف حسين صبري: الجيتو اليهودي، مرجع سابق، ص 48-49

المؤرخين ورجال الدين المسيحي أنفسهم، من أمثال المؤرخ ورجل دين الكنيسة المكلف بالصدقة مع اليهود، "جيمس باركس" (1896 James Parkes - 1981) الذي صرح قائلاً: "إن الإسلام لم يرقم أي حاجز أو عائق أمام حرية اليهود الاجتماعية والاقتصادية، وإن المسلمين لم يفرضوا على اليهود جيتو إجبارياً، ولكن اليهود في أغلب الأحيان كانوا يعيشون في أحياء خاصة بهم، وكانت هذه الأحياء تعتبر قلاعاً حقيقية، من حيث قوة حوائطها وحصونها، وذلك لحرصهم الشديد على الاحتفاظ باستقلالهم الذاتي والتمسك بالتقاليد اليهودية."<sup>1</sup>

---

1 - المرجع السابق، ص 49-50. وهذا مصداق قوله تعالى: "لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ." [سورة الحشر: 14]

## المطلب الثاني: حال الجماعة اليهودية في أوروبا عصر النهضة

تُعدُّ نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر للميلاد، مرحلة جدَّ مهمَّة في تاريخ أوروبا، إذ هي فترة تحرير و تنوير، تحير للإنسان الأوربي عموماً، وللعقل خصوصاً، خاصة من سيطرة الكنيسة الإقطاعية، ومشروعها الثيوقراطي الاستبدادي. والذي وصفه "إمانويل كانت" بقوله: "التنوير هو الإفراج عن الإنسان من الوصايات التي فرضها هو على نفسه. والوصاية هي عدم جرأة الإنسان على استعمال قواه الطبيعية بدون استئذان الغير، ولم تكن هذه الوصاية مفروضة على الإنسان من قِبَل أحد، ذلك أنها لا تعتمد على نقص في العقل، بل في الجرأة على استخدامه... أما الوصاية الدينية، فهي أرزل الوصايات وأشدّها ضرراً."<sup>1</sup>

وعليه فقد شهدت القارة الأوروبية - في هذه الفترة - الكثير من التطورات في الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية والاقتصادية، وساد الاتجاه نحو الفردية المطلقة، وسيادة العقل وتسفيه الأسس الدينية، وهدم السلطة الكنسية - المكرّسة للإقطاعية - واستبدالها بإطلاق حرية الفكر والعقيدة وظهور المذاهب المادية والإلحادية، والعودة إلى التقاليد الفكرية اليونانية القديمة.<sup>2</sup>

لما افتك الإنسان الغربي حريته من الاستبداد والاقطاع، بدأ أفقه الجغرافي والفكري في الاتساع، فبدأ يتجه إلى المستقبل ويتعد عن الماضي، ويرى أن مجال حريته هو في هذه الأرض

1 - إسماعيل راجي الفاروقي: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، مرجع سابق ص 33

2 - لمعرفة المزيد عن أصول فكر حركة الاستنارة في أوروبا أنظر عبد الوهاب المسيري: فكر حركة الاستنارة وتناقضاته، دار نهضة مصر

للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ديسمبر 1989، ص 9-26



وليس في عوالم أخرى. ولذا خفت سيطرة وقبضة فلسفات المدرسة اللاهوتية على العقل، فلم يعد الإنسان قانعا بالتفسيرات الدينية التقليدية للظواهر، إذ صار يراها خرافية. وبدلا من أن يسأل لماذا خلق الله العالم؟ وهو سؤال ينصب على معنى العالم، أصبح يسأل: كيف خلق الله العالم؟ وكيف يسيره حسب قوانين ثابتة؟، وهو سؤال ينصب على بناء العالم وآلياته.<sup>1</sup>

نجم عن هذه الحركة الإحيائية، والنهضة الأوربية فكر جديد ونفسية جديدة، قائمة على ثلاثة محاور وهي:

- 1- اعتبار أن الإنسان خلق حرا ومتساويا مع الناس جميعا في الحقوق. فالتمييز المدني يجب أن لا يقوم إلا على أساس الخدمة العامة، التي يقدمها المواطن للوطن.
- 2- الهدف النهائي لجميع التجمعات السياسية هو المحافظة على حقوق الإنسان الطبيعية كاملة، ألا وهي الحرية، والملكية الفردية، والأمن ومقاومة الظلم، (العدالة الاجتماعية)
- 3- عدم التفرقة بين الأفراد على أساس الانتماء الديني أو العرقي أو المذهبي، فلا يقصى أحد بسبب آرائه ولو كانت دينية، ولا بسبب معتقداته، بشرط أن لا يؤدي اعتناقه بها إلى الإخلال بالأمن ونظام القانون العام.<sup>2</sup>

انتشرت هذه العقلية الجديدة، و هذه الحركية في المجتمع الأوربي - انتشار النار في الهشيم - فأدت إلى تحرير اليهود، وكانت أول حركات تحريرهم من النمسا حيث اتخذ امبراطور النمسا "جوزيف الثاني" (1765-1790) عدة إجراءات، منها رفع الضرائب الخاصة

---

1 - عبد الوهاب المسيري: الأيديولوجية الصهيونية، دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة

والفنون والآداب، الكويت، عدد ديسمبر 1982، ص 41

2 - إسماعيل راجي الفاروقي: مرجع سابق، ص 41

على اليهود، وإلغاء ارتداء العلامة الصفراء المميزة لهم دون سواهم، وليبيد كل أنواع التمييز العنصري، والفروق الاجتماعية بينهم وبين غيرهم من المواطنين، طالبهم أن يتخذوا أسماء غير الاسماء اليهودية التي كانوا يتسمون بها، أو المنحدرة من أسماء آبائهم (بن فلان على وزن بن غوريون مثلاً)، إلا أن اليهود لم يستجيبوا لهذه الإجراءات في الوهلة الأولى، واستغلوا هذا الانفتاح لصالحهم، فتدخلوا في الحياة الاجتماعية: ثقافياً وسياسياً واقتصادياً، وتمركزوا فيها دون تغيير أسمائهم. إلا أن الحكومة أطلقت عليهم أسماء جديدة رغماً عنهم، ولم تعترف لهم بغيرها، ومن هنا جاءت معظم أسماء اليهود الألمانية في أوروبا وأمريكا.<sup>1</sup>

لم يتم تحرير الجماعات اليهودية في أوروبا إلا بعد الثورة الفرنسية،<sup>2</sup> حيث صدر قرار عن "الجمعية الوطنية الفرنسية"، في 1791/09/27، نص على أن اليهود المقيمين في فرنسا مواطنون لهم كامل حقوق المواطنة، لهم ما للفرنسي من حقوق، وعليهم ما عليه من واجبات. وبفضل النفوذ الفرنسي في أوروبا، توسعت حركة تحرير الجماعات اليهودية إلى مختلف أنحاء القارة الأوربية، في هولندا وإيطاليا عام 1896م، وفي روسيا عام 1812م، ولم تمض سنة 1870، حتى تحرر جميع اليهود في أوروبا.<sup>3</sup>

- 
- 1 - المرجع السابق ص 36-38، راجع التفصيل عند عبد الوهاب المسيري: الأيدولوجية الصهيونية، دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، مرجع سابق، ص 39 وما بعدها
  - 2 - أنظر تفصيل ذلك عند أحمد عثمان: تاريخ اليهود، مكتبة الشروق، القاهرة- مصر، الجزء الثالث، ص 87 وما بعدها.
  - 3 - عبد الفتاح محمد ماضي: الدين والسياسة في إسرائيل، مرجع سابق، ص 95 وكذا عبد الوهاب المسيري: الأيدولوجية الصهيونية، مرجع سابق ص 46-62

## الاستجابة اليهودية الأولى نحو التحرر و الاندماج

أورثت استجابة اليهود الأولى نحو التحرر والاندماج حركة عقلانية مستتيرة،<sup>1</sup> يُعبر عنها بـ "حركة التنوير اليهودية"، أو "المسكالاه" (Haskala)، وهو الاصطلاح الذي استخدمه "يهودا جيليتس" لأول مرة، عام 1832م، للدلالة على عصر النهضة الثقافية اليهودية، الذي استمر من عام 1750 إلى عام 1880.<sup>2</sup>

و "المسكالاه": هي كلمة عبرية تعني التنوير، والتفهم، واليقظة والنهضة<sup>3</sup>، وكانت تنادي بأن على اليهود أن يحاولوا الحصول على حقوقهم المدنية الكاملة عن طريق الاندماج في المجتمعات التي يعيشون بين ظهرانيها، وأن يكون ولاؤهم الأول والأخير للبلاد التي ينتمون إليها، وليس "لقوميتهم الدينية" التي لا تستند إلى سند عقلي أو موضوعي. وكان دعاة حركة التنوير اليهودية يرون أن هذا ممكن إذا ما تمكن اليهودي من اكتساب مقومات الحضارة الغربية العلمانية، فصل الدين اليهودي عن "القومية اليهودية"، حتى يتلاءموا مع - الأم الجديدة - الدولة العلمانية القومية في أوروبا.<sup>4</sup>

بدأت حركة "المسكالاه" (التنوير اليهودي) في ألمانيا، ثم انتشرت في النمسا و روسيا و بولندا. وقد درس دعاة التنوير اليهود أعمال المفكرين الرومانتيقيين والبورجوازيين الأوروبيين،

---

1 - لدراسة أسباب الاندماج وآلياته، راجع عبد الوهاب المسيري: الجماعات الوظيفية اليهودية نموذج تفسيري جديد، مرجع سابق، ص

369 - 363

2 - رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، ص 37

3 - حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه، مرجع سابق، ص 213.

4 - عبد الوهاب المسيري: الأيدولوجية الصهيونية، مرجع سابق ص 62، وانظر أيضا عبد الفتاح محمد ماضي: الدين والسياسة في إسرائيل، مرجع سابق، ص 96. وكذا محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مرجع سابق، ص 28.

وقد تأثروا بهم تأثراً بليغاً محاولة منهم تحطيم الجيتو الفكري الذي عشش في نفوسهم، ومن أمثال هؤلاء الفلاسفة والمفكرين، الذين أعادوا صياغة وتشكيل العقل اليهودي المستنير - الذي له قابلية التفاعل مع المحيط، فيسمح بالتغير والتغيير - : "ديدرو" و"روسو" و"لوك" و"هردر" و"جوته" و"شلنج" ، وأعمال بعض الوضعين الروس، وكان دعاة التنوير بين اليهود يتصورون أنهم اتخذوا طريق الوسطية، بين الانصهار الكامل والانفصال الكامل، فهم بين بين، وكانت قضية التعليم هي القضية المحورية بالنسبة إليهم، بسبب رجعية وتحلف الفكر اليهودي.<sup>1</sup>

كان دعاة حركة التنوير اليهودي يؤمنون بالعقل وتقبل الواقع التاريخي بشكل من الأشكال، فحاولوا التكيف معه، ولكن دون محاولة القفز عليه، ومن هذا المنطلق هاجموا التراث الديني المغرق في التخلف والخرافة والتفسير الغيبي للأشياء، كفكرة المسيح - المخلص - (الملك من نسل داود)، الذي سيأتي لجمع شتات المنفيين ويعود بهم إلى صهيون ويحطم أعداء إسرائيل وكمسألة العودة إلى الأرض الموعودة، إذ يعتبرونها مجرد أسطورة.

وقد هاجمت حركة التنوير الحركات الصوفية وكتبها، والتي أنتجها التراث اليهودي والمغرق في التفسير الحرفي والغيبي للأحداث كنصوص ونتاج الحركة الحسيدية. وبالمقابل غلبت صوت العقل، فأحيت كتب المفكر اليهودي موسى بن ميمون، والذي طالب بدوره منذ العصور الوسطى، بإدخال التعليم العلماني في الدراسات الدينية اليهودية ، لتجاوز محنة التفسير الخرافي للنصوص والتعاليم اليهودية.<sup>2</sup>

---

1 - عبد الوهاب المسيري: الأيدولوجية الصهيونية، مرجع سابق ص 63. أنظر أيضا عبد الفتاح محمد ماضي: الدين والسياسة في

إسرائيل، المرجع السابق

2 - عبد المجيد هـو: الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، الأوانل للنشر والتوزيع، دمشق سوريا، الطبعة الثانية-2004، ص 191

## موسى مندلسون والتنظير للتححرر

كان موسى مندلسون<sup>1</sup> ( 1786-1729 ) ( Moses Mendelsohn ) من أعظم المتأثرين بجو التححرر والتنوير حتى أصبح واحدا من رواده سواء عند الألمان أو عند اليهود، حيث كان نابغة زمانه مزج بين المعرفتين الدينية والدينيوية، فكرّس كل وقته لإخراج اليهود من عزلتهم الفكرية وذلك من خلال توضيح العلاقة بين الدين والعقل، ودفع اليهود إلى درس مواضيع العصر والتقدم بأنفسهم ودينهم إلى الأمام، فكان أول ما قام به هو ترجمة التلمود إلى الألمانية، ليتسنى لليهود الذين يعرفون الألمانية ولا يعرفوا العبرية، من التعرف على تراثهم و قوانين حياتهم الدينية من جهة، ومن جهة أخرى حتى يتعرف الألمان على الدين اليهودي، فيحترموا تدّين اليهودي.

ومن جهة أخرى عمل مندلسون على نقل الثقافة الألمانية باللغة العبرية لغير الناطقين باللغة الألمانية من اليهود المحافظين أو المسنين، من خلال مجلة " المجمع " ( هاميعاسف )،

---

1 - ولد موسى مندلسون في الجيتو في مدينة " دساو " في ألمانيا ونشأ طالبا مجتهدا شديد الفطنة والذكاء. درس التلمود على يد الحاخام داود فرانكل وأتمه في الرابعة عشر من عمره. ثم ذهب إلى برلين ودرس في معاهدها باللغات الأوروبية، كان صديقا لاثنتين من كبار رجالات عصره وهما إمانويل كانت، وجوتهولد ليسنج، وقد مكّنه هذا الأخير من الدخول في الصالونات الأدبية. وما إن جاءت سنة 1763 إلا وكانت له سمعة أدبية كبيرة، مكّنته من نيل جائزة " أكاديمية العلوم البروسية " متفوقا حتى على الفيلسوف كانت أحد المتسابقين معه. وأنعمت عليه الحكومة البروسية بلقب " Schtjzude " أي يهودي ذي حماية خاصة. وقد أطلق عليه اليهود لقب موسى الثالث، بعد موسى عليه السلام وموسى بن ميمون. كما لقبه الألمان بألقاب عدة منها " أفلاطون برلين " وكذا " مارتن لوثر اليهود ". وللتعرف أكثر عليه وعلى أفكاره يراجع سعد البازعي: المكون اليهودي في الحضارة الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الأولى 2007، ص

كما أسس لذات الغرض سنة 1871 في برلين " المدرسة اليهودية الحرة " والتي كان يدرس فيها مواضيع عصرية و تلمودية.<sup>1</sup>

كانت فطانة ونظرة مندلسون عميقة وبعيدة الأغوار، إذ لم يكتف ببيان العلاقة بين الدين والعقل فحسب، بل تعدها لرسم العلاقة بين الدين والدولة، كما عمل على إقناع العقل اليهودي وقبوله للمتناقضات، ومنه للعلمانية، حيث يضعه في موقف المواطن الذي يجب أن يقدم ولاءه لوطنه على ولاءه لدينه. فهو يقول: "إذا أريد للمواطن من موظف أو سياسي أو تاجر أو زارع أو عامل أو جندي، أن يحسن القيام بالواجب القومي المنوط به، يجب عليه أن لا ينظر في أمر الدين، بل أن ينحيه عن المجالات العملية. وإذا أريد أن يتمتع المواطن بحرية الفكر (...) وجب أن ينحى الدين عن المجالات النظرية أيضا.<sup>2</sup> و كان يقول أيضا: " أيها اليهودي، وافق على دستور الدولة، واعمل بجميع عادات البلد الذي تحل فيه، وبقوانينه، ولكن في الوقت نفسه، كن أميناً على دين آباءك وأجدادك."<sup>3</sup>

وحتى يسهل على اليهودي بلوغ هذه الدرجة من العلمانية ويفصل الدين عن الدنيا والدولة، ويغير معظم ما تعلمه وعاش به في الجيتو، فيتجاوز قوميته، ووكذا تعاليم التوراة وتفسيرات الحاخامات، ومجلس الريابنة - المسمى " بيت الدين " -، قام مندلسون بابتكار تفسيرات واجتهادات جديدة جذرية على مستوى العقيدة والدين اليهودي، إذ لا يعتبر اليهودية عقيدة وحيية من عند الله وإنما هي شريعة فقط. فالمبادئ والقصص التاريخية في

1 - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 36.

2 - المرجع السابق

3 - عبد الفتاح محمد ماضي: الدين والسياسة في إسرائيل، مرجع سابق، ص 97

التوراة ليست حسب من العقيدة اليهودية، بل وحدها الشريعة أي القانون الخاص باليهودية جدير بالإيمان. ويرى أن الشريعة لا تقول لليهودي ما يجب أن يؤمن به، بل ما يجب فعله. لذا كان يقول في كتابه "أورشليم" أو "انعتاق اليهود المدني"، المنشور عام 1783: "أنا لا أؤمن بأية مبادئ سوى التي يتفهمها العقل الإنساني، والتي يمكن تبيانها وبرهنتها للفكر الإنساني، لقد أخطأ من ظن أني بقولي هذا خرجت على دين الأجداد، يترتب مثل هذا الظن على إدراك خاطئ للدين اليهودي، بل الأمر على عكس ذلك فهذا أمر لازم للدين اليهودي، بخلاف الدين المسيحي، وباختصار يمكننا القول بأن الدين اليهودي لا يعترف بأية عقيدة من وحي السماء بالمعنى المفهوم عند المسيحيين، فليهود شريعة إلهية، قوانين وأوامر، وسنن ومبادئ، أخلاق وسلوك، ترمي جميعها إلى تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، وهذه كلها أوحيت إليهم من قبل موسى بطريقة عجيبة، ما ورائية، ولكنها ليست عقائد، ولا حقائق ترمي إلى الخلاص، ولا مبادئ عامة قابلة للبرهان العقلي، فالحقائق والمبادئ العامة لم يُوحَ بها إلينا فحسب، بل لجميع البشر، وهي من النوع المستمد من الله، والطبيعة والتاريخ، وليس بالكلمة أو الكتاب."<sup>1</sup>

وخلاصة الكلام أن فلسفة موسى مندلسون حول التحرر، كانت بمثابة دستور لليهودي المتحرر وهي قائمة على مبادئ خلاصتها ما يلي :

---

1 - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 36-37. أنظر أيضا عرفان عبد الحميد فتاح: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، دار عمار- عمان الأردن، الطبعة الأولى 1996، ص 194-154. وكذا عبد الوهاب المسيري: الأيدولوجية الصهيونية، مرجع سابق ص 63-64، وكذا سعد البازعي: المكون اليهودي في الحضارة الغربية، مرجع سابق، ص 169

- على اليهود أن يندمجوا في إنسانية العصر ، وأن يخرجوا من قوقعة العنصرية التي حبسوا أنفسهم فيها لقرون طويلة خاصة في الجيتو.
- اليهودية دين فقط ، وليست جنسية، وأنه من الخطأ أن أقول: "يهودي انجليزي" أو "يهودي روسي".... إلخ ، والأصح، قول: "إنجليزي متدين باليهودية، وروسي متدين بها، وهكذا...
- إن المساواة في الحقوق المدنية بين اليهود وغيرهم غير ممكنة إلا إذا اعتبر اليهود أنفسهم مواطنين في البلاد التي يعيشوا فيها.
- لا يمكن لليهود أن يحققوا الاندماج والتطور إلا إذا أزالوا فكرة التمييز عن مجتمعهم الذي احتضنهم وآواهم، وعلى رأس هذه المسائل، مسألة اللغة، فعليهم أن يتحدثوا بلغات أوطانهم، وأن يتعلموا في مدارسها، وأن يجاربوا في جيوشها، وأن يلبسوا ما يشبه بقية المواطنين دون تميّز، وأن يخرجوا من الجيتو ماديا ومعنويا، فيقيموا مع غيرهم من الناس دون عقدة الاستعلاء الكاذب ولا التمسكن التمثيلي.<sup>1</sup>

خالف مندلسون بآرائه الكثير من اليهود - خاصة التقليديين منهم -، الذين يعتبرون أن العقل رديف الدين، وتابعا له لا متقدما عليه، وعليه فإن آراء مندلسون جاءت متعارضة في مجموعها لكثير من المعتقدات اليهودية، وما تبلور من تعاليم حياتهم الدينية، وما تراكم

1 - حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه، مرجع سابق، ص 214



عبر قرون، من ممارسات عبر تاريخهم الطويل، وهنا تكمن نقاط الضعف في فلسفة مندلسون التي سرعان ما ظهرت عيوبها بادية مشخصة للمؤمنين بالعقيدة اليهودية.

لقد كفر كثيرون من أتباع مندلسون بالدين عموماً، فاتبع كلُّ عقله إلى حيث هُداه، عملاً بوصايا مرشدهم، في حين تطرف آخرون، وتبنوا عقيدة غالبية الأمة الحاضرة، فلم يترددوا عن الارتداد عن دينهم اليهودي، واعتناق دين الأكثرية من مواطنيهم، أملاً في تحقيق الاندماج، والحصول على مراكز متقدمة في الحياة.<sup>1</sup>

لقد رفض و ردّ كثير من اليهود توجهات مندلسون وأتباعه، جراء تنازلاتهم عن أصول الدين اليهودي في مقابل التحرر والاندماج لدرجة الذوبان، لنيل اعتراف الآخر بهم، فوصف "آحادها عم" في مقال له كتبه عام 1891 بعنوان: "عبودية في حرية"، حيث وصف وحدد بدقة مشكلة الإنسان اليهودي، الذي يبدو وكأنه يعيش في حرية ويتمتع بكامل الحقوق الإنسانية، ولكنه فقد الشعور بالأمن كيهودي، كما فقد الإحساس بعلاقته بشعبه، وعلى الرغم من حريته الظاهرية، إلا أنه في الحقيقة عبدٌ فكرياً وأخلاقياً.

ويقول في مكان آخر: "إن الحرية الروحية التي أتمتع بها، لا أستبدلها أو أغيرها بكل التحرر في العالم". ويوجه نقده إلى يهود فرنسا خاصة، والغرب عامة بقوله: "إن العبودية الأخلاقية، هي فقط نصف الثمن الذي دفعه اليهودي لتحرره، وتحت رداء الحرية السياسية يرقد شكل آخر أقوى للعبودية، وهو العبودية الفكرية."<sup>2</sup>

1 - عرفان عبد الحميد فتاح: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، مرجع سابق، ص 151

2 - محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مرجع سابق ص 28

لم ينعم اليهود بالتححر طويلا حتى انهالت عليهم المشكلات، سواء داخلية متعلقة بالدين اليهودي نفسه، أو خارجية متعلقة بالمجتمع الذي احتضنهم، وهذا ما سنفصله في المباحث المقبلة عند الحديث عن التراجع الغربي عن التححر.

أمام المشكلات التي اعترضت اليهودي جراء تحرره، تراكمت وتشكّلت مجموعة من التساؤلات المقلقة والمخرجة للعقل اليهودي، والتي كان لمحاولة الإجابة عنها، كبير الأثر في تشكّل الفرق اليهودية فيما بعد، ومن هذه الأسئلة ما يلي<sup>1</sup>:

كيف يجمع اليهودي بين ولائه للشريعة والقانون من جهة، وبين ولائه لوطنه (فرنسا، ألمانيا، إيطاليا...)، ودولة وحكومة وثقافة وحضارة المجتمع الذي يعيش فيه، من جهة أخرى، والتي تختلف تماما على القيم التوراتية والتلمودية التي عاش بها ولأجلها؟  
كيف يذيب اليهودي تميّزه كعضو من الشعب المختار، في مجتمع جعل الجغرافيا والاقتصاد يحلان محل الدين؟، ما شكل الحياة اليهودية إن كان الدين فيها، لا يعدو أن يكون مقصورا على الطقوس الشكلية الخاصة فحسب، بعيدا عن مجالات الحياة الأخرى؟  
كيف لليهودي أن الاحتفاظ بمكاسب التححر، دون الإطاحة بالأمة اليهودية والدين اليهودي؟

حاول مندلسن الإجابة على هذه الأسئلة بقوله: "أيها اليهودي، وافق على دستور الدولة، واعمل بجميع عادات وقوانين البلد الذي تحلّ فيه. ولكن في ذات الوقت، كن أمينا على دين آبائك وأجدادك."<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 40-41 وانظر أيضا محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث

الديني اليهودي، مرجع سابق، ص 30-32

اختلفت إجابات اليهود على هذه الأسئلة إلى ثلاثة مذاهب أو مدارس أو ملل، أو حركات وهي: الحركة الإصلاحية، الحركة الأرثوذكسية، و الحركة المحافظة، وإذ نتعرض إليها ببعض من التحليل والتفصيل لأصول أفكارها ورجالها، فليس المقصود دراسة المذاهب والمدارس والملل المشكلة للجماعة اليهودية، وإنما المقصود هو معرفة الرحم والبيئة الفكرية، والنفسية والاجتماعية، التي نشأت فيها الفكرة الصهيونية، ونحدد بدقة بمن تأثرت وفيمن أثرت، حتى شكلت كيانها، وهذا هدف هذه الدراسة.

القادر للعلوم الإسلامية

## الحركة الإصلاحية ( Mouvement Réformiste )

تعد المدرسة الإصلاحية امتدادا لفكر موسى مندلسون، إن لم نقل تلاميذه وأصحابه، إلا أن الفرق بينهم وبين أستاذهم، أنهم ذهبوا بفكر التحرر إلى أبعد حدوده، ولم يجعلوا له سقفا ولا حداً، حتى تجاوزوا بذلك كل الحدود، فأوصلهم ذلك إلى أن أنكروا بعض الأصول الاعتقادية في الدين اليهودي، كما سنرى لاحقاً.<sup>1</sup>

كان هدف مندلسون إصلاح الإنسان اليهودي، خلافا للإصلاحيين الذين أردوا إصلاح الدين نفسه، ويظهر ذلك جلياً من خلال دراسة الإنسان اليهودي أثناء وبعد فترة التنوير، إذ يروي التاريخ أن اليهودي جراء تحرره تخلى عن كثير من الأشياء التي تميزه كيهودي، بما في ذلك اللغة العبرية، التي تُعد من مقومات الشخصية اليهودية. مما أثر على بعض الطقوس التي كانت تمارس باللغة العبرية، إذ لم يعد يفهمها أحد، فأضحت صلواتهم عبارة عن تتمات مجهولة المعاني، غامضة الحركات، تميل - على حد تعبير بعضهم - إلى الفلكلور والتهرج منها إلى العبادة، إذ يقول العالم والناقد اليهودي " صمويل بيبس Samuel Pepys " في مذكراته، واصفاً احتفالاً دينياً في كنيس لليهود السفارديم في لندن فقال: " كان طقسهم الديني وتعبدهم كله تتممة وغناء بالعبرية، بينما يحمل التوراة عدد من الرجال يجوبون بها القاعة ذهاباً وإياباً... ولكن يا إلهي! يا للفوضى، يا للضحك، يا للهزار، ويا لعدم الانتباه الذي يعتري المصلين اليهود أثناء صلواتهم. وكانت صلواتهم كلها

<sup>1</sup> - حاول هؤلاء أن يعيشوا بشخصيتين: الأولى متدينة بحتة داخل دوائهم اليهودية، والأخرى علمانية في الوسط الغربي، والدارس للقرآن الكريم يجد أن سمات هذه الشخصية ليست وليدة اليوم، بل هي قديمة، قال تعالى: " وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهِ النَّهَارِ وَانكَفَرُوا أَخِرَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ. [سورة آل عمران: 72]

وتعبدهم فوضى، لا أول له ولا آخر. حقا، إنهم يشبهون الرعاع، ولا مثل لهم بين الناس الذين يعرفون الإله الحق...<sup>1</sup>

كان هدف مندلسون تغيير المصلين لا الصلاة، فعمد إلى إعادة تعليم اليهود اللغة العبرية وذلك لسببين:

الأول: متعلق بالجوانب النظرية، ليتمكّنوا من فهم دينهم، انطلاقا من النصوص والتعاليم المكتوبة.

أما الثاني: فيتعلق بالجانب العملي، حتى يمارس اليهود طقوسهم الدينية بشكل صحيح وفعال، فيزداد تعلقهم بدينهم وتراثهم عن قناعة وفهم.

أما أتباع مندلسون فلم يكن لهم نفس الهدف والتوجه، بل عمّدوا إلى إصلاح الدين نفسه، من خلال حركة تغريب وفَرَبَجَة الدين والطقوس اليهودية، فأثروا في كثير من يهود غرب أوروبا، وجعلوهم يَصُبُّون جَمَّ غضبهم على اليهود الشرقيين، ويطالبونهم بحذف كثير من الطقوس، حتى تتشابه مع الطقوس البروتستانتية المنسجمة. ومن أمثلة هؤلاء:

#### داود فريد لاندر "Fridlander" (1834-1756):

كان "فريد لاندر" يظهر سخطه على عقلية التقليد والجمود والخرافة والحنين إلى الماضي، وحتى على لغة الطقوس الدينية اليهودية، فكان أول من غيرها عمليا من العبرية إلى الألمانية،<sup>2</sup> متحججا في ذلك، ببعض الحجج التي تظهر جليا في قوله: "لقد أصبحت صلوات اليهود على مرور الزمن أسوأ فأسوأ. فالأفكار التعبدية اليهودية أصبحت ملتبسة

1 - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق، ص 43

2 - عرفان عبد الحميد فتاح: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، مرجع سابق، ص 156-157

على الناس، لما اعتراها من التصوف ومبادئ القابلاه (kabbalah)<sup>1</sup>، المناهضة لروح الدين اليهودي الحقيقية. وكذلك لغة الصلوات، فهي أصبحت مؤذية للأذن وحافلة بالأخطاء اللغوية. من حسن الحظ أن الأكثرية الكبرى من اليهود لا يفهمون منها شيئاً. ولو فهموا لتأثروا بها إلى الأسوأ.<sup>2</sup>

وصلت أفكار "داود فريد لاندر" إلى هولندا، ففي سنة 1796م، بأمر من الملك، كان كنيس "عادات يشورون"، أول كنيس يستعمل لغة غير اللغة العبرية في الطقوس الدينية<sup>3</sup>، وعلى إثر هبوب رياح التغيير في المفاهيم وتدعيماً للإصلاح، أنشأت الحركة الإصلاحية في "هامبورج" سنة 1818، "المعبد الإصلاحية"، الذي غير الطقوس الدينية، من الممارسة التقليدية إلى ممارسة تقديمية عصرية، توافقا مع روح العصر، وقد وضع في هذا المعبد جهاز "الأرغن Orgue"، يُعزف به أثناء الطقس، وأُدخل عليه "الجوقة" (الكورال Chorale)، يغني تماماً كما في الكنيسة، فكان ذلك أول مبادرة أخرجت الحركة الإصلاحية من دهاليز الفكر النظري إلى الواقع العملي. وقد وزع في هذا الكنيس، أول كتاب صلاة باللغة الألمانية، كتبه سنة 1817 كل من "إدوارد كلاي" (1789-1867)، و "كارل سيغفريد جونسبرج" (1788-1860).<sup>4</sup>

1 - القبالاه أو القبالا أو الكابالاه (kabbalah): اتجاه صوفي ذو شعبتين: نظرية تأملية وعملية سلوكية. ويعتمدون على الكشف والإشراق والإلهام، والدعوة إلى الزهد والتقشف وسلوك طريق التطهر والتزكية بإدامة الذكر وإدمان التفكير والاستغراق لدرجة الخرافة والدروشة. وقد نقلت إلى أوروبا من قبل الصوفي العراقي الأصل والنشأة "أبو هارون بن صموئيل" مدعي الخوارق والكرامات الذي هاجر إلى إيطاليا ثم نقلت الفكرة إلى ألمانيا في القرن العاشر الميلادي. أنظر تفصيل ذلك عند عرفان عبد الحميد فتاح، المرجع السابق، ص 115

2 - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق 43-44.

3 - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق

4 - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق 45

### "إسرائيل جاكوبسن Israel Jacobson (1768-1828)"

في سنة 1830 أسس الحاخام في مدينة "زيزن برنزويك" بألمانيا، أول كنيس سمي بـ "الهيكل Temple"، وذلك من جهده وماله الخاص، حيث أنشأ فيه مدرسة يهودية للصبيان وضع برامجها الدينية حسب فلسفته الانفتاحية الاندماجية وفق صيغ المسيحية وتقاليد الكنسية، فكان بذلك بداية إنشاء جيل جديد للحركة الإصلاحية، كنسي الشكل يهودي الفكر.<sup>1</sup>

كما استحدثت "جاكوبسن" بدعة جديدة في الدين اليهودي وهي إجراء مراسيم بلوغ الذكور سن التكليف الشرعي يوم عيد الحصاد "Pentecost" وذلك في اليوم الخامس عشر التالي لليوم الثاني من عيد الفصح الباسوفر "Passover"، بدلا من سن الثالثة عشرة، كما تنص المآثر والتقاليد اليهودية، كما ألغيت تلاوة الصحف المقدسة في الصلوات العامة.<sup>2</sup>

### صموئيل هولدهايم S.Holdheim (1806-1860)

كان أكثر عنفا وتطرفا من سابقه ومعاصريه في عملية التغيير، إذ صرح بلغة حاسمة وواضحة بأن اليهودية عقيدة دينية وأخلاقية صرفة، ليس فيها ما يشير إلى خصائص قومية تختص بها اليهود دون سواهم، لذا عمل جاهدا على إلغاء كافة الأحكام الشرعية والطقوس

1 - عرفان عبد الحميد فتاح: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، مرجع سابق، ص 157. وانظر أيضا عبد الفتاح محمد ماضي: الدين والسياسة في إسرائيل، مرجع سابق، ص 577، وكذا إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق 44. وكذا محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مرجع سابق، هامش ص 37

2 - عرفان عبد الحميد فتاح: المرجع السابق، ص 158. وانظر أيضا سعد البازعي: المكون اليهودي في الحضارة الغربية، مرجع سابق،

الدينية والمراسيم اليهودية، التي تميز اليهود عن سائر الطوائف والأمم، فأقدم في عام 1894 م على استبدال السبت اليهودي، بالأحد المسيحي بكل طقوسه، وألغى الاحتفال باليوم الثاني لشهود القمر الجديد وولادته، وسمح القائمون على الهيكل باختلاط الجنسين أثناء مراسيم الصلاة من غير غطاء الرأس "التفلين" (Teffilin)، والشال الذي يوضع على الكتف "الطاليت" (Tallith)، كما ينص الكتاب المقدس<sup>1</sup>. واستبعد استعمال اللغة العبرية في الطقوس الدينية، كما ترك استعمال البوق ( الصور Shofar) عند بدء العام الجديد، ورفض التمايم والأدعية التي تُلمس من التقاة الصالحين المنحدرين من سلالات معينة.... لا لشيء إلا لأن هذه الممارسات لا تتوافق وروح العصر وعقلانيته، بل كانت تمارس أيام الهيكل القديم<sup>2</sup>.

كل هذا الرفض للنصوص الشرعية والطقوس الدينية، سببه التأثير بأراء أحد زعماء هذا الاتجاه وهو "أبراهم جايجر"، الذي كان يعتقد أن الوحي الإلهي والشريعة السماوية هي مؤقتة ومحدودة في الزمان والمكان، أنزلت لوقتها ومكانها فقط. فكان يقول: "إن العصر الحاضر يقتضي مبدأ صريحا بيننا بأن القانون، وإن كان إلهيا، له السلطة والحق فقط طالما أن أوضاع الحياة التي جاء لمعالجتها مستمرة، وعندما تتغير هذه الأوضاع، يجب أن ينسخ

1 - التفلين: (Teffilin) حافظة صغيرة تلف على الذراع، أو تعصب حول الرأس أعلى الجبهة أثناء تأدية الصلاة ورد في [سفر التثنية 8:6] قوله: "وَأَرْبُطُهَا عَلَامَةً عَلَى يَدِكَ، وَلَتَكُنْ عَصَائِبَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ."

الطاليت: (Tallith) قطعة قماش مستطيلة الشكل بجدانها الأربع، توضع على الكتف بها أهداب. جاء في [سفر العدد 15:37-38]: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: <sup>٣٨</sup>كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: أَنْ يَصْنَعُوا لَهُمْ أَهْدَابًا فِي أَذْيَالِ ثِيَابِهِمْ فِي أَجْيَالِهِمْ، وَيَجْعَلُوا عَلَى هُدْبِ الذَّبْلِ عَصَابَةً مِنْ أَسْمَانُجُونِي."

2 - عرفان عبد الحميد فتاح: المرجع السابق، ص 159-160، وانظر أيضا إبراهيم الحارثي: الصهيونية من بابل إلى يوش، دار البشير للثقافة والعلوم، ص 125، وكذا عبد الفتاح محمد ماضي: المرجع السابق ص 577.



القانون حتى وإن كان من عند الله وشرعه بنفسه، ذلك أن الله أثبت بدون شك أن باختلاف الأوضاع والشروط التي من أجلها شرع قانونه، يتوقف العمل بذلك القانون . إذن فالقوانين الأهلية لا تُتبع الآن، لأنها عاجزة عن أن تفرض نفسها." وقال أيضا: " يتكلم التلمود بأيدولوجية العصر الذي جُمع فيه، فصلاحيته مقتصرة على ذلك العصر. أما أنا فأتكلم من وجهة نظر الأيدولوجية العليا لهذا العصر، لذلك فأنا محق ولي الصلاحية لعصري."<sup>1</sup>

#### أبراهم جايجر A.Geiger (1810-1874)

كان جايجر من أكبر علماء الاتجاه الإصلاحى رزانة وروية، وكان يدعو إلى ضرورة ممارسة ضبط النفس في عملية الإصلاح، مخافة أن تفقد الحركة كامل صلتها بأبناء بني إسرائيل ومشاعرهم الدينية، لذا دعا سنة 1837 إلى اجتماع عام للربانة الذين يميلون للإصلاح، وكان يرى أنه إذا استمر الحاخامون يحدفون من التراث الديني ما يشاؤون بغير حساب، فالنتيجة الحتمية ستكون تفتت الدين اليهودي برمته، والقضاء عليه من طرف أبنائه قبل أعدائه، لذا عارض الدعوة إلى إلغاء الختان، رغم أنه كان يعتقد أن الختان "عمل وحشي لسفك الدماء"<sup>2</sup>.

1 - أنظر إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق 48-49، وكذا سعد البازعي: المكون اليهودي في الحضارة الغربية، مرجع سابق، ص

123-124، وكذا محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مرجع سابق، هامش ص 37-38

2 - عبد الرحمن بديوي: موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، يوليو-1993، ص 222

ومما ميّز "جايجر" في اجتهاداته الجديدة والغريبة في آن واحد على الدين اليهودي، فلسفته لإبطال فكريّ "الشعب المختار"، و"العالمية"، فقد كان يقول: "أن بين الشعور القومي اليهودي والعالمية كان هناك ضغط تقابلي، أدى إلى ترسيخ فكريّ "الشعب المختار"، و"العالمية"، وإن هذا الضغط أدى في حركته عبر العصور إلى نسخ فكرة الشعب المختار وتقوية العالمية، وعليه يمكن الآن حذف جميع الإشارات إلى خصوصية الشعب اليهودي من كل طقوس الدين وعقيدته وأخلاقه وأدبه"، ويؤكد جايجر أنه إذا تم ذلك الحذف، فما من شيء يحول دون انصهار اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها، وعليه فقد حُذفت العبارات المشيرة إلى صهيون أو العودة إليها من الطقوس الدينية في كنيسه في برلين. كما يرفض جايجر فكرة المسيح المخلص، الذي يؤمن به اليهود، وأنه آت ليعيدهم إلى صهيون حيث يصبح ملكا عليهم هناك، في دولة سياسية عسكرية تتحكم بالبشر أجمع، يرفض جاجر هذه الرؤية ويعمم الخلاص في الزمان والمكان، فيرى أن تلك النصوص تعني عصرا مخلصيا للعالم، يشترك فيه الآدميون في كل مكان لإحقاق الحق.<sup>1</sup>

عين جايجر حاخاما في "بريسلاو"، حيث كان فيها الحاخام المحافظ "سليمان تيكتين" الذي كان يقول: "كل من غير أي أمر، أو نهيّ جاء في التلمود كافر، خارج عن الدين اليهودي لا تقبل له شهادة."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 49. وكذا محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مرجع سابق، هامش ص 38. وكذا عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، المرجع السابق.

<sup>2</sup> - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 50. لمزيد من التفصيل أنظر سعد البازعي: المكون اليهودي في الحضارة الغربية، مرجع

ونشبت بين الطرفين مجادلات حادة قسمت الجماعة اليهودية إلى مناصر ومعارض، مما اضطر السلطات اليهودية في مدينة "بريسلاو" لمناشدة حاخامات أوروبا بأن يبعثوا لها أجوبتهم الصريحة عن الأسئلة الحرجة التي أشعلت فتيل الحرب بين الطرفين، والتي يعدها التيار الأرثوذكسي والمحافظ عموماً من قبيل "اللامفكر فيه" و"اللامسموح التفكير فيه"، وقد قامت مؤتمرات للإجابة عن هذه الأسئلة ومن أمثلتها:

هل التقدم ممكن في الدين اليهودي، أم مكتوب في نصوصه أن لا تغيير ولا تبديل؟

هل يُعدُّ يهودياً من يشك في صلاحية الشريعة التلمودية لهذا العصر؟.

وهل يُعدُّ كافراً مرتداً من كانت له آراء تختلف عن سلف الأمة اليهودية؟.

هل اللاهوت اليهودي قابل للدراسة العلمية، وهل يحتمل الدين البحث الحر؟.

هل يحرم المساس بالدين التقليدي مهما ابتعد عن الثقافة المعاصرة أو ناقضها؟.

هل يجوز بحث هذه الأمور؟، وهل يحق للحاخام الذي ينشر آراء إيجابية لهذه الأسئلة

أن يكون حاخاماً؟.

ما هي سلطة التلمود بالتحديد؟ وما هي صلاحيته؟ هل لمجلس الربانة سلطة تأويله؟

هل يجوز لليهودي أن يقدم ولاء للحكومة بدل الشريعة؟

هل يجوز تغيير الطقوس الدينية ولو شكلياً؟ هل تجوز الصلاة بغير اللغة العبرية؟ وهل

يجوز استعمال الأرنج والكورال، واختلاط الجنسين في الصلاة داخل الكنيس؟

هل يجوز الزواج بين اليهودي والمسيحيين؟، وهل يمكن للحاخام إبرام عقود نكاح

مختلطة؟، هل يجوز تغيير وتعديل قوانين الزواج والطلاق وقوانين الطعام والسبت والختان؟.

هذه الأسئلة وغيرها كان الإصلاحيون أكثر حماسة للإجابة عنها، لتدعيم موقفهم، ومحاولة منهم لإقناع اليهود، بأن للربانبة كل الحق في بحث هذه الأمور مسايرة للعصر.<sup>1</sup>

### أهم نتائج مؤتمرات الحركة الإصلاحية

عقدت الحركة الإصلاحية مؤتمرات عديدة امتدت من سنة 1837 إلى غاية 1869 ناقشت فيها أصول حركتها، وأجابت عن الإشكالات التي كانت تعترض طريقها، وركزت في هذه الدراسة على نتائج مؤتمرين اثنين فقط ، وهما مؤتمر " فيلادلفيا " 1869، و مؤتمر " بترسبورج " 1875، لما كان لهما من بالغ الأثر، على فكر الحركة وكيانها ونشاطاتها، ولما تقتضيه أغراض هذه الدراسة:

### مؤتمر " فيلادلفيا " 1869

انعقد مؤتمر " فيلادلفيا " في أمريكا سنة 1869، وكانت غايته وضع أسس الدعوة الإصلاحية. وخلاصة نتائجه ما يلي:

-إنقاص الأدعية والصلوات إلى الحد الأدنى، مع إباحة تلاوتها بلغات البلاد القومية حيث يعيش هؤلاء اليهود.

-التخلي عن الترانيم الشعرية العبرية والآرامية القديمة، وإدخال الآلات الموسيقية و فرق الإنشاد الجماعي " الكورس"، من الجنسين في المعبد، والترنم بألحان حديثة مؤلفة خصيصا لطقوسهم، ومكتوبة كتابة موسيقية "على النوتة" - على حد تعبير الموسيقيين -

<sup>1</sup> - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 50

مما أدى إلى إدخال الآلة الموسيقية "الأرغن Orgue" إلى المعبد اليهودي، تقليدا للكنائس والكاتدرائيات.

-أنكروا في اعتقادهم معنى "الخلاص" بمفهومه القديم، أي أن يكون معناه إقامة دولة في فلسطين، وغيروا مفهومه إلى معنى آخر بأن يكون في الدنيا، وذلك بالحصول على المساواة في الحقوق المدنية، فإذا نال اليهودي هذه الحقوق المدنية، فقد تحقق له الخلاص، دون ربط ذلك بفلسطين أو غيرها من البلاد، لذا صرفوا النظر عن إعادة بناء الهيكل في أورشليم بالذات، واطلقوا على كل معبد من معابدهم في أي مكان من العالم، اسم "الهيكل". لذا فلا وجود عندهم لفكرة إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين يهاجرون إليه، وعليه يُعد الصهاينة أفراد الحركة الإصلاحية من أشد الخصوم والأعداء لهم. قال تعالى: "بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى... [الحشر: 14]"

-خالف الإصلاحيون جميع اليهود بتغيير مفهوم التيه والتشتت اليهودي في الأرض، من مفهوم سلبي إلى مفهوم إيجابي، إذ يرون أن الله فعل خيرا ببني إسرائيل لما فرقهم في الأرض، كأنهم "سفراء"، فهم بذلك يعيشون في كل الآفاق يقيمون فيها، وينشرون الدعوة الموسوية (اليهودية). كما غير الإصلاحيون مفهوم "المسيا أو المسيح" (المسيح المنتظر الموعود)، وأفرغ هذا المفهوم من دلالاته التاريخية والقومية، ليصبح دعوة إلى بداية عصر إنساني، ينعم فيه الجميع بالعدل، وتزول فيه مظاهر الظلم عن بني الإنسان جميعا.<sup>1</sup>

---

1- حسن فاظا: الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه، مرجع سابق، ص 216 وما بعدها، أنظر تفاصيل ذلك عند محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مرجع سابق، ص 66-67 وكذا عبد الوهاب المسيري: الأيدولوجية الصهيونية، دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، مرجع سابق، ص 64-67

## مؤتمر بترسبورج 1885

يعد هذا المؤتمر من أخطر المؤتمرات اليهودية، انعقد في مدينة بترسبورج 1885 وضم تسعة عشرة (19) حاخاما إصلاحيا، أصدروا مجموعة من القرارات توضح موقف الحركة الإصلاحية، وتحدد برنامجها الديني، نجل هذه القرارات فيما يلي<sup>1</sup> :  
- إنكار نظرية المسيح المنتظر، وإنكار الأمل بالعودة للطقس القرباني والكهنوت الهاروني.

- تأويل فكرة "الشعب المختار" بحيث تصبح عالمية المعنى والتطبيق.
- إنكار نظرية بعث الجسد، والتوصية على إقامة الصلوات باللغات القومية.
- التأكيد على أن "الكتاب المقدس" أعظم وثيقة خلقها الإنسان، و أنها ليست وحيا من صنع الله، بل هي من صنع الإنسان، لذا يعتريها كل ما يوصف به الإنسان، من روعة وقوة وضعف ونقص وخطأ ونسبية، وهي سمات كل عمل بشري. كما أكدوا أن وثائق الأديان الأخرى، ليست مرفوضة تماما، بل هي مثل الكتاب المقدس، وإن كانت تقل عنه درجة من حيث الروعة والحسن والخطأ والضعف، ويضيف قرار المؤتمر: " أن الكتاب المقدس أعطانا أرفع تصوير لفكرة الإله، وهي التي أنشأها العلماء اليهود وألبسوها المعاني الروحية التي تتفق مع عصورهم المختلفة."
- أنكر الإصلاحيون كون الكتاب المقدس وحيا من عند الله، واعتبروه مجرد " وثيقة سجل فيها الشعب اليهودي تكريس نفسه لتحقيق رسالته، ككاهن للإله الواحد". وقد

<sup>1</sup> - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 55 - 56.

حاول "كوهلر" أحد المحامات، إضافة عبارة: "وحي إلهي" في هذا البند، ففشل بسبب التباس وغموض معنى "الوحي". وهذا يدل على قوة ولاء الإصلاحيين للعقل والعلم والبرهان والدليل، ورفض كل ما هو خرافي و غير علمي، وقد قضى هذا البند على النزعة التعصبية والتبريرية التي ينتهجها فاقد الدليل والبرهان، باسم قداسة النص، وفي ذات الوقت فتحوا باب التحليل والمناقشة والنقد والتصويب، لكل ما ذكر في الكتاب المقدس أو التلمود، على ضوء الاكتشافات العلمية التي جاءت بها علوم القرن التاسع عشر.

- كما ضبط الإصلاحيون منهج وشكل المصفاة (Filtre)، التي ستمر عليها كل نصوص الكتاب المقدس، وما قبلوا منها إلا ما تعلق بالقانون الأخلاقي، كما رفضوا ما جُمع من ركام تاريخهم الطويل، بما فيها جميع التشريعات الموسوية، إلا التي يقبلها العقل و توافق روح العصر، وجاء هذا البند في قولهم: "لن يعتبر الإصلاحيون إلا تلك الطقوس والشعائر التي تقُدس الحياة، أما التشريعات التي لا تلائم فلسفة العصر الحديث ومدنيتها، فهي مرفوضة". كما أكدوا بذلك أنه لا يقام أي وزن للتشريعات اليهودية في المأكل والمشرب، أو في الملابس وطهارة الكهنة. فتكون حياتهم الظاهرية تماما كحياة الأوروبي فالإنسان ابن بيأته.

- تأويل نظرية المسيح المنتظر التقليدية، على أنها نظرية "الأمل الإنساني العالمي" لتحقيق الحق والعدالة والسلام بين البشر جميعا، وهذا تصريح ضمني في إنكار نظرية "الشعب اليهودي المختار"، وتعريفهم كأهم فرقة دينية لا قومية.

- أكد الإصلاحيون أن الدين اليهودي دين تقدمي، يسعى دائما لموافقة مبادئه وأركانه مع مقتضيات العصر، وملزمات العقل. لذا أعلن في هذا المؤتمر وجوب تعاون الحركة الإصلاحية مع الأديان، وبصورة خاصة مع الديانتين الساميتين، المسيحية والإسلام.

- أنكر المؤتمر أصلا من أصول الاعتقاد - اليهودي والمسيحي والإسلامي - وهو البعث والنشور، فمع بقاء مبدأ أزلية الروح عندهم، إلا أن بعث الأجساد بعد الموت، وتعرضها للعذاب يُعد ضربا من الخيال.<sup>1</sup>

---

1 - انظر عبد الوهاب المسيري: الأيديولوجية الصهيونية، دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، مرجع سابق، ص 66-67. وكذا عرفان عبد الحميد فتاح: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، مرجع سابق، ص 164 و ما بعدها. وانظر أيضا عبد الفتاح محمد ماضي: المرجع السابق ص 578-579



## الحركة الأرثوذكسية ( Mouvement Orthodoxe )

هي الجماعة اليهودية التي تمثل الأصوليين والمحافظين، والتي يمثلها غالبية حاخامات المجلس اليهودي المعروف باسم " الساندرين " <sup>1</sup> . وقد أخذت هذه التسمية من الإصلاحيين على سبيل السخرية والتهكم، لمعارضتهم الشديدة لأي تغيير من شأنه أن يخالف أصول العقيدة أو أحكام الشريعة اليهودية، فصار الإصلاحيون يطلقون عليهم باليهود "الأرثوذكس" <sup>2</sup> .

وقد تركز وجود هذه الحركة في أوروبا الشرقية، حيث كان التيار الإصلاحي ضعيف الأثر والتأثير عليهم، لتركزه في أوروبا الغربية فحسب. وسبب هذا التباين عائد إلى زمن وتوقيت التحرير، فشرق أوروبا لم يمسهما التحرير في وقت مبكر، إذ لم يتحرر يهود روسيا مثلا تحررا تاما، إلا سنة 1917، بعد أن خفت حدة القيصرية، وإلغاء كل الامتيازات والقيود الدينية والقومية. <sup>3</sup>

إذا لم يتعرض يهود شرق أوروبا إلى ما تعرض له إخوانهم في غربها، من الفصل بين ما هو ديني وما هو مدني، بل بقي التراث الديني العبري وسط الجماعة اليهودية شرق أوروبا كما هو حيًا ، تحكم به وتتحاكم إليه، ذلك ما مكن كثيرا من اليهود الشرقيين من صب اهتمامهم في دراسة تراثهم بعمق، حتى حققوا مستويات عالية في الدراسات السامية، وذلك

1 - محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مرجع سابق، ص 35

2 - عرفان عبد الحميد فتاح: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، مرجع سابق ، ص 162

3 - عبد الوهاب المسيري: الأيديولوجية الصهيونية، دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، مرجع سابق، ص 47. ولمزيد من التفاصيل

المبينة لما حدث لليهود في هذه الفترة أنظر إبراهيم الحارثي : الصهيونية من بايل إلى يوش، مرجع سابق، ص 92- 95

من خلال إنشاء حلقات واسعة للكليات الدينية، التي كانت تسمى " يشيفوت Yeshivoth "، والمنتشرة في روسيا وبولندا والمجر، والتي خرّجت أجيالا متعاقبة تضم الآلاف من طلبة العلم الراسخين في تعاليم التوراة، والمتحصنين بشدة الالتزام الديني والتقوى ومخافة الله<sup>1</sup>، كما استمر العامة منهم في الامتثال لنظام الحياة التقليدية، كما تأمر به تعاليم التوراة والتلمود، وهذا ما جعل المجتمع اليهودي في شرق أوروبا، مجتمعا متماسكا مترابعا قويا، طالما أن هيئاته الدينية كانت هي الوسيط الوحيد بين اليهودي والدولة، وطالما أن المجتمع نفسه ظل منبعاً وضامناً لجميع حقوق اليهودي وواجباته الروحية والاقتصادية والاجتماعية.<sup>2</sup>

والمتبع لتاريخ اليهود يلحظ أن تراثهم في شرق أوروبا، كان مغايراً تماماً للذي كان في غربها، وقد برز تياران داخل الحركة الأرثوذكسية نفسها، جمعا بين التنافس والتآزر: أحدهما حركة " الحسيديم " الصوفية<sup>3</sup>، التي كان هدفها إعادة التقوى والنية الصافية والأخلاق والتعبد الصحيح إلى نصابها الصحيح في حياة اليهودي، رغم اعتمادها على التفسيرات الغيبية وحتى الشعوذة والطلاسم...، وهذا ما نفّر منها الاتجاه الإصلاحية.

1 - عرفان عبد الحميد فتاح: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، مرجع سابق، ص 177-178

2 - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 59-60

3 - الحسيديم نسبة إلى "الحسيدية" أو "هسفيدوت" بالعبرية: وهي حركة يهودية ظهرت في أوروبا خلال القرن الثامن عشر (18)، على حدود بولندا في منطقة جبال "كاريتيان" (الكربات)، ومؤسس هذه الحركة هو "إسرائيل اليعيزر" الذي عرف باسم إسرائيل بعل شيم طوف، ومعناها "إسرائيل ذو السمعة الطيبة"، وباختصار عن التسمية العبرية "بعشط"، وقد أصبح الشخصية الرئيسية للعديد من الأساطير التي حكيت حول حياته وأعماله ومعجزاته وكراماته، وقد كان للحسيدية كبير الأثر في إعداد يهود أوروبا الشرقية لتقبل أفكار الصهيونية ونادت إلى الهجرة إلى فلسطين. أنظر رجا عبد الحميد عرابي: سفر التاريخ اليهودي، مرجع سابق، ص 417-418

أما الثاني فهو حركة " الميتناجدم " القانونية، والتي كان هدفها تمديد القانون وتوسيعه ليشمل الجديد كما شمل القديم، وكانت ترمي إلى مساواة التقوى بالفعل القانوني.<sup>1</sup> هذا التزاوج بين التيارين والتآزر بين النزعتين، خاصة ضد فكر الاتجاه الإصلاحى جعل سلطان الدين اليهودى فى شرق أوروبا قويا وخلاقا وفعالا. وهذا ما سهل اجتماع حاخامات اليهود فى مدينة "ليسا" فى بولندا، ليعلنوا قرارا واحدا تجاوبا مع زملائهم وشعبهم المناصر لفكرتهم فى جميع الأقطار الشرقية وهو: " اعتبار جميع الأوامر و النواهي الموجودة فى أسفار موسى الخمسة، أو كما بلورها وفسرها وشرح ملزماتها التأويل التلمودى، إلهية فى مصدرها وواجبة على جميع اليهود فى كل العصور، و لا يحق لأية سلطة إنسانية نقض هذه الأوامر والنواهي أو تعديلها بأي شكل، مهما كانت أحوالها."<sup>2</sup>

أما فى فرنسا فقد كانت استجابة اليهود للتطور الجديد الحاصل فى حياتهم تتأرجح بين القبول والرفض، رغم الاستجابة الرسمية التى أعلنها اليهود فى صورة مرسوم أصدره المجلس اليهودى المعروف باسم " السانهدرين " فى باريس سنة 1812 بطلب من نابوليون بونابارت. و يتلخص قرار المجلس بقبوله التنازل عن الأفكار والمعتقدات السياسية التى نشأت عن الديانة اليهودية فى الأزمنة الغابرة، حيث كانت تتناسب مع وضع اليهود آنذاك، لما كانت إسرائيل "مملكة"، لها ملوكها وكهنتها وقضاؤها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أكد المجلس على عدم تنازله عن أي شيء يتعلق بالأمر الدينية التى اعتبرها المجلس أمورا مطلقة وأزلية، لا تخضع للتعديل والتغيير. ومن هذه الأمور فكرة الشعب المختار، وفكرة المسيح المخلص،

1 - إسماعيل راجى الفاروقى: المرجع السابق ص 60-61

2 - المرجع السابق ص 61

التي تعتبر من صميم العقيدة والتراث الديني اليهودي، ولا يمكن التخلي عنهما بأي حال من الأحوال ولا تحت أي اسم من الأسماء.<sup>1</sup>

وبذلك استطاعت الحركة اليهودية الأرثوذكسية الجمع بين التزام والاندماج، أي الجمع بين الممارسة الدقيقة لقوانين التوراة وشرايعها، والمحافظة على تعاليم الأنبياء، وفكرة "المسيح المخلص"، و"نهاية الأيام"... إلخ، وفي ذات الوقت الاندماج الظاهري في الحياة الحضارية الفرنسية، مع أخذ الحيطه والحذر من الحياة العلمانية المحيطة بالحياة اليهودية.<sup>2</sup> بهذا الشكل والمنهجية تحقق إجماع المحافظين الأرثوذكس، مع اختلاف نسبي بسيط بين عالم وآخر وبين جهة وأخرى، في تأصيل وتوجيه وبيان فلسفة هذه الحركة. ومن أشهر مُنظريّ ومُفعليّ فكر هذه الحركة مايلي:

#### " موسى صوفر، M. Sofer " (1863-1763)

كان أول معارض للاتجاه الإصلاحية من خارج ألمانيا، من يهود "برسبورغ-Pressburg" وقد كان حاخاما ذائع الشهرة والصيت بفتاويه ومجلداته الشرعية الضخمة، والتي كان فيها شديدا على كل دعوة للحدائثة في الشؤون الدينية اليهودية باسم الإصلاح، فلقد كان في صراع دائم ضد الإصلاحيين، فإليه وإلى أتباعه يعود الفضل في انحسار تيار الحركة الإصلاحية، وفشلها في "هنغاريا"، رغم جهود وحماسة أتباع التيار الإصلاحية في نشر برامجهم، إلا أنه انتصر عليهم بفضل غزارة علمه وقوة شخصيته وزهده وسلوكه.<sup>3</sup>

1 - محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مرجع سابق، ص 33-34

2 - المرجع السابق، ص 35

3 - عرفان عبد الحميد فتاح: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، مرجع سابق، ص 162

" سمسون روفائيل هيرش، S.R. Hirsch " (1888-1808)

يعد هيرش الأب الروحي للحركة الأرثوذكسية، ويرى النقاد والدارسون للتاريخ اليهودي وجماعته، أنه مؤسس تيار الحركة " الأرثوذكسية المحدثه Neo-Orthodoxy " علما أنها ليست مذهبا جديدا، بقدر ما هي عملية إحياء شاملة لليهودية، وفق المدرسة المتوسطة التوفيقية التي قامت في الأندلس العربية، والتي أخذت على نفسها التوفيق بين ثوابت الدين ومقررات العقل الفلسفي والجمع بينهما، مع انتماء راسخ وأكد للتقاليد المتوارثة في دائرتي العقيدة والسلوك، ومشاركة نشطة وفعالة في ثقافة العصر وعلومه المستجدة،<sup>1</sup> أي أنها تشكل التيار الذي يحاول تحقيق الأصالة والمعاصرة معا.

كان " هيرش " معارضا للتيار الإصلاحية، وكان ينعى وسائله وأهدافه بأنه تصب في مجرى الذوبان في المنظومة الغربية، التي تعتبر نفسها أعلى مرحلة من مراحل التقدم البشري، وعلى الدين اليهودي إما اتباعها أو الموت المحقق. بخلافه هيرش الذي كان يرى أن انسياق الدين اليهودي وراء الحضارة الأوروبية، هو الموت المحقق، وعليه اتخذ هيرش " التوراة " كمعيار يقيس بها أفكار وقيم الحضارة المعاصرة وليس العكس، مخالفا بذلك الإصلاحيين الذين جعلوا أفكار وقيم الحضارة الغربية كمعيار قاسوا بها التوراة وأحكامها، وأخضعوها للتحليل والنقد، وفق العلوم الحديثة مما جعلهم يختارون بعضها و ينقضون ويرفضون بعضها الآخر.<sup>2</sup>

1 - عرفان عبد الحميد فتاح: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، مرجع سابق ، ص 163

2 - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 67. وانظر أيضا محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث

الديني اليهودي، مرجع سابق، ص 35-36

أعلن هيرش مبدأ الاعتزال والهجرة قاصدا انفصال اليهود الأصوليين عن المجتمعات والهيئات ذات النزعة الإصلاحية، وتأسيس كيان وجماعة خاصة بهم، وقد استطاع تأسيس جماعته الأصولية الملتزمة بمبادئه في "فرانك فورت" وعمل على تطويرها، وتحولت فيما بعد إلى كيان ومنظمة دينية قوية، لها مدارسها وأتباعها، شكّلت المثال الذي يقتدي به اليهود في أرجاء ألمانيا وأقطار أوروبا.<sup>1</sup> وكان يقول: "إن قوانين التوراة الكثيرة والمعقدة ومبادئها العديدة، كلها أُعطيت لإسرائيل لوحدها، حتى يتم انفصالها وتمييزها عن البشر... وأن الله أراد من هذه القوانين تأهيل اليهود وتدريبهم على القيام برسالتهم وتحقيق مصيرهم."<sup>2</sup>

كما دعى "هيرش" اليهود إلى الترفع إلى مستوى التوراة، بدلا من إنزال التوراة إلى مستواهم، وأكد أن الولاء للتوراة لا يمنع الإنسان اليهودي من الارتباط بالجماعات القومية أو السياسية، بل دعى أيضا إلى الجمع بين أساليب الحضارة الأوروبية والولاء غير المشروط للتراث اليهودي بكل تفاصيله، لذا فهو يحذر من خطورة الاستسلام للرفاهية والكسب و التراخي عن تطبيق التعاليم الدينية، وعلى اليهودي أن يقبل تعاليم اليهودية كلها، ويمارسها في إطار من الحداثة. فهو لا يرى أن الحداثة خطر على اليهودي، بل صارع في شجاعة من أجل تحسين التعليم الديني، ويؤيد استخدام اللغة الألمانية وتفتح اليهودي على الثقافة العامة، فهو يرى أن كل هذه المظاهر الحديثة مظاهر خارجية لا تؤثر على جوهر اليهودية.<sup>3</sup>

1 - عرفان عبد الحميد فتاح: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، مرجع سابق، ص 163-164

2 - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 69. و انظر أيضا محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث

الديني اليهودي، مرجع سابق، ص 34-35

3 - محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مرجع سابق، ص 36

ويمكن أن نلخص عقائد الملة الأرثوذكسية في ما يلي<sup>1</sup>:

ترى الملة الأرثوذكسية الدين اليهودي أنه نظام حياة قبل أن يكون عقيدة، خلافا للمسيحية، فهو دين عملي قائم على التطبيق، فالخلاص أو الفلاح ليس بالإيمان بل بالعمل، كما قال هيرش: "الدين اليهودي سن لليهود ستمائة وثلاثة عشر (613) واجبا ولكنه لم يضع أية عقيدة."<sup>2</sup>

كما ترى الأرثوذكسية أن التوراة إلهية المصدر، فالله كاتبها ومؤلفها حرفا حرفا، وهي الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس كما هي اليوم، أعطاه الله لموسى يدا بيد، عندما أظهر نفسه لشعبه إسرائيل المجمع في أسفل الطور، كما أعطاه في نفس الوقت توراة أخرى غير مكتوبة، هي التوراة الشفهية، وهي مجموعة القوانين والنظم والترتيبات التي دونت فيما بعد، وتناقلها الإسرائيليون شفويا جيلا بعد جيل وهي التلمود، التي كان يحرم على اليهود كتابتها، ولكن لما تعرضت للخطر بسبب تضعف أحوال إسرائيل السياسية، سمح الربانة بتدوينها، فالتوراة المكتوبة والشفهية، والقوانين والأنظمة والترتيبات التي توصل إليها الربانة بطريق التفسير والتأويل والتحليل، تكوّن في جملتها ما يسمونه "الحلقاه" أو "الهلخاه". يعتبر اليهودي الأرثوذكسي "الهلخاه" كنظام معياري للحياة، أي للدين والدنيا معا. وهو يؤمن أن "الهلخاه" تتطلب منه تطويع جميع طاقاته لتحقيق كل بند من بنودها مهما كلف ذلك من تضحيات.

1 - انظر تفاصيل ذلك إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 75-77

2 - المرجع السابق ص 69

يعتقد الأرثوذكسي أن التوراة أزلية، أزلية مصدرها وعليه فتطبيق تعاليمها وقوانينها واجب في كل زمان ومكان، دون تغيير أو تبديل، وإذا ما تعارضت مصالح الحياة مع القانون، فإنه يجب أن تتغير الحياة لا القانون. وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال عدم التعايش مع غير اليهود، أو الانعزال عن الحياة الحديثة ومتطلباتها، لأن التوراة نفسها تأمر بذلك التعايش شريطة أن ينصاع كل شيء إلى مبادئها وقوانينها.

وحتى لا تضيع أحكام الدين اليهودي يرى الأرثوذكس ضرورة الاختصاص، بحيث لا يصح التحدث في أمور الدين وتفسير التوراة والقيام بالطقوس الدينية إلا من طرف المتخصصين الذين تخرجوا من معاهد الربانة، وتحصلوا على إجازة "سميحا"، ليقوموا بنفس المهام والواجبات تماما كما قام بها الأولون بالتواتر.

وتجدر الإشارة إلى أن الحركة الأرثوذكسية كان لها الفضل في الحفاظ على الوجود اليهودي كأمة لها كينونتها، بين الجاليات اليهودية في أوروبا الغربية وأمريكا، وأبعد عنها خطر الزوال والهلاك التاريخي، وذلك من خلال السيل المتدفق من المهاجرين من روسيا وبولندا والمجر، جراء ما تعرضوا له من التضييق والتهجير الإجباري إبان القرن التاسع عشر. وكما أشرنا إليه آنفا أنهم كانوا يتمتعون بمستويات علمية يهودية رصينة، وبما اختصوا به من نزعة التقى والزهد... فاستطاعت هذه الجالية الوافدة الجديدة من تجديد المنابع ببعث جديد، حافظ للعقيدة اليهودية نقاءها، واستطاعت بمدارسها إعادة تجميع ما بقي من شتات اليهود بتعليم الجاهل و إعادة الضال، وترشيد التائه الغافل.<sup>1</sup>

1 - من بين أشهر الأكاديميات الدينية "يشيفوت Yeshivoth" تلك التي أسست عام 1802 في "فولوشين Voloshin" بجمهورية "لتوانيا" بريادة "حاييم بن إسحاق" (1730-1822) و من تلاميذه ومريديه "ألجا بن سلمون" المعروف بـ "كاؤون الفلني" من مشاهير



يذكر الدارسون للتاريخ اليهودي والمتبعون لمسار حركة الجماعات اليهودية، أن الحركة الأرثوذكسية رغم منجزاتها وخدماتها الجليلة التي قدمتها للحفاظ على التراث والكيان اليهودي، إلا أنها فشلت فشلا ذريعا في إيقاف تيار " الردة الدينية والقومية " في صفوف التيار العلمي المتأثر بثقافة العصر القائمة على الاكتشافات العلمية، وبحركة النقد والتمحيص للكتاب المقدس، لتخليصه من الخرافات و الأخطاء التي تعارض حقائق العلم، كما كانت تدعو له وتمارسه الحركة الإصلاحية. ومن جهة أخرى لإفراط الحركة الأرثوذكسية بالمظهر والتأكيد على المظاهر والظواهر الشكلية مما يتصل بقواعد السلوك، وإغفال قيمة الدراسات العلمية النقدية الموافقة لروح العصر.<sup>1</sup>

---

حركة " القبالة " الصوفية، وكان خصما "داود" من منطرفي " الحسيديم". فإليه يرجع الفضل في تناهي هؤلاء عن مظاهر الغلو والتطرف التي شابت حركتها و دعوتهم من جديد إلى أحضان التوراة المتوارثة والالتزام بها. أنظر عرفان عبد الحميد فتاح: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، مرجع سابق ، ص 177-178

1 - عرفان عبد الحميد فتاح: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، مرجع سابق ، ص 177.

## الحركة المحافظة ( Mouvement Conservatif )

كان يطلق على هذا الاتجاه في أوروبا في بدايات ظهوره اسم: "اليهودية التاريخية Judäisme Historique" أو "المدرسة التاريخية L'école Historique"، ثم استبدلت هذه الأسماء في أمريكا في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين إلى "اليهودية المحافظة Judäisme Conservatif".<sup>1</sup>

ظهر الاتجاه المحافظ بين مفكري اليهود وعامتهم، تعبيرا عن موقف وسطي بين الحركة الإصلاحية والحركة الأرثوذكسية. فيمكن وصفهم بأنهم يخطون خطوة واحدة أكثر من الأرثوذكس باتجاه الإصلاح، ويرفضون إكمال الخطوة الأخيرة التي تجعلهم في معسكر الإصلاحيين، فهم لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فهم بين بين. لذا قال عنهم "أبراهام جايجر": "أولئك بين بين، يحاولون دمج الأفكار التقليدية السائدة والتي يأتي بها التأمل العميق، ولكنهم، في غيهم الديني، مدفوعون بتلك الآراء والصور التي تجعلهم يمثلونها كأنها تراث الصبا الثمين". وقال "لودفيج فيليبسون" (1811-1889) متفائلا: إن رجال الوسط إصلاحيون أيضا، فهم يريدون تنظيف الماضي وبعثه بروح جديدة"، وقال "صمويل كاهان" (1796-1862) محرر مجلة "الأرشيف الإسرائيلي الفرنسي" (Archives Israélites de France) متمسكا بمبدأ الوسط: "إن الإصلاحات التي أوافق عليها وأدعو لها هي إصلاح منهجنا التعبدي، حيثما يختلف ذلك المنهج عن وقائعنا وعاداتنا، إننا ندعو إلى إصلاحات ما كان أسلافنا ليقوموها لو كانوا يعيشون بيننا الآن، ولكن لا بد للربابنة

1 - عبد الفتاح محمد ماضي: الدين والسياسة في إسرائيل، مرجع سابق، ص 582

واللاهوتيين اليهود من الاجتماع، وبحث هذه الإصلاحات والموافقة عليها، بل إن للأقلية غير الموافقة بيننا كل الحق برفض العمل بمثل هذه الإصلاحات بخصوص أعضائها.<sup>1</sup>

والمتأمل لمظاهر التدين عند المحافظين يجدها ممزوجة، فبعضها موافق تماماً للإصلاحيين، كالجمع بين الجنسين في الصلوات، وأداء طرف منها باللغة الإنجليزية، وإدخال آلة الأرغن إلى المعبد... ومن جهة أخرى تجد التوافق مع الأرثوذكس في بعض المواقف، كالاتزام الصارم بالبنية العامة للتقاليد الموروثة عن الحاخامات، مع الاحتفاظ بحق تأويلها وتفسيرها للشريعة الموسوية، تبعاً للمصالح العامة ومقتضيات العصر ومطالبه. وفي بعض الأحيان تجد الشخص كان منضوياً مع الإصلاحيين ردحاً من الزمن، ثم يخرج عنهم لفكرة ما، تجعله أقرب إلى التيار الأرثوذكسي منه إلى الإصلاحي، والعكس صحيح.<sup>2</sup>

هذا التعدد والمزج جعل من قادة ومنظري هذا الاتجاه مادة مفعلة ومنوعة لأفكار الاتجاه المحافظ، فكل واحد منهم كانت له بصمته الخاصة، سواء في ألمانيا أو من هاجر إلى أمريكا، ومن أمثالهم:

### زكريا فرانكل Zacharias Frankel (1801-1875)

حاحام و عالم دين يهودي، من " بوهيميا " ( تشيكوسلوفاكيا قبل التقسيم ) تَلَقَّى تعليمًا علمانيًا وآخر دينيًا، أصبح حاحاماً أكبر (رئيس الحاخامين)، في مدينة "درسدن" بألمانيا عام 1836، ثم رئيس كلية لاهوتية في "برسلاو" عام 1854. حاول مزج القيم اليهودية التقليدية بالمعرفة الغربية بما يمليه عليه تكوينه وتعليمه، وأن يطور اليهودية دون

1 - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 82-83

2 - عرفان عبد الحميد فتاح: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، مرجع سابق، ص 165

إنحلال بما تصوّر أنه جوهرها التقليدي وروحها الأساسية، كما عبّرت عن نفسها عبر التاريخ.

وقد بين فرنكل اتجاهه الوسطي بين الحركتين الإصلاحية والأرثوذكسية، بكل وضوح في قوله: "(...) سأؤكد في الصفحات اللاحقة تقديميّة الدين اليهودي، وأنا أَعُدّه من واجبي أن أمنع ذلك الإصلاح السلبي الذي يؤدي إلى انحلال الدين اليهودي، وأن أبين كيف تنطوي تعاليمه على إمكانية التقدم العصري... صحيح أن أناسا عديدين، من اليوم لا يولون الدين الأهمية والجدّد كما كان يفعل أسلافنا، ونلاحظ أن آخرين يسيئون فهم أعماق الدين اليهودي، فيدفعون به إلى الانحلال في مدينة هذا العصر. ولكن هذا يجب أن لا يكلّ همتنا... فللدين اليهودي مقومات داخلية فحوية، ثابتة في استمراره عبر العصور وتقدمه. أما كيف لهذا التقدم أن يستمر الآن؟، فذلك يجب أن يتعين بالبحث العلمي المستند على أسس تاريخية وضعية."<sup>1</sup>

لقد كان فرنكل من الحركة اليهودية الإصلاحية، ثم انسحب منها بعد خلافه مع "جايجر"، وكان السبب المباشر لانسحابه هو عدم موافقته على حذف الإشارات إلى صهيون، وتغيير لغة الصلاة من العبرية إلى لغة الوطن الذي يعيش في كنفه (الألمانية في حالته)، وقد انطلق فرانكل في قراره هذا من فكرة أسماها "ثوابت اليهودية التاريخية": حيث اعتبر العبرية التربة التي نشأت فيها اليهودية وترعرعت، وهي التربة الوحيدة التي يمكن أن تستمر وتزدهر فيها في المستقبل. وعليه فرغم اعترافه بأن العبرية ليست من المكونات الأصلية

في اليهودية، وإنما ارتبطت تاريخياً بها، أثناء ممارسة اليهودية في التاريخ، فمكّن هذا الارتباط - عبر الزمن والتاريخ - من ترقية اللغة العبرية، من كونها مجرد أداة عبرت بها الديانة اليهودية عن نفسها، إلى أن تصبح واحداً من الثوابت الراسخة التي عليها الديانة اليهودية، لذا على اليهودي المحافظة عليها وتقديسها قداسة النصوص.<sup>1</sup>

ذهب "فرانكل" بهذا التحليل إلى فكرة أخرى، حدد بها معايير الثوابت عند اليهود، إذ يرى أن الثابت والمطلق في الدين اليهودي، يستمد قداسته و إطلاقه (من المطلق) من ممارسة اليهود التاريخية، وعليه تصبح "ثوابت اليهودية التاريخية" والتي يُعبر عنها "بالإجماع الشعبي العام"، معياراً نحكم به على الأشياء بالقبول أو الرفض. فإجماع الشعب اليهودي يُعد حكماً من أحكام الشريعة الثابتة. فهذه الرؤية الجديدة المبتكرة، تُعد تعبيراً واضحاً لتحوّل الشعب اليهودي إلى مشرّع، يحل محل الإله كمصدر للقداسة. ومن ثم حدد فرانكل شرط الإصلاح اليهودي وفق نظرته للمحافظين بقوله: "إن مجرد الحاجة إلى التغيير لا تبرر التغيير، ولكننا لا نستطيع أن نتناسى أن الجمود خلال القرون الطويلة لا يلزمه تغيير... كان الدين اليهودي إلى الآونة القريبة ديناً جامداً، وكان ينبغي له أن يبقى كذلك طالما أن اليهود كانوا سعداء به. فإن سعد الناس بدينهم وجب ألا يغيروه... ولا يزال اليهود متمسكين بجذورهم التاريخية... وعليه، لا بد للإصلاح اليهودي من تحقيق شرطين مهمين هما: "إجماع الأمة والعلم"، فبعد الإيمان، يضع اليهودي ثقته بالعلم، فالتاريخ كله يشير إلى أن لاهوتيينا لن يكون لهم ولا لدعوتهم أي تأثير إن لم يكن العلم التاريخي الصحيح باليهودية سلاحهم."<sup>2</sup>

1 - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد 5، ص 394

2 - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 85

و الحقيقة أن فرانكل لم يكن يعني في كلامه حين يتحدث عن التاريخ العلمي للدين اليهودي، تاريخاً علمياً بالمعنى الصحيح للكلمة، لأن الأصول وتاريخ الديانة اليهودية لم تكن تعنيه بقدر ما كان يعنيه تحقق الإجماع الشعبي في كل الأمور، والدليل على ذلك أن فرانكل كان يرى أن تسلم موسى عليه السلام للتوراة الشفهية على طور سيناء يُعد خرافة ابتدعتها الربابنة، كي يضيفوا لونا من الحقايقية على ما أقره الإجماع الشعبي، لذا كان يقول: "لن يتيسر لنا الرجوع إلى حرف التوراة. فالهوة بيننا وبينها سحيقة."<sup>1</sup>

بهذه الطريقة أعطى المحافظ فرانكل نفساً جديداً لاستمرار الديانة اليهودية وأصولها ولو بالباطل المقنع بالعقل، وإن خالفت حقائق العلم وأبجديات المنطق، حتى وإن كشف البحث التاريخي العلمي بأن وظيفة أو شعيرة ما، لم تكن يهودية الأصل، بل اخترعت لغرض نشأ في ما بعد تدوين القانون، فإن المقياس الذي يجب أن نقيسه هو تحقيق تلك الوظيفة أو الشعيرة لإجماع يهودي شعبي عام.<sup>2</sup> وسنرى فيما بعد أثر هذه الفكرة عند تأسيس الفكرة الصهيونية لأرض المعاد، حتى ولو خالفت الحقائق العلمية والتاريخية، فيكفي أن "الإجماع الشعبي العام" يطالب بها حتى يصبح المطلب شرعياً.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المحافظين والإصلاحيين كلاهما دعا إلى الإصلاح والتغيير، إلا أن الفرق الجوهرى بينهما، يكمن في أن المحافظين أرادوه أن يكون نابعا من داخل الروح

---

1 - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 86

2 - المرجع السابق .

اليهودية، وليس مستعاراً من خارجها، كما فعله الإصلاحيون، بتأثرهم بجدائنة الفكر الغربي حتى انصهروا فيه.<sup>1</sup>

هذه خلاصة فكر فرانكل، ونظرتة للإصلاح، وقد تأثر أعلام الفكر اليهودي المحافظ، مثل "سولومون شختر" و"لويس جنزيرج"، وغيرهما بأفكاره. ومن أهم مؤلفاته "طريق المشناه" (1859)، وبعض الأبحاث عن الترجمة السبعينية، والتلمود.<sup>2</sup>

### سولومون شختر (1847-1915) Solomon Schechter

حاحام صهيوني يُعد المخطط الرئيسي لأيدولوجية الحركة المحافظة. وُلد في رومانيا حيث تلقى العلوم اليهودية التقليدية، وواصل دراسته في فيينا فتعمق في الدراسات اليهودية، ثم انتقل إلى إنجلترا عام 1890، حيث عُيِّن محاضراً للدراسات التلمودية في جامعة كامبردج. وسافر إلى القاهرة عام 1896 ورجع منها بعد عام حاملاً عديداً من المخطوطات اليهودية التي عثر عليها في جنيزاه المعبد اليهودي القديم في الفسطاط<sup>3</sup>، ثم انتقل إلى أمريكا ليُرأس الكلية اللاهوتية اليهودية. علماً أنه كان من المؤمنين بفكرة الوطن القومي اليهودي كمركز إشعاع روحي، متأثراً في هذا بأفكار زعيم الصهيونية الروحية "آحاد هاعام" Ahad Ha-am (1856-1927)، فما كانت علاقته بالصهيونية إذا؟

1 - محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مرجع سابق، ص 43

2 - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، المجلد 5، ص 395. وانظر أيضاً محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مرجع سابق، ص 42-43

3 - جنيزاه Genizah المخبأ : اسم عرف به المخزن الذي كان موجوداً في كنيس عزرا بالقاهرة، كان يحوي عدداً كبيراً من الكتب والمخطوطات التي تلقي ضوء كاشفاً على تاريخ وآداب اليهود . قد نقلها شختر إلى جامعة كامبردج عام 1898 ونشر جزء منها عام 1905، أنظر عرفان عبد الحميد فتاح: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، مرجع سابق، ص 165.

يجيبنا عن ذلك عبد الوهاب المسيري في ترجمته لشختر بقوله<sup>1</sup>: "وبرغم أن شختر كان يؤمن بأن اليهودية دين وقومية معاً، فإنه لم ينضم إلى الحركة الصهيونية بسبب ما تصوّره من علمانية قادة الحركة من أشباه اليهود، على حد تعبيره. ولكنه اضطر في النهاية (عام 1905) إلى الانضمام إلى الحركة الصهيونية لأن الصهيونية على حد قوله: "تمثل سداً عميقاً ضد الانصهار والاندماج، كما أنها تعبير صادق عن أعماق الوعي اليهودي إلى درجة لم يتنبه إليها الصهاينة اللادينيون أنفسهم". ويُعدُّ شختر مسئولاً أكثر من أي شخص آخر عن إدخال الأفكار الصهيونية على اليهودية المحافظة في الولايات المتحدة. وقد عارض شختر مشروع شرق أفريقيا، وكان يرى أن أية دولة صهيونية خارج الأرض المقدّسة لا معنى لها، وقد ساهم في تأسيس معهد "التناخيون" في حيفا. وبعد الحرب العالمية الأولى عبّر عن أمله في أن ينتصر الحلفاء على الأتراك ليستولوا على فلسطين، لأنه كان يؤمن بأن إنجلترا "الوطن الإنجليزي المفعم بالإيمان والروح العملية" ستفهم أمانى الشعب اليهودي. "

أما جوهر الجانب الفكري لشختر فهو يرى أن الوحي الإلهي قد عبّر عن نفسه من خلال التراث، فالعهد القديم عنده ليس كتاباً مقدّساً فحسب بل هو كتاب تاريخ يهودي، كما أنه لا يعتبر الكتاب المقدس أكثر الأشياء أهمية في حياة اليهود، وإنما يعدُّه واحداً من تعبيرات الذات والعبقرية اليهودية عن نفسها، ولهذا يرى شختر كسابقه "فرانكل" تحول مركز السلطة من العهد القديم (كلمة الإله) نفسه، إلى كيان حي آخر وهو "تاريخ الشعب اليهودي"، أو حتى "الشعب اليهودي" نفسه، ففي تاريخ هذا الشعب يمكننا أن نعثر على

---

1 - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، المجلد 5، ص395، وانظر أيضاً محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مرجع سابق، ص 74-75



المادة الخام لأي لاهوت يهودي، وترجيح كفة المخلوق على كفة الخالق، نمط كامن في الفلسفات الحلولية<sup>1</sup>. قال شختر: " معيار الدين اليهودي وسنده الأخير هو سنة اليهود الحالية."<sup>2</sup>

للحاحام شختر مؤلفات عدة، من بينها كتاب "بعض نواحي اللاهوت الحاحامي"، ومجموعة مقالات في ثلاثة مجلدات نُشرت بعنوان "دراسات في اليهودية"، كما حَقَّق شختر العديد من النصوص الدينية التي عشر عليها في الفسطاط، وإليها ترجع شهرته وتُسمَّى المجموعة باسمه "مجموعة مخطوطات شختر"<sup>3</sup>.

بناء على ما تقدم، يمكننا أن نجمل المبادئ الفكرية والعقدية للحركة المحافظة في الآتي<sup>4</sup>:

- غاية الحركة المحافظة لم تكن تهدف إلى إنشاء حركة يهودية جديدة، وإنما اضطرت للظهور بهذا التميز، بسبب توسطها ومحاولتها التوفيق بين الحركة الإصلاحية والحركة الأرثوذكسية.

---

1 - هذه الفكرة والفلسفة التي تتخذ شكل ما يعرف باليهودية التاريخية، تُرجع كل شيء إلى الشعب اليهودي نفسه، فهو مصدر القيم التي يحكم بها على نفسه. وفي هذا الإطار، تنتفي فكرة الحكم على الذات، ويحل محلها نوع من تقديس الذات أو عبادتها، وهي عبادة بالمعنى الحرفي للكلمة، لأن الروح المقدسة قد حلت في التاريخ بحيث أصبح التاريخ (امتداد الذات القومية في الماضي) مقدساً لا يقبل النقاش. وبهذا، يصبح حق اليهود في أرض الميعاد حقاً مطلقاً وتصبح الأحكام الصهيونية لا رجعة فيها. أنظر عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المرجع السابق.

2 - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 93. وانظر أيضا عرفان عبد الحميد فتاح: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، مرجع سابق، ص 165-166

3 - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، المجلد 5، ص 396

4 - محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مرجع سابق، ص 74

- جمعت الحركة المحافظة بين بعض أصول الحركتين الإصلاحية والأرثوذكسية، من خلال فكرة " الأمة اليهودية " (بالعبرية: كلال يسرائيل، أي كل وجميع بني إسرائيل)، فجمعوا الثالوث: " الإله " و " التوراة " و " الشعب "، في فكرة واحدة لا تقبل التقسيم، إذ لا يُتصور عندهم وجود شعب دون الإله والتوراة، ولا الإله دون التوراة والشعب، ولا التوراة دون الشعب والإله. وكان ذلك بمثابة رد واضح على الحركتين، إذ حاولت الحركة الإصلاحية إظهار الشعب على التوراة والإله، وحاولت الحركة الأرثوذكسية إظهار الإله والتوراة على الشعب. فساوى المحافظون بين العناصر الثلاثة، وأسسوا لمفهوم جديد، كان له بالغ الأثر على الحركة الصهيونية، حتى أصبح عقيدة عندهم، - كما سنرى مستقبلا - وهو مفهوم " العودة إلى صهيون " وإقامة وطن يجمع كل يهود العالم: " كلال يسرائيل ".

- جمع المحافظون أيضا، بين بعض أفكار الإصلاحيين والأرثوذكس المتناقضة، فخلافا للأرثوذكس الذين يرفضون إدخال أي تعديلات على القانون اليهودي "الهالاخاه"، وكذلك الإصلاحيين الذين يرفضون سلطة القانون اليهودي وتفسيرات الحاخامين، فإن المحافظين يرون ضرورة فحص "الهالاخاه" من جديد في ضوء حاجات الشعب اليهودي الحاضرة، ويتم ذلك بعد دراسة التاريخ اليهودي دراسة علمية واستخراج المعاني والقيم من التاريخ، وصياغتها في قوانين جديدة تستجيب لمتطلبات الأوضاع الجديدة، ولا تخالف حقائق العصر الحديث، وهذا ما أسماه المحافظون " اليهودية التاريخية الوضعية ".

- التقييد لمبدأ جديد استفادت منه الحركة الصهيونية فيما بعد، وهو مبدأ " الوحدة مع التنوع "، أي جمع اليهود ضمن إطار واحد يحقق الإجماع اليهودي، مع الإبقاء على تنوع فكرهم الديني كل حسب مشربه. وهذا ما وظفته الحركة الصهيونية وركزت عليه من

خلال دعوتها وعملها الدءوب، على تشجيع الهجرة نحو فلسطين، مهما كان فكر وانتماء المهاجر يكفي أن يكون يهوديا وحسب.

- عدم التشدد ولا الميوعة في مسائل التعبد، إذ يمكن إقامة الصلوات والطقوس التعبدية باللغات التي يفهمها العابدون دون تعصب للعبرية، وكذا حذفوا القراءات المطولة والأناشيد الخلاعية الصاخبة الشبيهة بالفلكلور، والتي تخرج العبادة عن أجواء الرزانة والهدوء والخشوع والاحترام. كما دعوا إلى ضرورة التقيّد بالسبت وشعائره، وبقوانين الطعام الشرعي "الكوشير"<sup>1</sup>.

- الدعوة والعمل على تعزيز التربية الدينية اليهودية، وتشجيع تعلم اللغة العبرية، ودفع اليهود للاستيطان في فلسطين. كما أكد المحافظون على أهمية تربية المرأة اليهودية تربية دينية، والعمل على إشراكها في الحياة اليهودية كأعمال الكنيس، والطقوس الدينية تماما كالرجال، ومن ثم أباحوا الاختلاط في إقامة الشعائر اليهودية، بل ذهبوا بعيدا، إذ لا يرون مانعا من أن تكون المرأة "راييا". كل ذلك لإعداد الأجيال اليهودية اللاحقة تجمع بين أصالة الأرثوذكس ومعاصرة الإصلاحيين.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - الكوشير Koshier: كلمة عبرية تعني "الطعام المباح شرعا".

<sup>2</sup> - انظر تفصيلات مبادئ الحركة عند: إسماعيل راجي الفاروقي: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، مرجع سابق ص 94- 99. وكذا محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مرجع سابق، ص 72- 75. وكذا عرفان عبد الحميد فتاح: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، مرجع سابق، ص 165- 177. وكذا عبد الفتاح محمد ماضي: الدين والسياسة في إسرائيل، مرجع سابق، ص 583. وكذا جمال البديري: السيف الأحمر، دراسة في الأصولية اليهودية المعاصرة، دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، الطبعة الأولى 2003، ص 61-62

## المبحث الثاني: ظهور الفكرة الصهيونية وموقف الملل اليهودية منها

### المطلب الأول: عوامل نشأة الفكرة الصهيونية ومراحل تطورها

لا تنشأ الأفكار من فراغ، بل لها عوامل نشأة وإرهاصات وجود، وبعد ميلادها تبدأ صغيرة كالعادة ثم تتطور وفق همّة الحامل لها، وطبيعة الصروف المحيطة به وبها، والمتصفح لتاريخ الحركة الصهيونية، والدارس للأسباب الأولى التي دفعت بالعقل اليهودي نحو إنشاء ما أصبح يعرف بالصهيونية لحل المسألة اليهودية، يعود لثلاثة عوامل مجتمعة وهي:

أ / العامل المهيء: ويتمثل في أثر القوميات الأوروبية المتطرفة.

ب / العامل المحرّك: ويتمثل في فكرة اللاسامية.

ج / العمل المؤيد: ويتمثل في الطبقة البورجوازية اليهودية المنفّعة بسخاء والضاغطة

بقوة.

فظهر "القوميات الأوربية المتطرفة" والتي استغلها اليهود وخاصة مفكريهم وبرجوازيهم، عجّل ظهور وابتكار "فكرة اللاسامية" كورقة ضاغطة، تستعمل لإبراز حجم "الألم اليهودي" المبالغ فيه، لنيل أقصى وأكبر دعم غربي يصبّ في تحقيق الحلم الصهيوني، وتسهيل استيطانهم في فلسطين، وعليه فظهر القوميات الأوربية لا ينفصل عن فكرة اللاسامية، وما فصلنا للمسألتين في هذا البحث إلا لتسهيل دراسة الموضوع ليس إلا.

## ظهور القوميات الأوروبية المتطرفة و تفعيل فكرة اللاسامية

يُرجع الدارسون للتاريخ اليهودي السبب الحقيقي في نشأة الفكرة الصهيونية، إلى ردة فعلٍ لحركة الانتقال من القومية الدينية إلى الدين القومي، خاصة بعد عصر التحرر الذي فرض على اليهود الاندماج والانصهار في القوميات الأوروبية، حتى يتحولوا إلى مواطنين كالمسيحيين تماما، لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات.

ولقد كان من السهل على اليهود الاستفادة من حقوق المواطنة، وفي ذات الوقت كان من الصعب عليهم القيام بواجباتها القائمة على الولاء والإخلاص للدولة القومية، بنفس الإقدام والحماس كمواطنين المسيحيين، ذلك لأن لليهودي قوميته الخاصة به، والمتمثلة في قوانين الشريعة و الدين اليهودي، الذي يُعد دينا وقومية في آن واحد. وقد بلغت المشكلة ذروتها، لما سأل نابليون بونابارت اليهود الذين ولدوا في فرنسا، وعُوملوا كأبنائها، هل يرون فرنسا كبلدهم الحقيقي ومسقط رأسهم، ويشعرون بواجبهم تجاهها، بحمايتها والمحافظة على قوانينها، وبالطاعة والولاء لدستورها المدني؟<sup>1</sup>

وكان جواب معظم يهود غرب أوروبا واحدا، إذ غيّر التحرير والتنوير مفهوم الدين عندهم، من كونه قومية دينية، إلى كونه دين شخصي، كالمثل البروتستانتية المختلفة، ولا يتعارض مع الولاء للقوميات والدول الأوروبية، فاقتنعوا بالجمع بين الولاءين، والعيش في المجتمع الغربي وفق قوانينه، وهذا لا يعني نسيان الولاء لدين الآباء والأجداد، لذا قال "داود

---

1 - لمزيد من التفصيل أنظر إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 99- 106 وكذا إبراهيم خليل أحمد: إسرائيل فتنة الأجيال العصور القديمة ، مرجع سابق ص 156، وكذا أحمد عثمان: تاريخ اليهود، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص 87 وما بعدها.

ماكس"، حاخام كنيس لندن الغربية سنة 1845، وهو يؤكد عدم التعارض بين الولاةين: "نعم نحن نتطلع إلى عودتنا إلى يهودا، ولكن فقط في ذلك الوقت الذي يتغير فيه العالم كله، عندما تنصهر الأمم في بوتقة سياسة واحدة، وينقلب نظامها الحاضر رأساً على عقب، فإلى أن يحدث هذا، ولا بد لمثل هذا الحدث، من أن يتصف بما يتصف به قيام الساعة، يعلنها اليهود بصوت واحد، بأن لا رغبة لنا في أي بلد سوى مسقط رأسنا، فإلى البلد الذي ولدنا فيه نولي ولاءنا، ويتوقد شعورنا الوطني، وحماسنا القومي، اللذان لا يقلان إخلاصاً وحرارة عن إخواننا المواطنين الإنجليز غير اليهود.<sup>1</sup> وإلى هذا المعنى ذهب الحاخام جايجر، وفيليبسون، وروفائيل هيرش.<sup>2</sup>

أمام فكرة "القابلية للاندماج والانصهار" في الحياة الغربية، لدرجة الذوبان والتنكر للهوية والقومية اليهودية، كحل للمسألة اليهودية وللجيتو اليهودي، ظهرت الفكرة الصهيونية كرد فعل معاكس، وحملاً للذات وللقوموية اليهودية، لذا سارع الصهاينة بقوة وأشعلوا فتيل الحرب ضد فكرة "القابلية للاندماج والانصهار"، فأول ما قاموا به أنهم روجوا لفشل حركة التنوير في استيعاب اليهود، بعد مرور أعوام قليلة من ظهورها<sup>3</sup>، ثم بعد ذلك عرضوا حلاً آخر، وهو أن يكون لليهود مجتمعهم، وتكون لهم حقوقهم، وواجباتهم، ضمن دولة يهودية مستقلة، فيتحقق حلمهم: الدين والقومية والحرية والاستقلال مجتمعين.<sup>4</sup>

- 1 - إسماعيل راجي الفاروقي: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، مرجع سابق، ص 103-104
- 2 - انظر تفصيل فكر جايجر و فيليبسون وهيرش ... في بداية هذه الدراسة عند الحديث عن الملل والاتجاهات الدينية اليهودية.
- 3 - انظر تفصيل ذلك عند رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، ص 72-75
- 4 - أنظر إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 106.

لذا يرى كثير من المؤرخين والمفكرين من اليهود وغيرهم، أن الفكرة الصهيونية هي التي حمت وأنقذت-بشكل من الأشكال- اليهود واليهودية من الاندثار، فلولاها لانصهر اليهود في المجتمعات التي كانت تحضنهم، كما حدث للمسيحية لما "ترومت" في مجتمع الرومان<sup>1</sup>.  
ومما ساهم في تفعيل هذه الفكرة والتأصيل لها والدعوة إليها، هو أحداث التاريخ الأوروبي نفسه، لذا لا يمكننا أن نفهم نشأة فكرة الصهيونية إلا بربطها بعجلة التاريخ الأوروبي، إذ بعد فترة من تحرير اليهود وتمتعهم بحقوق المواطنة التي جاءت بها حركة التنوير، وقعت ردة فكرية للعقل الأوروبي، وبدأ يتراجع عن إعطياته ويسحب نفسه ومن حوله عن التحرير والتنوير، بفعل نفسية العنصرية والاستعمار.

يقول إسماعيل راجي الفاروقي واصفا هذا الحال: " فكان العالم الأوروبي ينسحب من التنوير وينقض مفترضاته شيئا فشيئا. فالعقلانية ابتدأت تتحول في أوروبا إلى لاعقلانية، وحرية الرأي إلى تسلط فكري جديد، ومدنية العصر الحديث إلى نوع مجدّد من مدنية القرون الوسطى، وقد بدأ هذا التحول واضحا في "مؤتمر فيينا" سنة 1815<sup>2</sup>، ولا يزال يسري إلى يومنا

---

1 - يرى كثير من الباحثين في مجال مقارنة الأديان، أن أثر الفكر الروماني على الكنيسة والمسيحية كان كبيرا، حتى ذابت كثير من تعاليمها، فالصور والتماثيل الكنسية مثلا، هي نتاج بيئة الرومان وليست نتاج التعاليم المسيحية، وعليه صار كثير من الباحثين والنقاد يتساءلون: هل تمسحت الرومية أم ترومت المسيحية.؟

2 - مؤتمر "فيينا": هو عبارة عن مؤتمر لسفراء الدول الأوروبية ترأسه رجل الدولة النمساوي كليمنس فينتزل فون ميترنيخ. عقد المؤتمر في فيينا في الفترة من سبتمبر 1814 إلى جوان 1815. كان هدفه تسوية العديد من القضايا الناشئة عن حروب الثورة الفرنسية و الحروب النابليونية، وتفكك الإمبراطورية الرومانية المقدسة. أسفر هذا المؤتمر عن إعادة رسم الخريطة السياسية للقارة، ووضع حدود لفرنسا و دوقية نابليون في وارسو وهولندا و ولايات نهر الراين و المقاطعة الألمانية في ساكسونيا وعلى الأراضي الإيطالية المختلفة، و إنشاء مناطق نفوذ لكل من فرنسا و النمسا و روسيا و بريطانيا تتوسط فيها تلك الدول في حل المشاكل المحلية و الإقليمية. كان مؤتمر فيينا نموذجا لعصبة الأمم والأمم المتحدة بسبب هدفها في إحلال السلام من جانب جميع الأطراف. كانت الخلفية المباشرة هزيمة فرنسا النابليونية و استسلامها في ماي 1814 الأمر الذي وضع حدا لـ 25 عاماً من الحرب المتواصلة تقريبا. استمرت المفاوضات على الرغم من

هذا ، وتبع هذا التحول الفكري تحول سياسي أدى إلى اضطهاد اليهود من جديد وإلى قيام نظريات قومية متطرفة مثل نظرية " الدم والأرض " التي لا تسمح طبيعتها بقبول اليهود. وهذه اللاعقلانية والقومية العنصرية اجتاحت جميع الدول الأوروبية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.<sup>1</sup>

و يفصل الباحث إبراهيم خليل أحمد في بعض الأحداث المفصلية والدقيقة التي توضح الباعث والدافع للصهيونية بقوله: "... وقد قوّى هذه الدعوة إلى الصهيونية انتشار النزعات القومية في أوروبا، مما دعا الصهيونيين إلى الدعوة إلى إنشاء وطن قومي لليهود يجمع شملهم، ومع هذا فإن الروح الدينية ما برحت أن أصبحت الباعث الأول والدافع الأكبر للصهيونية. والصهيونية مذهب ديني في ثوب وطني. وقد خطت الفكرة الصهيونية الخطوة الأولى في حيز التنفيذ عام 1828. ثم انعقد أول مؤتمر صهيوني عام 1897، وتمّ فيه

---

اندلاع القتال الناجم عن عودة نابليون من المنفى و استعادته للحكم في فرنسا خلال مئة يوم من مارس إلى جويلية 1815. الوثيقة الختامية للمؤتمر وقعت قبل تسعة أيام من هزيمته النهائية في واترلو في 18 جوان 1815. الأمر المثير للاهتمام في مؤتمر فيينا هو أنه لم يكن مؤتمراً بالمعنى الحرفي للكلمة حيث لم تعقد جلسة عامة أبداً كما جرت معظم النقاشات بصفة غير رسمية، و وجهاً لوجه بين القوى العظمى مثل فرنسا و المملكة المتحدة و النمسا و روسيا و في بعض الأحيان بروسيا، مع مشاركة محدودة أو معدومة من قبل المندوبين الآخرين. من ناحية أخرى كان الكونغرس المحاولة الأولى في التاريخ حيث تجتمع القوى على نطاق الفاري بهدف الوصول إلى معاهدة، بدلا من الاعتماد أساسا على الرسل والرسائل بين العواصم المختلفة. أدت التسوية في نهاية مؤتمر فيينا - على الرغم من التغييرات اللاحقة - لتشكيل إطار للسياسة الدولية الأوروبية حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى في عام 1914.

1 - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 107، وانظر أيضا رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، ص 28 وكذا ص 72-75. وانظر أيضا سعد البازعي: المكون اليهودي في الحضارة الغربية، مرجع سابق، ص 59-69 وانظر أيضا عبد الوهاب عبد السلام طويلة: مغالطات اليهود وردّها من واقع أسفارهم، دار القلم دمشق، ط 1، 2005، ص 48



التخطيط للدعوة الصهيونية، فارتبط المؤتمر الأول بالاضطهاد الأول الذي أصابهم في روسيا. وارتبط المؤتمر الثاني بالعداء الفرنسي لليهود<sup>1</sup> إبان " قضية دريفوس " .<sup>2</sup>

ظهور القوميات الأوروبية المتطرفة في أواخر القرن الثامن عشر خاصة في البلقان وبولندا، وتعرض اليهود للاضطهاد والتطرف والعنصرية، خاصة بعد اغتيال القيصر الروسي الأسكندر الثاني عام 1881 ، حيث اجتاحت روسيا موجة من الاضطهاد ضد اليهود الذين أتهموا بقتل القيصر. وقد شاع بين الجماعة اليهودية يومها، أن الاضطهاد والمذابح التي طالتهم كانت بعلم الحكومة الروسية، ودون تدخل منها لحمايتهم. كما اتهموا المثقفين الروس على سلبيتهم تجاه ما تعرضوا له دون تصديهم للأحداث، بل وجهوا لهم تهمة الخيانة الاجتماعية، جراء السلبية المقصودة والمتواطئة. إذ لم يصبحوا متساويين في الهدف والوجهة، وزالت بينهم المظلة الاجتماعية التي كانت توحدهم تحت شعار: " أنا أنت وأنت أنا"، وأعرض كثير من اليهود عن فكرة الهجرة، حيث أوصدت كل الأبواب في وجوههم، لأن

---

1 - قضية دريفوس Dreyfus: نسبة إلى (ألفريد دريفوس Alfred Dreyfus ) فضيحة قانونية وسياسية قسمت الرأي العام الفرنسي من 1894 إلى 1906، ونجم عنها نشأة المعسكر اليساري والحركة الفرنسية (Action Française)، إذ اتهم ألفريد دريفوس (1859-1935) - وهو ضابط يهودي في الجيش الفرنسي- بتهمة التجسس لصالح ألمانيا، فسُجن وغُزل عن منصبه، فتوالى صيحات الحقوقيين والمدافعين عن حقوق الإنسان خاصة اليهود منهم، مما اضطر العدالة الفرنسية إلى إعادة محاكمته وتبرئته مما نُسب إليه، وتم الإفراج عنه وإعادة منصبه في 1906. علما أن هذه الحادثة أثرت في الشاب ثيدور هرتزل، الذي جاء لباريس من فيينا لتغطية الحدث كمراسل صحفي لجريدة " نيو بريس" (Neue Press)، وبعدها بسنة ألف كتابه الشهير "الدولة اليهودية" (Der Judenstaat). لمزيد من التفصيل أنظر أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغبي: العنصرية اليهودية وأثرها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، مرجع سابق، ج3، ص481 وكذا إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 111-112. وكذا يوسي ميلمان: الإسرائيليون الجدد، مشهد تفصيلي لمجتمع متغير، مرجع سابق، ص37، وكذا عيسى اليازي: المسيحية المتهددة في خدمة الصهيونية العالمية، مرجع سابق، ص36. وكذا جمال البديري: السيف الأحمر دراسة في الأصولية اليهودية المعاصرة، مرجع سابق، ص 85-86 وكذا قاموس: Le Petit Larousse compact, 1998, édition Larousse, p1290

2 - إبراهيم خليل أحمد: إسرائيل فتنة الأجيال العصور القديمة ، مرجع سابق ص 38

اضطهاد اليهود عمّ كل دول أوروبا، وهذا ما فتح الباب واسعا أمام أنصار فكرة الهجرة والعودة إلى فلسطين<sup>1</sup>، سواء أكان هؤلاء اليهود من الخارجين عن الحركة الإصلاحية، أو من الحركات الأخرى كالأرثوذكسية أو المحافظة، فكان من أوائل من بدأ يدق طبول العودة و"الحنين إلى الأصول"<sup>2</sup>، "يهود ألكالاي" (1789-1878) وهو من صربيا في البلقان، وكان من الملة الأرثوذكسية وكان يرى أنه لا مانع من التحضير لمعجزة الاستيطان في فلسطين من قبل اليهود.<sup>3</sup>

بعد صيحة "يهود ألكالاي" المنادية لتحقيق معجزة العودة عن طريق الاستيطان، انفتحت شهية كل من البورجوازيين والمفكرين اليهود على حدّ سواء، لابتلاع فلسطين، فتعلت أصوات البولندي "هيرش كاليشر Zebi Hirsch Kalisher" (1795-1873)<sup>4</sup>، الذي شهد صراع الروس والألمان والبولنديين، وكان جدّ متأثر بالقوميات المتطرفة من حوله، فاسترق الطبع<sup>5</sup> منهم، ودعا هو الآخر لقوميته اليهودية بقوله: "لم يضح أهل إيطاليا وغيرها من البلاد في سبيل وطنهم، بينما نقعد نحن اليهود عن أية تضحية؟، هل نحن دون أولئك الناس، الذين يضحون بكل غال ونفيس، بالمال والحياة، في سبيل وطنهم وقومهم؟، ألا

- 
- 1 - محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مرجع سابق، ص 83-84
  - 2 - الحنين إلى الأصول (La nostalgie des origines): مصطلح أنثروبولوجي يقصد به حالة الشوق والحنين التي يجدها الإنسان كلما كان بعيدا عن أهله و محيطه أو بلده أو قبيلته وعشيرته، كما تطلق على هيئة الإنسان في غير مجتمعه، إذ يريد أن يصنع محيطا كالذي كان عنده ليحافظ على ذاته، وتسمى هذه الحالة العودة إلى الذات، لمزيد من التفصيل الرجوع إلى كتاب "الحنين إلى الأصول" لميرسيا إلياد، Mircea Eliade, La nostalgie des origines, Métologie et histoire des religiom, éd. Gallimard, 1971
  - 3 - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 107. و انظر أيضا يوسي ميلمان: الإسرائيليون الجدد، مشهد تفصيلي لمجتمع متغير، ترجمة: مالك فاضل البديري، دار الأهلوية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية- عمان، ص 35-37
  - 4 - تفاصيل سيرته وفكره عند بيان نويهض الحوت: فلسطين القضية الشعب الحضارة، مرجع سابق، ص 313 وما بعدها
  - 5 - استراق الطبع: مصطلح يقصد به تقمص الشخصية ولكن من زاوية التقليد، كالتقليد المناغي عند الطفل، فقد يبكي لمجرد رؤية الباكي.

يجدر بنا الاعتبار بمثل الطليان والبولنديين والمجرّيين، الذين ضحوا بممتلكاتهم ونفوسهم في سبيل تحقيق استقلالهم القومي؟، بينما نحن أبناء إسرائيل، نتمتع بملكية أقدس الأراضي، ولا حراك لنا ولا حيلة؟<sup>1</sup>

فعمل بكل قوة وجهد لدعوة وإقناع الحكومات الأوروبية، بضرورة تكاثف جهودها وتعاونها في سبيل تهيئة الأجواء، لتحقيق المعجزة الإلهية الكبرى، والمتمثلة في عودة اليهود وقيام "دولة داود" في فلسطين. كما عمل على تحريض اليهود عامة، والمتعصبين من الأورثوذكس خاصة، لتحقيق معجزة الخلاص، وذلك بتفعيل سعيهم المادي والمعنوي والسياسي والاجتماعي، من خلال تشجيع الهجرة وتنظيم اليهود. ونَشَرَ دعوته في كتابه "داريشات صهيون" أي: "سعيًا وراء صهيون"، والذي أُلْف سنة 1862، حيث شدّد فيه على ضرورة ارتباط اليهود بأرض فلسطين، من أجل الاستيلاء عليها ولو بالقوة.<sup>2</sup>

لم يكن "كاليشر" ممن يقول الكلمة وبمضي، بل شفع القول بالعمل، فكان أول من دعا إلى الاستعمار الزراعي في أرض فلسطين، وأسس فيها تحقيقاً لهذه الفكرة مستعمرة "نيتز" شرقي "يافا" سنة 1870.<sup>3</sup>

وبعد موجة العنف والاضطهاد التي مورست على اليهود، حدثت كثير من الهزات الإرتدادية على مستوى الفكر والسلوك لكثير منهم، فنَشَطت حركة المتراجعين والرافضين

1 - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 108.

2 - أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغبّي: العنصرية اليهودية وأثرها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، مرجع سابق، ص 237

3 - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 108، وانظر أيضاً أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغبّي: العنصرية اليهودية وأثرها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، المرجع السابق.

والخارجين عن خط الاندماج، وغيرَ كثيرا من اليهود قناعاتهم و مواقفهم من التحرر وتنازلوا عن مكاسبهم منه، بعد أن كانوا يدعون إليه، ومن هؤلاء "بيرتزر سمولينسكين" (1842-1885)، والزعيم الصهيوني فيما بعد "ليو بينسكراً"<sup>1</sup> Leo Pinsker (1811-1891)، فكان الأول (بيرتزر) بادي الأمر، يدعو إلى تفهم القومية اليهودية كحركة روحية بحتة، لا مادة ولا سياسة ولا أرض ولا عودة لفلسطين، أما بعد الاضطهاد والثورات الشنيعة التي تعرض لها اليهود في روسيا، صار يردد بأعلى صوته: "لن تقبل اليهود أية أرض في هذا الكون سوى فلسطين، أرض إسرائيل المقدسة، فهناك فقط يمكن لليهود تحقيق السلام والطمأنينة."<sup>2</sup>

وأما الثاني "ليو بينسكراً" فقد أعلنها صراحة أنه مع التنوير والتحرير، ودعا إلى ترويس اليهود وانصهارهم في جسم الأمة الروسية، وهو الذي قلده القيصر ميدالية شرف، بسبب بطولاته التي قادها مع الجيش الروسي، إلا أنه بعد ثورات 1881 التي اشترك فيها الشعب الروسي بكل طبقاته، حتى المثقفة والحاكمة منها في اضطهاد اليهود، غيرَ نظرته وتوجَّهه، وبدأ يبحث عن حلٍّ لمشكلة اليهود، وتوطينهم في أي أرض يشعرون فيها بالأمان، ولم يكن

---

1 - ليو بينسكراً (مواليد 13 ديسمبر 1821 - مات 9 ديسمبر 1891) طبيب وناشط صهيوني رائد ومؤسس وقائد حركة محبي صهيون. ورث حساً قوياً بالهوية اليهودية عن والده سمشاه بنسكراً الذي كان مدرس لغة عبرية. ذهب إلى مدرسة أبيه الخاصة في أوديسا وكان من أوائل اليهود الذين ارتادوا جامعة أوديسا حيث درس القانون. أدرك لاحقاً عدم إمكانية ممارسة المحاماة بسبب الحصة المفروضة على المهنيين اليهود فاختار الطب بديلاً. اعتقد بنسكراً أن حل مشكلة اليهود يكمن في حصولهم على حقوق متساوية. وفي السنوات الأولى، فضل بنسكراً خيار الاندماج في المجتمعات المحلية على غيره حيث شارك في تأسيس أسبوعية يهودية روسية. أنظر تفاصيل سيرته وفكره عند نويهض الحوت: فلسطين القضية الشعب الحضارة، مرجع سابق، ص 221 وما بعدها

2 - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 109، أنظر أيضاً إلياس شوفاني: الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط 1- 1996، ص 326

وقتها يفكر في فلسطين، وكتب إثر أحداث الاضطهاد هذه كتابه " التحرير الذاتي " الذي أكد فيه أن العالم يحتقر اليهود لأنهم ليسوا أمة، ولأنهم أجانب في كل بلد يعيشون فيه، وليس من علاج لهذا الداء، إلا بإيجاد قومية يهودية لشعب يعيش في أرض الوطن.<sup>1</sup> وعلى إثر فكر "بينسكر" تكونت فيما بعد جمعية "أحباء صهيون"، التي أصل فكرها "بينسكر" وآزرها ماديا المليونير "روتشيلد"، واشترك الفكر مع المال، وبدأت عملية شراء الأراضي في فلسطين لتوطين اليهود فيها وفق خطة محكمة.<sup>2</sup>

وتتلخص نظرية بينسكر السياسية في الآتي:

- اليهود ليسوا شعبا حيا، إنهم غرباء في كل مكان، ولذلك هم محتقرون.
- أن التحرير السياسي والمدني لليهود لم يكن كافيا ليرفعهم في تقدير الشعوب.
- الخلاص الوحيد هو بخلق القومية اليهودية لشعب يعيش على أرض تخصه وحده، فالتحرير الذاتي لليهود كشعب، لا يكون إلا بحصولهم على وطن لهم وحدهم.
- إن الوقت الملائم للتحرر قد جاء، وعلى الرغم من كون المسألة اليهودية مسألة عالمية، فإن حلها يجب أن يكون حلا قوميا (يهوديا)، وعلى اليهود اتخاذ الخطوة الأولى بعقد مؤتمر يهودي عالمي.

1 - إبراهيم خليل أحمد: إسرائيل فتنة الأجيال العصور القديمة ، مرجع سابق ص 152

2 - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 109، وانظر أيضا أحمد بن عبد الله بن ابراهيم الزغبى: العنصرية اليهودية وأثرها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، المرجع السابق، ص 237-238، وكذا محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مرجع سابق، ص 84 وما بعدها.

- القيادة السياسية لا يمكن تصورها في مجيء قائد عبقري كموسى، لأن التاريخ لا يعطي شعباً واحداً قائداً مثله، مرتين، ولذلك اقترح قيادة جماعية من الأصدقاء المميزين.<sup>1</sup>

كما تراجع في روسيا أيضاً الزعيم اليهودي "ليلينبلوم موشيه"<sup>2</sup> (Moshe Lilienblum) (1843-1910) عن وجهة نظره السابقة، والتي كانت تؤيد فكرة اندماج الإنسان اليهودي في المجتمع الغربي اندماجاً كلياً، كوسيلة للحصول على الحرية. إلا أن أحداث الاضطهاد الروسي لليهود، جعلته يعيد النظر في الاشتراكية التي آمن بها، وعدل عن الفكر الثوري الذي تبناه، فقد أكدت له هذه الأحداث أن الثورة الروسية لن تحقق حرية اليهود المنتظرة، وانقلب بهذا من يهودي مندمج إلى "صهيوني سياسي"، ينادي بفكرة الوطن القومي لليهود.<sup>3</sup>

1 - بيان نويهض الحوت: فلسطين القضية الشعب الحضارة، مرجع سابق، ص 322

2 - "ليلينبلوم موشيه" (Moshe Lilienblum): صحفي روسي يهودي يكتب بالعبرية، وأحد قيادات جماعة أعباء صهيون. وُلد في ليتوانيا ونشأ نشأة يهودية تقليدية تماماً، حيث درس في طفولته العلوم الدينية وتمكّن منها إلى أن أصبح من علماء التلمود. وقد خطب له والده وهو بعد في سن الثالثة عشرة، وتزوَّج بعدها بثلاث سنوات. وقد أسس ليلينبلوم مدرستين دينيتين وعمره 22 عاماً، ولكنه ما لبث أن خضع لتأثير أفكار حركة الاستنارة وحركة التنوير اليهودية والفكر الوضعي الروسي (وكان فكراً نفعياً مادياً متطرفاً)، فقام بنشر عدة مقالات أهمها مقاله "طرق التلمود" (1868) طالب فيه بإصلاح المجتمع والدين اليهودي الذي أصابه الأسى والركود حتى يتمكن اليهود من التكيف مع العصر، وبيّن أن التلمود قد يكون فيه بعض الأفكار التقدمية، وهاجم الحاخامات، ونادى بأن التعليم هو السبيل الأوحى لإصلاح المجتمع. وانتقل ليلينبلوم إلى أوديسا عام 1869 تاركاً زوجته الأرثوذكسية وأطفاله. وقد واجه هناك مشكلة علمنة اليهود واليهودية إذ وجد نفسه معلم العبرية والتلمود، لا جمهور لكتاباته، وبدون عمل لمدة طويلة، فقيراً على حافة الجوع. كتب ليلينبلوم عدة كتب نُشرت بعد موته في أربعة أجزاء، كما طُبعت خطاباته. وقد جمع ليلينبلوم مقالاته عن الإحياء القومي بعنوان "الولادة الجديدة لليهود في أرض آبائهم" وكانت بمنزلة برنامج للإحياء القومي والأولى من نوعها باللغة الروسية (وقد سبقتها كتابات بنسكراً بالألمانية).

3 - محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مرجع سابق، ص 84

## ظهور فكرة اللاسامية

قبل الحديث عن مفهوم "اللاسامية" وأصولها وأهدافها، يجدر بنا تعريف السامية أولاً والحديث عنها، حتى نعرف كيف ضيقت الصهيونية واحتزلت مدلول ومحتوى المصطلحات، وجعلته يصب في أهدافها ومصالحها فحسب.

### حقيقة السامية (Sémitisme)

يطلق هذا الاسم على مجموعة من الشعوب واللغات نسبة إلى سام ابن نوح، كما جاء في [سفر التكوين 10:22]: "بَنُو سَامٍ: عِيلَامُ وَأَشُورُ وَأَرْفَكْشَادُ وَلُودُ وَأَرَامُ." ، ومن خلال النص يظهر أن فروع سام ليست ابنا واحدا، وهذا ما يثبت علم التاريخ، وتاريخ السلالات والشعوب، فالشعوب السامية التي سكنت فلسطين هم الكنعانيون، وهم من الساميين الشماليين، جاؤوا من الجزيرة العربية واستقروا في فلسطين، وأقاموا بها حضارة راقية، ورحل قسم منهم إلى الساحل اللبناني، وعُرفوا بالفينيقيين، وإلى جانب الكنعانيين في فلسطين عاشت قبائل سامية صغرى كالأدوميين، والعموريين، والمؤابيين، على تخوم أرض كنعان، حول جنوب البحر الميت، وعاش العموريون في الشمال، والآراميون في سورية، ثم جاء بنو إسرائيل واستقروا بأرض كنعان. ومجمل القول فإن الساميين هم سلالة سام بن نوح، وهم الشعوب التي استوطنت أساسا شبه الجزيرة العربية، وبلاد الرافدين وبلاد الشام، ومن تفرع منهم وهاجر، واللغات التي تنطق بها تلك الشعوب يقال لها: اللغات السامية، ومنها العربية و العبرية. ومن العجيب أن توراة اليهود أخرجت الكنعانيين من أسرة الساميين، وضمتهم إلى الحاميين (أبناء حام)، مخالفة بذلك حقائق التاريخ، وعلم السلالات البشرية، وأهملت أولاد سام جميعا، إلا أرفكشاد من أجل إبراهيم بن تارح بن أرفكاش، لتدعي أن الجنس السامي إنما استمر عبر هذه السلسلة فقط دون سوها، فمؤلف التوراة كان يعرف

ماذا يقصد بتغييره أصول الكنعانيين، من سام إلى حام، حتى لا يكون لهم حق ملكية الأرض، ولا يشملهم وعد الرب، إنه إقصاء مبرمج منذ القدم.<sup>1</sup>

### مفهوم اللاسامية (Antisémitisme)

هناك الكثير ممن عرف اللاسامية وبين مفهومها، وقد اخترت ما ذكره الباحث رشاد الشامي لما تميز به مفهومه لها بالدقة والحصر والجمع والنقد والتحليل، فقال: "اللاسامية هي ترجمة غير دقيقة للكلمة الأوروبية " أنتي سميتيزم " (Antisémitisme) التي تعني حرفياً، المذهب المعادي للسامية"، والمقصود بها هو: "معاداة اليهود"، أو "نبذ اليهود من المجتمع"، أو "مناهضة اليهود"، لأنهم الممثلون الوحيدون للجنس السامي في المجتمع الأوروبي، على حسب الدعوى العنصرية التي أشاعوا عن أنفسهم، حيث يعتقدون أن كل ما حلّ بهم، إنما يرجع لكونه يهودياً، وأن من يسعون لإيذائه مصابون بداء "اللاسامية"، و المنطق الطبيعي يقول عكس ما يدّعيه اليهود، لأن العداة للسامية هو ردّ فعل لعداء اليهود لغير اليهود، أو عداة السامية لغير الساميين. وهكذا فقد أصبح شعار معاداة السامية سلاح إرهاب، مسلط على كل من يدفعه ضميره أو تفكيره إلى معارضة مخططات الصهيونية، من رجال السياسة والفكر. وقد ترتب على هذا أن تمكن الصهاينة من احتواء الفكر الغربي، فاندفع مفكرو الغرب أو غالبيتهم العظمى،

<sup>1</sup> - عبد الوهاب عبد السلام طويلة: مغالطات اليهود وردّها من واقع أسفارهم، مرجع سابق ص 47-48



إلى مناصرة الصهيونية دون تحفظ، تحت وَهْم أنهم يناصرون قضية عادلة، يدفعون بها عن البشرية وزر العنصرية، بما يعكس أضخم عملية "غسيل مخ" عرفت البشرية.<sup>1</sup>

أما أحمد الزغيبي فيحدد مفهومها بقوله: "إن مصطلح (اللاسامية - Anti-Semitism) الذي يعني حرفياً (ضد السامية)، يستخدم - عادة - للدلالة على "معاداة اليهود" وحسب، على الرغم من أن أغلب الذين عملوا - جاهدين - على استغلاله هم من (يهود الخرز) - نسل يافث - ، الذين انحدروا من شرقي أوروبا، وهؤلاء لا يمتون للجنس السامي بصلة، ومع ذلك فهم يشكلون ما يزيد على ( 90 %) من يهود العالم. وأول من استعمل مصطلح (اللاسامية)، بهذا المعنى هو الصحفي الألماني ، ذو الأصل اليهودي "ولهم مار" ، عام 1897 م - 1297 هـ ، وذلك بعد (الحرب البروسية/الفرنسية)، التي تسببت في انهيار كثير من المالين الألمان، مما جعلهم يلقون باللائمة على اليهود.<sup>2</sup>

### سبب ظهور اللاسامية

الدارس لتاريخ الصهيونية والذي لا ينفصل عن التاريخ الأوروبي، يرى تبادلاً للتهم بين اليهود وغيرهم، في تحديد المسؤول الحقيقي عن ظهور وتبلور فكرة "معاداة السامية" ، فبينما يرى اليهود أن ظهور القوميات الأوروبية وكُرهها لليهود، هو الذي وُلد ردّة الفعل الطبيعية

---

1 - رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، ص 34، وانظر أيضاً حسن ظاظا: الشخصية الإسرائيلية ، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، 1999، ص 77. وكذا F.Lovsky: Antisemitism et Mystere D'Israel, Edition Alibun Michel, Paris, 1953

2 - أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغيبي: العنصرية اليهودية وأثرها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، مرجع سابق، ج3، ص 479-

اليهودية المناوئة لمعاداة السامية، في حين يرجع الطرف الآخر سبب الكراهية، لليهود أنفسهم، جراء عقدة الاستعلاء والاستخفاف بالأغيار رغم ضعفهم.

لذا يؤكد دكتور قدرى حفني في دراسته عن سيكولوجية الشخصية الإسرائيلية هذا التناقض في سلوك الشخصية اليهودية داخل الجيتو وماجر عنه بقوله: جدران عالية تفصل بينهم وبين المجتمع من حولهم. كثافة في العدد تميزهم. ارتفاع في منازلهم. يميزها شارات خاصة لفرق بينهم وبين غيرهم. حياة نموذجية لتنمية وتضخم عنصر الإحساس بالتمايز، ثم إذا نظرنا من الناحية الأخرى لتلك الحياة وجدناها حياة مليئة بالصراع، صراع مع ذلك المجتمع الذي فرض عليهم العزلة، وفرض عليهم الضرائب، وفرض عليهم مهنا معينة، دون غيرها، وفرض عليهم زيا معينة أو شارة معينة لا بد من ارتدائهما، حياة نموذجية أيضا لتنمية وتضخم الإحساس بالاضطهاد.<sup>1</sup>

فحسب الرؤية اليهودية التي يدافع عنها هرتزل بقوله: "اللاسامية المعاصرة يجب أن لا تخلط باضطهاد اليهود في الأزمنة الغابرة، ولو كان لها شيء من اللون الديني في بعض الأحيان، إن تيار الكره الرئيسي لليهود من نوع آخر. ففي مراكز اللاسامية الكبرى، نشأ الكره لليهود من جراء التحرير، عندما فاقت الأمم المتقدمة إلى عدم إنسانية اضطهادها لليهود، وتمييزها العنصري ضدهم طوال القرون الوسطى، جاء تحريزنا متأخرا عن أوانه. إذ لم يعد يكفي القانون العام لتحريزنا من الجيتو القديم، ففي الجيتو "تطورنا وتقدمنا إلى أن أصبحنا طبقة بورجوازية، وعندما خرجنا من الجيتو، أصبحنا منافسا خطيرا للطبقات

<sup>1</sup> - رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، ص 29

الأوروبية الوسطى، وعليه، وجدنا أنفسنا وقد دُفَعنا إلى المعمعة دفعا. خرجنا محررين ودخلنا في الطبقة البورجوازية نحارب من الداخل ومن الخارج. فالبورجوازية المسيحية لا تتورع قط للتخلص منا نهائيا ككبش فداء الاشتراكية التي يريدونها.<sup>1</sup>

فالملاحظ أن هرتزل استغل خطأ تراجع المنظومة الفكرية الغربية عن سياساتها التحررية بدافع إنساني، وذلك عند تضيقها على مشاريع الحريات الفردية والجماعية، التي منحتها للشعوب بدافع استعماري، وحوّل المحنة إلى منحة، إذ وجه سهام الاتهام للبورجوازية المسيحية وإلحاحه أن هدفها الوحيد هو التخلص من اليهود . مما وضع الغرب أمام موقف صعب وحرّج، سيدفع ثمنه غالبا فيما بعد، وهو الاعتراف بالكيان الصهيوني من جهة، وبالسكوت عليه بل والتمكين له في احتلال فلسطين من جهة أخرى، تماما كما حدث لليهود فيما بعد مع " هتلر "، إذ استغلوا أحداث المحرقة اليهودية (الهلوكوست) وبالغوا في أرقامها وأهوالها، مما جعل الألمان خاصة والغرب عامة، يعوّضون لليهود عن الأضرار -المبالغ فيها- تعويضات مادية ومعنوية هائلة لم تنقطع إلي يوم الناس هذا.

لذا كان هرتزل يلح على لعب دور الضحية، التي يغار من نجاحاتها الأغيار بقوله: " لعلنا ندوب في الأمم الأوروبية وننصهر معها دون قيد، لو تركونا وعافونا من الاضطهاد والملاحقة لمدة جيلين فقط. ولكن أنى لهم ذلك، فبعد قليل من سعة الصدر والتحرير، تتفجر عداوة المسيحيين لنا من جديد. وكلما انصهرنا معهم ونجحنا في أعمالنا، يتأذون لذلك، فهم اعتبرونا منذ قرون أننا لا نصلح لعمل أو حياة. فهم على عماهم وعدم بصيرتهم وسوء

<sup>1</sup> - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 112

نيتهم لنا، أخفقوا في إدراك هذه الحقيقة، أن النجاح يفقدنا هويتنا، و يمحي الفروق التي تميزنا عنهم. الضغط والاضطهاد فقط يرجعنا إلى ذاتيتنا، عداؤهم هو الذي يوصمنا في نظر أنفسنا بأننا غرباء..إننا أمة واحدة خلقها أعداؤنا بعدائهم لنا.<sup>1</sup>

و إلى ذات المعنى يؤكد " ليون بنسکر Leon Pinsker " ليمسح حقائق التاريخ التي تثبت انحرافات اليهود فصرح قائلاً: " أن العالم يكره الأشباح، وهي كراهية طبيعية، واليهود هم أشباح العالم.ولذلك كرهتهم الشعوب جيلا بعد جيل، إلى أن أصبحت هذه الكراهية مرضا مزمنًا، مع مرور القرن تشترك فيه الإنسانية كلها. وهي وَهْمٌ نفسي ورثته الشعوب، ومرض انتقلت عداؤه من شعب إلى آخر، دون علاج على مدى عشرين قرنا.<sup>2</sup>

ويرى بنسکر أن الكثيرين، من الأصدقاء و الأعداء على السواء، حاولوا تبرير هذه الظاهرة بتوجيه الاتهامات إلى اليهود، فنسب إليهم البعض قتل السيد المسيح عليه السلام، وشربهم لدم المسيحيين، وتسميمهم آبار المياه، وأخذهم الربا، واستغلالهم الفلاح. وفي رأي بنسکر أن كل هذه الاتهامات لا صحة لها، وأنها اخترعت لتبرير كراهية اليهود، وضرورة حرق اليهودي أو الشبح اليهودي. ويعترف بنسکر أن اليهود ارتكبوا بعض الأخطاء، ولكنها ليست أخطاء أو جرائم خطيرة تستدعي هذه الكراهية العامة للشعب اليهودي كلية.<sup>3</sup>

وعلى هذا يرى بنسکر Pinsker أن اليهود ومعاداة السامية يعيشان جنبا إلى جنب، ولا موت لمعاداة السامية طالما كان هناك وجود لليهود واليهودية. ويرد ساخرًا: " أن من

<sup>1</sup> - المرجع السابق ص 112-113

<sup>2</sup> - محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مرجع سابق، ص 86-87

<sup>3</sup> - محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مرجع سابق، ص 86-87.

يدعي أن الشعب اليهودي ليس شعب الله المختار، فهو أعمى. فهذا الشعب مختار للكراهية العالمية من كل الشعوب، التي تختلف فيما بينها كثيرا، ولكنها تتفق على شيء واحد وهو كراهية اليهود.<sup>1</sup>

ويقول بنسكز وهو يشرح ويلخص وضع اليهودي في العالم: "اليهودي الحي جثة، فهو عند المواطن الأصلي أجنبي، وعند أصحاب الأملاك شحاذ، وعند الفقراء هو مستغل مليونير، وعند الوطني هو إنسان بلا وطن. وهو للجميع منافس مكروه. هذه العداوة الطبيعية كانت السبب في العديد من الاتهامات، وكانت عاملا من عوامل سوء الفهم بين اليهود والشعوب."<sup>2</sup>

لذا نجد أن الصهيونية عملت على استمرار وجود وبقاء فكرة كره الآخرين لهم باسم "معاداة السامية"، واعتبر الصهاينة "المعادين للسامية"، حلفاء طبيعيين وقوة إيجابية في النضال الصهيوني لتحرير يهود الشتات من عبوديتهم المدعاة. وبدلا من أن يصارع "هرتزل" معاداة السامية قرر أن المعادين للسامية سيكونون أكثر الأصدقاء يمكننا الاعتماد عليهم، وستكون الدول المعادية للسامية حليفة لنا.<sup>3</sup>

1 - المرجع السابق

2 - محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مرجع سابق ص 89، وانظر التفصيل عند نعمان عبد الرزاق السامراتي: الماسونية واليهود والتوراة، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة 2001، ص 86-89. وكذا صابر طعيمة: الماسونية ذلك العالم المجهول دراسة في الأسرار التنظيمية لليهودية العالمية، دار الجبل بيروت - لبنان، الطبعة السادسة، 1993، ص 354-370، وكذا بيان نويهض الحوت: فلسطين القضية الشعب الحضارة، مرجع سابق، ص 323-324.

3 - عبد الوهاب المسيري: البروتوكولات واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الرابعة، يناير 2005، ص 148-149. وانظر أيضا رجينا الشريف: الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي، مرجع سابق، ص 247.

ويرى د. فرج أحمد في معرض تحليله لهذه السمة السلوكية، أن رفض العقلية اليهودية الاعتراف بندية الآخرين هو أساس منشأ ذلك التكوين الذي لا يمكن إلا أن يكون وعيا ممزقا شقيا، وعيا يحمل في ثناياه بذور ذلك الشعور المرضي بالعظمة والاضطهاد. وهما وجهان متناقضان متحدان ضروريان لشيء واحد. إنه عظيم لأنه الشعب المختار، والشعب الأفضل والأوحد والأقدر. أما سائر الشعوب فهي الأحقر. ولكن هؤلاء الأغيار (الشعوب غير اليهودية) لا يقبلون ذلك ولا يسمحون به، بل إنهم يذيقونهم الأمرين، ابتداء من السبي الروماني وحتى الاضطهاد النازي. ويكون التفرق والشتات والنفي والتشرد. وبدلا من الاندماج والاختلاط ببقية شعوب الأرض، يكون التمسك بالتحالي والنقاء والتمييز والقراءة، هو الدرع الذي تحتمي به هذه الجماعات المتفرقة في شتاتها، متحصنة داخل أسوار "الجيتو" في غرب أوروبا، أو داخل "منطقة الاستيطان" في شرق أوروبا. تعالٍ من جانب يدفع إلى الاضطهاد، واضطهاد يؤدي بدوره إلى مزيد من مشاعر الاضطهاد والظلم، لا يبقى مهرب منها إلا في مزيد من التمسك بالتحالي. وهكذا يتعقد الموقف وتتشابك حلقاته وتتداخل الأسباب بالنتائج ويمتزج الفعل برد الفعل، بحيث يصبح الأمر في نهاية المطاف، وقد غدا من الصعب معرفة أيهما أعمق جذورا، وأشد تأثيرا، تحالي اليهود وعزلتهم، أم اضطهاد الآخرين.<sup>1</sup>

لذا قال أحد منظري الصهيونية كلاتزكين: "إنه بدلا من إقامة جمعيات لمناهضة "المعادين للسامية"، الذين يريدون الانتقاص من حقوقنا، يجدر بنا أن نقيم جمعيات لمناهضة أصدقائنا الراغبين في الدفاع عن حقوقنا"، فكره اليهود هو الذي يصب في الصهيونية

<sup>1</sup> - رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، ص 29

ويدعمها، أما الدفاع عن حقوق اليهود في أوطانهم فإنه يقوضها ويزلزلها من جذورها ويسحب البساط من تحتها.<sup>1</sup>

أمام هذه الرؤية اليهودية، هناك رؤية مغايرة تماما للأولى، لها حججها وبراهينها، يلخصها لنا الباحث اليهودي برنار لازار بقوله: "ولو مورس هذا العداء وهذه الكراهية ضد اليهود في زمن واحد، و في بلد واحد، لكان من السهل تبيان الأسباب المحدودة (الخصرية) لهذا الغضب: لكن الواقع أن هذا العرق، كان هدفا لكره جميع الشعوب التي عاش فيما بينها. لذلك وبما أن أعداء اليهود ينتمون إلى أعراق وأصول مختلفة ومتنوعة جدا، وهم يعيشون في بلدان شديدة البعد الواحدة عن الأخرى، محكومة بقوانين مختلفة ومبادئ متعاكسة، وليس لديها لا العادات نفسها، ولا الأعراف نفسها، تحركها ذهنيات متباعدة لا تسمح لها أن تحكم على الأشياء بشكل متماثل، وجب - إذا - أن تكون الأسباب العامة لمناهضة السامية كامنة في اليهود ذاتهم، وليس عند الذين يحاربونهم."<sup>2</sup>

تماما كالتى تزوجت عدة مرات من رجال اختلفت مُدُنهم وطبائعهم وأجناسهم، ورغم ذلك كلما تزوجت طُلِّقت!؛ فأكيد أن المشكلة تكمن في هذه المرأة التي تتعقد معها الحياة ، وتَصُعبُ عشرتها، فيؤول أمرها دائما إلى الطلاق. لذا يقول إبراهيم خليل أحمد: " أدركت الشعوب الأوروبية أن اليهود لا يمكن أن يعيشوا مع شعب آخر في الوجود، إلا على أساس استعباد ذلك الشعب، وتسخير عقول أبنائه وأرواحهم، وامتصاص دمائهم وأموالهم في

<sup>1</sup> - عبد الوهاب المسيري: البروتوكولات واليهودية والصهيونية، المرجع السابق، ص 148

<sup>2</sup> - برنار لازار: مناهضة السامية تاريخها وأسبابها، ترجمة ماري شهرستان، دار الأوانل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعة، دمشق،

خدمة اليهود. وأدركت شعوب أوروبا أن اليهود بمكرهم ودهائهم، قد نجحوا إلى حد كبير في إدخال العنف والبطش والوحشية إلى الدين المسيحي، وأنهم كانوا السبب الرئيسي في إشعال نار الكراهية والحقد والبغضاء بين الطوائف المسيحية، وأنهم تسببوا في إشعال الحروب الدينية الطاحنة بين الكاثوليك و البروتستانت، وتسببوا في إزهاق أرواح ملايين النصارى الأبرياء في أوروبا، لأسباب واهية، وعوامل خلاف مضحكة، هي من صنع اليهود ودسهم ومكرهم (...). وحينما أفاقت شعوب أوروبا من غفوتها، هبت ترد العدوان، وتدفع الخطر قبل أن يستفحل الداء العضال، و يستشري السرطان اليهودي، فيفتك بأجسام ملايين البشر، ويجولهم إلى عبيد خدمة للشعب المختار - حسب مزاعمهم - ،ونال اليهود بعد تلك الصحوة جزاءهم الأوفى.<sup>1</sup>

وعلى هذا الحكم شهد شاهد من أهلها أيضا، اليهودي "صالامون لوريه"، الذي كتب كتابا خاصا عن "معاداة السامية في العالم القديم"، حاول فيه أن يكشف عن الأسباب القائمة وراء العداء لليهود قديما، لتسليط الضوء على أسباب العداء لهم في الأزمنة المعاصرة أيضا. وانطلق من وجهة النظر القائلة، بأنه حيثما يحلّ اليهود يظهر العداء لهم. واستنتج من ذلك بأن الأسباب القائمة وراء العداء لليهود تكمن فيهم، أي أنها جوهرية وليست طارئة وعرضية، بمعنى: أن العداء لليهود ليس مجرد رد فعل نابع من أسباب اقتصادية أو سياسية، بقدر ما هو في اليهود أنفسهم، و أرجعه "صالامون لوريه" إلى ما أسماه "بالكيان الوطني - الحكومي لليهود"، الذي لازم وجودهم في الشتات. ولايغير من ذلك

---

1 - إبراهيم خليل أحمد: إسرائيل فتنة الأجيال العصور القديمة ، مرجع سابق ص 25



شيئا، عدم وجود أرض ودستور وقوانين يستندون إليها ويحتكمون بها وإليها. وهي خصوصية مرتبطة بمعاناتهم النفسية والأخلاقية على مدار قرون في الشتات، أدت إلى غرس "مشاعر قوميّة حكوميّة" في أعماقهم، كانوا هم فيها مادتها وموضوعها. أي أن ما هو جوهرى بالنسبة لليهودي، هو اليهودي نفسه. وهي حالة سبق وإن دعاها الكاتب الروسي الشهير "دوستويفسكي" "بالدولة داخل الدولة"، أي حالة الاعتزال والانغلاق الذاتي، في حين وجد البعض الآخر سبب هذا العداء في كونهم "شعبا قوميّا ضيقا وانعزاليا"، على حد تعبير أ.بر توليت، أو لكونه "شعبا منطويّا على نفسه ولنفسه فقط"، كما ذكره "ت. مومزين".<sup>1</sup>

يقول الملياردير الأمريكي هنري فورد: "إن إحساس اليهود المستمر بوجود أغلبية كبيرة من "الأغيار **The Goy**" حولهم، هو السبب في الأمراض اليهودية (**Judaism Diseases**)، وهو السبب أيضا في استمرار ميلهم القديم إلى "الانعزالية **Separateness**"، لا يوجد في أمريكا فعلا ما يسمى "معاداة السامية **Anti-Semitism**"، ولكن يوجد لدى اليهود، ما يسمى عداء اليهود لغير اليهود. (**Anti-Goyism**)".<sup>2</sup>

المدقق النظر فيما ذكر، يلاحظ أن هناك تطابق في وجهات النظر، رغم أن العيّنة المختارة من الباحثين إما شخصية يهودية أو غربية في الغالب الأعم، فهذا الإجماع غير المتفق عليه مسبقا، والذي فرض نفسه علميا و واقعيًا، يفضي بنا إلى نتيجة واحدة، وهي أن السبب في كره اليهود، يعود إلى كره اليهود أنفسهم للأغيار (الأخر غير اليهودي)،

1 - ميثم الجنابي: اليهودية واليهودية الصهيونية في روسيا، دار الحصاد للطباعة والنشر، سورية - دمشق، 2006، ص 85-86

2 - هنري فورد: اليهودي العالمي، ترجمة علي الجوهري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، 2001، ص 200-204

والذي أصلته النظرية الاستعلائية للشعب المختار، وتراكمات عُقد الأثيروفوبيا (Alterphobie)<sup>1</sup>، وقد تحول هذا الاستعلاء العنصري المشحون بالكراهية، وعدم الاعتراف بنديّة الآخرين من الناحية الانسانية، إلى اضطهاد الشعوب لليهود الذين يعيشون بينهم، وقد عمّ ذلك حتى في المجتمعات التي اعتنقت الليبرالية أو الاشتراكية على حدّ سواء. فبقى اليهودي فيها يهوديا، يُعرف باسمه وشكله، تعرفه بمجرد رؤيته دون أن تسأل عن أصله، ولا يزال هناك حاجز بسيكولوجي يفصل اليهود عن غيرهم، على الرغم من تقرير المساواة رسميا. وهذا التناقض قد جرّ إلى المذابح والاضطهاد، والنكبات التي نزلت باليهود، لذا يرى بعض الباحثين أن العالم عاجز عن فهم اليهودية واليهود، وما برح بعض المفكرين يتساءلون عن كنه الطبيعة اليهودية. وهكذا ظل الاستعلاء العنصري اليهودي يجذب الكراهية، والكراهية تولد الحقد، والحقد يغري بالاضطهاد، وإذا باليهود يدورون، والعالم على أثرهم، في حلقة جهنمية مفرغة، من الاستعلاء والحقد والاضطهاد، حوّلها اليهود في تاريخهم، إلى ذكريات في التاريخ اليهودي، لا تنطفئ نيرانها في تلك الدائرة الجهنمية، والتي تراكمت وتكثفت وتطورت، حتى وصلت إلى ذروتها، في صورة نوع من العقيدة، أو المبدأ السياسي والاجتماعي فيما يسمى "اللاسامية".<sup>2</sup>

1 - " الألتروفوبيا (Alterphobie): أو 'فوبيا الآخر' أو 'الغيريّة المرضيّة': فهو مصطلح يُعبر به علماء النفس وعلماء النفس الاجتماعي، عن ظاهرة وحاسة كره الآخر، واعتباره عدواً - بالسليقة والجبلة - وجب إلغاؤه وإزالته. وهو مصطلح له مدلولاته الخاصة والدقيقة عند المهتمين بالمسألة العنصرية، إذ يُعبر به عن حالة نفسية مرضية تُسمى "عقدة الآخر" (Alterphobie)، ويسمى المصاب بها بـ"المعقد باتجاه الآخر" ألتروفوب (Alterphope). راجع تفصيل ذلك عند ألبيرتو دانزول: اليهودية والغيرية، غير اليهود في منظار اليهودية، ترجمة ماري شهرستان، دار الأوائل للنشر و التوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، الطبعة الثانية 2009، ص12-13

2 - رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، ص 28-29

وللترجيح بين الرؤيتين اليهودية والغربية، علينا أن نعود للتعاليم اليهودية، ولنصوصها التوراتية والتلمودية، التي شكّلت في مجموعها وبنيت وصاغت، العقلية والنفسية والشخصية اليهودية، ومن ثمّ نتعرف على حجم الصدمة والحنق والكره والبغض الذي سببته همجية هذه التعاليم عند غير اليهود، ودفعت بهم للانخراط في ركب المعادين لهم، فالنصوص والمقولات التي سنعرضها، تبين لنا أي الفريقين أصوب.

الدارس لنصوص العهد القديم يجدها تصف شعب إسرائيل بأنه شعب مقدس و مبارك من الربّ، خلافا لما سواهم من الشعوب جاء في [ سفر التثنية 7: 14 ] قوله: "مُبَارَكًا تَكُونُ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ". وكذلك قوله في [ سفر العدد 24 : 9 ]: "مُبَارِكُكَ مُبَارَكٌ، وَلَا عَيْنُكَ مَلْعُونٌ". و وكذلك قوله في [ سفر التثنية: 14 : 2 ]: "لَأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ، وَقَدْ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ". وقوله أيضا: "وَيُعْرَفُ بَيْنَ الْأُمَمِ نَسْلُهُمْ، وَدُرِّيَّتُهُمْ فِي وَسْطِ الشُّعُوبِ. كُلُّ الَّذِينَ يَرَوْنَهُمْ يَعْرِفُونَهُمْ أَنَّهُمْ نَسْلُ بَارِكَةِ الرَّبِّ". وكذا [ سفر أشعيا 61 : 9 ]

فالقارئ لهذه النصوص إن كان يهوديا يجد نفسه مباركا ومقدسا، وإن كان من غير اليهود يجد نفسه ملعونا، فكيف ينظر هذا الملعون لهذا المقدس؟، وكيف يتعامل مع اليهود من يقرأ ويرى صورته المشوهة في نصوصهم؟.

كيف يتعامل معهم، وهو يرى نصوصهم تقدسهم ، لغير ما سبب، وتجعل منهم أقرب الناس للرب دون سواهم، كما يشير قوله في [سفر التثنية 14 : 1- 3 ]: "أَنْتُمْ أَوْلَادٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكُمْ ... لِأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ، وَقَدْ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ". ؟

كيف ينظر اليهود لغيرهم ونصوص العهد القديم، تفضلهم على غيرهم لدرجة أنها تجعل من الآخر - غير اليهودي - خادما ذليلا، حتى ولو كان ملكا، و تأمره بما لا يقبله عقل، و لا تستسيغه نفس، وهو السجود لليهودي ولعق غبار حذائه؟: " هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: "هَا إِنِّي أَرْفَعُ إِلَى الْأُمَمِ يَدِي وَإِلَى الشُّعُوبِ أُقِيمُ رَأْيِي، فَيَأْتُونَ بِأَوْلَادِكَ فِي الْأَحْضَانِ، وَبَنَاتِكَ عَلَى الْأَكْتافِ يُحْمَلْنَ. <sup>23</sup> وَيَكُونُ الْمُلُوكُ حَاضِنِيكَ وَسَيِّدَاتُهُمْ مُرْضِعَاتِكَ. بِالْوُجُوهِ إِلَى الْأَرْضِ يَسْجُدُونَ لَكَ، وَيَلْحَسُونَ غُبَارَ رِجْلَيْكَ، فَتَعْلَمِينَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي لَا يَخْزَى مُنْتَظَرُوهُ". [ سفر أشعيا 49 : 22 - 23 ] .

إن مثل هذا النص له دلالاته ومفعوله في تشكيل العقل اليهودي ونفسيته، فهو يحفر في الذات اليهودية حتى النخاع، ليعشش فيها مرض وعقدة "التمركز حول الذات" (égocentrisme)<sup>1</sup>، فيصبح تعامل هذا الشعب مع غيره من الشعوب، تعاملًا فوقيًا، بل ينمو هذا الإحساس بالاستعلاء والفوقية، لدرجة التلذذ بحلم سحق الآخر. فكيف يتعامل السوي، مع مثل هذه النفسية سواء كان فردا أو جماعة؟.

كيف يُتعامَل مع اليهودي والنصوص التوراتية تصوّر الآخر - غير اليهودي - أنه إنسان من الدرجة الثانية، نجس.. لا كرامة إنسانية له، وأن مصيره العبودية وخدمة إسرائيل، جاء في [سفر إشعيا 60 : 10-14]: "وَبَنُو الْعَرِيبِ يَبْنُونَ أَسْوَارَكَ، وَمُلُوكُهُمْ يَخْدُمُونَكَ. لِأَنِّي بَعْضِي ضَرْبُكَ، وَبِرِضْوَانِي رَحِمْتُكَ. <sup>11</sup> وَتَنْفَتِحُ أَبْوَابُكَ دَائِمًا. نَهَارًا وَلَيْلًا لَا تُعَلِّقُ. لِيُؤْتِيَ إِلَيْكَ بَغْيَ الْأُمَمِ، وَتُقَادَ مُلُوكُهُمْ. <sup>12</sup> لِأَنَّ الْأُمَّةَ وَالْمَمْلَكَةَ الَّتِي لَا تَخْدِمُكَ تَبِيدُ، وَخَرَابًا

1 - التمرکز حول الذات (égocentrisme): عقدة ومرض نفسي يعبر به عن الأنانية، وحب الذات، لدرجة جعلها هي المركز الذي تدور حوله الأفكار والأشخاص والأشياء، ويؤدي إلى مرض آخر هو النرجسية (Narcissisme)، وعكسه الإيثار ومحبة الآخر (L'altruisme).

تُحْرَبُ الْأُمَمَ. <sup>١٣</sup>بِحُدُ لُبْنَانَ إِلَيْكَ يَا... <sup>١٤</sup>وَبُنُو الَّذِينَ فَهَرُوكَ يَسِيرُونَ إِلَيْكَ خَاضِعِينَ، وَكُلُّ الَّذِينَ أَهَانُوكَ يَسْجُدُونَ لَدَى بَاطِنِ قَدَمَيْكَ، وَيَدْعُونَكَ: مَدِينَةَ الرَّبِّ، "صِهْيُونَ قُدُوسِ إِسْرَائِيلَ". كيف تكون نفسية اليهودي وغير اليهودي وهما يقرآن نفس النص، وكيف يكون يتعامل كلاهما مع الآخر؟، وكذلك بالنسبة لما ورد في [سفر إشعيا 61: 5 - 7].

كيف يقرأ غير اليهودي النص الوارد في [سفر التثنية 7: 16-24]، وهو الذي أخرج اليهودي من الجيتو، وأعطاه نفس الحقوق المدنية، حتى تمكن ماديا ومعنويا، وبدأ ينظر بعيدا محاولا تطبيق فحوى هذا النص الذي جاء فيه: <sup>١٦</sup>وَتَأْكُلُ كُلَّ الشُّعُوبِ الَّذِينَ الرَّبُّ إِلَهُكَ يَدْفَعُ إِلَيْكَ. لَا تُشْفِقْ عَيْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَلَا تَعْبُدْ آلِهَتَهُمْ، لِأَنَّ ذَلِكَ شَرُّكَ لَكَ. <sup>١٧</sup>إِنْ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: هَؤُلَاءِ الشُّعُوبُ أَكْثَرُ مِنِّي. كَيْفَ أَقْدِرُ أَنْ أَطْرُدَهُمْ؟ <sup>١٨</sup>فَلَا تَخَفْ مِنْهُمْ. اذْكُرْ مَا فَعَلَهُ الرَّبُّ إِلَهُكَ بِفِرْعَوْنَ وَبِجَمِيعِ الْمِصْرِيِّينَ. <sup>١٩</sup>التَّجَارِبَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي أَبْصَرْتَهَا عَيْنَاكَ، وَالآيَاتِ وَالْعَجَائِبِ وَالْيَدَ الشَّدِيدَةَ وَالذِّرَاعَ الرَّفِيعَةَ الَّتِي بِهَا أَخْرَجَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ. هَكَذَا يَفْعَلُ الرَّبُّ إِلَهُكَ بِجَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّتِي أَنْتَ خَائِفٌ مِنْ وَجْهِهَا. <sup>٢٠</sup>وَالزَّنَائِيرُ أَيْضًا يُرْسِلُهَا الرَّبُّ إِلَهُكَ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَفْنَى الْبَاقُونَ وَالْمُخْتَفُونَ مِنْ أَمَامِكَ. <sup>٢١</sup>لَا تَرْهَبْ وَجُوهَهُمْ، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهُكَ فِي وَسْطِكَ إِلَهٌ عَظِيمٌ وَمُخَوِّفٌ. <sup>٢٢</sup>وَلَكِنَّ الرَّبَّ إِلَهُكَ يَطْرُدُ هَؤُلَاءِ الشُّعُوبَ مِنْ أَمَامِكَ قَلِيلًا قَلِيلًا. لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُفْنِيَهُمْ سَرِيعًا، لِثَلَا تَكْثُرَ عَلَيْكَ وَحُوشُ الْبَرِّيَّةِ. <sup>٢٣</sup>وَيَدْفَعُهُمُ الرَّبُّ إِلَهُكَ أَمَامَكَ وَيُوقِعُ بِهِمْ اضْطِرَابًا عَظِيمًا حَتَّى يَفْنَوْا. <sup>٢٤</sup>وَيَدْفَعُ مُلُوكَهُمْ إِلَى يَدِكَ، فَتَمَحُّو اسْمَهُمْ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. لَا يَقِفُ إِنْسَانٌ فِي وَجْهِكَ حَتَّى تُفْنِيَهُمْ.

والملفت للنظر أن وحشية الألفاظ المستعملة، وهي ألفاظ تفوح منها كل معاني الكراهية و الحقد، لا تورث إلا العنف، فهي تفتك بقلب مُطَبَّق فحواها، فلا تُبقي فيه مكانا للرحمة ولا للشفقة والأحاسيس الرقيقة: "تَأْكُلُ كُلَّ الشُّعُوبِ"، "لَا تُشْفِقْ عَيْنَاكَ

عَلَيْهِمْ"، "فَلَا تَخَفْ مِنْهُمْ. اذْكُرْ مَا فَعَلَهُ الرَّبُّ إِلَهُكَ بِفِرْعَوْنَ وَبِجَمِيعِ الْمِصْرِيِّينَ"، "وَيَدْفَعُهُمُ الرَّبُّ إِلَهُكَ أَمَامَكَ"، "وَيُوقِعُ فِيهِمْ اضْطِرَابًا عَظِيمًا حَتَّى يَفْنَوْا"، "وَيَدْفَعُ مَلُوكَهُمْ إِلَى يَدِكَ" "فَتَمْحُو أَسْمَهُمْ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ"، "لَا يَقِفُ إِنْسَانٌ فِي وَجْهِكَ حَتَّى تُفْنِيَهُمْ". إلى هذا الحد يكره العهد القديم الآخر، فكيف يتعامل هذا الآخر مع اليهودي ليمنعه من التسلق والقيادة؟ حاول الغربي بكل قوة أن يساهم في دمج اليهود في مجتمعه، فمدّ لهم جسور التآلف والتقارب عبر الزواج المختلط، ولكن اليهودي كان يرى مصاهرة غير اليهود خيانة للرب، لأن آيات العهد القديم، تنهى عن ذلك، وليس الغريب أن تمنع ذلك، ولكن شكل وأسلوب المنع، فقد ورد بألفاظ قاسية جارحة نابية، تصنع نفسية مرضية حاقدة، أقل ما يقال عنها أنها تدكي مرض "الألتروفوبيا" (Alterophobia)، والذي يذكي بدوره "العنصرية البغيضة"، مخالفة بذلك ما درج عليه الناس، والتجمعات البشرية عموماً منذ القدم. ذلك أن المجتمعات لا تتوقف، فهي في سيرورة وحركية اجتماعية دائمة، يحتك أفرادها ومجتمعاتها بعضها ببعض، ويؤثر ويتأثر بعضها ببعض، أخذاً وعطاءً، سواء في المطعم أو الملابس أو العلاج...، وفي كل الشؤون الاجتماعية، وهذا ما أثبتته علماء الأنثروبولوجيا، فعند دراستهم "للزواج" كظاهرة إنسانية بين الشعوب القديمة عامة، والبدائية منها خاصة، وجدوا أن المرأة بانتقالها من وسط وبيئة إلى أخرى بالزواج، كانت تنقل معها ما تعلمته في بيئتها الأصلية، إلى بيئة الزوج الجديدة، فتعلم وتتعلم الجديد، ومن هذا التفاعل الاجتماعي، صار "الزواج" رافداً من روافد التقدم، إذ به انتقلت المعرفة من وسط لآخر ومن جيل لآخر<sup>1</sup>.

1- فيليسيان شالي: موجز تاريخ الأديان، ترجمة حافظ الجمالي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة الثالثة 2007، ص

ولكن العهد القديم لا يؤمن بهذه الفكرة إطلاقاً، ويدعو المؤمنين به، إلى الانغلاق والتفوق والتمركز حول الذات، بحجة صفاء ونقاوة السلالة والعرق اليهودي، لذا يحرم على اليهود مصاهرة الشعوب الأخرى، - تماماً مثل ما دعا إليه أدولف هتلر عندما ادعى نقاوة الجنس الآري - ومما يؤيد ذلك قوله في [سفر عزرا 9: 11 - 12]: " إِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تَدْخُلُونَ لِتَمْتَلِكُوهَا هِيَ أَرْضٌ مُتَنَجِّسَةٌ بِنَجَاسَةِ شُعُوبِ الْأَرْضِ، بِرِجَاسَاتِهِمُ الَّتِي مَلَأُوهَا بِهَا مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ بِنَجَاسَتِهِمْ. <sup>12</sup> وَالْآنَ فَلَا تُعْطُوا بَنَاتِكُمْ لِبَنِيهِمْ وَلَا تَأْخُذُوا بَنَاتِهِمْ لِبَنِيكُمْ، وَلَا تَطْلُبُوا سَلَامَتَهُمْ وَخَيْرَهُمْ إِلَى الْأَبَدِ لِكَيْ تَتَشَدَّدُوا وَتَأْكُلُوا خَيْرَ الْأَرْضِ وَتُورِثُوا بَنِيكُمْ إِيَّاهَا إِلَى الْأَبَدِ. "

لم تكتف نصوص العهد القديم بوصف الشعوب بالنجاسة، لذا لا تجوز مصاهرتها، بل إنها تذهب بعيداً في تكريس الألتروفوبيا وتقديس الذات اليهودية، إذ تعتبر عقيدة وشريعة التوراة، مصاهرة الشعوب الأخرى خيانة للرب. <sup>1</sup> [سفر عزرا 10: 10-11]: " فَقَامَ عَزْرَا الْكَاهِنُ وَقَالَ لَهُمْ: "إِنَّكُمْ قَدْ خُنْتُمْ وَأَخَذْتُمْ نِسَاءً غَرِيبَةً لِتَزِيدُوا عَلَيَّ إِثْمَ إِسْرَائِيلَ. <sup>11</sup> فَاعْتَرِفُوا الْآنَ لِلرَّبِّ إِلَهِ آبَائِكُمْ وَاعْمَلُوا مَرْضَاتَهُ، وَانْفَصِلُوا عَنِ شُعُوبِ الْأَرْضِ وَعَنِ النِّسَاءِ الْغَرِيبَةِ. "

---

1 - الناظر للقرآن الكريم، يجده أيضاً يحرم زواج المسلمة بغير المسلم، ولكنه في ذات الوقت أجاز للمسلم الزواج بالكتابية، يهودية كانت أو نصرانية، ويوضح القرآن الكريم هدف المصاهرة، وهو تحقيق التعارف بين الناس، والتقارب بين الشعوب والقبائل، جاعلاً حياة التقوى والقيم هي ميزان التفاضل بينهم، قال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13). " [سورة الحجرات:13].



وقد ساهم حاخامات اليهود في تعميق هذا الاتجاه الانفصالي من خلال الشريعة الشفوية، التي تعبر عن تزايد هيمنة الطبقة الحلولية داخل اليهودية، فنجدهم قد أعادوا تفسير حظر الزواج من أبناء الأمم الكنعانية السبع الوثنية [تثنية 7:2-4]، ووسعوا نطاقه بحيث أصبح ينطبق على جميع الأغيار، دون تمييز بين درجات عليا ودنيا، وقد ظل الحظر يمتد ويتسع حتى أصبح يتضمن مجرد تناول الطعام -حتى ولو كان شرعيا- مع الأغيار، بل أصبح ينطبق أيضاً على طعام، قام جوي (غريب) بطهيته، حتى وإن طبّق قوانين الطعام اليهودية، كما أن الزواج المختلط، أي الزواج من الأغيار، غير مُعترف به في الشريعة اليهودية، ويُنظر إلى الأغيار على اعتبار أنهم كاذبون بطبيعتهم، ولذا لا يؤخذ بشهادتهم في المحاكم الشرعية اليهودية، ولا يصح الاحتفال معهم بأعيادهم، إلا إذا أدّى الامتناع عن ذلك إلى إلحاق الأذى باليهود.<sup>1</sup>

كيف يتعامل غير اليهودي مع جاره اليهودي و هو يعلم أن كلمة "جار" -وهي من المجاورة: أي القرب)- ليس لها في المخيال اليهودي أي معنى ولا وقع، كما هو عند الشعوب القديمة، وحتى الوثنية منها، من إحسان له، وحسن معاشرته، وعدم الإغارة عليه، ونصرته في المحن والشدائد، مهما كانت عقيدته وجنسه، يكفي أنه جار، وكذلك بالنسبة للضيف الغريب - الذي تقطعت به السبل- و نزل على القوم، فالأخلاق الإنسانية المبنية على نصرته الضعيف، والأخذ بيده إلى برّ الأمان، توجب التعامل معه بأخلاق النبل والشهامة... فبالمقابل لهذه المعاني الرقيقة والإنسانية، نجد أن نصوص العهد القديم تدعو إلى

1- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، ج5، ص 364



تصور آخر، مغاير تماما لهذه المعايير الإنسانية، إذ تبيح النصوص المقدسة باسم الرب، استرقاق الآخر حتى ولو كان جارا، وكذا كل ضيف و نزيل عندهم، حتى ولو كان شريفا بين قومه ورد في [سفر اللاويين 25: 44-47]: "٤ وَأَمَّا عِبِيدُكَ وَإِمَاؤُكَ الَّذِينَ يَكُونُونَ لَكَ، فَمِنَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَكُمْ. مِنْهُمْ تَقْتَنُونَ عِبِيدًا وَإِمَاءً. ٥ وَأَيْضًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمُسْتَوْطِنِينَ النَّازِلِينَ عِنْدَكُمْ، مِنْهُمْ تَقْتَنُونَ وَمِنْ عَشَائِرِهِمُ الَّذِينَ عِنْدَكُمْ الَّذِينَ يِلْدُونَهُمْ فِي أَرْضِكُمْ، فَيَكُونُونَ مَلَكَ لَكُمْ. ٦ وَتَسْتَمْلِكُونَهُمْ لِأَبْنَائِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ مِيرَاثَ مَلِكٍ. تَسْتَعْبِدُونَهُمْ إِلَى الدَّهْرِ. وَأَمَّا إِخْوَتُكُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَلَا يَتَسَلَّطُ إِنْسَانٌ عَلَى أَحِيهِ بِعُغْفٍ."

كيف يتصالح غير اليهودي في حال نزاعه مع اليهودي، وهو يعلم أن الصلح عنده لا يحمل إلا معنى واحدا وهو الاستسلام، والخضوع والاستعباد والاسترقاق. ؟

ورد في [سفر التثنية 20: 10 - 16] ما نصه: "١٠ حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، ١١ فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ. ١٢ وَإِنْ لَمْ تُسَالِمَكَ، بَلْ عَمَلْتَ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا. ١٣ وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلَيْكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. ١٤ وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَعْتَمِدُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلَيْكَ. ١٥ هَكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ هُوَلَاءِ الْأُمَمِ هُنَا. ١٦ وَأَمَّا مُدُنُ هُوَلَاءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَيْكَ نَصِيبًا فَلَا تَسْتَبِقُ مِنْهَا نَسَمَةً مَّا. ١٧" إن ديانة تنص على كل هذه الوحشية، كيف سيُعامل مع معتنقيها.؟

يظهر يهوه في الكتاب المقدس كما يصفه غارث لويد جونز (Garet Lhloyd Jones) رئيس كلية الدراسات اللاهوتية والدينية في جامعة ويلز - على أنه "مسكون بكراهية الأجنب، ومنتشع بالروح الحربية، وعنصري، وإقصائي، وهمجي"<sup>1</sup> فنصوص كثيرة تلك التي تصف الرب بأنه عدواني، متعطش للدماء، إذ يدعو اليهود بإلحاح شديد إلى قتل الآخر، وإبادته بدل دعوته إلى الإيمان والتوحيد واتباع نور هدايات السماء. إذ يرون أن ذلك تكريم خاص بهم، دون الآخرين، وأن غير اليهود لا يستحقون في نظرهم أن يرتبطوا بتعاليم التوراة، وإلى يومنا هذا، يأنف اليهود أن يدعوا غيرهم إلى دينهم، والسبب في ذلك عنصريتهم. فالديانة عندهم تتوارث عبر النسل اليهودي فحسب، من الناحية التوراتية، النظرية على الأقل.<sup>2</sup> كيف يتعامل غير اليهودي مع اليهودي الذي توصيه نصوصه الدينية بوصايا الرذيلة، وإباحة الغدر حين التعامل مع الآخرين، فتييح التوراة المحرفة لبني إسرائيل أن يستتروا بالخداع والخيانة، لينالوا من خصومهم "يجوز لكم أن تتظاهروا بصفاء النية وحسن الجوار، ويجوز لكم أيضا أن تدينوا بدينهم، وتقرن إليهم، وتضربون الأوتاد في أصداعهم، حتى تنفذ إلى الأرض."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - عصام سخيني:الإيادة الجماعية من أيدولوجيا الكتاب العبري الى المشروع الصهيوني،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، الطبعة الأولى،أغسطس - 2012،ص37، وانظر أيضا رسالتنا للماجستير"الحوار بين اليهودية والإسلام"، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،كلية أصول الدين، قسم مقارنة الأديان،نوقشت يوم 2004/03/24،ص41-83

<sup>2</sup> - عابد توفيق الهاشمي:التربية في التوراة،العهد القديم (عرض وتقويم) بميزان الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1،2000، ص147

<sup>3</sup> - التربية في التوراة، مرجع سابق ص 127

بعد ملاحظة وتقصي لهذه النصوص وغيرها كثير، وخاصة نصوص التلمود، والتي ترسم في مجموعها الشخصية اليهودية وتطبعها بأخلاق العنصرية وكره الآخر "الألتيرفوبيا" (Alterphobie)، و التمرکز نحو الذات (égocentrisme)، و جنون العظمة (Mégalo manie)<sup>1</sup>، نكاد نجزم بأن اليهودي بالمعنى التوراتي، جدّ مريض من الناحية النفسية والفكرية، إذ جعلت منه هذه النصوص وغيرها، إنسانا منبوذا متعدد العقده، يتعامل مع واقعه تعامل المتكبر الجبار رغم ضعفه وهشاشته، ومن هنا اكتسب - بالمجان - كره الآخر له، في ردة فعل طبيعية، وهذا ما جعل الحاخامات في العصور الوسطى والحديثة، يستثمرون شعور كره الآخر لهم، وحوّلوها إلى المبالغة في حب الذات، - ورفع سعرها - مما نمّى شعور العنصرية لديهم إلى ذروتها، وبها يتعاملون.<sup>2</sup>

فكيف يحسن غير اليهود الظن فيهم فيأتمنؤهم، أم كيف يحسنون هم الظن بغيرهم

فيعاشروهم معاشرة إنسانية مفعمة بالودّ والحوار وبلا عُقد...؟

1 - ميغالومانيا (المنخوليا): ( ميغا mégas: بمعنى عظيم وكبير. و مانيا mania : بمعنى جنون). أي جنون

العظمة. أنظر: Le Petit Larousse compact,1998, édition Larousse, p 640.

2 - راجع المسألة بالتفصيل عند إبراهيم خليل أحمد: إسرائيل فتنة الأجيال العصور القديمة ، مكتبة الوعي العربي، 1969، ص 154-156

## المطلب الثاني: موقف الملل و المذاهب اليهودية من الصهيونية

كثيرا ما نسمع ونرى بعض اليهود يتظاهرون ويشورون ضد الصهيونية في كثير من مواقفها وقراراتها، ويبرزون بذلك الوجه الآخر لليهودي المعارض والمخالف للصهيونية، خاصة الداعين لحماية حقوق الإنسان، والمدافعين عن حق الشعب الفلسطيني في العيش الكريم، ونعجز بذلك عن تصنيف هؤلاء اليهود ، أهم مع بني جلدتهم وقومهم في مساندتهم للصهيونية ومشروعها الاستيطاني أم أنهم ضدها ؟ ولإمارة اللثام عن هذه المسألة يجدر بنا معرفة موقف الملل و المذاهب اليهودية من الصهيونية ، حتى نتعرف على المذهب الديني الذي كان له كبير الأثر في توجه الصهيونية وتوجيه اليهود، وحتى نعرف من جهة أخرى هل وقع إجماع الفرق والحركات الدينية اليهودية على الصهيونية، أم أن هناك المعارض لها ؟، وهل بقي المعارض معارضا بعد مرحلة تكوين الدولة، أم أن الأمر لا يعدو أن يكون توزيعا للأدوار بينهم ليس إلا ؟

## موقف الحركة الإصلاحية من الصهيونية:

الأمر المبدئي عند الإصلاحيين كان عدم الاعتراف بالأطروحة الصهيونية - بادي الرأي -، وحذفوا من مبادئهم فكرة أن اليهود قوم، وصرحوا بذلك في قولهم: "لقد لازمنا مبدأ أن اليهود ليسوا قوما، فآمننا به إيماناً صادقاً وأكيداً. ولقد قمنا عملاً بهذا المبدأ، بدفع الأعياد القومية اليهودية إلى مؤخرة اهتمامنا، وحذفنا كل ذكرٍ ودعاءٍ، بالعودة إلى صهيون من أدعيتنا وصلواتنا وطقوسنا." <sup>1</sup>

ورغم هذا الموقف المبدئي، إلا أنه وجد في صفوف بعض الإصلاحيين من كان يُنشِط الدعاية والتأييد للصهيونية، بل لقد ساهم بعضهم في التأسيس لها، كما فعل الراي "بنيامين سولد" حيث أسس أول جماعة صهيونية بين الاتجاه الإصلاحية في أمريكا سنة 1859. <sup>2</sup> وكما دافع عنها كل من الربانة "جوستاف جوتهايل" و "برنارد فلنستال" و "ستيفن وايز" وجعلوا من أنفسهم أبواقاً داعمة ومؤيدة للأطروحة الصهيونية داخل الصف الإصلاحية، وحاولوا جر الحركة برمتها إلى المعسكر الصهيوني، ووقت بين الطرفين تجاذبات، بين مؤيد ومعارض، ولم تخف حدة الخلاف بين الطرفين، إلا بعد أربع سنوات من تولي هتلر حكم ألمانيا، حيث بدأ بتطبيق متطلبات ومستلزمات العقيدة القومية والعنصرية، القائمة على نقاوة الجنس الآري، فبدأ بتطهير المجتمع الألماني من شوائب الشعوب الأخرى، فقرر الاتجاه الإصلاحية في مؤتمر "كولومبس" المنعقد في ولاية "أوهايو" سنة 1937: "بأن من واجب

1 - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 115-116

2 - عرفان عبد الحميد فتاح: المرجع السابق، ص 179

اليهود جميعاً أن يساعدوا في بناء فلسطين كوطن لليهود، وذلك ليس بمحاولة جعلها ملجأ لليهود والمضطهدين فحسب، بل مركزاً للثقافة اليهودية والحياة اليهودية الروحية.<sup>1</sup>

ورغم ما ورد في بيان لاتحاد المجتمعات العبرية اليهودية الذي صدر في نفس السنة و ذلك بإعلانه صراحة دعوة كل يهود العالم لمساندة الصهيونية. إلا أن الحركة الإصلاحية لم تنخرط في المشروع والمعسكر الصهيوني، وإنما خفت هذه القرارات من حدة الخلاف بين الطرفين، وسهلت عملية التطبيع بالتدريج، فتحوّلت الحركة الإصلاحية من حركة معادية للصهيونية إلى حركة لا صهيونية، واستمر ذلك إلى غاية سنة 1943، وتحت ضغط الحرب العالمية الثانية، وانتشار أخبار تقتيل اليهود على يد النازيين في أوروبا، ومن المعلوم انترولوجيا بسيكوسوسيولوجيا، أن أي جماعة أو فريق إن داهمها الخطر خارجياً توحدت داخلياً، وهذا الذي حدث، فاستطاع الصهاينة أن يكسبوا ودّ بعض الإصلاحيين، والضغط على بعضهم، بعد إقناع المؤتمر المركزي للرابنة الإصلاحيين، بإقرار أول قرار خطير يسير في خط الصهيونية ويلائم منهجها، فنص القرار على أنه لا تناقض بين الصهيونية والمبادئ الإصلاحية.<sup>2</sup>

رغم ذلك استمر رفض بعض أعضاء الحركة الإصلاحية للصهيونية، إلى سنة 1976، حيث اندس بعض الصهاينة داخل التيار الإصلاحي، ووصلوا إلى قمة الهرم فيه، فانتخب اثنان من أعضاء "اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية الأمريكية"، في أهم منصبين داخل الإصلاحيين، وهما: الرابي " إدوارد إسرائيل " والرابي " جيمس هالر "، الأول في منصب الأمين التنفيذي "لاتحاد المجتمعات العبرية الأمريكية"، والثاني في منصب رئيس "الاتحاد

1 - إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 116

2 - المرجع السابق

المركزي للحاحامين الأمريكيين"، فقاما بمجهودات جبارة داخل بيت التيار الإصلاحية، أدت إلى السيطرة على الحركة الإصلاحية من الداخل، فعُدل " اتحاد المجتمعات العبرية الأمريكية " دستوره سنة 1973، ليضيف في قائمة أهدافه، هدفا جديدا يخدم الصهيونية ويشي عليها ، حيث أضيف بند من البنود في أهداف الاتحاد، كانت صيغته كالتالي: " تقوية وتحقيق رفاهية دولة إسرائيل، بوصفها المثل الأعلى النابض للقيم اليهودية الأزلية."<sup>1</sup>

بهذه الطريقة تم تدجين فكر المعارضة المتمثل في الحركة الإصلاحية، والقائم على العقل والمنطق والعلم والنقد، إلى مساندة الهوس الصهيوني المتجسد في دعوى حق العودة إلى صهيون. بل ذهب الأمر إلى أبعد الحدود، إذ انضمت كُتُل وهياكل وتجمعات ومؤسسات، تابعة للحركة الإصلاحية برمتها، وارتقت في أحضان الحركة الصهيونية، ففي عام 1976، انضم للمنظمة الصهيونية " الاتحاد العالمي لليهودية التقدمية "تنظيم برتمته، والمعروف باسم " أرضنو ARZENU " ( بمعنى أرضنا )، وهو تنظيم يضم بداخله "رابطة الصهيونيين الإصلاحيين الأمريكية " في كندا وبريطانيا وجنوب إفريقيا وأستراليا وهولندا...<sup>2</sup>

ورغم ذلك بقي مجموعة كبيرة من الإصلاحيين لا يؤمنون بالأطروحة الصهيونية، رغم محاولات التقارب التي سعت إليها الصهيونية قبل مرحلة الدولة، ولكن بعد الدولة انتهت مرحلة الدلال، فانعكس التيار ودار الزمان دورته، فصارت الحركة الإصلاحية هي من تخطب ود الصهيونية، وتحاول الاقتراب منها أكثر بشتى الوسائل، وقد أنشأت كثيرا من الكنس، إلا أنها إلى اليوم لا تتمتع بأية صفة رسمية داخل المجتمع الإسرائيلي، ولا تحظى باعتراف

1 - عرفان عبد الحميد فتاح: المرجع السابق ، ص 580

2 - عرفان عبد الحميد فتاح: المرجع السابق ، ص 580

الحاخامية الرئيسية ولا السلطة السياسية. ولا يزال أنصار ودعاة الإصلاحية في "إسرائيل" وفي العالم أجمع، يناضلون من أجل اعتراف السلطات الدينية والسياسية في "إسرائيل" بهم، وإزالة كل صور التمييز ضد حاخاماتهم ورجال دينهم.<sup>1</sup>

نلاحظ من خلال هذا العرض التناقض والتباين في المواقف عند الصهيونية، قبل وبعد إنشاء الدولة، وذلك راجع إلى نفسية وعقلية استغلال الآخر، حتى تحقق مصالحها ومخططاتها فحسب. فلم يشفع للحركة الإصلاحية تنويرها للعقل اليهودي ومحاولاتها في إخراجه من الخرافة والتخلف، بل على العكس اعتُبرت عدواً كان ولا يزال يعمل على دمج اليهود في مجتمعات "الأغيار" ودعوتهم للذوبان فيها، وهذا كان ولا يزال عائقاً من عوائق الهجرة نحو إسرائيل.

---

<sup>1</sup> - عرفان عبد الحميد فتاح: المرجع السابق ، ص 581. ولمزيد من التفصيل لعلاقة الحركة الإصلاحية بالصهيونية أنظر محمد خليفة

حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مرجع سابق، ص 70-71



## موقف الحركة المحافظة من الصهيونية

تعددت نظرة المحافظين للحركة الصهيونية، فلقبت من بعضهم بعض التشجيع وذلك لأسباب إنسانية أكثر منها قومية. وعبر بعضهم عن بعض التحفظات ضد صهيونية هرتزل السياسية، واعتبرها حلم رومانسي فحسب. وعبر البعض الآخر عن مخاوفه من الأيديولوجية العلمانية التي تسعى الصهيونية لنشرها، وهذا منافٍ للنزعة الدينية التي تبنتها الحركة المحافظة، فقد شعر البعض بأن الطموح الصهيوني الخالي من الأفكار الدينية، ربما يتطور إلى نزعة قومية متعصبة تهدد الديانة اليهودية نفسها.

ومن المنظرين للحركة المحافظة، من كان يؤمن بوطن لليهود، ولكن كمرکز إشعاع روحي فحسب، كشاختر مثلاً كان متأثراً بأفكار زعيم الصهيونية الروحية " آحاهامام"، وكان تصورهما للوطن واضحاً، بمثابة مركز حضاري روحي، لا على أنه ملجأ للمضطهدين من اليهود. إضافة إلى ذلك أنه لم يكن يركز على أن يكون هذا الوطن اليهودي هو فلسطين، خلافاً لما تدعو إليه الحركة الصهيونية.<sup>1</sup>

وقد رصد بعض المؤرخين بدايات أول تحول لبعض المحافظين نحو الصهيونية، قبل أن يجروا كل الحركة المحافظة إليها، وتبنيها للمشروع والبرنامج الصهيوني صراحة، إذ بدأ الأمر باختراق داخلي للحركة المحافظة<sup>2</sup>، حيث اندس بعض الصهاينة في صفوف المحافظين وبثوا

<sup>1</sup> - محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مرجع سابق، ص 74

<sup>2</sup> - اختراق الآخر وتفجيره من الداخل أسلوب يهودي قديم، وذلك لانغلاق الديانة اليهودية نحو الآخر، فكما لا تدعو الآخرين لاعتناق اليهودية، فإنها لا تقبل الوافد عليها إلا إذا كانت أصوله يهودية. لذا فحركتها نحو الآخر هي انتقامية، تتمثل في تفجيره من الداخل وليس

دعائهم وأفكارهم في صفوفها، مستغلين و مُفعّلين لمبدأ " كلال إسرائيل " (كل إسرائيل) السابق ذكره، حتى يتحول إلى برنامج سياسي يضم الأمة اليهودية كلها، ويهدف إلى تحقيق مصالحها وكيانها، وهذا يُعد إجماعاً للأمة اليهودية، وهذا أحد مبادئ المحافظين - المذكور آنفاً - استغله الصهاينة لصالحهم، وشيئاً فشيئاً باتباع سنة التدرج في صناعة القناعات، أصبح كل المحافظين يتعاطفون مادياً و معنوياً مع الحركة الصهيونية في إسرائيل.<sup>1</sup>

فهذه الموافقات بين اليهودية المحافظة والصهيونية واضح كل الوضوح، فيما يذكره الباحثون وخاصة بمقارنة موقف "زكريا فرانكل" من زعماء الحركة المحافظة، - وقد سبق ذكره - والزعيم الصهيوني الذي كان له كبير الأثر في نشأة الصهيونية من "الفكرة" إلى "الدولة"، وهو "ديفيد بن جوريون David Ben Gurion" (1886 - 1973)،<sup>2</sup> فكلاهما

---

دعوته إليها، تماماً كما حدث للمسيحية، إذ فجرتها من الداخل من خلال التسلل إليها وتحويل وتحويل عقائدها من التوحيد إلى التثليث، وفي مثل موضوعنا حدث اختراق داخلي صهيوني، سواء للحركة الإصلاحية وكذا المحافظة.

1 - أنظر إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 115

2 - ديفيد بن جوريون David Ben Gurion (1886 - 1973): زعيم صهيوني عمالي، وسياسي إسرائيلي من الحرس القديم، كان اسمه "ديفيد جرين" ثم غيّرهُ فيما بعد إلى "بن جوريون" أي "ابن الشبل". وُلد عام 1886 في بلدة بلونسك ببولندا التي تقع في منطقة الاستيطان اليهودي في روسيا. نشأ نشأة يهودية تقليدية، وفضى حياته الأولى يدرس التوراة والتلمود وكُتِب الصلوات المختلفة في المدارس الحاخامية. وفي طفولته هذه، سمع عن ظهور الماشيخ المخلص في شخصية صحفي "تمسوي" يُسمّى تيودور هرتزل، سيعود بشعبه إلى أرض الميعاد، وكان أول كتاب عبري يقرؤه هو كتاب حب صهيون لمايو. وقد بدأ بن جوريون نشاطه الصهيوني وهو بعد صبي في سن الرابعة عشرة، إذ كان أبوه عضواً في جماعة أحبباء صهيون، وقد تأثر بن جوريون بأفكار بوروخوف، فانتضم إلى جماعة عمال صهيون عام 1904، وهاجر إلى فلسطين عام 1906 حيث بدأت أفكاره الصهيونية في التبلور، فطالب بتأكيد مركزية المستوطنين اليهود في حياة الجماعات اليهودية. وقد كان بن جوريون من دعاة بعث اللغة العبرية وإهمال اليديشية. وفي عام 1912، التحق بن جوريون بجامعة إستنبول لدراسة القانون على أمل أن يُمكنه هذا من المساهمة في تحويل فلسطين إلى وطن يهودي داخل الإمبراطورية العثمانية، وبعد تخرجه عاد إلى فلسطين حيث بدأ حياته عاملاً زراعياً وحارساً ليلياً. تجسّس بن جوريون بالجنسية العثمانية مع نشوب الحرب العالمية الأولى لكيلا يُطرده لأنه رعية روسية ومعاد للعثمانيين. وحينما نفتت السلطات التركية بسبب نشاطه الصهيوني الاستيطاني، رحل إلى مصر وقابل جابوتسكي في الإسكندرية، وعارض في البداية فكرة الفيلق اليهودي على أساس أن هذا يُعرض اليهود الاستيطانيين في فلسطين

يشتركان في فكرة تفعيل "التراث اليهودي"، بغض النظر عن صحته أم لا، وهل هو مسابير للقوانين أو ضدها، المهم أنه يجمع الأمة اليهودية في فكرة واحدة وهي العودة إلى صهيون، ففرانكل يرى أن الدين اليهودي هو التعبير الديني عن روح الأمة اليهودية، وهو بمنزلة إجماعها الشعبي العام. وعليه لا يجوز بأي شكل من الأشكال، إثارة مسألة ما إذا كان القانون من أصل سماوي أو أرضي، فمادام القانون يعبر عن هذا الإجماع الشعبي العام فيجب أن يبقى هو السائد و ساري المفعول. و هذا الموقف شبيه جدا بموقف بن جوريون من أسطورة العهد، الذي قطعه الإله على نفسه بمنح اليهود أرض كنعان، فبالنسبة لبن جوريون هو الآخر، لا يهم إن كانت هذه الواقعة حقيقةً إلهية أم لا، فالمهم هو أن تظل هذه الأسطورة مغروسةً في الوجدان اليهودي، وهي جزء من تراثه، ويجب أن تبقى سارية المفعول، حتى بعد أن ثبت أن الوعد المقطوع مجرد أسطورة شعبية ليس لها أي مصدر إلهي.

وقد بدأت اليهودية المحافظة تلعب دوراً تنظيمياً نشيطاً داخل الحركة الصهيونية، وتأسست منظمة محافظة صهيونية هي منظمة "M.R.A.C.Z"، وهي اختصار الحروف

---

لغضب العثمانيين وانتقامهم. وذهب إلى الولايات المتحدة حيث أسس جماعة الرائد وساهم في تكوين الفيلق اليهودي التابع للجيش البريطاني (الفرقة الثامنة والثلاثون البريطاني) وعاد معه إلى فلسطين عام 1918 (ومعه مجموعة كبيرة من الاشتراكيين الصهاينة). وقد اشترك مع كاتزنلسون في تأسيس الهستدروت، واقترح ألا يكون الهستدروت نقابة عمال وحسب، بل وسيلة استيطان كذلك. وقد تولّى بن جوريون رئاسة الهستدروت من عام 1921 حتى 1932. وفي عام 1930، ساهم في إنشاء الماباي، كما انتُخب عضواً في اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية عام 1937. وفي عام 1942، تبنّت المنظمة الصهيونية، بمبادرة من بن جوريون، برنامج بليتيمور الذي كان هدفه المعلن إنشاء دولة إسرائيل. وفي عام 1948. أشرف على تكوين رئاسة الحكومة المؤقتة قبل إعلان نهاية الانتداب، وقام بنفسه بإعلان بيان قيام إسرائيل.

الأولى للعبارة **Movement to Reaffirm Conservative Zionism**، أي "حركة إعادة تأكيد الصهيونية المحافظة" (**mouvement pour la réaffirme du sionisme conservative**)<sup>1</sup>.

## موقف الحركة الأرثوذكسية من الصهيونية

انقسم رأي الحركة الأرثوذكسية حول الصهيونية إلى قسمين، بسبب رأي عقدي عند الأرثوذكس، فمن مبادئهم "عقيدة الخلاص اليهودي"، والتي ستكون بمعجزة ينقذ بها الربّ شعبه المختار - سيأتي تفصيل ذلك - . فلما جاءت الصهيونية رأى بعضهم أنها الخلاص لهم، ولا داعي لانتظار معجزة الربّ، التي يتغير بها حال اليهود، مادام التغير حدث بطريق سياسي عن طريق الصهيونية، وتبنى هذا الطرح منظمة يهودية تسمى "المنظمة المزراحية"<sup>2</sup>، وعلى ذلك تبنى المزراحيين - خاصة الجيل الجديد منهم - الصهيونية كبديل للمسيح المخلص المنتظر رغم أنهم لم ينخرطوا رسمياً في المنظمة الصهيونية، وأعلنوا تعاونهم معها دون معاداتها.<sup>3</sup> أما الرأي الثاني فأصر على أن الخلاص اليهودي لن يتم بطريقة سياسة وأنه لا بد

1- عبد الوها المسيري: المرجع السابق، الموسوعة المجلد 7، الجزء 4، الباب 3، مدخل: ديفد بن جوربون.  
2- المنظمة المزراحية "Mizrachi" هو مزج لكلمتي "مركز" و"روحاني"، وهما كلمتان عبريتان تطابقان في النطق والمعنى مثلتيهما العريبتين. ظهرت كحركة مستقلة عام 1902 تحت شعار "أرض إسرائيل لشعب إسرائيل حسب شريعة وتوراة إسرائيل"، كما لُخص الشعار في عبارة "توراه وعفواه"، أي "التوراة والعمل"، ومعناها أن على الصهيوني المتدين الحق أن يتعلم الشريعة اليهودية وأن يعمل بنشاط من أجل إعادة بناء إسرائيل. ثم تحولت إلى حزب سياسي بين المستوطنين اليهود في فلسطين عام 1918 وينتمي معظم أعضائه إلى الطبقة المتوسطة، ويدعو إلى حكم نابع من التراث اليهودي والدين والتقاليد الموروثة، ويؤيد نظام الزراعة الفردية بدل التعاونيات، ويعارض الهيستدروت ويدعو إلى تشجيع الجهد الفردي في الاقتصاد، يطالب بتعزيز المؤسسات الدينية وإقامة شعائر السبت، يمتلك مؤسسات اقتصادية ومالية و شبكة مدارس دينية هامة، شارك في معظم الحكومات الائتلافية لشعاراته الدينية ذات الطابع الليبرالي، اندمج مع حزب عمال مزراحي وكونا سوية الحزب الديني القومي سنة 1956. الكيالي عبد الوهاب، وآخرون: موسوعة السياسة، مرجع سابق، ج2، ص518

3- إسماعيل راجي الفاروقي: المرجع السابق ص 117

من العمل والفعل المعجز الرباني المؤيّد والمنقذ لشعب الربّ، وتبنى هذا الرأى جماعة تسمى  
جمعية " أجودات اسرائيل " ( Agudat Israel )<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> - تأسست حركة " أجودات إسرائيل " عام 1912 كتنظيم ديني يضم جميع الجماعات الدينية الأرثوذكسية في ألمانيا وبولندا وليتوانيا (كمجموعة متحدة) ضد الحركة الصهيونية لمحاولة تغيير بنية ومضمون الحياة اليهودية. كما تصدّت الحركة للحركات العلمانية الأخرى كافة، مثل البوند واليهودية الإصلاحية. وبعد بداية متعثرة اتخذ المؤتمر الصهيوني العاشر (1911) قراراً بضم مشاريع ثقافية (علمانية) ضمن برامجها، مما أدى إلى انسحاب بعض المندوبين الألمان وانضموا لجماعة أجودات إسرائيل، الأمر الذي أعطاها قوة دفع شديدة. وقد تكونت الحركة من خلال ثلاثة عناصر أساسية: أ) الأرثوذكسية الجديدة الألمانية من أتباع سمسون هيرش، وهؤلاء كانوا يحاولون تنفيذ كل التعاليم الدينية وإقامة كل الشعائر مع شيء من التكيف مع البيئة غير اليهودية التي يعيش فيها اليهود. ب) الأرثوذكسية المجرية. ج) الأرثوذكسية البولندية. وهذان الفريقان الأخيران كانا يضمنان العناصر الحسيدية وحاخامات الأكاديميات الليتوانية، وكانا يعارضان تبني المعارف الغربية. وكان أتباع الأرثوذكسية الألمانية والمجرية يرون أن الجماعات الأرثوذكسية يجب أن تفصل نفسها تماماً عن الجماعات اليهودية غير الأرثوذكسية، على عكس أتباع الأرثوذكسية البولندية وبعض قيادات الأرثوذكسية الألمانية فكانوا يرفضون هذا الموقف.

الفصل الثاني الحركة الصهيونية والتعاليم الدينية

المبحث الأول: الصهيونية بين عقيدة الأرض الموعودة والشعب المقدس

المطلب الأول: إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة

المطلب الثاني: شعب الله المختار بين التقديس والتدنيس

المبحث الثاني: العقائد المصطنعة ودورها في صوغ أيديولوجيا الإبادة: الأهداف

والوسائل

المطلب الأول: عقيدة الخلاص اليهودي و المسيح المنتظر.

المطلب الثاني: بناء الهيكل وأيديولوجيا الإبادة

## الفصل الثاني: الحركة الصهيونية والتعاليم الدينية

المبحث الأول: الصهيونية بين عقيدة الأرض (الموعودة) والشعب (المقدس)

الدارس لتاريخ الحركة الصهيونية يجدها، حركة علمانية سياسية استطاعت أن تجمع حولها مؤمنين ومناصرين ومدعمين للفكرة من اليهود وغيرهم ، وذلك بتوظيفها للتعاليم الدينية اليهودية التي تُشكل العقل والوجدان اليهودي على اختلاف المذاهب والتوجهات العقديّة والفكرية، ومن ثم اكتسبت الصهيونية زيا جديدا يجمع بين المتناقضات، ألا وهو الشكل العلماني في ثوب ديني، والذي لا يختلف عن الشكل الديني في ثوب علماني. فكيف استطاعت الصهيونية توظيف التعاليم الدينية اليهودية، لتحقيق مآربها السياسية الاستعمارية؟.

للإجابة على هذا السؤال علينا أن نتطرق إلى كثير من القضايا الفكرية والعقدية في الحياة اليهودية والمخيال الجماعي اليهودي، حتى نفهم آلية التلقيح التي مارسها الصهيونية لإقناع اليهود بمشروع العودة إلى الوطن المسلوب، رغم أنه لا علاقة لهم جنسيا أو نوعيا أو شعوبيا بفلسطين، وهم أجانب غرباء عنها دخلاء عليها مثلما يُعد الأوروبيون أو الأمريكيون بالنسبة إليها. وهم حين يغتصبونها ليخلقوا منها إسرائيل الصهيونية، فليست هذه هي عودة الابن القديم بعد رحلة طالت عبر الزمان والمكان وإنما هي غزو الأجنبي الغريب

بالإثم والعدوان.<sup>1</sup> فكيف استطاعت الصهيونية إقناع اليهود أن فلسطين هي أرضهم ووطنهم، وكيف أقنعت غير اليهود ممن دعموا الصهيونية ويدعمونها بذلك؟. لذا علينا أن نعرف ما هي أرض الميعاد؟ وما هي الوعود التي وعدهم بها الرب والتي جاءت الصهيونية لتحقيقها؟ ومن هو شعب الله المختار الذي وُعد بهذه الأرض ليتحقق له الموعد به ومن ثمة بناء الهيكل ليتحقق الخلاص، وتعجيل دخول جنة الرضوان على الأرض قبل يوم الحساب؟.

هذا المزج بين الوعد والأرض والشعب والهيكل والخلاص...، والذي جمعه الصهيونية في توليفة أسطورية حركت بها اليهود وغيرهم لاغتصاب أرض وإبادة شعب، يجعلنا نتوقف عندها مليًا لنكشف اللثام عن مستور الزيف والأوهام.<sup>2</sup>

---

1 - خليل أحمد: إسرائيل فتنة الأجيال العصور الحديده، مكتبة الوعي العربي، 1970، ط 1، ص 71

2 - لمزيد من التفصيل يراجع BUI SP: La notion d'Alliance dans l'A.T., (Lectio Divina, 88), Paris, 1976

كذا BEAUCAMP E., Les grands thèmes de l'Alliance, (Lire la Bible, 81), Paris, 1988



## المطلب الأول: إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة (الأرض و الوعد)

لطالما امتزجت العقيدة بالأسطورة في الحياة اليهودية الفردية والجماعية، ولقد عمدت الصهيونية تكثيف العزف على هذا الوتر - لدرجة الطرق - ، حتى صارت حلما ثم حقيقة يؤمن بها اليهود إيمانهم بالله، و أهم أسطورة جامعة عندهم، تقوم على وجود ثلاث ركائز فيها، أُسست كقاعدة قام على أصولها شعب ورمز ووعد وأرض وحق بالعودة - (عودة الشتات) - وتحدي وحرب.. وبالتالي.. وجود لهذا الكيان..!!<sup>1</sup>

فالأساس الأول هو وجود شعب مختار، اصطفاه الرب لنفسه، فأعطاه وعدا بالتمكين والغلبة والسيطرة، وأعطاه أرضا مقدسة (أرض فلسطين).. وهناك سيلتقي الرب بالشعب على هذه الأرض على أقدس بقعة وهي أورشليم (القدس) في أقدس مكان فيها الهيكل المرتقب .. والنتيجة هي: أرض مقدسة لشعب مقدس .. هذا الحق تمثل بوجود وعود قطعها الرب فهو وعد وعهد لشعب مختار ..<sup>2</sup>

ونحن نستعمل مصطلح "أسطورة" بمعناها الاجتماعي الذي أوجزه "تالكوت بارسونز" وهو يعني أنماط الاعتقاد المقدسة التي يقبلها المجتمع بشكل عام، لأن فيها عناصر محسوسة وذات ارتباط بالدين والتاريخ أو السياسة. والأساطير بذلك تمتزج بأنماط اعتقاد أيديولوجية معقدة يتقبلها أفراد المجتمع في العادة بشكل لاشعوري. وميزة الأساطير

1- لمزيد من التفصيل والدقة يراجع كتاب شلومو ساند "أرض إسرائيل اصطلاح مختلق"

-Shlomo Sand:COMMENT LE PEUPLE JUIF FUT INVENTÉ "De la Bible au sionisme", Traduit de l'hébreu par Sivan Cohen-Wiesefeld et Levana Frenk , © Librairie Arthème Fayard, 2008, p 97-173

2 - عثمان سعيد العاني: الأساطير التاريخية اليهودية حول أرض المسجد الأقصى، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة

الصهيونية تكمن في الدمج الوثيق بين العناصر القومية والتاريخية والدينية التي تشير إلى العلاقة بين العهد القديم والأرض المقدسة والشعب المختار.<sup>1</sup> إذن فالمسألة تدور حول العهد أو الوعد أو الميثاق الذي قطعه الرب على نفسه فصار مقدساً، وذلك بإعطاء الأرض المقدسة (فلسطين)، لشعب مختار مقدس وهم اليهود الذين يعيشون في الشتات.

### حقيقة العهد والوعد بأرض الميعاد

قبل التفصيل في حقيقة العهد والوعد بأرض الميعاد يجدر بنا تعريف معنى العهد. فالعهد (convention): هو ترجمة للكلمة العبرية "بريت"، وتُترجم أحياناً بكلمة "ميثاق". وكانت كلمة "عهد" تعني "معاهدة سلام بعد الحرب"، فكان دخول العهد في دول وممالك الشرق الأدنى القديم يأخذ الشكل التالي: يمر الطرفان المتعاقدان بين قطع من لحم حيوان ضحّي به، ويقسمون بأنهم سيقتطعون إرباً إرباً مثل هذا الحيوان إذا هم حنثوا بالعهد وهذه علامة على لعنة الموت التي تصيب مخالف العهد وخائنه، ومن هنا جاءت عبارة "قطع العهد: كارات بریت" (كارات: قطع - بریت: عهد).<sup>2</sup>

وتجدر الإشارة إلى أن الدراسات الحديثة تميّزت باختلاف كبير في كيفية ترجمة كلمة "بيريت" من العبرية إلى اللغات الحديثة، حتى أن كثيرين باتوا يدعون إلى اللجوء إلى ترجمات

1 - رجينا الشريف: الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي، مرجع سابق، ص 25  
2 - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، مجلد 5، ص 76. مع العلم أننا نجد مثل هذا الطقس في تقاليد مدينة "ماري" والتقاليد الآشورية. راجع [تكوين 15: 10]؛ و[إرميا 34 : 18]

مختلفة بحسب النص والإطار المستعملة فيه هذه الكلمة.<sup>1</sup> وعموما يُعرف العهد بأنه اتفاق بين طرفين بكامل الاختيار والحرية.<sup>2</sup>

مدلول " العهد " بين الدين والسياسة (بين اليهودية والصهيونية):

تستند الحركة الصهيونية ومن دار في فلكها من النصارى وخاصة الصهيونية المسيحية إلى وهم كبير بادعاء أن هناك نصوصا في كتبهم المقدسة تنص وتقر بأن اليهود هم الورثة الحقيقيون، بل الوحيدون للوعد الذي قطعه الرب على نفسه وأعطاه لإبراهيم عليه السلام، بأن يمتلك أرض فلسطين وما حولها. وما سُمي العهد القديم (Old Testament) بهذه التسمية إلا لأنها تعني في اللغة العبرية العهد الذي بين الرب وإبراهيم عليه السلام وبني إسرائيل.<sup>3</sup>

يقول زعيم الصهيونية السياسية "هرتزل": "...وإن هدف الحركة الصهيونية هو تنفيذ النص الوارد في الكتاب المقدس بإنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين."<sup>4</sup> ويقول بن غوريون: "قد لا تكون فلسطين لنا من طريق الحق السياسي أو القانوني، ولكنها حق لنا على أساس ديني، فهي الأرض التي وعدنا الله، وأعطانا إيّاها من الفرات إلى النيل."<sup>5</sup>

1 - BUISP: La notion d'Alliance dans l'A.T., (Lectio Divina, 88) , Paris ,1976 p,45

2 - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت 1983، مادة عهد

3 - رقية العلوافي وآخرون: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، تحرير منى أبو الفضل، نادبة محمود مصطفى، دار الفكر - دمشق، 2008، ص 48

4 - أبقار السقاف: إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة 2، 1997، ص 22

5 - أبقار السقاف: المرجع السابق، ص 23

ويقول بيحال آلون -نائب رئيس مجلس الوزراء الإسرائيلي السابق-: "جاء اليهود إلى البلاد لكي يستردوا الأرض التي يعتقدون أنها كانت أرض آبائهم ، الأرض التي وعدها الله لهم و لذريّاتهم في العهد القديم المبرم قبل آلاف السنين بين الله وإبراهيم."<sup>1</sup>

وتقول جولدامائير في تصريح لها لجريدة لوموند الفرنسية بتاريخ 15 أكتوبر 1971: "وُجد هذا البلد تنفيذا لوعد الرب ذاته، ولهذا لا يصح أن نسأله إيضاحا عن شرعية ذلك الوجود."<sup>2</sup>

ويقول مناحيم بيغن فيما نشرته عنه جريدة دافار العبرية في عددها 14 ديسمبر 1978 في أوسلو: " لقد وُعدنا هذه الأرض ولنا الحق فيها."<sup>3</sup>

ويقول موسى دايان<sup>4</sup> في تصريح له لجوريزلام بوست في 10 أغسطس 1967: " إذا كنا نملك الكتاب، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة، فينبغي أن نمتلك أيضا بلاد التوراة ، بلاد القضاة، أرض أورشليم وحبرون وأريحا، وأماكن أخرى."<sup>1</sup>

---

1 - محمد بن علي بن محمد آل عمر: عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولى 2003، ص 214

2 - روجيه جارودي: ملف اسرائيل دراسة للصهيونية السياسية، ترجمة مصطفى كامل فوده، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر/دار الشروق، الطبعة الثالثة، ص 82

3 - روجيه جارودي: ملف اسرائيل دراسة للصهيونية السياسية، المرجع السابق، ص 82

4 - موسى دايان (1915-1981 م): عسكري وسياسي صهيوني بارز، ولد عام 1915 في مستوطنة ديجانيا كفويزة في فلسطين، هاجر والده إلى فلسطين في أوائل القرن، وكان من البارزين في حزب الماباي، انضم موسى إلى المجموعة الإرهابية (الهاغاناه) ، ثم تعلم في مدرسة كبار الضباط في بريطانيا، وعمل مع وحدة الضابط البريطاني "وينغيت" في مقاومة ثورة (فلسطين الكبرى) 1936 - 1939 م، وتدريب على العمليات الانتقامية الخاطفة والهجمات الليلية. في خلال حرب عام 1948 م قاد الكتيبة الإسرائيلية التي احتلت اللد والرملة وهو منذ ذلك الحين بدأ نجمه يسطع. في عام 1950 م عين قائدا للقطاع الجنوبي، ثم قائدا للقطاع الشمالي بعد سنة، وتولى بعد ذلك رئاسة المخابرات العسكرية، ثم عين قائدا لعمليات الجيش ورئيسا للأركان ما بين عامي 1953 و 1958 م. وكانت حملة إسرائيل على سيناء من أبرز نجاحاته العسكرية. عين وزيرا للخارجية في حكومة مناحيم بيغن في عام 1977 م، وكان أحد أبرز صناع معاهدة الصلح

ويقول الحاخام "ميمون" أول وزير إسرائيلي للشؤون الدينية: "إن الرباط بين إسرائيل وأرضها ليس كالرباط الذي يشد جميع الأمم إلى بلادها و أوطانها، فهو لدى تلك الأمم - وفي أجلى مظاهره- رباط سياسي علماني، ورباط خارجي وعرضي مؤقت. بينما الرباط القائم بين الشعب اليهودي وبلاده، كناية عن سرّ خفيّ من القداسة، فالشعب والأرض قد أنعم عليهما بتاج القداسة حتى في زمن خرابهما، والرباط الذي يشدهما رباط سماوي أبدي وأزلي".<sup>2</sup>

وقد جاء إعلان قيام دولة "إسرائيل" الصادر عشية الخامس عشر من آيار 1948 مؤكداً أن: "أرض إسرائيل مهد الشعب اليهودي، هنا تكونت هويته الروحية والدينية والسياسية، وهنا أقام دولته أول مرة وخلق قيماً حضارية ذات مغزى قومي وإنساني جامع، وفيها أعطى العالم كتاب الكتب الخالد. وبعد أن نُفي من بلاده عنوة، حافظ الشعب على إيمانه بها طوال مدة شتاته، ولم يكفّ عن الصلاة أو يفقد الأمل بعودته إليها واستعادة حريته السياسية فيها".<sup>3</sup>

وهكذا تتردد دائماً على ألسنة الزعماء الصهيونيين الإسرائيليين العبارات نفسها، سواء أكانوا من اليمين أو من اليسار، أعضاء في حزب العمل أو الليكود، ناطقين باسم الجيش أم باسم الحاخامية، وتتردد على ألسنتهم جميعاً أدلة أو ذرائع من التوراة، يقيمون على أساسها

---

مع مصر، استقال من الحكومة عام 1979 م . يعد دايان من أبرر جيل ال(سابرا) (اليهود الذين ولدوا في فلسطين، ووصلوا إلى مناصب عليا في الدولة الإسرائيلية).

1 - روجيه جارودي المرجع السابق، ص 83

2 - محمد بن علي بن محمد آل عمر: عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، مرجع سابق ص 215-216

3 - محمد بن علي بن محمد آل عمر: عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، مرجع سابق ص 216

أية مطالبة بالأرض، أيّ يستندون إلى "حق إلهي" في ملكيتهم لفلسطين. ويجري كل شيء كما لو كان الأمر أمر استعراض لعقد هبة وقّعها الرب، تبيح لهم حق تجريد كل من يعيش في فلسطين من أرضه ليضعوا هم يدهم عليها.<sup>1</sup>

بعد كل هذه الادعاءات - وغيرها كثير - علينا الآن الغوص في فحوى نصوص العهد القديم لنستقرئ ونستبين مدلولات هذا الوعد والعهد الأزلي الذي قطعه الرب على نفسه، بناء على دلالات الألفاظ وتفسير الكتاب المقدس، فالحقائق قد تغيّب أو تُغيّب ولكنها لا تندثر، يقول الدكتور "حسن ظاظا"، أستاذ العبرية بجامعة الاسكندرية: "قد يستطيع الانسان تزييف الحقائق، و قد يسهل عليه الكذب فيكذب حتى يصدق هو نفسه أكاذيبه، و ينسى أنّه مخترعها الأصلي، و لكن يبقى دائما شيء واحد، الكلمة المكتوبة منذ آلاف السنين، و الآثار التي تحدد بالضبط عمر الأشياء و عمقها، و مخطوطات التاريخ التي تضل دائما هي المرجع و كلمة الصدق الوحيدة التي لا تميل مع أهواء البشر، و حتى إذا حدث و مالت فبين سطورها تستطيع الحقيقة دائما أن تجد لها مكانا"<sup>2</sup>...

إذاً ما حقيقة هذه الوعود، ولمن أُعطيت؟، وما هي حدود الأرض الموعودة؟، وهل كانت هذه الوعود مطلقة بلا مقابل، ولا قيّد ولا شرط؟.

وأول النصوص عندهم التي تصرح إعطاء أرض فلسطين وما حولها لإبراهيم عليه السلام ونسله ما جاء على زعمهم في العهد القديم على لسان الرب:

1 - روجيه جارودي المرجع السابق، ص 83

2- ظفر الإسلام خان: التلمود تاريخه و تعاليمه، دار النفائس، بيروت، 1985، ط 6، ص 92.

وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ: "اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الْأَرْضِ  
الَّتِي أُرِيكَ. فَأَجْعَلْكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعْظِمَ اسْمَكَ، وَتَكُونُ بَرَكَهً. وَأُبَارِكَ مُبَارِكَكَ،  
وَلَأَعِينَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكَ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ". <sup>١</sup> فَذَهَبَ أَبْرَامُ كَمَا قَالَ لَهُ الرَّبُّ وَذَهَبَ  
 مَعَهُ لُوطٌ. وَكَانَ أَبْرَامُ ابْنُ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً لَمَّا خَرَجَ مِنْ حَارَانَ. <sup>٢</sup> فَأَخَذَ أَبْرَامُ سَارَائِي  
 امْرَأَتَهُ، وَلُوطًا ابْنَ أَخِيهِ، وَكُلَّ مُقْتَنِيَاهُمَا الَّتِي اقْتَنِيَا وَالثُّفُوسَ الَّتِي امْتَلَكَا فِي حَارَانَ. وَخَرَجُوا  
لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَوْا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. <sup>٣</sup> وَاجْتَاَزَ أَبْرَامُ فِي الْأَرْضِ إِلَى مَكَانِ شَكِيمَ  
إِلَى بَلُوطَةَ مُورَةَ. وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ حِينِيذٍ فِي الْأَرْضِ. <sup>٤</sup> وَظَهَرَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ وَقَالَ: "لِنَسْلِكَ  
أُعْطِي هَذِهِ الْأَرْضَ". <sup>٥</sup> فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ. <sup>٦</sup> ثُمَّ نَقَلَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْجَبَلِ  
 شَرْقِيٍّ بَيْنَ إِيلٍ وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ. وَلَهُ بَيْتٌ إِيلَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَعَائِي مِنَ الْمَشْرِقِ. فَبَنَى هُنَاكَ  
 مَذْبَحًا لِلرَّبِّ وَدَعَا بِاسْمِ الرَّبِّ. <sup>٧</sup> ثُمَّ اِرْتَحَلَ أَبْرَامُ اِرْتِحَالًا مُتَوَالِيًا نَحْوَ الْجَنُوبِ. [تكوين 12: 1-9]  
 جاء في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس وهو يفسر ويشرح هذا المقطع: "انتقل أبرام  
 بالإيمان من أور الكلدانية إلى حاران ومنها إلى كنعان، فقطع الله معه عهدا وأخبره أنه  
 سيكون مؤسسا لأمة عظيمة. وقال له أيضا إنه لن يبارك هذه الأمة فحسب ، بل سيبارك  
 بها أمم العالم الأخرى. وكل ذلك من أجل أبرام. فأمة بني إسرائيل التي ستخرج من أبرام،  
 ستكون شعبا يتبع الله، ويكون لها تأثيرها في الشعوب الذين تتصل بهم. ونحن أيضا علينا أن  
 ننقل محبة الله لجميع الأمم، وليس لأمتنا فقط. ومن شجرة عائلة أبرام سيولد يسوع المسيح  
ليخلص البشرية..." <sup>1</sup>

1- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: التعريب والجمع التصويري والمونتاج والأعمال الفنية شركة ماستر ميديا، القاهرة، الطبعة  
 الرابعة، 2002، الشركة العالمية للكتاب المقدس، المملكة البريطانية، ص 33

بكل بساطة قبلت الكنيسة وشارحي كتبها المقدسة هذا الأمر دون مناقشة ولا معارضة، ولكن ما سرّ هذا التبسيط والسذاجة في الطرح والتفسير؟، لقد حاولوا تبرير هذا الاختيار لهدف بعينه وهو أن الله أراد منه تكوين سلالة بشرية ينحدر منها السيد المسيح، وقد ألفوا في ذلك كتباً عديدة ، ولكن على فرض أن عيسى ابن مريم هو المسيح المخلص بالفعل، الذي أرسله الله ليقوم بهذا التخليص، ما هي علاقة الانحدار السلالي بعملية التخليص؟، وهل لابد من الانحدار من سلالة معينة للقيام بأعباء التخليص؟، أفلا يجوز للإله أن يضع رسالته إلا في سلالة معينة؟، وهل تعيين سلالة ما لتخريج المخلص بيولوجيا يعني بالضرورة أفضلية هذه السلالة اللاأخلاقية على سائر البشر؟، أليس العكس أقرب إلى المنطق والصواب. فإن كان لابد من التفضيل، فعلى أساس الأخلاقية، أي أن أخلاقية السلالة تكون سببا لاختيارها وعاء للرسول أو الرسالة، بدلا من العكس.<sup>1</sup> هذا ما يفسر لنا فيما بعد، كثيرا من الانحياز الكنسي (النصرانية) للقضية اليهودية، ليس حبًا في اليهود فالعلاقة بينهم علاقة كره دفين، لأن النصراني لن يغفروا لقاتلي وصالي المسيح على زعمهم، فدفاعهم عنهم ما هو في الحقيقة إلاّ دفاعا عن ذواتهم، وعن السلالة التي سينحدر منها المسيح المخلص فحسب.

والسؤال يبقى مطروحا على النصوص ومفسرها، هل هذه الأعطية لإبراهيم عليه السلام لها سبب، أم مجرد أعطية دون سبب ولا مقابل؟.

---

1 - إسماعيل راجي الفاروقي: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، مكتبة وهبة- دار التضامن للطباعة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1988، ص 23-24



يجيبنا على هذا التساؤل "الغز" وبعقلية نقدية حصيفة إسماعيل راجي الفاروقي و هو يشرح في الإصحاح الذي قبله الحادي عشر(11)، مقاييس ومعايير التفضيل ، والتي ردها جميعا إلى المعيار الأخلاقي، فبه فضل الله هابيل على قابيل،<sup>1</sup> وبذات المعيار الأخلاقي كان تفضيل نوح عليه السلام على سائر البشر وفسادهم.<sup>2</sup>

ولكن عند انتقاله للإصحاح الثاني عشر (12)، وذكر النص المتعلق بالعهد والوعد، وجد أن الأمر تغير تماما، وسقطت كل المقاييس و المعايير الأخلاقية للتفضيل، ليستند هذه المرة الاختيار إلى غير المعيار الأخلاقي، ويصبح مجرد وعد وعهد "هبة" تلقائي (donation) فقال: " إذا ما أدرنا الطرف إلى الإصحاح الذي يلي ، أي الإصحاح الثاني عشر وجدنا تفصيلا غريبا، نقرأ: " وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ: "أَذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُرِيدُ. <sup>2</sup> فَأَجْعَلْكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأَبَارِكْكَ وَأُعْظِمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. <sup>3</sup> وَأَبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلَا عَيْنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ". فهذا الأمر خطير جدا، يترك الأب والعشيرة والأرض والمجرة إلى المجهول، ثم الوعد بأن يجعل الله لإبراهيم أمة عظيمة

1 - ورد في [تكوين 4: 2-7] " وَكَانَ هَابِيلُ رَاعِيًا لِلْغَنَمِ، وَكَانَ قَابِيلُ عَامِلًا فِي الْأَرْضِ. وَوَحَدَتْ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ أَنَّ قَابِيلَ قَدَّمَ مِنْ أُنْمَارِ الْأَرْضِ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ، وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِيهَا. فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ، وَلَكِنْ إِلَى قَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ. فَاعْتَاطَ قَابِيلُ جِدًّا وَسَقَطَ وَجْهَهُ. فَقَالَ الرَّبُّ لِقَابِيلَ: "مَاذَا اغْتَنَطْتَ؟ وَمَاذَا سَقَطَ وَجْهُكَ؟" <sup>7</sup> إِنْ أَحْسَنْتَ أَفْلا رَفَعْتَ؟ وَإِنْ لَمْ تُحْسِنْ فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيئَةٌ رَابِضَةٌ، وَإِلَيْكَ اسْتِنْيَافُهَا وَأَنْتَ تَسْوَدُ عَلَيْهَا".

2 - ورد في [تكوين 6: 5-9] " وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الْإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الْأَرْضِ، (...) فَقَالَ الرَّبُّ: "أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ الْإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الْإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمِ وَدَبَابَاتِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لِأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ". وَأَمَّا نُوحٌ فَوُجِدَ نِعْمَةً فِي عَيْنِي الرَّبِّ. <sup>9</sup> هَذِهِ مَوَالِيدُ نُوحٍ: كَانَ نُوحٌ رَجُلًا بَارًّا كَامِلًا فِي أَجْبَالِهِ. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللَّهِ. "، وكذلك جاء في موضع آخر [تكوين 7: 1]: " وَقَالَ الرَّبُّ لِنُوحٍ: "ادْخُلْ أَنْتَ وَجَمِيعُ بَيْتِكَ إِلَى الْفُلِّ، لِأَنِّي إِيَّاكَ رَأَيْتُ بَارًّا لَدَيَّ فِي هَذَا الْجِيلِ".

مباركة، ومباركة جميع من حولها، لا تذكر التوراة سببا له؟. قلب التوراة من أولها إلى آخرها، فلن تجد فيها تعليلا لهذا الأمر والعهد، بل على العكس، أنت تجد أن كل ما حصل في التاريخ مبنيّ بناء سببيا، مباشرة على هذا الأمر والعهد، فهو ليس بمعلول، بل علة كل معلول، هو العلة الأولى التي لا تفسير ولا داعي ولا سبب لها، وهذا هو التفضيل الذي يمكن أن يتخذ أساسا للانفرادية عن سائر البشر.

وفعلا كان، فقد بنى عليه اليهود نظرية تفوقهم وانفراديتهم على الناس، وأفضليتهم على جميع المخلوقات في نظر الخالق، وعليه وقفوا تكوينهم أمة فريدة تقف من الأمم موقف المختر الذي يتمتع بحقوق ليست لغيره، وهم يعترفون بل يفتخرون، بأنهم أبناء إبراهيم الذي اختير وفُضِّل على العالمين. وهم يعلنون أن هذا الاختيار لم يكن أخلاقيا، وليس له علة، فاصطفاء الإله لإبراهيم أمرٌ عرقي، تلقائي، قام به الإله لسرِّ في نفسه، لعله حينه إلى هذا الشعب من دون الشعوب... بل أكثر من هذا، فاليهود يقولون بأن هذا التفضيل هو عقد دخل فيه الإله، فهو ملزم به إلى الأبد، وأفضلية اليهود أزلية لن تتغير، والعقد الذي دخل فيه الإله ذو اتجاه واحد، فهو عهد لا عقد في المعنى القانوني، لأن العقد يلزم طرفين الربّ من جهة وشعب إسرائيل من الجهة الأخرى، إلا أنه في هذه الحالة، لا يلزم إلا جانبا واحدا هو جانب الإله المتعاقد. ولتحويل العقد إلى عهد تاريخ طويل، فاليهود يسمون أنفسهم "شعب الميثاق"، إشارة إلى هذا العقد أو العهد الإلهي المقطوع إلى إبراهيم وذريته.<sup>1</sup>

---

1 - إسماعيل راجي الفاروقي، أصول الصهيونية في الدين اليهودي، مرجع سابق، ص 29-30

والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة: ألا يوجد تبرير منطقي واضح لهذا الاختيار، كيف توضع له ضوابط أخلاقية في هايل وقايل وفي نوح، ثم تسقط هذه الضوابط فجأة في الإصحاح الذي يليه دون مبرر؟.

حاول اليهود الإجابة و تبرير اختيار إبراهيم عليه السلام على رأيين:

الأول: يعتمد على أخلاقية الرسالة اليهودية القائمة على التوحيد، فهو يبرر الاختيار بالبعد الأخلاقي، ذلك أن الله اختص اليهود بالرسالة كي يحقق سيطرة القانون الأخلاقي المطلق في العالم، فاليهود في هذا الرأي "شعب الله المختار" لأنهم باختصاصهم أمة قائمة على التوحيد والتوراة، والتوراة هي القانون الأخلاقي المطلق، يضربون بذلك المثل الأعلى للكمال الخلقى في العالم، وعليه تم اختيارهم وخصهم بالوعد دون سواهم، عن طريق إبراهيم عليه السلام.<sup>1</sup>

الثاني: ويعتمد على نظرية العهد المقطوع ذي الاتجاه الواحد، - التي ترددها التوراة في كل صفحة من صفحاتها تقريبا -، إذ يضع على عاتق اليهود واجب الالتزام بالقانون الأخلاقي العام، وإذا كان هذا القانون هو التوراة فقد نشأ الموجب الأخلاقي عليهم وهو الالتزام بأوامر ونواهي القانون الرباني، فإن أعرضوا ولم يلتزموا ولم يمثلوا الأمر - الذي يفيد الوجوب- لم يحققوا الواجب، فحتما سينقض هذا الاختيار، وهذه سنة الله في خلقه، ولكن في الموقف اليهودي يتغير الحال -دون سبب- ويصبح الاختيار أزليا غير قابل للنقض، وعلى هذا فالتزامهم بالقانون أو عدم التزامهم به سواء، فالقانون الأخلاقي نفسه غير

---

1 - لمزيد من التفصيل أنظر إسماعيل راجي الفاروقي، أصول الصهيونية في الدين اليهودي، مرجع سابق، ص 21-22

ضروري ولا علاقة ضرورية بينه وبين الاختيار، أي أن الاختيار في الاعتقاد اليهودي لم يكن قط مشروطا بالالتزام والتطبيق، فهذا يبقى مستقلا عنهما. لذا فالتوراة تردد مرارا أن اختيار الله لبني إسرائيل ليس بسبب أخلاقيتهم، فهذا القول الصريح لا يترك مجالاً للشك في أنها - أي نصوص التوراة-، تحذر اليهود من أن ينسبوا اختيار الرب لهم إلى أي شيء خلقي، ويؤكد أن الله اختارهم بالرغم من عدم أخلاقيتهم، وكمثال جلي وواضح على ذلك تقول التوراة: "اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ، أَنْتِ الْيَوْمَ عَابِرُ الْأَرْضِ لِكَيْ تَدْخُلِي وَتَمْتَلِكِي شُعُوبًا أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكَ، وَمُدُنًا عَظِيمَةً وَمُحَصَّنَةً إِلَى السَّمَاءِ. <sup>2</sup> قَوْمًا عِظَامًا وَطَوَالًا، بَنِي عَنَاقَ الَّذِينَ عَرَفْتَهُمْ وَسَمِعْتِ: مَنْ يَقِفُ فِي وَجْهِ بَنِي عَنَاقَ؟ فَاعْلَمِي الْيَوْمَ أَنَّ الرَّبَّ إِلَهُكَ هُوَ الْعَابِرُ أَمَامَكَ نَارًا آكِلَةً. هُوَ يُبِيدُهُمْ وَيُذِئُهُمْ أَمَامَكَ، فَتَطْرُدُهُمْ وَتُهْلِكُهُمْ سَرِيعًا كَمَا كَلَّمَكَ الرَّبُّ. <sup>4</sup> لَا تَقُلِي فِي قَلْبِكَ حِينَ يَنْفِيهِمُ الرَّبُّ إِلَهُكَ مِنْ أَمَامِكَ قَائِلًا: لِأَجْلِ بَرِّي أَدْخَلَنِي الرَّبُّ لِأَمْتِكَ هَذِهِ الْأَرْضَ... لَيْسَ لِأَجْلِ بَرِّكَ وَعَدَالَةِ قَلْبِكَ تَدْخُلِي لِتَمْتَلِكِي أَرْضَهُمْ، بَلْ... لِكَيْ يَفِي بِالْكَلامِ الَّذِي أَقْسَمَ الرَّبُّ عَلَيْهِ لِآبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ. <sup>6</sup> فَاعْلَمِي أَنَّهُ لَيْسَ لِأَجْلِ بَرِّكَ يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ هَذِهِ الْأَرْضَ الْجَيِّدَةَ لِتَمْتَلِكِيهَا، لِأَنَّكَ شَعْبٌ صَلْبُ الرَّقَبَةِ. " [تثنية 9: 1-6]، فهذا دليل واضح يمنع اليهود تبرير اختيارهم على أي أساس خلقي.<sup>1</sup>

وهذا ما يفسر جنوح ساسة الصهاينة للعلمانية، وعدم الالتزام لا بالبعد الأخلاقي، ولا بتعاليم القانون الرباني، لكنهم مع ذلك سعوا بكل قوة، لتأسيس دولة صهيون السياسية على أساس الوعد الديني، وكأن لسان حال الواحد منهم يقول: "أنا لا أطبق التعاليم

1 - إسماعيل راجي الفاروقي، أصول الصهيونية في الدين اليهودي، مرجع سابق، ص 22-23

والأوامر الدينية، وفي ذات الوقت، لا أتنازل عما أعطانيه يهوه عبر وثيقة العهد القديم، ولو خالفتُ أنا تعاليمه، ولو خالف العهد القوانين و الأعراف الدولية."

هذا هو الأساس الذي تقوم عليه الرؤية الصهيونية، " فأرض إسرائيل"، هي الأساس والصخرة التي تقوم عليها الأيديولوجية الصهيونية، وهي خليط قَوِي مُشَكَّلَة من اليهودية القديمة والقومية الحديثة، التي تحتفي بالوعد الذي أُعطي لإبراهيم، وتزعم أن مملكة داود هي تعبيرها السياسي، ونموذجها الحديث المانح للشرعية في حد ذاته... لذا حذر دافيد بن جوريون<sup>1</sup> السلطات البريطانية عن طريق "اللورد بيل"، والبعثة الملكية سنة 1936 قائلا: " إن الكتاب المقدس هو مصدر الملكية لنا"<sup>2</sup>... " فَاَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ لِأَجْلِ بَرِّكَ يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ هَذِهِ الْأَرْضَ الْجَيِّدَةَ لِتَمْتَلِكَهَا، لِأَنَّكَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ. " [تثنية 9: 6]

وقد كشف الباحثون في مقارنة الأديان من أمثال ألبير دو بوري (Albert De Pury) أستاذ العهد القديم في كلية اللاهوت البروتستانتية في جنيف (سويسرا)، وهو يلخص أطروحته للدكتوراه، السبب الحقيقي وراء العهد والوعد غير المبرر بقوله: "إن أكثرية المفسرين اعتبروا ويعتبرون الوعد الأبوي، في صورته التقليدية- (أنظر مثلا، سفر التكوين 13:7-14 أو سفر التكوين 15:18-21). - مجرد تبرير لما وقع في الغزو الإسرائيلي لفلسطين، أو بصورة أوضح ، لاتساع السيادة أو الهيمنة الإسرائيلية، أيام حكم داود. وبتعبير آخر، فإن الوعد

1 - يصفه جون روز بقوله: كان يوصف بأنه "موحد وقح"، ولم يوصف بأنه ملحد ذلك لاعتقاده بقدرة العقل البشري على تحقيق أهدافه وكان ينكر مركزية الدين كقوة أصيلة في القومية اليهودية الحديثة، إلا أنه كان صانعا بارعا للأساطير ومستخدمها لها وللدين كلما احتاج إليهما، كما برع في إعادة تفسير الدين بحيث يناسب الحاجات السياسية الحديثة ومبررها الأيديولوجي. أنظر تفصيل ذلك عند جون

روز: أساطير الصهيونية، ترجمة قاسم عبده قاسم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الأولى 2006، ص 23-27

2 - جون روز: أساطير الصهيونية، مرجع سابق، ص 21-22

الذي أدخل في القصة البطيركية، تمَّ بُغية أن تجعل " ملحمة الأجداد" مقدمة وإعلاناً عن العهد الذهبي أيام داود وسليمان.<sup>1</sup>

إذاً هي محاولة إحياء النصر القديم المدفون في ثنايا صفحات تاريخ الكتاب المقدس، وبعثها في ثوب جديد على نفس المكان بأي ثمن، ويصبح التاريخ جزءاً من الواقع يمتد إليه، بل ويتمدد فيه. لذا جاء في تقرير الأمم المتحدة لسنة 1947 عن فلسطين في الصفحة 146: "أن تُحتل فلسطين، كأرض مقدسة، وضعا فريداً في العالم..."<sup>2</sup> وهذا ما يفسر شدة إلحاح قادة إسرائيل دائماً وتردادهم للأسطوانة القديمة الجديدة المتمثلة في "الحجة التوراتية" لترسيخ المطالب الإقليمية والحقّ الإلهي في التملك بفلسطين، وترسيخ شريعة الأعمال الإرهابية ضد العرب والمسلمين وإسباغ الشرعية على كيانهم السياسي. فيروى عن بن غوريون قوله: "إني أعتبر يشوع هو بطل التوراة". وفي رسالة وجهها إلى الجيش الإسرائيلي في 7 نوفمبر 1956 يقول: "لقد أرجعتمونا إلى المكان الذي أُعطينا فيه القانون، وفيه كلّفنا الرّب بأن نكون شعباً مختاراً، لقد رأينا بأم أعيننا الآيات التي لا تموت تحيا من جديد، الآيات التي تنبئنا عن رحيل أجدادنا من مصر وعن وصولهم إلى صحراء سيناء." ونقرأ قول جولدا مائير: "وجد هذا البلد كإنجاز لوعده صدر عن الرّب بالذات". ويقول مناحيم بيغن: "وعدنا هذه الأرض ولنا عليها حقوق". ثم نقرأ ما قاله الجنرال موشيه دايان لجريدة الجيروزاليم

1 - روجيه غارودي: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة حافظ الجمالي-صباح الجيهم، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، و دار الفرابي، بيروت، الطبعة الثالثة 2001، ص 43-45 وانظر إبراهيم خليل أحمد: إسرائيل فتنة الأجيال العصور القديمة، مرجع سابق، ص 175 وما بعدها

2 - إبراهيم خليل أحمد: إسرائيل فتنة الأجيال العصور القديمة، مرجع سابق، ص 172

بوست 10/08/1976: " إذا كنّا نملك التوراة وإذا ما اعتبرنا أنفسنا شعب التوراة وجب علينا احتلال الأراضي التوراتية ، أراضي قضاة و رؤساء القدس والخليل وأريحا وغيرها من الأمكنة.<sup>1</sup>"

قال سبينوزا اليهودي- وهو من أكبر فلاسفة التاريخ - : " لم يكن حبّ اليهود لوطنهم حبًا بسيطًا، بل كان أشبه شئ بالورع، فهذا الورع - مع ما رافقه من الاحتقار للشعوب الأخرى استعلاء- كان ينمو يوما فيوما، مع ممارسة اليهود لديانتهم حتى أصبح متأصلا في نفوسهم.<sup>2</sup>"

إن مسألة العهد لا تتوقف عند هذا الحدّ، بل لها امتداد عميق في تشكيل العنصرية اليهودية التي سيطرت على المخيال اليهودي الفردي والجماعي ، وجعلت منه شعبا مقدسا قدسية العهد ذي الاتجاه الواحد، كما سنبينه في المباحث اللاحقة من هذه الدراسة، لذا فإن فلسفة اختيار إبراهيم عليه السلام وامتداداتها، جعلت اسماعيل راجي الفاروقي يصل إلى نتيجة مهمة عبر عنها بقوله: "نستخلص من هذا البحث أن الاختيار الإبراهيمي لا مبرر ولا علة له، وكونه بدون سبب يجعل منه أساسا صالحا لبناء العنصرية. فالعنصرية تقول: "أنا أفضل منك لأني أنا" ولو جاءت بأي سبب معقول أو غير معقول، حقيقي أو كاذب، لفسدت العنصرية وأصبحت لا عنصرية. فهي تأتي ثمارها فقط طالما أن لا سبب موجود، أو ممكن

---

1 - علي خليل: اليهودية بين النظرية والتطبيق " مقتطفات من التلمود والتوراة"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1997، ص 45 و 154. وانظر أيضا روجيه غارودي: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، المرجع السابق، ص 42، وكذا روجيه جارودي: ملف اسرائيل دراسة للصهيونية السياسية، المرجع السابق، ص 28-30

2 - إبراهيم خليل أحمد: اسرائيل فتنة الأجيال العصور القديمة، مرجع سابق، ص 174

الوجود." أنا أفضل منك لأني أنا فحسب". فلا عجب إن اتخذت الصهيونية اصطفاة إبراهيم ركنا أولا لها، ولا عجب أن شيدت تفكيرها. كما فعل الدين اليهودي نفسه، على أساس ميثاق إبراهيم، ذي الاتجاه الواحد.<sup>1</sup>

بوضع قاعدة العنصرية هذه أمام أعيننا "أنا أفضل منك لأني أنا فحسب" يمكن أن نقرأ باقي النصوص الواردة في العهد القديم، والتي تنص على العهد والميثاق الإبراهيمي، والتي تصوغ النفسية وتشكل العقلية اليهودية وكذا الصهيونية بهذا الشكل.

ومن هذه النصوص مايلي:

"<sup>١٢</sup> أَبْرَامُ سَكَنَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَلُوطٌ سَكَنَ فِي مُدُنِ الدَّائِرَةِ، وَنَقَلَ خِيَامَهُ إِلَى سَدُومَ. <sup>١٣</sup> وَكَانَ أَهْلُ سَدُومَ أَشْرَارًا وَخُطَاءً لَدَى الرَّبِّ جِدًّا. <sup>١٤</sup> وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ، بَعْدَ اعْتِرَالِ لُوطٍ عَنْهُ: "ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَأَنْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شِمَالًا وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَعَرْبًا، <sup>١٥</sup> لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الْأَبَدِ. <sup>١٦</sup> وَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَثْرَابِ الْأَرْضِ، حَتَّى إِذَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يُعَدَّ ثَرَابِ الْأَرْضِ فَتَسْلُكَ أَيْضًا يُعَدُّ. <sup>١٧</sup> قُمْ امشِ فِي الْأَرْضِ طَوْلَهَا وَعَرْضَهَا، لِأَنِّي لَكَ أُعْطِيهَا". [تكوين 13: 12-17]، وكذا [تكوين 18: 1-8].

هذا من جهة ومن جهة أخرى هناك نصوص من العهد القديم تبين لنا الكيفية التي تجسّد بها هذا الوعد... إنها طريقة بشعة ووحشية لا نظير لها، تجعلها أرض مغزوة لا أرض موعودة، وتجعل يهوه إله العبرانيين ينحاز إلى شعبه المختار انخيازًا دمويًا، فيعطيهم حق سلب واغتصاب الأراضي بما فيها ومن فيها، من الشعوب التي عمّروها، واستقروا بها أمدًا



بعيدا، فاستصلحوها وزرعوها بشق الأنفس ، و ورثوها كابرا عن كابر، فيأمرهم بتوزيعها بين أحبائه اليهود غصبا دون وجه حق، ودون مجرد التفكير في دعوة هذه الشعوب للدين الجديد، القائم على العدل والتوحيد، فبدلا من التعايش مع تلك الشعوب، والعمل على هدايتهم الصراط المستقيم - وهذه وظيفة الأنبياء ومن اهتدى بهديهم-، بدلا من ذلك يأمرهم بالمجازر وجرائم الحرب، وكأن الأرض أقدس من دعوة الأغيار، ونصحهم لاتباع طريق التوحيد والحق والخير والجمال والقيّم ، فيكتمل المشهد التوراتي ويعلن التجافي عن البعد الأخلاقي بإقرار حقيقة عنصرية مُرّة مفادها أن امتلاك "الطين"، أقدس عند الربّ من الدعوة للدين. لذا قال على زعمهم: " <sup>٢</sup> فَتَطْرُدُونَ كُلَّ سَكَّانِ الْأَرْضِ مِنْ أَمَامِكُمْ، وَتَمْحُونَ جَمِيعَ تَصَاوِيرِهِمْ، وَتُبِيدُونَ كُلَّ أَصْنَامِهِمِ الْمَسْبُوكَةِ وَتُخْرِثُونَ جَمِيعَ مُرْتَفَعَاتِهِمْ. <sup>٣</sup> تَمْلِكُونَ الْأَرْضَ وَتَسْكُنُونَ فِيهَا لِأَنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمْ الْأَرْضَ لِكَيْ تَمْلِكُوهَا، <sup>٤</sup> وَتَقْتَسِمُونَ الْأَرْضَ بِالْقُرْعَةِ حَسَبَ عَشَائِرِكُمْ. الْكَثِيرُ تُكْثِرُونَ لَهُ نَصِيبَهُ وَالْقَلِيلُ تُقَلِّلُونَ لَهُ نَصِيبَهُ. حَيْثُ خَرَجْتَ لَهُ الْقُرْعَةُ فَهُنَاكَ يَكُونُ لَهُ. حَسَبَ أَسْبَاطِ آبَائِكُمْ تَقْتَسِمُونَ. <sup>٥</sup> وَإِنْ لَمْ تَطْرُدُوا سَكَّانَ الْأَرْضِ مِنْ أَمَامِكُمْ يَكُونُ الَّذِينَ تَسْتَبِقُونَ مِنْهُمْ أَشْوَاكًا فِي أَعْيُنِكُمْ، وَمَنَاخِسَ فِي جَوَانِبِكُمْ، وَيُضَايِقُونَكُمْ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ سَاكِنُونَ فِيهَا. <sup>٦</sup> فَيَكُونُ أُنِّي أَفْعَلُ بِكُمْ كَمَا هَمَمْتُ أَنْ أَفْعَلَ بِكُمْ" .... [العدد 52:33-56] .

وجاء في [تثنية 1:1-3]: " <sup>١</sup> مَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا، وَطَرَدَ شُعُوبًا كَثِيرَةً مِنْ أَمَامِكَ: الْحِثِّيِّينَ وَالْجُرْجَاشِيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْكَنَعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحَوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، سَبَعَ شُعُوبٍ أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكَ، <sup>٢</sup> وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلَهُكَ أَمَامَكَ، وَضَرَبْتَهُمْ، فَإِنَّكَ تُحَرِّمُهُمْ. لَا تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلَا تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ، <sup>٣</sup> وَلَا تُصَاهِرْهُمْ. بَنَتَكَ لَا تُعْطِ لِابْنِهِ، وَبِنْتَهُ لَا تَأْخُذُ لِابْنِكَ. "

وقال على زعمهم في [تكوين 9: 3]: "فَاعْلَمْ الْيَوْمَ أَنَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ هُوَ الْعَابِرُ أَمَامَكَ نَارًا آكِلَةً. هُوَ يُبِيدُهُمْ وَيُذِئُهُمْ أَمَامَكَ، فَتَطْرُدُهُمْ وَتُهْلِكُهُمْ سَرِيعًا كَمَا كَلَّمَكَ الرَّبُّ. وكذا ورد [تثنية 20: 10-18] قوله على زعمهم: "حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، <sup>11</sup> فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ. <sup>12</sup> وَإِنْ لَمْ تُسَالِمَكَ، بَلْ عَمَلْتَ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا. <sup>13</sup> وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلَيْكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. <sup>14</sup> وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْنَمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةً أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ. <sup>15</sup> هَكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ هَوْلَاءِ الْأُمَمِ هُنَا. <sup>16</sup> وَأَمَّا مُدُنُ هَوْلَاءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ نَصِيبًا فَلَا تَسْتَبِقْ مِنْهَا نَسَمَةً مَّا، <sup>17</sup> بَلْ تُحَرِّمُهَا تَحْرِيمًا: الْحَيْثِيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْكَنَعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِيِّينَ وَالْحَوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ.

وغير هذه النصوص الدموية كثير، و لذلك فإن الحركة الصهيونية في العصر الحديث. تبنت نفس المنهجية الإقصائية بجمعها اليهود من كل أنحاء العالم، ومحاولة توطينهم بالقوة في أرض فلسطين عن طريق فتح أبواب الهجرة، وفي الجهة المقابلة طرد شعبها بالمجازر والحديد والنار عن طريق التهجير القسري، كل ذلك لإقامة دولتهم تنفيذاً لأوامر الرب باسم قانون الاحتلال الصهيوني "أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض" والتي سنفصل فيها لاحقاً.

و يعلق روجيه جارودي واصفاً تطبيق الصهيونية العملي، وتفعيلها مثل هذه النصوص بقوله: "(...) وعندما تقوم الحكومة بتقديم مثل هذه الألوان من الإرضاء لغلاة المتطرفين، فإنها تتلقى في مقابلها الجزء الأوفى من ناحية التبريرات العقيدية: فلم يقتصر

الحاخامات على القول بأن أرض لبنان المحتلة هي أرض قبيلة "عاشو"، بل ذهبوا إلى حد اعتبار المذابح مشروعة دينيا، من أجل متطلبات القضية، فتدمير مدينتي "صور" و"صيدا"، ودكّ "بيروت" بالقنابل، ومجازر "صبرا" و"شاتيلا" لم تكن فقط امتدادا لمذابح "دير ياسين" التي ارتكبتها عصابات بيغن<sup>1</sup> عام 1948 (المعروف باسم "إرجون")، ومذابح "قبية" و"كفر قاسم"، والمذابح التي قام بها قتلة (الوحدة 101) بقيادة "شارون"، بل إنها كانت باسم الرسالة التوراتية لإسرائيل. وحكومة إسرائيل الحالية تكرر نفس العمل "المقدس"، الذي قامت به إسرائيل القديمة من إبادة للكنعانيين، وهي تتصرف اليوم مع العرب، كما فعل الأسلاف بالأمس مع الكنعانيين، ومع من سبقهم ممن احتلوا هذه الأرض. "إن مدن هذه الشعوب الموروثة إليك من مولاك الرب، هي الوحيدة التي لن تدع مخلوقا حيا يعيش فيها... بل ستجعلها محظورة على الحثيين والعموريين والفريزيين، كما أمرك مولاك الرب". أو كما جاء في الآية "الآن إذن، اضرب أموالك. واحظر عليه كل ما يملك. لا تترك له

---

1 - مناحم بيغن (1913-1993): زعيم إرهابي صهيوني، ورئيس وزراء إسرائيل السابق، ولد في برسك في بولندا عام 1913م، وتخرج من مدرسة الحقوق في جامعة وارسو. انضم عام 1929م إلى حركة بيتار اليهودية الحافظة. وصل إلى فلسطين عام 1924م جنديا، ثم انضم إلى المنظمة العسكرية القومية اليهودية (أرغون زيفاي ليومي) التي احتصر اسمها (أرغون)، ثم أصبح بيغن عام 1943م زعيما لهذه المنظمة. ومنذ ذلك العام (1943م) مارس بيغن الإرهاب بأنواعه كافة ضد المسلمين من أهل فلسطين (الجلد بالسياط، وتفجير الأماكن العامة، والإعدامات الجماعية... إلخ)، ومن أكبر أعماله الإرهابية مذبحه دير ياسين الرهيبة التي ذهب ضحيتها الأطفال والنساء والشيوخ، ونسف فندق الملك داود. ويعد بيغن من أشهر (الصقور) في إسرائيل ومن مؤيدي (إسرائيل الكبرى)، وهو لا يعترف بوجود الشعب الفلسطيني، ويرى أن ذلك نسفا لحق إسرائيل في البقاء، ويرى أن إقامة دولة فلسطينية عبارة عن عمل انتحاري للشعب اليهودي. انضم بيغن إلى الحكومة اليهودية لأول مرة في مايو 1967 عشية حرب يونيو، وفي عام 1973م أنشئ كتل ليكود وأصبح زعيما له، وتمكن للكود من الفوز في انتخابات عام 1977م، وأصبح بيغن رئيسا للوزراء، واستمر في ذلك المنصب حتى أكتوبر عام 1983م. من أبرز إنجازات بيغن بالنسبة إلى دولته اليهودية (إسرائيل): توقيع اتفاقية كامب ديفيد مع مصر عام 1978م، والتي حاز على أساسها جائزة نوبل للسلام مناصفة مع الرئيس المصري (السادات) عام 1979م.

شيئا. واقتل الكل، الرجال والنساء والأطفال والرضع، والأبقار والخراف والجمال والحمير." وهذا التبرير التوراتي للقتل، وهذا الإضفاء للشرعية على العدوانات المتتالية وضم أرض الغير من جانب الدولة الصهيونية الحالية، التي يقدمونها على أنها الوريث الشرعي والامتداد الطبيعي لإسرائيل التوراتية، يجعل اليهود يرضون ويقبلون ما لا يمكن قبوله عقلا، ويجعل كثيرا من المسيحيين يعتقدون بصحة بعض الأقوال الكاثوليكية، وبصحة أقوال مدارس الأحد البروتستانتية، وهم يسيرون مع غير وعي منهم، على سنن الأسطورة الصهيونية، التي أثبت علم التفسير منذ قرن، وبخاصة في السنين الأخيرة، عدم صحتها وفندها تفنيدا.<sup>1</sup>

---

1 - روجيه جارودي: ملف اسرائيل دراسة للصهيونية السياسية، المرجع السابق.

## حدود الأرض بين الحقيقة والخيال

الدارس للعهد القديم يجد نفسه في حيرة كبيرة، فإذا تجاوزنا موضوع العهد والوعد الذي قطعه الرب على نفسه من جهة واحدة دون تبرير ولا معيار للتفضيل، فهناك مسألة أخرى لا تقل أهمية عن الأولى، والتي يجب علينا مناقشتها وتسليط الأضواء عليها، وهي حدود هذه الأرض الموعود بها شعب الله المختار، أهى كل أرض فلسطين وما حولها؟. ألم يتحقق هذا الوعد في الماضي، ولا يوجد أصلاً داعي للمطالبة به من جديد؟.

الدارس لتاريخ الحركة الصهيونية وساستها يجد أنهم رسموا حدود إسرائيل ولكن في أذهانهم دون التصريح بها، مستندين في ذلك على زعم النصوص التوراتية. ففي عام 1937 صرح بن جوريون، أن أرض إسرائيل تضم خمس مناطق هي: جنوب لبنان حتى الليطاني (ويسمى هذا الجزء: شمال إسرائيل الغربي)، وجنوب سوريا، وعبر الأردن (وهو ما يطلق عليه اليوم شرق الأردن)، وفلسطين وسوريا. وتمر الحدود الشمالية بخط عرض مدينة حمص بسوريا، على أنها الحد الشمالي لكنعان والتي قال أنها هي مدينة حماة التي ورد ذكرها في سفر [العدد 34: 1-12]: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: <sup>٢</sup>أَوْصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّكُمْ دَاخِلُونَ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. هَذِهِ هِيَ الْأَرْضُ الَّتِي تَقَعُ لَكُمْ نَصِيبًا. أَرْضُ كَنْعَانَ بُتْحُومَهَا: <sup>٣</sup>تَكُونُ لَكُمْ نَاحِيَةُ الْجَنُوبِ مِنْ بَرِّيَّةِ صِينَ عَلَى جَانِبِ أَدُومَ، وَيَكُونُ لَكُمْ تُحْمُ الْجَنُوبِ مِنْ طَرْفِ بَحْرِ الْمِلْحِ إِلَى الشَّرْقِ، <sup>٤</sup>وَيَدُورُ لَكُمْ التَّحْمُ مِنْ جَنُوبِ عَقَبَةِ عَقْرِيَّيمَ، وَيَعْبُرُ إِلَى صِينَ، وَتَكُونُ مَخَارِجُهُ مِنْ جَنُوبِ قَادَشَ بَرْنِيَعِ، وَيَخْرُجُ إِلَى حَصْرٍ أَدَارَ، وَيَعْبُرُ إِلَى عَصْمُونَ. <sup>٥</sup>ثُمَّ يَدُورُ التَّحْمُ مِنْ عَصْمُونَ إِلَى وَادِي مِصْرَ، وَتَكُونُ مَخَارِجُهُ عِنْدَ الْبَحْرِ. <sup>٦</sup>وَأَمَّا تُحْمُ الْعَرَبِ فَيَكُونُ الْبَحْرُ الْكَبِيرُ لَكُمْ تُحْمًا. هَذَا يَكُونُ لَكُمْ تُحْمُ الْعَرَبِ. <sup>٧</sup>وَهَذَا يَكُونُ لَكُمْ تُحْمُ الشَّمَالِ. مِنَ الْبَحْرِ الْكَبِيرِ تَرْتَمُونَ لَكُمْ إِلَى جَبَلِ هُورَ. <sup>٨</sup>وَمِنْ جَبَلِ هُورَ تَرْتَمُونَ إِلَى

مَدْخَلِ حَمَاءَ، وَتَكُونُ مَخَارِجُ التَّخْمِ إِلَى صَدَدٍ. <sup>٩</sup> ثُمَّ يَخْرُجُ التَّخْمُ إِلَى زِفْرُونَ، وَتَكُونُ مَخَارِجُهُ عِنْدَ حَصْرِ عَيْنَانَ. هَذَا يَكُونُ لَكُمْ تَخْمُ الشَّمَالِ. <sup>١٠</sup> وَتَرَسُمُونَ لَكُمْ تَخْمًا إِلَى الشَّرْقِ مِنْ حَصْرِ عَيْنَانَ إِلَى شَقَامَ. <sup>١١</sup> وَيَنْحَدِرُ التَّخْمُ مِنْ شَقَامَ إِلَى رَبْلَةَ شَرْقِيَّ عَيْنِ. ثُمَّ يَنْحَدِرُ التَّخْمُ وَيَمَسُّ جَانِبَ بَحْرِ كِنَارَةَ إِلَى الشَّرْقِ. <sup>١٢</sup> ثُمَّ يَنْحَدِرُ التَّخْمُ إِلَى الْأَزْدُنِّ، وَتَكُونُ مَخَارِجُهُ عِنْدَ بَحْرِ الْمَلْحِ. هَذِهِ تَكُونُ لَكُمْ الْأَرْضُ بِتُخُومِهَا حَوَالَيْهَا". <sup>1</sup>

وهناك صهيونيون آخرون من الغلاة "التوراتيين"، الذين يعتقدون ويصرحون علانية أن "حماء" التي ورد ذكرها في التوراة، هي مدينة "حلب". بل هناك آخرون يدعون أنها في تركيا! و لقد طالب الحاخام "آرن شتينسلاز" خلال ندوة نظمت لاستقبال الكاتب الفرنسي "جون بول سارتر"، طالب بحقوق تاريخية في قبرص! وفي عام 1956، صرح بن جوربون- بين تهلليل الأعضاء- في الكنيست، أن "سيناء" جزء من "مملكة داود وسليمان". ولكن بعد عملية الإيقاف، التي قامت بها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي عند الهجوم على السويس، خَفَّتْ صوت تلك الجغرافيا التوراتية مؤقتا، ليعود للظهور ثانية عام 1967، بل إن حدود الوعد اتسعت: من النهر الكبير "الفرات"، إلى نهر "مصر"، كما يصرح النص السابق الذكر سفر [العدد 34: 4-5]، ولكن إلى أي فرع من فروع النيل؟، يقول بعضهم: إنه وادي العريش، ويقول آخرون: إنه النيل ذاته. وفي سبيل الدعوة لهذه الحدود المطاطة يستشهدون في كل مرة بالتوراة في اللحظة المناسبة، لتبرير ما يقومون به من عدوان ، أو ما يضمنون به من أراض. وفي المرحلة الحالية للتوسع الصهيوني، يسهم الخيال المجنون لحاخامات

1 - أنظر التفصيل روجيه جارودي: ملف اسرائيل دراسة للصهيونية السياسية، المرجع السابق، ص 19-22

الأحزاب الدينية من غلاة الداعين إلى الغزو في تبني أعنى المغامرات العسكرية الإسرائيلية، وفي تأييد مطالب أكثر المتعصبين طغيانا.<sup>1</sup>

والمتصفح لنصوص الوعد يجد أن حدود الأرض الموعودة، خلاف ما تدعيه إسرائيل، جاء في [تكوين 15: 18-21]: "فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلًا: "لِنَسْلِكَ أُعْطِي هَذِهِ الْأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ. <sup>19</sup> الْقَيْنِيِّينَ وَالْقَنْزِيِّينَ وَالْقَدْمُونِيِّينَ <sup>20</sup> وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفَرِزِيِّينَ وَالرَّفَائِيِّينَ <sup>21</sup> وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْكَنَعَانِيِّينَ وَالْجَرْجَاشِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ". وجاء في [خروج 25: 23-31]. "مِنْ بَحْرِ سُوفٍ <sup>2</sup> إِلَى بَحْرِ فِلِسْطِينَ، وَمِنْ الْبَرِّيَّةِ إِلَى النَّهْرِ."

والناظر لشهية إسرائيل في ابتلاع فلسطين يجدها قائمة على دعامتين، فمن ناحية تعتبر ادعاءاتها قائمة على أساس أن الوعد لا نزاع ولا جدال فيه، ومن ناحية أخرى تطالب بإسرائيل موسعة، "تشمل النقب وآدوم ومؤاب وعمون وجلعاد"، أي ما يعادل مملكة داود وسليمان التي تحقق بها الوعد<sup>3</sup>: " <sup>1</sup> وَكَانَ سُلَيْمَانُ مُتَسَلِّطًا عَلَى جَمِيعِ الْمَمَالِكِ مِنَ النَّهْرِ إِلَى أَرْضِ فِلِسْطِينَ، وَإِلَى ثُحُومِ مِصْرَ. " [ملوك أول 4: 21]. رغم أن مملكة داود وسليمان - كما يروي تاريخ العهد القديم - لم تدم أكثر من 73 سنة مما يجعلها فترة قصيرة الأمد لا ترقى لأن تكسب اليهود حق ملكية للأرض، فقد مكث المسلمون في الأندلس أكثر من 800

1 - المرجع السابق، وانظر أيضا هويدا عبد الحميد مصطفى: الجماعات اليهودية المتطرفة والاتجاهات السياسية الدينية في إسرائيل، مكتبة الشروق الدولية، مصر، الطبعة الأولى 2010، ص 21. وكذا عيسى اليازي: المسيحية المتهودة في خدمة الصهيونية العالمية، مرجع سابق، ص 43-46،

2 - المقصود ببحر البحر الأحمر، والمقصود من "بحر فلسطين" بحر "الغزاة" وهو البحر الأبيض المتوسط.

3 - أنظر تفصيل ذلك عند صابر طعيمة: التاريخ اليهودي العام، دار الجيل بيروت، الطبعة الثالثة-1991، ج 1، ص 319-320



سنة ولم يطالبوا الغرب باستعادة أراضيها، فما بالك ب 73 سنة ! وهذا ما ينقض حجة إسرائيل.<sup>1</sup>

ورد في التوراة نص جدٌ خطير، فبتطبيقه تُلزم إسرائيل بالانسحاب من مناطق كثيرة، ذلك أن إسرائيل التوراة، غير إسرائيل الواقع الاحتلالي. فقد ورد في [تثنية 1:34-6] ما نصه: "وَصَعِدَ مُوسَى مِنْ عَرَبَاتِ مُوَابَ إِلَى جَبَلِ نَبُو، إِلَى رَأْسِ الْفَسْحَةِ الَّذِي قُبَالَةَ أَرِيحَا، فَأَرَاهُ الرَّبُّ جَمِيعَ الْأَرْضِ مِنْ جِلْعَادَ إِلَى دَانَ،<sup>٢</sup> وَجَمِيعَ نَفْتَالِي وَأَرْضِ أَفْرَايِمَ وَمَنْسَسَى، وَجَمِيعَ أَرْضِ يَهُوذَا إِلَى الْبَحْرِ الْعَرَبِيِّ،<sup>٣</sup> وَالْجَنْبِ وَالِدَّائِرَةَ بُقْعَةَ أَرِيحَا مَدِينَةَ النَّخْلِ، إِلَى صُوعَرَ. وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: "هَذِهِ هِيَ الْأَرْضُ الَّتِي أَقْسَمْتُ لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ قَائِلًا: لِنَسْلِكَ أُعْطِيهَا. قَدْ أَرَيْتُكَ إِيَّاهَا بِعَيْنَيْكَ، وَلَكِنَّكَ إِلَى هُنَاكَ لَا تَعْبُرُ".<sup>٤</sup> فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوَابَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. وَوَدَفَنَهُ فِي الْجَوَاءِ فِي أَرْضِ مُوَابَ، مُقَابِلَ بَيْتِ فَعُورَ. وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ قَبْرَهُ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ.."

يحلل ويناقش لنا إبراهيم خليل أحمد هذا النص بقوله: "إن أرض الميعاد الحقيقية لم تمتد إلا من "دان" إلى "بئر سبع" طولاً، ومن "الأردن" إلى "البحر الأبيض المتوسط" عرضاً. وعندما قاد موسى الإسرائيليين القدامى حتى قادش برنيع كان في النقب، وكان ما يزال خارج أرض الميعاد، ذلك أنه بعث برجال عبر الحدود "لاستطلاع البلاد"، وعندما استدار موسى باتباعه حول الحدود الشرقية، ووقف على الأعالي وراء الأردن، كان ما يزال خارج أرض

1 - دخل المسلمون بلاد الأندلس فاتحين بقيادة القائد الفذ طارق بن زياد رحمه الله، بعد معركة بوادي التي كانت في رمضان سنة 92هـ الموافق يوليو عام 711م. وخرجوا منها بعد سقوط غرناطة في أيدي الصليبيين من الأسبان وغيرهم سنة 1492هـ. أي استمر حكم المسلمين للأندلس حوالي 781 سنة شمسية.



الميعاد التي مُنِع موسى من الدخول إليها بصريح التوراة، ومنه نستنتج بحسب النص: أن كلّ مؤاب وعمون وجلعاد والنقب، لم تكن أصلاً مشمولة بالوعد إطلاقاً. وعليه فإذا كانت إسرائيل الصهيونية (المبنية على التوراة) لا تتبدل ولا تتغير، وليست قابلة للتنازل، فإن عليها أن تسلم النقب ومستعمراتها إلى الشرق من "بحيرة الحولة" و"الجليل"، وأن تنسحب إلى داخل حدود الأرض الموعودة فقط. وهذا ما لا ولن تفعله دولة إسرائيل. بل على العكس فهي تفكر في ضم النقب وسيناء والجلولان وغيرها.<sup>1</sup>

إذن المسألة واضحة تمام الوضوح، فنحن لسنا أمام مظلوم مُدَّعٍ لحق يريد استرجاعه، أو أمام متدين ملتزم لا يريد الخروج عن تعاليم دينه وعقيدته، وإنما نحن أمام عقلية استعمارية استيطانية، تريد أن تأتي على الأخضر واليابس، مهما كان الثمن وحتى لو خالفت تعاليم دينها وعقيدتها.

و إذا ما ناقشنا الموضوع من زاوية أخرى، وسلمنا جدلاً بإسرائيل الصهيونية (التوراتية)، نجد أنفسنا أمام سؤال مهم يطرح نفسه بقوة، وهو: "ما شرعية الوعد بالنسبة إلى فلسطين الأصلية، داخل حدودها المعترف بها من دان إلى بئر سبع ومن الأردن إلى البحر الأبيض المتوسط؟، وهي "مملكة يهوذا" التي ظهرت سنة 927 ق.م، وضاعت سنة 586 ق.م. لاشك أن الوعد، في تلك المنطقة، قد أتاح أكثر الادعاءات شرعية، ولكن الحقيقة الكبرى التي تتغاضى عنها إسرائيل الصهيونية، هي أن "الوعد قد أُنجز وتحقق" منذ

---

1 - إبراهيم خليل أحمد: إسرائيل فتنة الأجيال العصور القديمة، مرجع سابق، ص 177

زمن طويل، وأكثر من ذلك ، لأن مملكة داود وسليمان – كما سبق ذكره – قد شملت من الأراضي أكثر مما اشتمل عليه الوعد.<sup>1</sup>

### من المقصود بالعهد؟

لقد عُرف اليهود بتسميتهم "بني إسرائيل" نسبة إلى يعقوب أبيهم، إلا أنهم يُرجعون نسبهم إلى جدهم الأكبر، إبراهيم عليه السلام. وكان من المفروض على هذا الأساس أن تكون الوعود التي أعطها الرب لنسل إبراهيم، حسب ما جاء في الكتب الإسرائيلية، مُلكاً لكل أبناء إبراهيم، على أساس قواعد الميراث الإسرائيلية نفسها. ومع ذلك فنحن نجد أن "إسحاق" ابن سارة، هو الوارث الوحيد لإبراهيم عليه السلام، مع حرمان إخوته السبعة من الميراث، وكعادة كتاب العهد القديم فالترفضيل لإسحاق ورد دون ذكر السبب.

كان لإبراهيم ثلاث زوجات. فهو تزوج "سارة" العبرانية التي أنجب منها "إسحاق". كما دخل على "هاجر" المصرية التي أنجبت له "إسماعيل"، وتزوج كذلك امرأة من أهل "مدين" اسمها "قطورة" فولدت له "زمران" و"يقشان" و"مدان" و"ميدان" و"يشباق" و"شوحا". هؤلاء بحسب ما جاء في الروايات الإسرائيلية – هم أبناء إبراهيم الثمانية. جاء في سفر [التكوين 25:1-2]: "وَعَادَ إِبْرَاهِيمُ فَأَخَذَ زَوْجَةً اسْمُهَا قَطُورَةُ،<sup>٢</sup> فَوَلَدَتْ لَهُ: زِمْرَانَ وَيَقْشَانَ وَمَدَانَ وَمَدْيَانَ وَيَشْبَاقَ وَشُوحًا." وقال أيضا: "وَأَمَّا بَنُو قَطُورَةَ سُرِّيَّةَ إِبْرَاهِيمَ، فَأَيُّهَا وَلَدَتْ: زِمْرَانَ وَيَقْشَانَ وَمَدَانَ وَمَدْيَانَ وَيَشْبَاقَ وَشُوحًا." [أخبار الأيام الاول 32:1].

1 - إبراهيم خليل أحمد: إسرائيل فتنة الأجيال العصور القديمة، المرجع السابق، ص 177

ومما زاد الأمور تعقيدا الخلط الذي حدث فيما بعد بين الوعد الذي تم لنسل إبراهيم من جهة، وبين الميثاق الذي قطعه يهوه إله بني إسرائيل، مع أتباع موسى في سيناء من جهة أخرى. كما أن الوعد لإبراهيم ورد ذكره مرات عدة، وهو يختلف في كل مرة عنه في المرة السابقة. ففي البداية أخذ أبرام (إبراهيم عليه السلام) ساراي (سارة) امرأته، و ابن أخيه لوطا عليه السلام فأتوا إلى أرض كنعان. واجتاز أبرام في الأرض إلى نكان "شكيم" إلى بلوطة مورة (شمال نابلس). وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض ، فظهر يهوه لأبرام وقال: "لنسلك أعطي هذه الأرض." و بعد هجرة إبراهيم إلى مصر أثناء المجاعة التي ضربت أرض كنعان وبعد القصة التي حدثت له ولساراي مع ملك مصر قيل هو " تحتمس الثالث"، أهدي لهما هذا الأخير "هاجر" كخادمة لسراي [تكوين 16:1-16]، بعد ذلك عاد إبراهيم وزوجته إلى أرض كنعان وسكن شرقي مدينة كانت تدعى "بيت إيل" غربي مدينة أريحا بالقرب من رام الله. وهنا - بحسب الرواية الإسرائيلية - جاء الوعد الثاني من "يهوه" الذي خاطب إبراهيم قائلا: "ازرع عَيْنَيْكَ وَاَنْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شِمَالًا وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا، ° لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الْأَبَدِ." [التكوين 13:14-15]

وهنا كذلك نجد أن الوعد لكل نسل إبراهيم، بقطعة صغيرة من الأرض بالقرب من رام الله. إلا أن الأمر تغير بعد ذلك - بعد صدور النبوة بأن سارة ستنجب ولدا وبأن "ملوك شعوب منها يكونون" - فعندئذ حدث نوعان من التغيرات في الوعد:

الأول: كبرت الأرض الموعودة فجأة فأصبحت تشمل "كل أرض كنعان" ، ثم اتسعت حدودها لتشمل كل المنطقة التي " من واد العريش إلى النهر الكبير، نهر الفرة " .  
ثانيا: تم استبعاد نسل إبراهيم من ميراث الوعد، وحل محله نسل سارة "عَهْدِي أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ".

والأعجب من هذا أنه - منذ ميلاد إسحاق - اعتبر الإسرائيليون أن أمومة الطفل ، وليست أبوته، هي العامل الأساسي في تحديد إنتمائه إلى بني إسرائيل. فإذا تزوج إسرائيلي من امرأة أجنبية، لا ينتمي أبناؤه إلى بني إسرائيل، إلا إذا قبلتهم الجماعة الإسرائيلية بالتبني. أما لو كانت الأم الإسرائيلية والأب أجنبيا، فإن الابن يصبح إسرائيليًا منذ الولادة. وهذا أيضا تحريف للقوانين، فكاتب النصوص أراد استثناء أحقية غير اليهود في أرض فلسطين، لذا قام بتغيير القوانين التي كانت تسير عليها الشعوب القديمة بمن فيها اليهود. والدارس لهذا الموضوع بدقة يلاحظ وجود اختلافات، - تبدو أحيانا متناقضة- في محتوى هذه القصة، وبين الباحث أحمد عثمان السر وراء هذه الاختلافات، إذ يعزوه لما أظهرته نتائج أبحاث علماء الدراسات التوراتية حول هذه القصة، حيث أكدوا أنه تم جمعها من ستة مصادر مختلفة. بعض هذه المصادر كان مكتوبا و البعض الآخر كان يتداول شفويا. وتم جمع هذه الروايات وتدوينها - للمرة الأولى- في بابل خلال القرن السادس قبل الميلاد بعد مرور ثمانية قرون على وفاة موسى. وبينما كان إبراهيم هو الشخصية الأساسية في هذه الرواية، يبدو أن أحد هذه المصادر جعل سارة هي محور روايته. وسارة في اللغة العبرية تعني أميرة، وهي في بعض اللهجات القديمة كانت تدل على "الملكة"، وعلى ما يبدو فإن هذه الرواية تمسكت بحق أبناء سارة في ميراث الإمبراطورية المصرية التي اعتبروها ملكتها لفترة قصيرة. وعلى ذلك فإن الوعد لنسل سارة بالأرض ما بين النيل والفرات، ما هو إلا وعد بحدود الإمبراطورية المصرية كما كانت في ذلك الوقت.<sup>1</sup>

1 - أحمد عثمان: تاريخ اليهود، مرجع سابق، الجزء الأول، ص 21

والدارس لنصوص الوعد والعهد لا يستطيع أن يدرك السبب - في ما ذكرته الروايات الإسرائيلية- في حرمان أبناء إبراهيم، بخلاف إسحاق من ميراث أبيهم. والقول أن هاجر كانت جارية فلا يحق لنسلها الاشتراك في الميراث، هو قول مردود غير صحيح. ذلك أن قطورة - زوجة إبراهيم الثالثة- مع أنها لم تكن جارية إلا أن أولادها هم أيضا حُرِّموا من الميراث بحسب هذه الرواية، بل أكبر وأبعد من ذلك، فإن "عيسو" بن اسحاق- و الأخ الأكبر ليعقوب - محروم هو الآخر من ميراث أبيه لغير سبب.

ثم إن المتصفح لنصوص التوراة يجد أن يعقوب - إسرائيل نفسه - دخل على جاريته لزوجتيه ليئة وراحيل، وأنجب ولدين من كل منهما ، ولم يُحْرَموا من المساواة مع باقي أبناء يعقوب في الميراث، بسبب أنهم أبناء جاريته. لأن الدخول بالمرأة ومعاشرتها علانية برضاء وليها ، كان الشرط الوحيد لقيام علاقة زوجية في تلك الفترة حسب التعاليم الشرعية. ولم تكن هناك حاجة إلى كتابة عقد أو شهادة شهود.

وعلى ذلك فبينما يمكن قبول إعتبار كل نسل إبراهيم هو صاحب الحق في ميراث قطعة الأرض التي عاش فيها جدهم في أرض كنعان، إلا أن الطبيعة الأسطورية للوعد الأخرى لأبناء سارة ذات الاتجاه الواحد أيضا يجعلنا لا نأخذ هذه العهود مأخذ الجد.<sup>1</sup>

ضف إلى ذلك وطبقا لأسفار اليهود ، فإن الوعد من قبل الرب لإبراهيم حصل بعد ولادة إسماعيل، وقبل ولادة إسحاق عليهما السلام، وجعل الختان علامة لذلك الوعد [التكوين 17:1-25]: " وَلَمَّا كَانَ أَبْرَامُ ابْنُ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ظَهَرَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ:

1 -أنظر أحمد عثمان: تاريخ اليهود، مرجع سابق،ص 22 وما بعدها

"أَنَا اللَّهُ الْقَدِيرُ. سِرُّ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلًا،<sup>٢</sup> فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَأَكْثِرَكَ كَثِيرًا جَدًّا".  
<sup>٣</sup> فَسَقَطَ أَبْرَامُ عَلَى وَجْهِهِ. وَتَكَلَّمَ اللَّهُ مَعَهُ قَائِلًا: <sup>٤</sup> "أَمَّا أَنَا فَهُوَذَا عَهْدِي مَعَكَ، وَتَكُونُ أَبًا  
لِجُمْهُورٍ مِنَ الْأُمَّمِ، فَلَا يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدَ أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ، لِأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًا  
لِجُمْهُورٍ مِنَ الْأُمَّمِ. <sup>٥</sup> وَأَثْمُرَكَ كَثِيرًا جَدًّا، وَأَجْعَلُكَ أُمَّمًا، وَمُلُوكٌ مِنْكَ يَخْرُجُونَ. <sup>٦</sup> وَأُقِيمُ عَهْدِي  
بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لِأَكُونَ إِلَهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ  
بَعْدِكَ. <sup>٧</sup> وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْتَبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا. وَأَكُونُ  
إِلَهُكُمْ". <sup>٨</sup> وَقَالَ اللَّهُ لإِبْرَاهِيمَ: "وَأَمَّا أَنْتَ فَتَحْفَظْ عَهْدِي، أَنْتَ وَنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي  
أَجْيَالِهِمْ. <sup>٩</sup> هَذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ: يُخْتَنُ  
مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ، <sup>١٠</sup> فَتُخْتَنُونَ فِي لَحْمِ غُرْتَبَتِكُمْ، فَيَكُونُ عَلَامَةً عَهْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. <sup>١١</sup> ابْنُ ثَمَانِيَةِ  
أَيَّامٍ يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ فِي أَجْيَالِكُمْ (...) <sup>١٢</sup> يُخْتَنُ خِتَانًا وَوَلِيدُ بَيْتِكَ وَالْمُبْتَاعُ بِفِضَّتِكَ،  
فَيَكُونُ عَهْدِي فِي لَحْمِكُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا (...) <sup>١٣</sup> وَقَالَ اللَّهُ لإِبْرَاهِيمَ: "سَارَايُ امْرَأَتُكَ لَا تَدْعُو  
اسْمَهَا سَارَايَ، بَلِ اسْمُهَا سَارَةُ. <sup>١٤</sup> وَأَبَارِكُهَا وَأُعْطِيكَ أَيْضًا مِنْهَا ابْنًا. أَبَارِكُهَا فَتَكُونُ أُمَّمًا،  
وَمُلُوكٌ شُعُوبٍ مِنْهَا يَكُونُونَ". <sup>١٥</sup> فَسَقَطَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ وَضَحِكَ، وَقَالَ فِي قَلْبِهِ: "هَلْ  
يُولَدُ لِابْنِ مِئَةِ سَنَةٍ؟ وَهَلْ تَلِدُ سَارَةُ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِينَ سَنَةً؟". <sup>١٦</sup> وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِلَّهِ: "لَيْتَ  
إِسْمَاعِيلَ يَعْيشُ أَمَامَكَ!". <sup>١٧</sup> فَقَالَ اللَّهُ: "بَلِ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ.  
وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ. <sup>١٨</sup> وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا  
أَبَارِكُكَ وَأَثْمُرُكَ وَأَكْثِرُكَ كَثِيرًا جَدًّا. إِنِّي عَشَرَ رِئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً. <sup>١٩</sup> وَلَكِنْ عَهْدِي  
أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هَذَا الْوَقْتِ فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ". <sup>٢٠</sup> فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ  
الْكَلَامِ مَعَهُ صَعِدَ اللَّهُ عَنِ إِبْرَاهِيمَ. <sup>٢١</sup> فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ إِسْمَاعِيلَ ابْنَهُ، وَجَمِيعَ وَلَدَانِ بَيْتِهِ، وَجَمِيعَ  
الْمُبْتَاعِينَ بِفِضَّتِهِ، كُلِّ ذَكَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ إِبْرَاهِيمَ، وَخَتَنَ لَحْمَ غُرْتَبَتِهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ

كَمَا كَلَّمَهُ اللَّهُ. <sup>٢٤</sup> وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً حِينَ خُتِنَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ، <sup>٢٥</sup> وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ ابْنُهُ ابْنُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً حِينَ خُتِنَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ. " فهذا عهد الختان قد أُعطي لإسماعيل و إسحاق لم يولد بعد...، فكيف لا يرتبط الوعد بمن كان حاضرا، وطَبَّقَ بعض أوامره كالختان، ويرتبط بمن كان في الغيب لا يعلم عنه شيئا؟. لماذا يُقدم الغائب المفقود على الحاضر الموجود؟.

ابحث في ثنايا الكتاب المقدس، من أوله لآخره، فلن تجد ذكر السبب، وإذا فتشنا في الخلفية الفكرية لليهود واليهودية وأردنا أن نضع سببا، فالواضح أن كاتب النص لاحظ هذا الأمر فزاد النص في الآية 21 ليبرر به الوعد فيما بعد، أنه خاص بذرية إسحاق دون ذرية إسماعيل، ليسهل إقصاؤهم من أحقيتهم بالأرض، وهذا قطع لسبيل المطالبة المشروعة والمؤسَّسة: <sup>٢١</sup> وَلَكِنْ عَهْدِي أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هَذَا الْوَقْتِ فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ ...

الملاحظ أنه رغم تغيير وجهة الوعد من إسماعيل إلى اسحاق دون تبرير ولا سبب باتجاه واحد كالعادة، إلا أن الكاتب - في زحمة التاريخ - نسي أن يكتب نصا آخر يتحدث فيه صراحة عن الوفاء بهذا الوعد، فعبثا نقلت صفحات هذا "السفر" بحثا عن نصوص فيه تعلن عن وفاء الوعد لإسحاق عليه السلام. كالا ! لاشيء هناك، إلا من نصوص تترى تكشف الحقيقة من أمر هذا الوعد، الذي لم يكن في واقعه إلا وعدا سياسيا، تابعا لمآرب سياسة، وأعبوبة سياسية في يد هذا المؤلف اليهودي، تتوارى خلف ستار من قول "ظهر الرب" و"قال الرب" و"أقسم الرب"، فإن هذا المؤلف اليهودي منذ اللحظة التي شرع فيها قلمه، وبدأ "سفر التكوين"، لم يستهدف من وراء هذه الوعود إلا التمهيد لعودة "مملكة داود"، ومن ثم كان حتما لهذا الوعد أن يتحول في يده، من شخص إلى آخر حتى

يصل به إلى ذرية داود، وأما وأنه قد بدأ به بإبراهيم فلم يكن ذلك إلا حسبما أملته المصالح السياسية، لكي يُكسب قضيته صبغة شرعية، فهو لا يجعل هذا الوعد يأتي لإبراهيم بادئ ذي بدء، إلا ليحوّله إلى إسحاق ليخرج منه إسماعيل وأبناء إسماعيل، وإلا ليتخذ من إسحاق وسيلة إلى تحويل هذا الوعد إلى يعقوب، ليحصره في سلالة إسرائيل، حتى يمكنه بعد ذلك من تحويله إلى ذرية داود لينحصر في مملكة الجنوب دون الشمال، وتعود مملكة يهوذا أو المملكة اليهودية إلى الوجود.<sup>1</sup>

وهذا ديدن من خط وألف نصوص العهد القديم باسم الرب<sup>2</sup>، كما يوضح أبكار السقاف بقوله: "(...) يقينا إنها للحظة من عمر الزمن كانت تلك اللحظة التي قنن فيها مؤلف "سفر الخروج" حلم مؤلف "سفر التكوين"، وحوّل من خلالها فكرة "الأرض الموعودة"، من حلم باهت وأمنية هاجعة بين الضلوع، إلى عقيدة دينية بدأ بها تشبث هذه الجماعة بهذه البقعة من مفرق طرق عالم الشرق الأوسط القديم. هذا التشبث الذي ما لبث أن تحول إلى المطالبة بهذه "البقعة" كحق شرعي، استمد شرعيته من الإيمان بأن "يهوه" قد منحها لهم ملكا أبديا.!. ويقينا... يقينا، ليس إلا تحت هذا اللون من التقنين، كان أن تحولت فكرة "الأرض الموعودة" إلى عقيدة دينية، انعقد على الإيمان بها الصدر، من كل فرد من أبناء هذه الطائفة الدينية، غداة سطر هذا المؤلف اليهودي، افتراءاته على موسى عليه السلام

1 - محمد بن علي بن محمد آل عمر: عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، مرجع سابق، ص 220

2 - لمزيد من التفصيل عن مؤلفي العهد القديم وأهدافهم أنظر ريتشارد البيوت فريدمان: من كتب التوراة؟، ترجمة عمرو زكريا، مراجعة وتقديم أيمن حامد، دار البيان للنشر والتوزيع، الطبعة العربية الأولى 2003، ص 15 وما بعدها. وكذا محمد خليفة حسن: علاقة الإسلام باليهودية رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة-1988، ص 78



قائلا: إن "يهوه" هو الذي قد أعاد موسى إلى "بني إسرائيل" في مصر، كيما يُكوّن منهم جيشا يزحف به صوب "الأرض الموعودة"<sup>1</sup>. وهذا ما قصده "غوبلز"، وزير الدعاية الألمانية في عهد هتلر، بمقولته الشهيرة (Lie lie, bisdie anderen glauben,man) وهي تعني: "اكذب، اكذب حتى يصدقك الآخرون."<sup>2</sup>

وهناك رأي آخر يرى المسألة من زاوية أخرى كما يوضحه الباحث محمد دياب وهو يفصل في ما جاء في [سفر التكوين 13: 14-18]: <sup>٤</sup> وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ، بَعْدَ اعْتِرَالِ لُوطٍ عَنْهُ: "ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَاَنْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شِمَالًا وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَعَرْبًا، <sup>٥</sup> لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الْأَبَدِ. <sup>٦</sup> وَأَجْعَلْ نَسْلَكَ كَثْرَابِ الْأَرْضِ، حَتَّى إِذَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّ تُرَابَ الْأَرْضِ فَتَسْأَلُكَ أَيضًا يُعَدُّ. <sup>٧</sup> فَمِ امْشِ فِي الْأَرْضِ طَوْلَهَا وَعَرَضَهَا، لِأَنِّي لَكَ أُعْطِيهَا". <sup>٨</sup> فَنَقَلَ أَبْرَامُ خِيَامَهُ وَأَتَى وَأَقَامَ عِنْدَ بَلُوطَاتِ مَمْرَا الَّتِي فِي حَبْرُونَ، وَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ. " إذ يقول: " وفي هذا الوعد تخرج كل دائرة الأردن شرقا من أرض الميعاد ويقف الوعد بأرض الميعاد عند حدود الأرض التي يراها إبراهيم في جهاتها الأربع. وحين بشر إبراهيم بالإرث لنسله ولن "يَخْرُجُ مِنْ أَحْسَائِكَ هُوَ يَرِثُكَ" - [سفر التكوين 15: 4] - . كان إسماعيل أول من ولد له بعد ما طلبت منه زوجته سارة أن يدخل بجارتها هاجر، حتى يكون له منها نسل بعد أن ظلت عقيما، وجاء الوعد بهذا الإرث مجددا " <sup>٨</sup> فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلًا: "لِنَسْلِكَ أُعْطِي هَذِهِ الْأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ. <sup>٩</sup> الْقَيْنِيِّينَ وَالْقَنْزِيِّينَ وَالْقَدْمُومِيِّينَ <sup>١٠</sup> وَالْحِثِّيِّينَ

1 - أبقار السقاف: إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، مرجع سابق ص 134

2 - ندى الشقيقي: الهلوكوست: حقيقتها والاستغلال الصهيوني لها، مرجع سابق، ص 7

وَالْفَرَزِيِّينَ وَالرَّقَائِيَّيْنَ<sup>١</sup> وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْكَنَعَانِيِّينَ وَالْجَرْجَاشِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ". [سفر التكوين 15:

18- 21] ، واقتزان هذا الوعد هنا بمولد اسماعيل، أو البشرى بمولده وبالإرث لإبراهيم من صلبه، يعني أن الوعد كان لإسماعيل والإرث، فإذا عمَّ الإرث أبناء إبراهيم جميعاً، فمعنى ذلك أنه ليس لإسحاق أو لنسله من يعقوب أو (إسرائيل) وحدهم، بل هو للعرب أيضاً وهم نسل إبراهيم. وفي رواية التوراة مصداق ذلك وتوكيد له، ففي الكثرة التي يشير بها الرب إلى نسل إبراهيم، ما ينطبق على نسل إسماعيل دون نسل إسحاق، فقد أصهر أبناء إسماعيل إلى أبناء أخيه إسحاق، حين تزوج عيسو شقيق يعقوب، وابن إسحاق من محلة ابنة إسماعيل، أما يعقوب فقد أصهر إلى أبناء خؤولته من الكلدانيين، وبعدت نسبة الإرث من إبراهيم إليه، بينما اقتربت بزواج عيسو بن إسحاق من محلة ابنة إسماعيل. واجتمع في نسلهما أكثر أبناء إبراهيم، وكانوا هم الكثرة وأبناء يعقوب وهو إسرائيل القلة، وكانت كثرتهم مصداق ما بشر به الرب إبراهيم. (٢ فَقَالَ أَبْرَامُ: "أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ، مَاذَا تُعْطِينِي وَأَنَا مَاضٍ عَقِيمًا، وَمَالِكُ بَيْتِي هُوَ أَلْيَعَازِرُ الدَّمَشَقِيُّ؟" ٣ وَقَالَ أَبْرَامُ أَيْضًا: "إِنَّكَ لَمْ تُعْطِنِي نَسْلًا، وَهُوَذَا ابْنُ بَيْتِي وَارِثٌ لِي". ٤ فَإِذَا كَلَامُ الرَّبِّ إِلَيْهِ قَائِلًا: "لَا يَرِثُكَ هَذَا، بَلِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ هُوَ يَرِثُكَ". ٥ ثُمَّ أَخْرَجَهُ إِلَى خَارِجٍ وَقَالَ: "انْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ وَعُدَّ النُّجُومَ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعُدَّهَا". وَقَالَ لَهُ: "هَكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ") [سفر التكوين 15: 2- 5]. ثم دخل إبراهيم بهاجر لتلد له بكره إسماعيل، و يقتزن هذا الوعد بمولده، ويكثر أبناءه حتى يصبحوا عدد نجوم السماء كما وعد الرب، وتكون منهم أمة العرب، التي امتدت وملاّت بقاع تلك

الساحة الرحبية، التي تعرف بالعالم العربي اليوم، وذهب أبناء إسحاق من الإسرائيليين قلة  
بددا في كل صقيع من أصقاع الأرض.<sup>1</sup>

وكما تتجاهل الصهيونية في كتاباتها الوعود بالعقوبة عند عصيان الربّ وعدم تطبيق  
أوامره، لأنها ليست في مصلحتها، فهي أيضا تتجاهل وجود إسماعيل عليه السلام، الابن الأكبر  
لإبراهيم عليه السلام وجدّ العرب. والسبب لا يحتاج إلى بيان، فهي إن اعترفت بإسماعيل عليه السلام،  
اعترفت بحق العرب في فلسطين، فالتوراة المقدسة إذا، بالنسبة إلى العقل الصهيوني، أداة  
للمآرب السياسية لا كتاب صلاة، يأخذ منه ما يشاء ويتغاضى عما يشاء.<sup>2</sup>

---

1 - محمود دياب: الصهيونية العالمية و الرد على الفكر الصهيوني العالمي، مرجع سابق، ص 49-50

2 - بيان نويهض الحوت: فلسطين القضية الشعب الحضارة، مرجع سابق، ص 14.

## نسوا الشروط وركنوا للوعود

لو تتبعنا معيار الحق والواجب والذي ينص على أن كل حق يقابله واجب، والعكس صحيح ، فحقك نحوي هو واجبي نحوك، فإذا ما أدينا الواجبات لننا الحقوق بالضرورة ، لذا ليس من المستساغ شرعا ولا عقلا ولا خلقا و لا ذوقا، أن نطالب بالحقوق دون أداء الواجبات. فالقانون نفسه يطبق على الوعد و الشرط، فإذا ما التزمنا وحققنا الشروط، لننا بالضرورة الوعود ، والعكس صحيح ، فعدم تطبيق الشروط يؤدي حتما إلى بطلان الوعود. لكن الناظر والدارس للعقلية والنفسية اليهودية يجدها لا تخضع لهذه المقاييس الإنسانية والعالمية، إذ نجد اليهود ركنوا للوعود وتجاهلوا الشروط، بناء على قاعدة العنصرية المشار إليها آنفا: "أنا خير منك لأنني أنا أنا." فكذلك هنا : "أنت ملزم بإعطائي الوعود حتى ولو لم أحقق أنا الشروط، لا لشيء إلا لأنني أنا أنا"، لذا فالدارس لأغوار العقلية و النفسية اليهودية يجد أن أسطورة الشعب المختار، عززت من النزعة المشيخانية و الحلولية في الفكر الديني اليهودي، فكل عضو في أمة الكهنة والقديسين هو تجسيد حي للإله، وصوته من صوت هذا الإله، أي أنه نبي أو شبه نبي بالضرورة. وقد عززت فكرة الاختيار أيضاً الإحساس الزائف لليهود بوجودهم خارج التاريخ وبأن القوانين التاريخية التي تسري على الجميع لا تسري عليهم<sup>1</sup>، وهذا ما سنفصله لاحقا عند الحديث عن أسطورة الشعب المختار.

1- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، المجلد 5، ص 73

فرغم هذا الإحساس الزائف إلا أن نصوص التوراة أشارت إلى المبدأ الأخلاقي صراحة، وعنتت نصوصه - بإلحاح ملفت للنظر - الكثير من لم يستجب للشروط وركن للوعود والحقوق. كما تشير النصوص التالية:

ورد في [خروج 15:25-26]: "فَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ. فَأَرَاهُ الرَّبُّ شَجَرَةً فَطَرَحَهَا فِي الْمَاءِ فَصَارَ الْمَاءُ عَذْبًا. هُنَاكَ وَضَعَ لَهُ فَرِيضَةً وَحُكْمًا، وَهُنَاكَ امْتَحَنَهُ. <sup>٢٦</sup> فَقَالَ: "إِنْ كُنْتَ تَسْمَعُ لِبصوتِ الرَّبِّ إلهِكَ، وَتَصْنَعُ الْحَقَّ فِي عَيْنَيْهِ، وَتَصْعَى إِلَى وَصَايَاهُ وَتَحْفَظُ جَمِيعَ فَرَائِضِهِ، فَمَرَضًا مَا مِمَّا وَضَعْتُهُ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ لَا أَضْعُ عَلَيْكَ. فَإِنِّي أَنَا الرَّبُّ شَافِيكَ".

وجاء في [خروج 19:5-6]: "فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِبصوتي، وَحَفَظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الْأَرْضِ. <sup>٦</sup> وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةً كَهَنَةً وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً. هَذِهِ هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تَكَلَّمْتُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ".

وورد في [التثنية 7:12-16]: "وَمِنْ أَجْلِ أَنَّكُمْ تَسْمَعُونَ هَذِهِ الْأَحْكَامَ وَتَحْفَظُونَ وَتَعْمَلُونَهَا، يَحْفَظُ لَكَ الرَّبُّ إلهُكَ الْعَهْدَ وَالْإِحْسَانَ اللَّذَيْنِ أَقْسَمَ لِأَبَائِكَ، <sup>١٣</sup> وَيُجِيبُكَ وَيُبَارِكُكَ وَيُكثِّرُكَ وَيُبَارِكُ ثَمَرَةَ بَطْنِكَ وَثَمَرَةَ أَرْضِكَ: قَمْحَكَ وَخَمْرَكَ وَزَيْتَكَ وَنِتَاجَ بَقْرِكَ وَإِنَاثَ غَنَمِكَ، عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَقْسَمَ لِأَبَائِكَ أَنَّهُ يُعْطِيكَ إِيَّاهَا. <sup>١٤</sup> مُبَارَكًا تَكُونُ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. لَا يَكُونُ عَقِيمٌ وَلَا عَاقِرٌ فِيكَ وَلَا فِي بَهَائِمِكَ. <sup>١٥</sup> وَيَرُدُّ الرَّبُّ عَنْكَ كُلَّ مَرَضٍ، وَكُلَّ أَدْوَاءِ مِصْرَ الرَّدِيئَةِ الَّتِي عَرَفْتَهَا لَا يَضْعُهَا عَلَيْكَ، بَلْ يَجْعَلُهَا عَلَى كُلِّ مُبْغِضِيكَ. <sup>١٦</sup> وَتَأْكُلُ كُلَّ الشُّعُوبِ الَّذِينَ الرَّبُّ إلهُكَ يَدْفَعُ إِلَيْكَ...

كما تُوقع نصوص التوراة العقوبة الشديدة، والمتمثلة في اللعنة و الإبادَة، لكل من

خالف ما اشترطه الرب وأمر به:

- اللعنة وهي الطرد من رحمة الله، كما في [التثنية 11: 26-28]:<sup>٢٦</sup> "أَنْظُرْ. أَنَا وَاضِعٌ أَمَامَكُمْ الْيَوْمَ بَرَكَهٌ وَلَعْنَةٌ: <sup>٢٧</sup>الْبَرَكَهٌ إِذَا سَمِعْتُمْ لِمَوْصَايَا الرَّبِّ إِلَهُكُمْ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ. <sup>٢٨</sup>وَاللَّعْنَةُ إِذَا لَمْ تَسْمَعُوا لِمَوْصَايَا الرَّبِّ إِلَهُكُمْ، وَرُغِزْتُمْ عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ لِتَذْهَبُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لَمْ تَعْرِفُوهَا.

-والإبادة كما في [التثنية 8: 19-20]:<sup>١٩</sup> "وَإِنْ نَسِيتَ الرَّبَّ إِلَهُكَ، وَذَهَبْتَ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى وَعَبَدْتَهَا وَسَجَدْتَ لَهَا، أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ أَنَّكُمْ تَبِيدُونَ لَا مَحَالَةَ. <sup>٢٠</sup>كَالشُّعُوبِ الَّذِينَ يُبِيدُهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِكُمْ كَذَلِكَ تَبِيدُونَ، لِأَجْلِ أَنَّكُمْ لَمْ تَسْمَعُوا لِقَوْلِ الرَّبِّ إِلَهُكُمْ.

ومن الشروط الأخلاقية الواجب الالتزام بها إقامة العدل، والبعد عن الظلم كما جاء في [التثنية 16: 20]:<sup>٢٠</sup> "الْعَدْلَ الْعَدْلَ تَتَّبِعْ، لِكَيْ تَحْيَا وَتَمْتَلِكَ الْأَرْضَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ." ومن المؤكد أن عدم تطبيق أحكام الله ليس من العدل، وكذلك عدم نفاذ العقوبة لا يعد عدلا، قال العدل سبحانه: "وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ." [النحل: 33].

كما أكدت النصوص على الإخلاص من أعماق القلب، أثناء تطبيق الأحكام بعيدا عن الرياء والسمعة، كما ورد في [التثنية 16: 26-19]:<sup>١٦</sup> "هَذَا الْيَوْمَ قَدْ أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ أَنْ تَعْمَلَ بِهَذِهِ الْفَرَائِضِ وَالْأَحْكَامِ، فَاحْفَظْ وَاعْمَلْ بِهَا مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ. <sup>١٧</sup>قَدْ وَاَعَدْتَ الرَّبُّ الْيَوْمَ أَنْ يَكُونَ لَكَ إِلَهًا، وَأَنْ تَسْلُكَ فِي طَرَفِهِ وَتَحْفَظَ فَرَائِضَهُ وَوَصَايَاهُ وَأَحْكَامَهُ وَتَسْمَعَ لِمَوْصَايَاهُ. <sup>١٨</sup>وَوَاَعَدَكَ الرَّبُّ الْيَوْمَ أَنْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا، كَمَا قَالَ لَكَ، وَتَحْفَظَ جَمِيعَ وَصَايَاهُ، <sup>١٩</sup>وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُسْتَعْلِيًّا عَلَى جَمِيعِ الْقَبَائِلِ الَّتِي عَمِلَهَا فِي الثَّنَاءِ وَالِاسْمِ وَالْبَهَاءِ، وَأَنْ تَكُونَ شَعْبًا مُقَدَّسًا لِلرَّبِّ إِلَهُكَ، كَمَا قَالَ."

كما أكدت النصوص على رفع قدر الحريص على تطبيق أوامر الله بين الأمم، ومباركته أينما كان دون بين الأفراد ولا الشعوب ، فصرّح في [التثنية 28: 1-4]:<sup>١</sup> "وَإِنْ سَمِعْتَ

سَمِعًا لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلَهِكَ لِتَحْرِصَ أَنْ تَعْمَلَ بِجَمِيعِ وَصَايَاهُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ، يَجْعَلُكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ مُسْتَعْلِيًّا عَلَى جَمِيعِ قَبَائِلِ الْأَرْضِ،<sup>٢</sup> وَتَأْتِي عَلَيْكَ جَمِيعُ هَذِهِ الْبَرَكَاتِ وَتُدْرِكُكَ، إِذَا سَمِعْتَ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلَهِكَ.<sup>٣</sup> مُبَارَكًا تَكُونُ فِي الْمَدِينَةِ، وَمُبَارَكًا تَكُونُ فِي الْحَقْلِ. <sup>٤</sup> وَمُبَارَكَةً تَكُونُ ثَمَرُهُ بَطْنِكَ وَثَمَرُهُ أَرْضِكَ وَثَمَرُهُ بِهَائِمِكَ، نِتَاجُ بَقْرِكَ وَإِنَاثُ غَنَمِكَ.

بل وأقسم أنه بتطبيق وحفظ الأحكام، تكون الأمة مقدسة، ومهابة، كثيرة الثمار والخيرات، كما جاء في [التثنية 9:28-11]: "يُقِيمُكَ الرَّبُّ لِنَفْسِهِ شَعْبًا مُقَدَّسًا كَمَا حَلَفَ لَكَ، إِذَا حَفِظْتَ وَصَايَا الرَّبِّ إِلَهِكَ وَسَلَكْتَ فِي طَرَفِهِ. <sup>١٠</sup> فَيَرَى جَمِيعُ شُعُوبِ الْأَرْضِ أَنَّ اسْمَ الرَّبِّ قَدْ سُمِّيَ عَلَيْكَ وَيَخَافُونَ مِنْكَ. <sup>١١</sup> وَيَزِيدُكَ الرَّبُّ خَيْرًا فِي ثَمَرَةِ بَطْنِكَ وَثَمَرَةِ بِهَائِمِكَ وَثَمَرَةِ أَرْضِكَ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي حَلَفَ الرَّبُّ لِأَبَائِكَ أَنْ يُعْطِيكَ.

ووعده بالعزة والعلو من الانحطاط والذلة بين الأمم لكل مطبق لأحكامه، كما في [التثنية 13:28]: " <sup>١٣</sup> وَيَجْعَلُكَ الرَّبُّ رَأْسًا لَا ذَنْبًا، وَتَكُونُ فِي الْارْتِفَاعِ فَقَطْ وَلَا تَكُونُ فِي الْانْحِطَاطِ، إِذَا سَمِعْتَ لِوَصَايَا الرَّبِّ إِلَهِكَ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ، لِتَحْفَظَ وَتَعْمَلَ."

كما هدد في حال المخالفة والعصيان بمصاحبة اللعنة أينما حل وارتحل، كما في [التثنية 15:28-19]: " <sup>١٥</sup> وَلَكِنْ إِنْ لَمْ تَسْمَعْ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلَهِكَ لِتَحْرِصَ أَنْ تَعْمَلَ بِجَمِيعِ وَصَايَاهُ وَفَرَائِضِهِ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ، تَأْتِي عَلَيْكَ جَمِيعُ هَذِهِ اللَّعْنَاتِ وَتُدْرِكُكَ: <sup>١٦</sup> مَلْعُونًا تَكُونُ فِي الْمَدِينَةِ وَمَلْعُونًا تَكُونُ فِي الْحَقْلِ. <sup>١٧</sup> مَلْعُونَةً تَكُونُ سَلَّتْكَ وَمَعْجُنُكَ. <sup>١٨</sup> مَلْعُونَةً تَكُونُ ثَمَرُهُ بَطْنِكَ وَثَمَرُهُ أَرْضِكَ، نِتَاجُ بَقْرِكَ وَإِنَاثُ غَنَمِكَ. <sup>١٩</sup> مَلْعُونًا تَكُونُ فِي دُخُولِكَ، وَمَلْعُونًا تَكُونُ فِي خُرُوجِكَ."

و رسم لكل مخالف لأوامره صورة الدبابة والذلل والمهانة والفقير، واستلاب الرجولة وريادة الأمم عليه، كما في [التثنية 32:28]: " <sup>٣٢</sup> يُسَلِّمُ بَنُوكَ وَبَنَاتِكَ لِشَعْبٍ آخَرَ وَعَيْنَاكَ

تَنْظُرَانِ إِلَيْهِمْ طُولَ النَّهَارِ، فَتَكِلَانِ وَلَيْسَ فِي يَدِكَ طَائِلَةٌ. " و كذا ما ورد في سفر [التثنية 43:28-44]: " <sup>٤٣</sup>الْعَرِيبُ الَّذِي فِي وَسْطِكَ يَسْتَعْلِي عَلَيْكَ مُتَّصَاعِدًا، وَأَنْتَ تَنْحَطُّ مُتَنَازِلًا. <sup>٤٤</sup>هُوَ يُفْرِضُكَ وَأَنْتَ لَا تُفْرِضُهُ. هُوَ يَكُونُ رَأْسًا وَأَنْتَ تَكُونُ ذَنْبًا. <sup>1</sup>

وتوعده بالمرض والهلاك، ونقص في العدد والعدة، وفقر ذات اليد إن فقد قلبه خشية الرب، وكم سيفرح الرب بهذه العقوبة، كما في [التثنية 58:28-67]: <sup>٥٨</sup>إِنْ لَمْ تَحْرِصْ لِتَعْمَلِ بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هَذَا النَّامُوسِ الْمَكْتُوبَةِ فِي هَذَا السُّفْرِ، لِتَهَابَ هَذَا الْاسْمَ الْجَلِيلَ الْمَرْهُوبَ، الرَّبَّ إِلَهَكَ، <sup>٥٩</sup>يَجْعَلُ الرَّبُّ ضَرْبَاتِكَ وَضَرْبَاتِ نَسْلِكَ عَجِيبَةً. ضَرْبَاتٍ عَظِيمَةً رَاسِخَةً، وَأَمْرًا رَدِيَّةً ثَابِتَةً. <sup>٦٠</sup>وَيُرْدُّ عَلَيْكَ جَمِيعَ أَدْوَاءِ مِصْرَ الَّتِي فَرَعْتَ مِنْهَا، فَتَلْتَصِقُ بِكَ. <sup>٦١</sup>أَيْضًا كُلُّ مَرَضٍ وَكُلُّ ضَرْبَةٍ لَمْ تُكْتُبْ فِي سِفْرِ النَّامُوسِ هَذَا، يُسَلِّطُهُ الرَّبُّ عَلَيْكَ حَتَّى تَهْلِكَ. <sup>٦٢</sup>فَتَبْقُونَ نَفَرًا قَلِيلًا عِوَضَ مَا كُنْتُمْ كُنُحُومَ السَّمَاءِ فِي الْكَثْرَةِ، لِأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلَهِكَ. <sup>٦٣</sup>وَكَمَا فَرِحَ الرَّبُّ لَكُمْ لِيُحْسِنَ إِلَيْكُمْ وَيُكثِّرَكُمْ، كَذَلِكَ يَفْرَحُ الرَّبُّ لَكُمْ لِيُفْنِيَكُمْ وَيُهْلِكَكُمْ، فَتُسْتَأْصَلُونَ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا. <sup>٦٤</sup>وَيُبَدِّدُكَ الرَّبُّ فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ مِنْ أَقْصَاءِ الْأَرْضِ إِلَى أَقْصَائِهَا، وَتَعْبُدُ هُنَاكَ آلِهَةً أُخْرَى لَمْ تَعْرِفْهَا أَنْتَ وَلَا آبَاؤُكَ، مِنْ خَشَبٍ وَحَجَرٍ. <sup>٦٥</sup>وَفِي تِلْكَ الْأَمَمِ لَا تَطْمَئِنُّ وَلَا يَكُونُ قَرَارٌ لِقَدَمِكَ، بَلْ يُعْطِيكَ الرَّبُّ هُنَاكَ قَلْبًا مُرْتَجِحًا وَكِلَالَ الْعَيْنَيْنِ وَدُبُولَ النَّفْسِ. <sup>٦٦</sup>وَتَكُونُ حَيَاتُكَ مُعَلَّقَةً قُدَّامَكَ، وَتَرْتَعِبُ لَيْلًا وَنَهَارًا وَلَا تَأْمَنُ عَلَى حَيَاتِكَ. <sup>٦٧</sup>فِي الصَّبَاحِ تَقُولُ: يَا لَيْتَهُ الْمَسَاءُ،



وَفِي الْمَسَاءِ تَقُولُ: يَا لَيْتَهُ الصَّبَاحُ، مِنْ ارْتِعَابِ قَلْبِكَ الَّذِي تَرْتَعِبُ، وَمِنْ مَنظَرِ عَيْنَيْكَ  
الَّذِي تَنْظُرُ.

وألح على حسن الاختيار عند اتخاذ القرار في [التثنية 15:30-19]: " <sup>١٥</sup> أَنْظُرْ. قَدْ  
جَعَلْتُ الْيَوْمَ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْخَيْرَ، وَالْمَوْتَ وَالشَّرَّ، <sup>١٦</sup> بِمَا أَنِّي أَوْصَيْتُكَ الْيَوْمَ أَنْ تُحِبَّ الرَّبَّ  
إِهْلَكَ وَتَسْلُكَ فِي طُرُقِهِ وَتَحْفَظَ وَصَايَاهُ وَفَرَائِضَهُ وَأَحْكَامَهُ لِكَيْ تَحْيَا وَتَنْمُو، وَيُبَارِكَ الرَّبُّ  
إِهْلَكَ فِي الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِكَيْ تَمْتَلِكَهَا. <sup>١٧</sup> فَإِنْ انصَرَفَ قَلْبُكَ وَمَ تَسْمَعُ، بَلْ  
غَوَيْتَ وَسَجَدْتَ لِآلِهَةٍ أُخْرَى وَعَبَدْتَهَا، <sup>١٨</sup> فَإِنِّي أَنْبِئُكُمْ الْيَوْمَ أَنَّكُمْ لَا مَحَالَةَ تَهْلِكُونَ. لَا  
تُطِيلُ الْأَيَّامَ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ عَابِرُ الْأَرْضِ لِكَيْ تَدْخُلَهَا وَتَمْتَلِكَهَا. <sup>١٩</sup> أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ  
الْيَوْمَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ. قَدْ جَعَلْتُ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ. الْبَرَكَهَ وَاللَّعْنَةَ. فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لِكَيْ  
تَحْيَا أَنْتَ وَتَسْلُكَ، <sup>٢٠</sup> إِذْ تُحِبُّ الرَّبَّ إِهْلَكَ وَتَسْمَعُ لِمَوْتِهِ وَتَلْتَصِقُ بِهِ، لِأَنَّهُ هُوَ حَيَاتُكَ  
وَالَّذِي يُطِيلُ أَيَّامَكَ لِكَيْ تَسْكُنَ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي حَلَفَ الرَّبُّ لِآبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ  
وَيَعْقُوبَ أَنْ يُعْطِيَهُمْ إِيَّاهَا.

وتوعد في حال سوء اختيار القرار الصائب في [يوشع 11:23-13] بقوله: " <sup>١١</sup> فَاحْتَفِظُوا  
جِدًّا لِأَنفُسِكُمْ أَنْ تُحِبُّوا الرَّبَّ إِهْلَكُمْ. <sup>١٢</sup> "وَلَكِنْ إِذَا رَجَعْتُمْ وَلَصِقْتُمْ بِبَقِيَّةِ هَؤُلَاءِ الشُّعُوبِ،  
أُولَئِكَ الْبَاقِينَ مَعَكُمْ، وَصَاهِرْتُمُوهُمْ وَدَخَلْتُمْ إِلَيْهِمْ وَهُمْ إِلَيْكُمْ، <sup>١٣</sup> فَاعْلَمُوا يَقِينًا أَنَّ الرَّبَّ  
إِهْلَكُمْ لَا يَعُودُ يَطْرُدُ أُولَئِكَ الشُّعُوبَ مِنْ أَمَامِكُمْ، فَيَكُونُوا لَكُمْ فِخَاً وَشِرْكَاً وَسَوْطاً عَلَى  
جَوَانِبِكُمْ، وَشَوْكاً فِي أَعْيُنِكُمْ، حَتَّى تَبِيدُوا عَنْ تِلْكَ الْأَرْضِ الصَّالِحَةِ الَّتِي أَعْطَاكُمْ إِيَّاهَا الرَّبُّ  
إِهْلَكُمْ. " وكذا في [الملوك الأول 6:9-7]: " <sup>٦</sup> إِنْ كُنْتُمْ تَنْقَلِبُونَ أَنْتُمْ أَوْ أَبْنَاؤُكُمْ مِنْ وَرَائِي، وَلَا  
تَحْفَظُونَ وَصَايَايَ، فَرَائِضِي الَّتِي جَعَلْتُهَا أَمَامَكُمْ، بَلْ تَذْهَبُونَ وَتَعْبُدُونَ آلِهَةً أُخْرَى

وَتَسْجُدُونَ لَهَا،<sup>٧</sup> فَإِنِّي أَقْطَعُ إِسْرَائِيلَ عَنِ وِجْهِ الْأَرْضِ الَّتِي أُعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا، وَالْبَيْتُ الَّذِي قَدَّسْتُهُ لِاسْمِي أَنْفِيهِ مِنْ أَمَامِي، وَيَكُونُ إِسْرَائِيلُ مَثَلًا وَهَزَاءً فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ.

ويتوعد بتحويل النعمة إلى نقمة، واستبدال الأرض التي تفيض لبنا وعسلا إلى لعنة أبدية كما في [أرميا 3:11-5]:<sup>٣</sup> فَتَقُولُ لَهُمْ: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: مَلْعُونُ الْإِنْسَانُ الَّذِي لَا يَسْمَعُ كَلَامَ هَذَا الْعَهْدِ،<sup>٤</sup> الَّذِي أَمَرْتُ بِهِ آبَاءَكُمْ يَوْمَ أَخْرَجْتُهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، مِنْ كُورِ الْحَدِيدِ قَائِلًا: اسْمَعُوا صَوْتِي وَاعْمَلُوا بِهِ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، فَتَكُونُوا لِي شَعْبًا، وَأَنَا أَكُونُ لَكُمْ إِلَهًا،<sup>٥</sup> لِأَقِيمَ الْحَلْفَ الَّذِي حَلَفْتُ لِآبَائِكُمْ أَنْ أُعْطِيَهُمْ أَرْضًا تَفِيضُ لَبْنًا وَعَسَلًا كَهَذَا الْيَوْمِ". فَأَجَبْتُ وَقُلْتُ: "أَمِينَ يَا رَبُّ".

وقال أيضا: "إِنْ كُنْتُمْ تَنْقَلِبُونَ أَنْتُمْ أَوْ آبَاؤُكُمْ مِنْ وَرَائِي، وَلَا تَحْفَظُونَ وَصَايَايَ، فَرَائِضِي الَّتِي جَعَلْتُهَا أَمَامَكُمْ، بَلْ تَذْهَبُونَ وَتَعْبُدُونَ إِلَهَةً أُخْرَى وَتَسْجُدُونَ لَهَا،<sup>٧</sup> فَإِنِّي أَقْطَعُ إِسْرَائِيلَ عَنِ وِجْهِ الْأَرْضِ الَّتِي أُعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا، وَالْبَيْتُ الَّذِي قَدَّسْتُهُ لِاسْمِي أَنْفِيهِ مِنْ أَمَامِي، وَيَكُونُ إِسْرَائِيلُ مَثَلًا وَهَزَاءً فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ،<sup>٨</sup> وَهَذَا الْبَيْتُ يَكُونُ عِبْرَةً. كُلُّ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ يَتَعَجَّبُ وَيَصْفُرُّ، وَيَقُولُونَ: لِمَاذَا عَمِلَ الرَّبُّ هَكَذَا لِهَذِهِ الْأَرْضِ وَهَذَا الْبَيْتِ؟<sup>٩</sup> فَيَقُولُونَ: مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ تَرَكُوا الرَّبَّ إِلَهُهُمْ الَّذِي أَخْرَجَ آبَاءَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَتَمَسَّكُوا بِإِلَهَةٍ أُخْرَى وَسَجَدُوا لَهَا وَعَبَدُوهَا، لِذَلِكَ جَلَبَ الرَّبُّ عَلَيْهِمْ كُلَّ هَذَا الشَّرِّ". [الملوك الأول 9:6-9].

وورد صراحة في [التثنية 1:11-32]<sup>١١</sup> فَأَحِبِّ الرَّبَّ إِلَهَكَ وَاحْفَظْ حُقُوقَهُ وَفَرَائِضَهُ وَأَحْكَامَهُ وَوَصَايَاهُ كُلَّ الْأَيَّامِ. (...) "<sup>٨</sup> فَاحْفَظُوا كُلَّ الْوَصَايَا الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ لِكَيْ تَتَشَدَّدُوا وَتَدْخُلُوا وَتَمْتَلِكُوا الْأَرْضَ الَّتِي أَنْتُمْ عَابِرُونَ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكُوهَا،<sup>٩</sup> وَلِكَيْ تُطِيلُوا الْأَيَّامَ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَقْسَمَ الرَّبُّ لِآبَائِكُمْ أَنْ يُعْطِيَهَا لَهُمْ وَلِنَسْلِهِمْ، أَرْضٌ تَفِيضُ لَبْنًا وَعَسَلًا. (...) "<sup>١٣</sup> فَإِذَا سَمِعْتُمْ لَوْصَايَايَ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ لِتُحِبُّوا الرَّبَّ إِلَهُكُمْ وَتَعْبُدُوهُ

مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَنْفُسِكُمْ، <sup>١٤</sup> أُعْطِيَ مَطَرَ أَرْضِكُمْ فِي حِينِهِ: الْمُبَكَّرَ وَالْمُتَأَخَّرَ.  
 فَتَجْمَعُ حِنْطَتَكَ وَخَمْرَكَ وَزَيْتَكَ. <sup>١٥</sup> وَأُعْطِيَ لِبَهَائِمِكَ عُشْبًا فِي حَقْلِكَ فَتَأْكُلُ أَنْتَ وَتَشْبَعُ.  
<sup>١٦</sup> فَاحْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَنْعَوِيَ قُلُوبِكُمْ فَتَزْبِعُوا وَتَعْبُدُوا آلِهَةً أُخْرَى وَتَسْجُدُوا لَهَا، <sup>١٧</sup> فَيَحْمَى  
 غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ، وَيُعَلِّقُ السَّمَاءَ فَلَا يَكُونُ مَطَرٌ، وَلَا تُعْطَى الْأَرْضُ عِلَّتِهَا، فَتَيْدُونَ  
 سَرِيعًا عَنِ الْأَرْضِ الْجَيِّدَةِ الَّتِي يُعْطِيكُمُ الرَّبُّ. <sup>١٨</sup> فَضَعُوا كَلِمَاتِي هَذِهِ عَلَى قُلُوبِكُمْ  
 وَتُقُوسِكُمْ، وَارْزُطُوهَا عَلَامَةً عَلَى أَيْدِيكُمْ، وَلْتَكُنْ عَصَائِبُ بَيْنَ عِيُونِكُمْ، <sup>١٩</sup> وَعَلِّمُوهَا  
 أَوْلَادَكُمْ، مُتَكَلِّمِينَ بِهَا حِينَ يَجْلِسُونَ فِي بُيُوتِكُمْ، وَحِينَ تَمْشُونَ فِي الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَامُونَ،  
 وَحِينَ تَقُومُونَ. <sup>٢٠</sup> وَارْتَبِطْهَا عَلَى قَوَائِمِ أَبْوَابِ بَيْتِكَ وَعَلَى أَبْوَابِكَ، <sup>٢١</sup> لِكَيْ تَكْتُرَ أَيَّامَكَ وَأَيَّامَ  
 أَوْلَادِكَ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَقْسَمَ الرَّبُّ لِأَبَائِكَ أَنْ يُعْطِيَهُمْ إِيَّاهَا، كَأَيَّامِ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ.  
<sup>٢٢</sup> لِأَنَّهُ إِذَا حَفِظْتُمْ جَمِيعَ هَذِهِ الْوَصَايَا الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا لِتَعْمَلُوهَا، لِتُحِبُّوا الرَّبَّ إِلَهُكُمْ  
 وَتَسْلُكُوا فِي جَمِيعِ طُرُقِهِ وَتَلْتَصِفُوا بِهِ، <sup>٢٣</sup> يَطْرُدُ الرَّبُّ جَمِيعَ هَؤُلَاءِ الشُّعُوبِ مِنْ أَمَامِكُمْ،  
 فَتَرْتُونَ شُعُوبًا أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكُمْ. <sup>٢٤</sup> كُلُّ مَكَانٍ تَدُوسُهُ بُطُونُ أَقْدَامِكُمْ يَكُونُ لَكُمْ. مِنْ  
 الْبَرِّيَّةِ وَالْبُنَّانِ. مِنَ النَّهْرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ، إِلَى الْبَحْرِ الْعَرَبِيِّ يَكُونُ تُحْمُكُمْ. <sup>٢٥</sup> لَا يَقِفُ إِنْسَانٌ فِي  
 وَجْهِكُمْ. الرَّبُّ إِلَهُكُمْ يَجْعَلُ خَشْيَتَكُمْ وَرُعبَكُمْ عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ الَّتِي تَدُوسُونَهَا كَمَا كَلَّمَكُمُ.  
<sup>٢٦</sup> أَنْظُرْ. أَنَا وَاضِعُ أَمَامِكُمْ الْيَوْمَ بَرَكَهً وَلَعْنَةً: <sup>٢٧</sup> الْبَرَكَهَ إِذَا سَمِعْتُمْ لَوْصَايَا الرَّبِّ إِلَهُكُمْ الَّتِي أَنَا  
 أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ. <sup>٢٨</sup> وَاللَّعْنَةَ إِذَا لَمْ تَسْمَعُوا لَوْصَايَا الرَّبِّ إِلَهُكُمْ، وَزَعْتُمْ عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي أَنَا  
 أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ لِتَنْدَهَبُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لَمْ تَعْرِفُوهَا. <sup>٢٩</sup> وَإِذَا جَاءَ بِكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَى  
 الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِكَيْ تَمْتَلِكَهَا، فَاجْعَلِ الْبَرَكَهَ عَلَى جَبَلِ جَرِزِيمَ، وَاللَّعْنَةَ عَلَى  
 جَبَلِ عِيَالِ. <sup>٣٠</sup> أَمَّا هُمَا فِي عِبْرِ الْأَرْدُنِّ، وَرَاءَ طَرِيقِ غُرُوبِ الشَّمْسِ فِي أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ  
 السَّاكِنِينَ فِي الْعَرَبَةِ، مُقَابِلِ الْجَلْجَالِ، بِجَانِبِ بَلُوطَاتِ مُورَةَ؟ <sup>٣١</sup> لِأَنَّكُمْ عَابِرُونَ الْأَرْدُنَّ لِتَدْخُلُوا

وَتَمْتَلِكُوا الْأَرْضَ الَّتِي الرَّبُّ إِيَّاكُمْ يُعْطِيكُمْ. تَمْتَلِكُونَهَا وَتَسْكُنُونَهَا. ٣٢ فَاَحْفَظُوا جَمِيعَ الْفَرَائِضِ  
وَالْأَحْكَامِ الَّتِي أَنَا وَاضِعٌ أَمَامَكُمْ الْيَوْمَ لِتَعْمَلُوهَا.

كل هذه النصوص - وغيرها كثير - تدل بما لا يدع مجالاً للشك أن كل العهود  
والوعود مشروطة بشروط، فإن انتفت فلا عهود ولا وعود، كما أكد على ذلك بعض  
الباحثين، إذ لم يكفّ الباحث "إلمير بيرجر Elmer Berger" عن التذكير بأن وعد الله  
بالأرض كان مشروطاً بشروط: "ضعوا شريعتي موضع التطبيق... يكن لكم أن تقيموا بسلام  
في الأرض" (18،xxv)

(3،xxvi): "إذا اتبعتم شريعتي، وإذا وضعتم شريعتي موضع التطبيق... (9) "أحفظ  
عهدي لكم... (14).

(xi): "سأخيركم اليوم بين أمرين: البركة أو اللعنة" (26)

" البركة إذا سمعتم وصايا الله، إلهكم... (27)

" اللعنة ، إذا لم تسمعوا وصايا الله إلهكم. (28).<sup>1</sup>

والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح: هل التزم اليهود بالشروط حتى يطالبوا و ينالوا  
الحقوق المتمثلة في العهود، أم أنهم نسوا الشروط وركنوا للوعود؟.  
للإجابة على هذا السؤال علينا العودة من جديد إلى نصوص العهد القديم لنعرف هل  
رضي الله عن اليهود لأنهم طبقوا الأحكام والشروط، أم أنهم ضيعوها فضاغت معها العهود  
والوعود، بل وليس لهم حق المطالبة بها أصلاً؟.

1 - روجيه جارودي: محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، ترجمة: حسين قبيسي، الفهرست، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1998، ص 214

الدارس للعهد القديم يجد أن الربّ توعدّ بني إسرائيل بنصوص شديدة اللهجة، وفضح تعنتهم وعصيانهم لأوامره، ومخالفتهم للنور الذي أنزل إليهم، فاستحقوا التقرّيع والغضب واللعنة، بدل الرضوان والمنة، التي كانوا ينعمون بها أيام الوفاء بالشروط وتطبيق الأوامر، والحق أن بني إسرائيل بالرغم من تشدقهم بعبادة الله، وأنهم قد اختصوه بهذه العبادة وحده حتى استحقوا أن يختصهم بعهده، فإنهم كانوا أكثر الشعوب كفرا به وتمردا عليه وتدمرا على رسله...<sup>1</sup> والنصوص التوراتية تؤكد هذا وتوثقه، منها:

ورد في [سفر القضاة 3: 3-8]: "... أَقْطَابُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ الْخُمْسَةُ، وَجَمِيعُ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالصِّيْدُونِيِّينَ وَالْحَوِّيِّينَ سُكَّانِ جَبَلِ لُبْنَانَ، مِنْ جَبَلِ بَعْلِ حَرْمُونَ إِلَى مَدْخَلِ حَمَاءَ. كَانُوا لَا مَتَحَانَ إِسْرَائِيلَ بِهِمْ، لِكَيْ يُعْلَمَ هَلْ يَسْمَعُونَ وَصَايَا الرَّبِّ الَّتِي أَوْصَى بِهَا آبَاءَهُمْ عَنْ يَدِ مُوسَى. فَسَكَنَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسْطِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحَثِّيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحَوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ،<sup>٦</sup> وَاتَّخَذُوا بَنَاتِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً، وَأَعْطَوْا بَنَاتِهِمْ لِبَنِيهِمْ وَعَبَدُوا آلِهَتَهُمْ.<sup>٧</sup> فَعَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ، وَنَسُوا الرَّبَّ إِلَهُهُمْ وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ وَالسَّوَارِي.<sup>٨</sup> فَحَمِي غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَبَاعَهُمْ بِيَدِ كُوشَانَ رِشْعَتَايِمَ مَلِكِ أَرَامِ التَّهْرَيْنِ. فَعَبَدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ كُوشَانَ رِشْعَتَايِمَ ثَمَانِي سِنِينَ...".

إن إنزال العذاب من الله عز وجل على اليهود بسبب كفرهم وعصيانهم ثابت في كتبهم، لتبقى شاهداً على افتراءهم وكذبهم، وقد ورد بيان ذلك بصريح العبارة في سفر [الثنية 31: 25-30] حيث قال: <sup>٢٥</sup> "أَمَرَ مُوسَى اللَّأْوِيَّيْنَ حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ قَائِلًا:

1- الشرقاوي عبد الله: الكنز المرصود في فضائح التلمود، مرجع سابق، ص 79

٢٦ "خُذُوا كِتَابَ التَّوْرَةِ هَذَا وَضَعُوهُ بِجَانِبِ تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ إِلَيْكُمْ، لِيَكُونَ هُنَاكَ شَاهِدًا عَلَيْكُمْ. ٢٧ لِأَنِّي أَنَا عَارِفٌ تَمَرُّدِكُمْ وَرِقَابِكُمْ الصُّلْبَةَ. هُوَذَا وَأَنَا بَعْدُ حَيٌّ مَعَكُمْ الْيَوْمَ، قَدْ صِرْتُمْ تُقَاوِمُونَ الرَّبَّ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ بَعْدَ مَوْتِي! ٢٨ اجْمَعُوا إِلَيَّ كُلَّ شُيُوخِ أَسْبَاطِكُمْ وَعُرَفَاءِكُمْ لِأَنْطِقَ فِي مَسَامِعِهِمْ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ. ٢٩ لِأَنِّي عَارِفٌ أَنَّكُمْ بَعْدَ مَوْتِي تَفْسِدُونَ وَتَزِيغُونَ عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ، وَيُصِيبِكُمُ الشَّرُّ فِي آخِرِ الْأَيَّامِ لِأَنَّكُمْ تَعْمَلُونَ الشَّرَّ أَمَامَ الرَّبِّ حَتَّى تُغِيظُوهُ بِأَعْمَالِ أَيْدِيكُمْ". ٣٠ فَتَنطَقَ مُوسَى فِي مَسَامِعِ كُلِّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ بِكَلِمَاتِ هَذَا النَّشِيدِ إِلَى تَمَامِهِ."

وقال أيضا في [سفر القضاة 6:10-7] "وَعَادَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعْمَلُونَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ، وَعَبَدُوا الْبُعْلِيمَ وَالْعَشْتَارُوثَ وَآلهَةَ أَرَامَ وَآلهَةَ صِيدُونَ وَآلهَةَ مُوَابَ وَآلهَةَ بَنِي عَمُّونَ وَآلهَةَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، وَتَرَكُوا الرَّبَّ وَلَمْ يَعْبُدُوهُ. ٧ فَحَمِي غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ وَبَاعَهُمْ بِيَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَبِيَدِ بَنِي عَمُّونَ...".

وجاء في نبوءة أرميا حوارات ذات دلالات شنيعة منها:

"... فَقَالَ الرَّبُّ لِي: "نَادِ بِكُلِّ هَذَا الْكَلَامِ فِي مُدُنِ يَهُودَا، وَفِي شَوَارِعِ أُورُشَلِيمَ قَائِلًا: اسْمَعُوا كَلَامَ هَذَا الْعَهْدِ وَاَعْمَلُوا بِهِ. ٧ لِأَنِّي أَشْهَدْتُ عَلَى آبَائِكُمْ إِشْهَادًا يَوْمَ أَصْعَدْتُهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ، مُبَكِّرًا وَمُشْهَدًا قَائِلًا: اسْمَعُوا صَوْتِي. ٨ فَلَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ يُمِيلُوا أَدْنَاهُمْ، بَلْ سَلَكُوا كُلُّ وَاحِدٍ فِي عِنَادِ قَلْبِهِ الشَّرِيرِ. فَجَلَبْتُ عَلَيْهِمْ كُلَّ كَلَامِ هَذَا الْعَهْدِ الَّذِي أَمَرْتُهُمْ أَنْ يَصْنَعُوهُ وَلَمْ يَصْنَعُوهُ". ٩ وَقَالَ الرَّبُّ لِي: "تُوجَدُ فِتْنَةٌ بَيْنَ رِجَالِ يَهُودَا وَسُكَّانِ أُورُشَلِيمَ. ١٠ قَدْ رَجَعُوا إِلَى آثَامِ آبَائِهِمُ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ أَبَوْا أَنْ يَسْمَعُوا كَلَامِي، وَقَدْ ذَهَبُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لِيَعْبُدُوهَا. قَدْ نَقَضَ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ وَبَيْتُ يَهُودَا عَهْدِي الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ. ١١ لِذَلِكَ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هَأَنْذَا جَالِبٌ عَلَيْهِمْ شَرًّا لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهُ، وَيَصْرُحُونَ

إِلَىٰ فَلَا أَسْمَعَ لَهُمْ. <sup>١٢</sup> فَيَنْطَلِقُ مُدُنُ يَهُوذَا وَسَكَّانُ أُورُشَلِيمَ وَيَصْرُخُونَ إِلَى الْآلِهَةِ الَّتِي يُبْحَرُونَ  
لَهَا، فَلَنْ تُخَلِّصَهُمْ فِي وَفْتِ بَلِيَّتِهِمْ...". [سفر إرميا 10:11-13].  
وقال: <sup>٢٠</sup> "حَقًّا إِنَّهُ كَمَا تَخُونُ الْمَرْأَةَ قَرِينَهَا، هَكَذَا خُنْتُمُونِي يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ  
الرَّبُّ". [سفر إرميا 3: 20].

بل يذهب بهم التفرغ والتوبيخ إلى أبعد حدوده وهم يدعون أنهم شعب الله المختار:  
<sup>٩</sup> "وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: "رَأَيْتُ هَذَا الشَّعْبَ وَإِذَا هُوَ شَعْبٌ صُلْبُ الرِّقَبَةِ. <sup>١٠</sup> قَالَ لَانَ  
اتْرُكْنِي لِيَحْمِيَ غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ...". [سفر الخروج 9:32 - 10]  
وصرح بضرهم بالبوء كما في [سفر العدد 14: 11 - 12]. <sup>١١</sup> "وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى:  
"حَتَّىٰ مَتَىٰ يُهَيِّنُنِي هَذَا الشَّعْبُ؟ وَحَتَّىٰ مَتَىٰ لَا يُصَدِّقُونَنِي بِجَمِيعِ الْآيَاتِ الَّتِي عَمِلْتُ فِي  
وَسَطِهِمْ؟ <sup>١٢</sup> إِنِّي أَضْرِبُهُمْ بِالْوَبَاءِ وَأُبِيدُهُمْ...".

ويمتد طغيانهم وحبثهم حتى يصفهم الرب بالجماعة الشريرة التي لا يُغفر لها صنيعها  
كما قوله في [سفر العدد 14: 26-35]. <sup>٢٦</sup> "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلًا: <sup>٢٧</sup> "حَتَّىٰ مَتَىٰ  
أَغْفِرُ لِهَذِهِ الْجَمَاعَةِ الشَّرِيرَةِ الْمُتَدَمِّرَةِ عَلَيَّ؟ قَدْ سَمِعْتُ تَدْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِي يَتَدَمَّرُونَ عَلَيَّ.  
<sup>٢٨</sup> قُلْ لَهُمْ: حَيٌّ أَنَا يَقُولُ الرَّبُّ، لِأَفْعَلَنَّ بِكُمْ كَمَا تَكَلَّمْتُمْ فِي أُدْبِي. <sup>٢٩</sup> فِي هَذَا الْقَفْرِ تَسْقُطُ  
جُثَّتُكُمْ، جَمِيعُ الْمَعْدُودِينَ مِنْكُمْ حَسَبَ عَدَدِكُمْ مِنْ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِدًا الَّذِينَ تَدَمَّرُوا  
عَلَيَّ. <sup>٣٠</sup> لَنْ تَدْخُلُوا الْأَرْضَ الَّتِي رَفَعْتُ يَدِي لِأَسْكِنَنَّكُمْ فِيهَا، (...) <sup>٣٢</sup> فَجُثَّتُكُمْ أَنْتُمْ تَسْقُطُ  
فِي هَذَا الْقَفْرِ، <sup>٣٣</sup> وَبُنُوكُمْ يَكُونُونَ رِعَاءَهُ فِي الْقَفْرِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَيَحْمِلُونَ فُجُورَكُمْ حَتَّىٰ تَفْنَى  
جُثَّتُكُمْ فِي الْقَفْرِ. <sup>٣٤</sup> كَعَدَدِ الْأَيَّامِ الَّتِي بَحَسَسْتُمْ فِيهَا الْأَرْضَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، لِلسَّنَةِ يَوْمًا. تَحْمِلُونَ  
دُنُوبَكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَتَعْرِفُونَ ائْتِعَادِي. <sup>٣٥</sup> أَنَا الرَّبُّ قَدْ تَكَلَّمْتُ. لِأَفْعَلَنَّ هَذَا بِكُلِّ هَذِهِ  
الْجَمَاعَةِ الشَّرِيرَةِ الْمُتَفَقِّةِ عَلَيَّ. فِي هَذَا الْقَفْرِ يَفْتَنُونَ، وَفِيهِ يَمُوتُونَ."



ولو تأملنا هذا النص لرأينا العجب العجيب في وصفهم وهم يعصون الأوامر، إذ قال عنهم: " <sup>٢١</sup> اسْمَعْ هَذَا أَيُّهَا الشَّعْبُ الْجَاهِلُ وَالْعَدِيمُ الْفَهْمِ، الَّذِينَ هُمْ أَعْيُنٌ وَلَا يُبْصِرُونَ. هُمْ آذَانٌ وَلَا يَسْمَعُونَ. <sup>٢٢</sup> أَيَّايَ لَا تَخْشَوْنَ، يَقُولُ الرَّبُّ؟ أَوْلَا تَزْتَعِدُونَ مِنْ وَجْهِ؟ أَنَا الَّذِي وَضَعْتُ الرَّمْلَ نُحُومًا لِلْبَحْرِ فَرِيضَةً أَبَدِيَّةً لَا يَتَعَدَّاهَا، فَتَتَلَطَّمُ وَلَا تَسْتَطِيعُ، وَتَعْبُجُ أَمُوجُهُ وَلَا تَتَجَاوَزُهَا. <sup>٢٣</sup> وَصَارَ لِهَذَا الشَّعْبِ قَلْبٌ عَاصٍ وَمُتَمَرِّدٌ. عَصَوْا وَمَضَوْا. <sup>٢٤</sup> وَمَ يَقُولُوا بِقُلُوبِهِمْ: لِنَخَفِ الرَّبِّ إِلَيْنَا الَّذِي يُعْطِي الْمَطَرَ الْمُبَكَّرَ وَالْمُتَأَخَّرَ فِي وَقْتِهِ. يَحْفَظُ لَنَا أَسَابِيعَ الْحِصَادِ الْمَفْرُوضَةَ. <sup>٢٥</sup> آثَامُكُمْ عَكَسَتْ هَذِهِ، وَخَطَايَاكُمْ مَنَعَتْ الْحَيْرَ عَنْكُمْ. <sup>٢٦</sup> لِأَنَّهُ وَجَدَ فِي شَعْبِي أَشْرَارًا يَرْضُدُونَ كَمُنْحَنِ مِنَ الْقَانِصِينَ، يَنْصِبُونَ أَشْرَاكًا يُمْسِكُونَ النَّاسَ. <sup>٢٧</sup> مِثْلَ قَفْصِ مَلَانٍ طُيُورًا هَكَذَا بِيُوتُهُمْ مَلَانَةٌ مَكْرًا. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عَظُمُوا وَاسْتَعَنُوا. <sup>٢٨</sup> سَمِنُوا. لَمَعُوا. أَيْضًا تَجَاوَزُوا فِي أُمُورِ الشَّرِّ. لَمْ يَقْضُوا فِي الدَّعْوَى، دَعْوَى الْيَتِيمِ. وَقَدْ نَجَحُوا. وَبِحَقِّ الْمَسَاكِينِ لَمْ يَقْضُوا. <sup>٢٩</sup> أَفَلَا جِلِّ هَذِهِ لَا أَعَاقِبُ، يَقُولُ الرَّبُّ؟ أَوْلَا تَنْتَقِمُ نَفْسِي مِنْ أُمَّةٍ كَهَذِهِ؟ <sup>٣٠</sup> صَارَ فِي الْأَرْضِ دَهْشٌ وَقَشَعْرِيَّةٌ. <sup>٣١</sup> الْأَنْبِيَاءُ يَتَّبِعُونَ بِالْكَذِبِ، وَالْكَهَنَةُ تَحْكُمُ عَلَى أَيْدِيهِمْ، وَشَعْبِي هَكَذَا أَحَبُّ. وَمَاذَا تَعْمَلُونَ فِي آخِرَتِهَا؟. " [سفر إرميا 5: 21-28].

ولتخفيف وطأة هذه النصوص، وجعلها إما محصورة في فترة أو جماعة، وإما مؤقتة بزمن دون آخر، يلاحظ تدخل يد الكتاب والمؤلفين مرة أخرى، ولكن هذه المرة بطريق جديدة تتمثل في إبطال مفعولها، فالملاحظ بعد تتبع معظم نصوص العهد القديم التي فيها غضب الرب على الشعب و المخالفين، شفعها كأتبها بنصوص أخرى، فيها معاني التوبة والصفح والرجوع عن العقوبة، باتجاه واحد دائما، مما يجعل النص التوراتي غارقا في التناقض، إذ نجد أنفسنا أمام نوعين من النصوص، نصوص اشترطت الالتزام والوفاء بالشروط حتى تُوفى العهود، وفي الجهة المقابلة نصوص تصرح بعدم التزام الشعب بما أمر به الرب، ورغم ذلك لا



نجد تطبيق العقوبة رغم التنصيص عليها، وبذلك حُطمت قاعدة عقدية جلييلة وهي: أنه يُعزُّ من والاه، ويُذَلُّ من عاداه، فحربوا القاعدة الأزلية فجعلوه لا يُذَلُّ من عاداه، بل يُعزُّ حتى من عاداه!، وألفوا لذلك نصوصا تطفئ حمو غضب الربِّ إلى درجة الندم، - على حد تعبير نصوص العهد القديم -، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وهذا لعمرك تناقض عجيب!، لا يقبله عقل حصيف ولا شرع صحيح، ويقبله مؤلفو العهد القديم بكل بساطة وسذاجة، لا لشيء إلا أنه يوافق شهوة دفينه في نفوسهم، أبدعوا بها توليفة تمكنهم من الركون للوعود دون تطبيق الشروط، خلافا لما سارت عليه حركة تاريخ الدعوة للتوحيد مع البشرية، من لدن آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم.<sup>1</sup>

إنَّ الوعد الإلهي المفترى بتمليك الأرض المقدسة لليهود تُناقضه وعود أخرى من نوع آخر، ذكرتها توراتهم المقدسة، إنها وعود بفناء الدولة لا ببنائها، بهلاك بني إسرائيل لا بإحيائهم، بتمزيق مملكتهم لا بقيامها، وعود بقطعهم عن وجه الأرض التي أعطيت لإبراهيم عليه السلام ونسله من بعده. ولكن اليهودية تتجاهل هذه الوعود لأنها ليست في مصلحتها، وتحاول محوها من الأذهان، لأنها وعود تنفي مزاعمهم، في أحقيتهم بالأرض المقدسة فلسطين، وتذرهم بالخراب والهلاك.<sup>2</sup>

1 - إنَّ العلم المعاصر وخاصة النقد الألماني أثبت بعد أبحاث مستفيضة في الآثار القديمة، والتاريخ، وعلم اللغات، أن التوراة الحالية: ليست هي التوراة الأصلية التي أنزلت على موسى عليه السلام، بل إنها عمل أبحار وكهان جاءوا بعده بسنين طويلة، وأشهر هؤلاء النقاد: ريتشارد سيمون صاحب كتاب: التاريخ النقدي للعهد القديم 1678م، والطبيب الناقد جان استروك صاحب دراسة نقدية عن التوراة نشرت عام 1753م، والعام يوليوس فلهاوزن بخاتمة القرن التاسع عشر، والباحث الناقد أيجهورن (ت1782م)، والباحث فاتر، وإيلجين 1798م والباحث الفرنسي موريس بوكاي وغيرهم. لمزيد من التفصيل يراجع فتحي محمد الزغبى: تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، مصر، الطبعة الأولى 1994م، ص232-238.

2- بيان نويهض الحوت: فلسطين القضية الشعب الحضارة، مرجع سابق، ص13-14

قال الله تعالى : " شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (13) وَمَا تَعَرَّفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْثًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (14). [الشورى 13-14].

وقال تعالى: " وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا " . [الأحزاب 7]

وقال تعالى: "قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ" . [آل عمران 137] .

وقال : "قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ" . [الأنعام 11].

وقال: "قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ" . [النمل 69].

لذا فالدارس للقرآن الكريم يجد أن حقيقة العهد لإبراهيم عليه السلام فيه واضحة لا غبار عليها، قائمة على شرطين: توحيد العبودية لله، وعدم مخالفة شرعه. قال تعالى: " وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124) وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنَا وَانخُدُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَعَهَدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126). وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ

الرَّحِيمِ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129) وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسَلَّمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (131) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (132) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (134) . وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (135) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (136) فَإِنِ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (137) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (138) قُلْ أُنْحَاظُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (139) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِعَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (140) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (141) " [سورة البقرة: 124-141]

والملاحظ أيضا أن العهد في القرآن الكريم قائم على استحقاق إمامة الناس بالقيم السامقة، نحو مقامات الطهر الرفيعة في الدنيا و الآخرة، وليس على استحقاق حيز " أرض " ضيقة على أشلاء الآلاف من البشر قتلا وتنكيلا، أو تشريدا نحو العراء، وتغيير خريطة

التاريخ والجغرافيا، لمجرد وعد تُبرع به دون مقابل أخلاقي، لأن الرب يحبّ شعبه المختار ولو كان غليظ الرقبة!.

خلاصة واستنتاج:

بناء على كل هذه النصوص وغيرها يتضح لنا ما يلي:

أ/ أن الوعد بالارض يشكّل نقطة جوهرية ثابتة في العهد أيّاً كان شكله القانوني(عهد -وعد أو عقد يفترض إلزاماً متبادلاً). فأساس الوعد لإبراهيم هو : "النسلك أعطي هذه الارض"، وأساس الوعد لموسى [سفر الخروج 8:3] ، ومن خلاله، لكلّ الشعب في سيناء هو الوعد بالارض [سفر الخروج 5:19]؛ [التثنية 10:6-13].<sup>1</sup>

ب/ من الواضح أن بني إسرائيل قد نقضوا العهد، فلم يعبدوا الله وحده، ولم يقوموا بواجب الالتزام الخلقي العام الذي هو في التوراة، وهما الشرطان اللذان يتم بهما وفاء الله بهذا العهد كما يقولون.<sup>2</sup>

ج/ المتصفح للعهد القديم يلحظ أن العهد لم يكن لإبراهيم وموسى عليهما السلام فحسب، بل يتحدد العهد بين الله وشعبه في "شكيم"، على يدّ "يشوع بن نون"، حيث يحتل موضوع وفاء الله بوعدده في إعطائهم أرض الميعاد حيزاً كبيراً وأساسياً في الذكرى التاريخية للخلاص اليهودي، والتي يسردها يشوع أمام الشعب كلّهُ، ويردّدها كلّ الحاضرين

1 - 67 p. BEAUCAMP E., Les grands thèmes de l'Alliance, (Lire la Bible, 81), Paris, 1988 و يراجع ايضاً كل

من [ تكوين: 12 : 7 ]؛ [ 13 : 15 ]؛ [ 15 : 18 ]؛ [ 17 : 8 ]

2- أنظر تفصيل ذلك عند الشرقاوي عبد الله، الكنز المرصود: ص 81 مرجع سابق

تمهيداً لإعلان إيمانهم بالله والوعد بالأمانة لعهد [يشوع 24 : 13-18]<sup>1</sup>. والوعد لداود أيضاً يتضمن تأكيداً على عطية الأرض هذه، بمثابة مكان يقيم فيه شعب إسرائيل بلا اضطراب ولا تزعر ، ولا يُذلهم بنو الأمم الأخرى كما كانوا من قبل.<sup>2</sup>

د/ يشدد العهد القديم على أن أرض كنعان قد أعطها الرب لشعبه ميراثاً أبدياً<sup>3</sup>. ومع ذلك، فإن شعب إسرائيل لم يرث هذه الأرض من آباءه، بل الرب نفسه يعترف و يصرح أن الكنعانيين هم سُكَّانها الأصليون، وأنه أنتزع هذه الأرض من هؤلاء ليعطيها لشعب إسرائيل: "...<sup>4</sup> ثُمَّ أَتَيْتُ بِكُمْ إِلَى أَرْضِ الْأُمُورِيِّينَ السَّاكِنِينَ فِي عَبرِ الْأَرْضِ فَحَارَبُوكُمْ، وَدَفَعْتُهُمْ بِيَدِكُمْ فَمَلَكَتُمْ أَرْضَهُمْ وَأَهْلَكْتُهُمْ مِنْ أَمَامِكُمْ." [يشوع 24 : 8].<sup>4</sup>

والسؤال الذي يطرح نفسه ما المغزى من هذا التأكيد ؟

1- يشوع [24 : 13 ، 18] : (...) "وَأَعْطَيْتُكُمْ أَرْضًا لَمْ تَتَّعَبُوا عَلَيْهَا، وَمُدُنًا لَمْ تَبْنُوهَا وَتَسْكُنُونَهَا بِهَا، وَمِنْ كُرُومٍ وَزَيْتُونٍ لَمْ تَغْرِسُوهَا تَأْكُلُونَ. "فَالآنَ اخْشَوْا الرَّبَّ وَاعْبُدُوهُ بِكَمَالٍ وَأَمَانَةٍ، وَانْزِعُوا الْآلِهَةَ الَّتِي عِبَدْتُمْ آبَاؤَكُمْ فِي عَبرِ النَّهْرِ وَفِي مِصْرَ، وَاعْبُدُوا الرَّبَّ. " وَإِنْ سَاءَ فِي أَعْيُنِكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا الرَّبَّ، فَاخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمْ الْيَوْمَ مَنْ تَعْبُدُونَ: إِنْ كَانَ الْآلِهَةُ الَّتِي عِبَدْتُمْ آبَاؤَكُمْ الَّتِي فِي عَبرِ النَّهْرِ، وَإِنْ كَانَ آلهةُ الْأُمُورِيِّينَ الَّتِي أَنْتُمْ سَاكِنُونَ فِي أَرْضِهِمْ. وَأَمَّا أَنَا وَبَيْتِي فَتَعْبُدُوا الرَّبَّ. " فَأَجَابَ الشَّعْبُ وَقَالُوا: "حَاشَا لَنَا أَنْ نَتْرَكَ الرَّبَّ لِنَعْبُدَ آلهةً أُخْرَى، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهُنَا هُوَ الَّذِي أَصْعَدَنَا وَأَبَاعَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ، وَالَّذِي عَمِلَ أَمَامَ أَعْيُنِنَا تِلْكَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةَ، وَحَفَظَنَا فِي كُلِّ الطَّرِيقِ الَّتِي سَرْنَا فِيهَا وَفِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّتِي عَبَّرْنَا فِي وَسْطِهَا. " وَطَرَدَ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِنَا جَمِيعَ الشُّعُوبِ، وَالْأُمُورِيِّينَ السَّاكِنِينَ فِي الْأَرْضِ. فَحَنَّا أَيْضًا نَعْبُدُ الرَّبَّ لِأَنَّهُ هُوَ إِلَهُنَا..."

2- [صموئيل الثاني 7 : 10]: وَعَيَّنْتُ مَكَانًا لِشُعْبِي إِسْرَائِيلَ وَغَرَسْتُهُ، فَسَكَنَ فِي مَكَانِهِ، وَلَا يَضْطَرِبُ بَعْدُ، وَلَا يَعُودُ بَنُو الْإِثْمِ يُدَلِّلُونَهُ كَمَا فِي الْأَوَّلِ.

3- راجع سفر [الخروج 15 : 17] ؛ [تثنية 4 : 21 ، 38] ؛ [ 1 : 26] ؛ [مزمير 47 : 5] ؛ [ 105 : 11] ؛ [ 135 : 12] ؛ [إرميا 7 : 2] ؛ [ 19 : 3] ؛ [ 16 : 18] ؛ [إرميا أول 5 : 2] ؛ [حزقيال 35 : 15] ؛ [ 36 : 12].

4 - في ترجمة عربية أخرى نجد النص بعبارة ورتتم بدل ملكتم : "...ثم دخلت بكم أرض الاموريين...فأسلمتهم الى ايديكم وورثتم ارضهم".

لاشك إن التشديد على أن شعب إسرائيل قد ورث الأرض من سكانها الأصليين بمثابة عطية إلهية، هو للتأكيد على مجانية هذه العطية من جهة، وعلى الحب الإلهي الذي حظي به شعب إسرائيل دون سواهم من جهة أخرى.

والملاحظ أيضاً أن هذا الحب الإلهي المجاني، لا يظهر في عطية الأرض كحدث تاريخي يتذكره شعب إسرائيل عبر العصور فحسب، إذ أعطاهم أرضاً لم يتعبوا فيها ولا عليها، ومدناً لم يبنوها، وكروماً وزيتوناً لم يغرسوها" [ تثنية 10-6-13 ] ؛ [ يشوع 13:24 ]<sup>1</sup>، بل كعطية دائمة خالدة ومتجددة، يحتفل بها اليهود في كل موسم حصاد واحتفال قطاف العنب والزيتون، وعند أكل خبز حصاد الأرض... إنها الخيرات التي يعرف اليهود أنهم لن ينالوها بقدراتهم الذاتية، وتواصلهم مع الأغيار، وامتداد دعوتهم بين الشعوب، ولكن لأن الرب أعطاهم إياها مجاناً. ولذلك كما تروي نصوص التوراة، ما برح الأنبياء يلومون ويُعنفون اليهود، كلما انحرفوا وراحوا يعبدون آلهة الوثنيين، ويقدمون لها القرابين، كما فعلوا مع "البعل و عشتاروت"<sup>2</sup> بدل الرب، إذ اعتقدوا أن "البعل" يمنح خصب الأرض والمواسم، و"عشتاروت" تكثر النسل. وهذا ما يوضح المغزى الحقيقي من الأحكام التي فرضها الرب على شعبه، كل ذلك ليحفظوا العهد فيدوم لهم التمتع بخيرات الأرض، وإلا تعرضوا لأقصى

1 - راجع أيضاً مزامير [ 105 : 44 ] ؛ [ 80 : 9 - 10 ] ؛ [ 135 : 12 ] ؛ [ 136 : 19 - 22 ] .

2 - "البعل" : أشهر إله في كنعان، البلاد التي كان بنو إسرائيل على وشك أن يدخلوها، وكان يُمتلئ بشور رمزاً للقوة والخصوبة، وكان إله للمطر والمحصول. وظل بنو إسرائيل دائماً تشدهم عبادة البعل طوال سنينهم في كنعان. وكان البغاء جزءاً هاماً في عبادة البعل. وكان محبوباً بهذه الصورة، علماً أن زوجة "البعل" هي "عشتاروت" إلهة الخصب. يراجع كتاب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مرجع سابق، ص 328،

أنواع العقوبة في حال المخالفة والعصيان، وهذا ما حدث بالفعل، وما خزي السبي المتكرر<sup>1</sup> إلا نتيجة طبيعية، وقانونا شرعيا واجتماعيا، وسنة إلهية لتخلي شعب إسرائيل عن مهمة العبودية، فصار "مثل باقي الشعوب"، وصار يعبد آلهتها<sup>2</sup>.

ومن هنا، نصل إلى المعنى الحقيقي لكلمة ميراث في المخيال اليهودي والكنسي على حد سواء، كما يوضحه البروفيسور إدوارد ليبينسكي (Lipinski Edward)<sup>3</sup>، إذ يرى أن الأرض في الأصل هي ميراث الرب، وشعب إسرائيل مجرد نزيل فيها، فكما لكل إله من آلهة الشعوب الأخرى أرضاً، كأموور و آشور فهي أسماء آلهة الأرض التي سميت باسمهم<sup>4</sup>.  
فكذلك يعتقد شعب إسرائيل أن الأرض كلها ملك للرب، كما جاء في سفر [التثنية 32:

1 - السبي الأول: 606 ق.م، قام به نبوخذناصر ملك بابل بغزو أورشليم وسبي بعض اليهود إلى بابل عاصمة ملكه، في عهد الملك يهوياقيم ملك اليهود. وكان السبي الثاني: 597 ق.م، قام به نبوخذناصر. السبي الثالث: 582 ق.م، تهدمت فيه أورشليم تماما وكان ذلك في عهد الملك اليهودي صدقيًا. السبي الرابع: 581 ق.م، قام به نبوزرदान رئيس الشرطة في مملكة نبوخذناصر. أنظر عادل فرج عبد المسيح: موسوعة أباة الكنيسة، دار الثقافة، القاهرة - 2006، الطبعة 2، ج 3، ص 11

2- يصور حزقيال بشكل مؤثر حدث السبي فيصفه بأنه سبي طوعي للرب من الأرض، لأنها لم تعد المكان الذي يعبد إسرائيل فيه [حزقيال 11: 22-23]؛ [24-16]. وحين يغادر الرب الأرض، فإنها تعود إلى مالكيها الأصليين، أي إلى الشعوب الوثنية التي كان الرب قد طردهم منها بسبب تدنيسهم لها. لذا كان من العدل تطبيق القانون نفسه، فيقصي الرب شعب إسرائيل عن هذه الأرض لأنهم دنسوها بدورهم [اللاويين 18 : 24 - 28] : "... بكل هذه لا تتنجسوا، لأنه بكل هذه قد تنجس الشعوب الذين أنا طاردهم من أمامكم<sup>25</sup> فتنجست الأرض. فأجتري دنبها منها، فتدنف الأرض سكانها. <sup>26</sup> لكن تحفظون أنتم قرانضي وأحكامي، ولا تعملون شيئاً من جميع هذه الرجسات، لا الوطني ولا الغريب النازل في وسطكم، <sup>27</sup> لأن جميع هذه الرجسات قد عملها أهل الأرض الذين قبلكم فتنجست الأرض. <sup>28</sup> فلا تدفككم الأرض بتنجيسكم إياها كما دفقت الشعوب التي قبلكم."

3 - إدوارد ليبينسكي (Lipinski Edward): بلجيكي، ولد في "لودز Lodz" بولونيا عام 1930، خبير في الاستشراق و الدراسات اللاهوتية.

LIPINSKI Edward: Essai sur la révélation et la Bible, (Lectio Divina, 60), Paris, 1970, pp.116-120 - 4



8-9] يقول: "أورث العليّ الأمم، ووَزَّع حدود الشعوب على عدد بني الله. ولكن نصيب الربّ شعبه ويعقوب حصّة ميراثه."<sup>1</sup>

وهذا تأكد في اعتقاد اليهود أن الربّ هو صاحب الأرض، وإنّ هذه الأرض قد أعطيت لهم مجاناً<sup>2</sup>، وأن وجودهم عليها، يجعلهم بمثابة ضيوف عند الربّ: "وَالأَرْضُ لآ تَبَاعُ بِنْتَةً، لِأَنَّ لِي الأَرْضَ، وَأَنْتُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلَاءُ عِنْدِي..." [سفر اللاويين 25: 23]<sup>3</sup>.

مما سبق ذكره فالدارس للتاريخ الإسرائيلي يجده مطبوعاً بطابع مميز، وهو عدم أمانة شعب الله المختار للعهد الذي أقاموه مع الربّ. لذا أرسل عيسى عليه السلام ليعيد شعب إسرائيل عن غيّه، ويحلّ لهم بعض الذي حُرّم عليهم، ويضع عنهم إصرهم والأغلال، حتى يصححوا عثرتهم ويتوبوا لباريهم، ويجددوا العهود والوعد والوصال بالدين الجديد، وهذا دليل قاطع على أن العهد القديم لم يحقق هدفه الأساسي، لذا جاء العهد الجديد مجسداً في

1 - هناك من يرى و يؤكد بأن شعب إسرائيل هو نفسه ميراث الله في الأرض، يراجع في ذلك:

MUSSNER F., *Traité sur les Juifs*, (Cogitatio Fidei, 109) Paris, 1981, p. 21

2 - [خروج 15 : 17] : "...<sup>٧</sup> اتجىء بهم وتغرسهم في جبل ميراثك، المكان الذي صنعته يا ربّ لسكنك المقدس الذي هيأته يداك يا ربّ.<sup>٨</sup> الربّ يملك إلى الدهر والأبد"

3 - يَأصل هذا النص لمبدأ وقانون حرمة بيع الأرض في الشريعة اليهودية ، لأن الأرض هي الميراث الذي أعطاه الله لكل أبناء شعبه، و على الشعب أن يفسخ كل العقود، ليعيد أراضي اليهود حتى ولو كانت مرهونة عند الأغيار، جاء في [سفر اللاويين 25: 23-31]: "وَالأَرْضُ لآ تَبَاعُ بِنْتَةً، لِأَنَّ لِي الأَرْضَ، وَأَنْتُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلَاءُ عِنْدِي."<sup>٤</sup> بَلْ فِي كُلِّ أَرْضٍ مُلْكُكُمْ تَجْعَلُونَ فِكَائِمًا لِأَرْضِ. <sup>٥</sup> إِذَا افْتَقَرَ أَحَدُكُمْ فَبَاعَ مِنْ مُلْكِهِ، يَأْتِي وَلِيُّهُ الأَقْرَبُ إِلَيْهِ وَيَفْكَ مَبِيعَ أَخِيهِ. <sup>٦</sup> وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ، فَإِنْ نَالَتْ يَدُهُ وَوَجَدَ مَقْدَارَ فِكَائِمِهِ، <sup>٧</sup> يَحْسُبُ سِنِي بَيْعِهِ، وَيَزِدُّ الفَاضِلَ لِلإنْسَانِ الَّذِي بَاعَ لَهُ، فَيَرْجِعُ إِلَى مُلْكِهِ. <sup>٨</sup> وَإِنْ لَمْ تَنْلُ يَدُهُ كَفَايَةً لِيَرُدَّ لَهُ، يَكُونُ مَبِيعُهُ فِي يَدِ شَارِيهِ إِلَى سَنَةِ الْيُوبِيلِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فِي الْيُوبِيلِ فَيَرْجِعُ إِلَى مُلْكِهِ. <sup>٩</sup> وَإِذَا بَاعَ إنْسَانٌ بَيْتَ سَكَنِ فِي مَدِينَةٍ ذَاتِ سُورٍ، فَيَكُونُ فِكَائِمُهُ إِلَى تَمَامِ سَنَةٍ بَيْعِهِ. سَنَةً يَكُونُ فِكَائِمُهُ. <sup>١٠</sup> وَإِنْ لَمْ يَفْكَ قَبْلَ أَنْ تَكْمُلَ لَهُ سَنَةٌ تَامَةً، وَجِبَ البَيْتُ الَّذِي فِي المَدِينَةِ ذَاتِ السُّورِ بِنْتَةً لِشَارِيهِ فِي أَجْيَالِهِ. لآ يَخْرُجُ فِي الْيُوبِيلِ. <sup>١١</sup> لَكِنْ بُيُوتُ الفُرَى الَّتِي لَيْسَ لَهَا سُورٌ حَوْلَهَا، فَمَعَ حُقُولِ الأَرْضِ تُحْسَبُ. يَكُونُ لَهَا فِكَائِمٌ، وَفِي الْيُوبِيلِ تَخْرُجُ... ، يراجع تفصيل ذلك عند ليبينسكي (Lipinski)

المرجع السابق، ص، 120-121



إنجيل عيسى عليه السلام، والذي لم يحقق بدوره الهدف الأساسي الذي جاء من أجله وهو إعادة اليهود للتوحيد وللشريعة السمحة، فتدخل اليهود وجاء التزوير والتحريف من جديد، من التوحيد إلى التثليث ، مما جعل لزومية بعثٍ جديد، متمثلاً في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم كخاتم للأنبياء والمرسلين، لإعادة البشرية إلى سكة التوحيد كما كانت أول مرة. قال تعالى: " الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (158) " [الأعراف: 157- 158].

## المطلب الثاني: شعب الله المختار بين التقديس والتدنيس

قبل الخوض في تفاصيل الشعب المختار المقدس الذي وُعد بالأرض المقدسة مجاناً حسب الرواية التوراتية، يجدر بنا تعريف هذا المصطلح لبيان دلالاته.

جاء في معجم الإيمان المسيحي: "شعب الله (Peuple de Dieu) جماعة إسرائيل وقد اختارها الرب لتكون شعب ميراثه [تكوين 4:20] ومكان سكناه [خروج 29:45]..."

شعب الأرض: لفظ تحقيري أطلقه اليهود العائدون من بابل على بني إسرائيل الذين لم يُجولوا، بل بقوا في مكائهم بدون عبادة، فلم يُطهروا روحياً كما أظهرت البقية الباقية ([أشعيا 4:4]، وراجع [يوحنا 7:49]، حيث يعبر الفرسييون عن مثل هذا التحقير).<sup>1</sup>

ويعرف عبد الوهاب المسيري الشعب المختار بقوله:

"يصبح الشعب اليهودي، أو جماعة إسرائيل شعباً مختاراً وأمة من الكهنة والمشحاء المخلصين، بل هو شعب مقدس يدخل الإله معه في علاقة حب حميمة تتسم بالغيرة أحياناً. ويُشار إلى الشعب بأنه ابن الإله. وتعمق هذه المفاهيم في التراث القبلي لتدخل دائرة الشرك الصريح، فالشعب يصبح الشخيانه، أي جزءاً من الإله وتعبيراً أنثوياً عنه، نفيه نفي الإله نفسه، فالإله والشعب يتكونان من جوهر واحد ("من يضرب رجلاً من جماعة إسرائيل كما لو كان يهين وجه الإله المبارك اسمه" الحاخام حانينا). وتميل المعادلة الحلولية إلى صالح الشعب بحيث يصبح عنصراً أساسياً في عملية إصلاح الخلل الكوني (تيقون) أو الخلاص وشريكاً فيها. ومن ثم، فهو الأداة التي يستعيد بها الإله وحدته، أي أن الإله يصبح

1 - حمودي صبحي و كوريون جان: معجم الإيمان المسيحي، مرجع سابق، ص 273

معتمداً على اليهود في إصلاح الكون، وفي إكمال ذاته. واليهود، بأدائهم الأوامر والنواهي، إنما يساعدون الإله على استخلاص الشرارات الإلهية المبعثرة (نيتسوتسوت) بعد حادث تهشُم الأوغية (شفيرات هكليم).<sup>1</sup> تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ويعرفها الحخام كوهين في كتابه التلمود، بقوله: "يمكن تقسيم العالم إلى قسمين، إسرائيل من جهة، والأمم الأخرى مجتمعة من جهة أخرى. فإسرائيل هي الشعب المختار: وهذه عقيدة أساسية."<sup>2</sup>

هذا الاختيار وهذه الخيرية في المخيال الفردي والجماعي اليهودي، لم تولد من فراغ، بل كانت هناك صروفاً نفسية واجتماعية، بلورتها النصوص المقدسة (التوراة والتلمود)، وحوادث التاريخ المقدس عند اليهود، باصطدامها مع إكراهات الواقع اليهودي، إلى تعميق الشعور بالعظمة والاختيار كرد فعل لحماية الذات، وهذا ما كشفه الدكتور رشاد الشامي وهو يُشرِّح ويحلّل النفسية اليهودية، ويشرح سبب الشعور بالعظمة والاختيار عند اليهود، حتى أثناء محطات البؤس والفقر والذل، التي مروا بها، بقوله: "وقد خلقت لديهم هذه القصص التاريخية الدينية إحساساً بالمدلة الدائمة، عوضوه بعد ذلك بسلوك عدواني ووحشي، تشهد على ممارسته مدوناتهم، التي سجلت قصة غزو أرض كنعان، من منظورهم الديني القومي. ولقد شقت عُقدة الانعزال عن البشر، والامتياز والاستعلاء على أمم العالم طريقها إلى النفسية اليهودية، وأصبحت عاملاً أساسياً في تكوين شخصية هذه الجماعة من البشر منذ القدم، عن طريق الأنساب والأعراق، وعن طريق الذكريات الدينية والسياسية التي تضخمت وتغلظت مع

1 - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، المجلد 5، ص 32

2 - روجيه جارودي: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة محمد هشام، دار الشروق، الطبعة الرابعة 2002، ص 54

الزمن، وهنا يتضح مدى أهمية الخرافة والأسطورة في خلق الإطار النفسي العنصري اليهودي، درجة تتجاوز الحقيقة التاريخية... وخاصة لأن هذه الخرافة والأسطورة، اصطبغت مع الزمن بقدسية الدّين، وقد رأى اليهود أنفسهم في مجتمعاتهم المتفرقة في أنحاء العالم، التي كثيرا ما تعرضت لكراهية الأمم الأخرى، وقد عاشوا، منذ السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد، والتشريد الروماني منذ القرن الأول الميلادي، يصارعون عوامل الفناء، ويتغلبون بتضامنهم الاجتماعي والديني على كل مشاريع الإبادة التي خُطّطت من أجلهم، فكان من الطبيعي أن يأخذهم الزهو والغرور بهذا البقاء الدائم، فظهرت في تعبيراتهم اللغوية ألفاظا يطلقونها على أنفسهم، لتؤكد هذا الغرور، وتزيد من الالتحام والتضامن اللذين يربطان بعضهم ببعض، وجعلوا هذه الظاهرة مرتبطة باختيار الهي دون سائر شعوب الأرض، وبإرادة إلهية لا قبل للبشر مقاومتها. ومن هنا لا يتردد اليهود في تسمية أنفسهم "شعب الله المختار". حيث يعتقدون أن هذا الاختيار هو برنامج إلهي، فبهم يعاقب الله الأمم الأخرى، وهم الذين يبقون وحدهم في آخر الزمان، متسلطين على رقاب العالم. كذلك فإنهم يسمون أنفسهم "الشعب الأزلي" (عم عولام)، و"الشعب الأبدي" (عم نيتسح)، حيث يعتقدون أنهم مثل الله، لا أول لهم ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية، و"الشعب المقدس" (عم قادوش).<sup>1</sup> تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

هذا الإحساس الذي تنامي في الذات اليهودية، حتى بلغ درجة الاعتقاد، والذي بدوره أوصلهم إلى درجة أعلى أمام أنفسهم من درجة الاختيار، وهي درجة القداسة، فأضحوا يسمون أنفسهم: "الشعب المقدس"، وترجمتها بالعبرية "عم قادوش". جاء في

---

1 - رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، ص 27

كتاب معجم الإيمان المسيحي: أن العهد القديم يجعل الله وحده هو "المقدس" و "القدوس"، فليس لشيء خارج الله أو خارج ما يختص به أن يولد الذعر أو الهيبة أو السحر. لكن الله يقدّس كل ما يخص به نفسه من أجل خلاص شعبه وجميع البشر. وبناء على ذلك، فإن الله يحفظ لنفسه أماكن وأشخاصاً وأشياء وأزمنة وطقوساً معينة إلخ... ولقد اختار شعب إسرائيل و "أفرده"، فأصبح "الشعب المقدّس" وملك الله الخاصّ، ومكان حضوره.<sup>1</sup> وهذا هو معنى الحلول والحلولية، أي حلول الله في الشعب والعكس. (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً).

وعليه فإن عبارة "الشعب المقدّس" يُطلقها كثير من اليهود، وخصوصاً اليهود الأرثوذكس، على الشعب اليهودي باعتبار أنه شعب مختار، له رسالة متميّزة وسمات خاصة، تميّزه وتفصله عن الشعوب الأخرى. بل إن الفكرة تأخذ شكلاً متطرفاً أحياناً، فقد أتى في أحد كتب المدراس<sup>2</sup>: أن الشعب اليهودي والتوراة، كانا كلاهما في عقل الإله قبل الخلق، أي مثل القرآن في الإسلام والمسيح في المسيحية. و "يسرائيل" (الشعب) و "يسرائيل" (التوراة) متعادلان، لأن يسرائيل وحدها هي التي ستحقق التوراة وتنفذ تعاليمها. فالعالم بدون هذا الشعب، شعب التوراة، لا قيمة له، أي أن الشعب المقدّس هو الركيزة النهائية للكون بأسره. وقد أصبح اليهود شعباً مقدّساً بسبب الحلول الإلهي فيهم، وتقبّلهم عبء الأوامر والنواهي،

1 - حمودي صبحي و كوريون جان: معجم الإيمان المسيحي، مرجع سابق، مادة (مقدّس، قدّوس، قدّيس) saint، ص 475

2 - مدراس midrash: كلمة عبرية تعني شرح الرّيبانين للكتاب المقدس، وهم يميلون فيه إلى تأويل النصّ المقدس بالنسبة إلى الوضع الحالي وإلى استخلاص تطبيقات عملية. ومعظم المداريش وضعت ما بين القرن السادس والثاني عشر ب م، حمودي صبحي و كوريون

جان: معجم الإيمان المسيحي، مرجع سابق، ص 445-446

فحياة اليهودي لا بد أن يتم تنظيمها، بحيث يقلد اليهودي سمات الإله، فتصبح حياته مقدّسة. وانطلاقاً من هذا، تصبح القومية اليهودية نفسها قومية مقدّسة.<sup>1</sup>

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: كيف تسربت الأساطير الصهيونية للتاريخ الغربي حتى ابتلع الغرب الطعم، وبات ينظر إلى اليهود على أنهم شعب الله المختار؟.

يجيبنا عن هذا التساؤل وهذا الموقف الشريف ريجينا بقوله: "ظهرت الصهيونية على مسرح أوروبا السياسي لأول مرة كأيدولوجية سياسية شاملة، وحركة سياسية منظمة في أواخر القرن التاسع عشر، ولكنها "كفكرة" سبقت الصهيونية اليهودية، إذ يعود تاريخها إلى ما قبل ذلك. لم تنشأ الفكرة الصهيونية، بما في ذلك أسطورتها الأساسية، في هذه الفترة ولكنها تعود في تاريخها إلى ثلاثمائة عام قبل المؤتمر الصهيوني الأول، الذي عقد في بازل عام 1897، حين التفت مجموعة من اليهود الأوروبيين حول اللواء الصهيوني. وقد اتخذ النسيج الصهيوني شكله خلال القرون الأربعة لتاريخ أوروبا الديني والاجتماعي والفكري والسياسي، نتيجة تداخل خيوط كثيرة مختلفة من الثقافة الغربية، وفي طليعتها الخيوط الدينية. وعلى ذلك فالتعاليم الصهيونية غير اليهودية، قائمة على مجموعة من الأساطير الصهيونية التي تسربت للتاريخ الغربي، وكان أكثرها وضوحاً ما تم عبر حركة الإصلاح الديني البروتستانتي في القرن السادس عشر. والأساطير الصهيونية التي بدأ غرسها في تلك المرحلة المبكرة في البيئة غير اليهودية، كانت متوافقة مع تلك التي أصبحت تشكل في النهاية المنطق الروحي الباطني للصهيونية اليهودية السياسية، وهي أساطير الشعب المختار والميثاق وعودة المسيح المنتظر.

---

1 - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، المجلد 5، ص 75

وقد جعلت أسطورة الشعب المختار اليهود أمة مفضلة على الآخرين، بينما كانت الميثاق تركز على الارتباط السرمدي بين الشعب المختار والأرض المقدسة كما وعد الله، وبذلك منحت فلسطين لليهود كأرض كتبت لهم. أمّا أسطورة ترقب عودة المسيح فقد كفلت للشعب المختار أن يضع حداً لتشرده في الوقت المناسب ليعود لفلسطين لإقامة وطنه القومي هنالك إلى الأبد.<sup>1</sup>

وبذلك تغيرت صفة هذا الشعب من كونه شعباً مختاراً إلى كونه شعباً مختاراً. والجديد في الأمر أن فكرة العودة لم تعد مرتبطة بالمشيئة الإلهية، كما كانت من قبل، بل أصبح من الممكن أن تحصل بفعل بشري. وهكذا نجد التبدل الجذري في المفهوم الأوروبي، فبعد أن كانت النظرة الأوروبية إلى فلسطين عموماً والقدس خصوصاً، بأنها أرض مسيحية مقدسة، والتي بسببها نشبت حروب رومانية وأخرى صليبية، للمحافظة عليها قبل الضياع أو استرجعها بعده، وإبعاد خطر الغزاة من يهود وغيرهم عن حياضها، أصبحت النظرة الأوروبية الجديدة إلى فلسطين بأنها أرض يهودية تبعا لتأويلات النبوءات التوراتية<sup>2</sup>. فكان لهذه

---

1 - رجينا الشريف: الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي، مرجع سابق، ص 24-25. وانظر أيضا يوسف أيوب حداد: هل

لل يهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين، مرجع سابق، ص 327 وما بعدها

2 - عمل الضغط الصهيوني واليهودي العالمي على الكنيسة حتى برأت اليهود من دم المسيح - نصرانيا أو المشبه لهم إسلاميا - ففي مؤتمر الفاتيكان الثاني المنعقد عام 1963م، اجتمعوا لبحث موضوعات عديدة، تدور حول تقوية الوحدة المسيحية. وفي الدورة الثانية منه قدّم الألماني (الكاردينال بيا) وثيقة تعتبر الصورة التمهيدية للوثيقة التي صدرت فيما بعد، وتبرئ اليهود من دم المسيح. وتنادي الوثيقة التمهيدية: باعتبار الشعب اليهودي جزءاً من الأمل المسيحي، وأنه لا يجوز أن ننسب إلى يهود عصرنا ما ارتكب من أعمال أيام المسيح، واحتج الكاردينال لكلامه بأن كثيرين من الشعب لم يكونوا يعرفون شيئاً عما حدث، ولم يوافق بعض قادة الشعب على فعل سائر الكهنة. وقد عرضت الوثيقة داخل المجمع، لما فيها من اعتبارات دينية وسياسية، وتم تشكيل لجنة لتعديل الوثيقة، وعدلت، وصدّرت في أكتوبر 1965م وثيقة تبرئة اليهود. ومما تضمنته هذه الوثيقة " فإن ما ارتكب أثناء آلامه لا يمكن أن يعزى إلى جميع اليهود الذين كانوا عانسين إذ ذاك، ولا إلى يهود أيامنا ". ويقول الكاردينال " بيا " عن هذه الوثيقة: " ليست هذه الوثيقة ثمرة يوم أو ليلة، إنها خلاصة دراسة "، وقد

النصوص بالغ الأثر والقدرة على تغيير حقائق التاريخ و تشكيل قناعات جديدة لم تكن عند الأولين.<sup>1</sup>

وكمثال تطبيقي حي على ذلك الكتاب المذكور أنفا "معجم الإيمان المسيحي" ، وهو كتاب خاص بالمسيحية، ويشرح فيه كبار علماء المسيحية الألفاظ والمفردات الدينية، ورغم ذلك ابتلع مؤلفوه الطعم هم أيضا، فصاروا يقرون ويروجون من حيث يدرون أو لا يدرون، للأسطورة اليهودية، فوردت فيه العبارة المذكورة آنفا: ... أن الله قد اختار شعب إسرائيل و "أفرده"، فأصبح "الشعب المقدس" وملك الله الخاص...والذي حدث لهؤلاء وهم على درجة عالية من "العلم"، حدث ويحدث لغيرهم.

لذا عمد منظرو الصهيونية الأوائل والمساندين لها، من أمثال ليو بنسكر<sup>2</sup> حيث دعا إلى تأسيس مستعمرات في فلسطين، وأنشأ لهذا الغرض جمعية تدعى "جمعية أحياء صهيون" وتتلخص نظريته التي عرضها كما يلي: "ليس اليهود طائفة دينية فحسب إنما هم "أمة"، ولهذا فإن تحريرهم المدني والسياسي لا يكفيان لرفعهم في أعين الشعوب، والعلاج لذلك واحد: خلق "قومية" يهودية وإعطاء اليهود بلادا يمكن اعتبارها ملكا خاصا لهم ليأمنوا فيها خطر الطرد، وإلى مثل هذه البلاد يريد أن يجلب بنوا إسرائيل أقدس الثروات التي

---

وقع البابا يوحنا الثالث والعشرون عليها قبل وفاته بخمسة أشهر، لتصبح وثيقة دينية معتبرة، ومعتمدة من أهم المراجع النصرانية. وأعلنت لجنة الفاتيكان للعلاقات مع اليهود براءة جديدة لليهود من دم المسيح عام 1985م، وذلك بناءً على توجيهات البابا 'يوحنا بولس الثاني'، كما دعت تلك الوثيقة إلى عدم اعتبار اليهود شعباً منبوذاً أو معادياً للمسيح، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك حينما دعت إلى أن المسيح نفسه كان يهودياً وسيظل يهودياً. كما جدد بابا الفاتيكان "بندكت السادس عشر" مؤخرًا، في كتابه " يسوع الناصري" تبرئة اليهود من دم المسح عليه السلام.

1 - أنظر تفصيل ذلك عند يوسف أيوب حداد: هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين، مرجع سابق، ص 341 .

2 - راجع تعريف هذه الشخصية في الفصل الأول عند الحديث عن ظهور القوميات الأوروبية المتطرفة و تفعيل فكرة اللاسامية.



أنقذوها من أرض أجدادهم. ويضيف، "يجب على اليهود أن يتعلقوا بالمكان الذي زالت منه حياتهم السياسية بعنف (ويقصد فلسطين..) وهو سبيلهم الوحيد إلى "التحرر الذاتي"

#### 1. Auto Emancipation

قال أحمد عصام البشري المفكر السوداني وعضو المجلس الوطني، في مجلة القدس العدد 24 ص 6: إن الحق التاريخي لليهود في أرض فلسطين والزعيم بأن إسرائيل ما جاءت لتحتل أرضاً بل لتسترد حقاً، فرية شوهاء وكذبة بلقاء لا تقوم على ساق ولا تنهض بها حجة، وهي أوهى من بيت العنكبوت، كما أن القول بأن لليهود حقاً دينياً في فلسطين بدعوى أنها تُعد الآن امتداداً لمملكة داود التي قامت في القرن العاشر قبل الميلاد، لا يقوى أمام التحقيق العلمي، وكذا ما استطاعوا أن يؤثروا به على الغرب المسيحي من الاعتقاد بأن عودة المسيح مرهون بتجميع اليهود في أرض فلسطين، والإعلان بأن تأسيس الكيان الصهيوني تحقيق للنبوءة التوراتية التي تقول: إن الله وعد إبراهيم (بأن يعطي نسله أرض فلسطين. وكذلك وعد ابنه إسحاق وحفيده يعقوب ..)، كل ذلك وهم كبير، ذلك أن (أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا .. [آل عمران 68]، كما أن الإمامة لا تنتقل بالوراثة وإلا شابها الجور والظلم الذي لا يرضى عنه رب العزة القائل لإبراهيم عندما (قال ومن ذريتي) طالباً إياها لبنيه ولبني بنيه من بعده، فكان الجواب من الله (قال لا ينال عهدي الظالمين .. [البقرة 124]).

والسؤال المطروح هل كل اليهود ابتلعوا الطعم الذي ابتلعه الغرب وحضارته، أم أن هناك من يعارض بقوة الطرح الصهيوني؟  
يجيبنا الواقع اليهودي عن ذلك بالنفي، إذ هناك من اليهود من يرى أن بني إسرائيل (اليهود) لا يشكلون نسقا واحدا، لأنهم ليسوا جنسا واحدا، لذا لا يمكن أن يكونوا لا شعبا مختارا ولا مقدسا، كما تزعم الصهيونية، وعلى رأس هؤلاء الباحث اليهودي "شلومو ساند" (Shlomo Sand)<sup>1</sup> ففي كتابه الأول "متى اختُرع الشعب اليهودي؟ وكيف؟، من الكتاب المقدس إلى الصهيونية".

### (Comment le peuple juif fut inventé "de la bible au sionisme")

سلط "ساند" الضوء على يهود شرق أوروبا، الذين يشكلون الآن الجزء الأكبر من الإسرائيليين، ويذكر بأنهم تهودوا في القرن السابع الميلادي وأنهم لا يمتون بأي صلة لبني إسرائيل<sup>2</sup>، وهو ما يناقض ما جاء في وثيقة استقلال إسرائيل التي نصت على أن الشعب

---

1 - شلومو ساند: بروفيسور إسرائيلي في التاريخ المعاصر بجامعة تل أبيب، ومؤلف كتاب اختراع الشعب اليهودي. تتمحور أبحاثه التاريخية حول القومية، والأفلام والتاريخ الثقافي لفرنسا. ولد في 10 سبتمبر 1946 بمدينة لينتز بالنمسا لأبوين يهوديين من بولندا نجيا من الهولوكوست. كان لوالديه آراء ومواقف شيوعية مناهضة للإمبريالية ورفضاً استلام التعويضات من ألمانيا عن معاناتهما خلال الحرب العالمية الثانية. أمضى شلومو سنواته الأولى في مخيم للمشردين، وانتقل مع الأسرة إلى يافا في 1948. تم طرده من الثانوية العامة ولم يكمل اختبار القبول في الجامعة إلا عقب اكمال خدمته العسكرية. غادر في نهاية المطاف اتحاد الشباب الشيوعي الإسرائيلي وانضم لحركة "مصبن" المعادية للصهيونية حتى العام 1968. رفض عرضاً من قبل الحزب الشيوعي الإسرائيلي لإرساله لبولندا لدراسة السينما، وتخرج عام 1975 من جامعة تل أبيب. في الفترة ما بين 1975 و1985، قام شلومو بالدراسة والتدريس في باريس وحصل على الماجستير في التاريخ الفرنسي ومن ثم الدكتوراه عن بحثه حول جورج سيرويل والماركسية.

2 - أصل اليهود الإشكناز - وهم غالبية اليهود - لم يكن أصلهم ساميا من بني إبراهيم ولكنهم منحدرين من قبائل الخرز القوقازية وهذا ما يبطل مزاعم نقاء سلالة اليهود، أنظر إثبات ذلك عند أحمد عثمان: تاريخ اليهود، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص 17-24.

اليهودي، عاش على أرض إسرائيل، التي تبلورت فيها شخصيته الروحية والدينية والسياسية، وفيها عاش حياة سياسية، وأنتج ثقافة وطنية وإنسانية، وأورث للعالم كله الكتاب المقدس. وأوضح ساند في ذات الكتاب، كيف قادت الأيديولوجية الصهيونية مشروع النزعة القومية اليهودية، من خلال تحويل اليهودية إلى شيء شبيه بالقومية الألمانية، نافيًا وجود شعب يهودي أصلاً، ويعتبر ذلك مجرد "أسطورة" قامت عليها دولة إسرائيل، كما أثبت ساند خطأ مقولة "الشعب اليهودي"، من خلال تأكيده على أن تدمير الرومان للهيكل الثاني لم يؤد - خلافاً لما يذهب إليه البعض - إلى نفي الرومان لهم، فالرومان لم يثبت عنهم نفيهم لشعوب بأكملها، إلى جانب أن اليهود كانوا موجودين في ذلك الوقت، في مجتمعات أخرى في فارس ومصر وآسيا الصغرى، وأماكن أخرى بأعداد كبيرة، وهو ما يعني بطلان تلك المقولة من أساسها.<sup>1</sup>

وحتى نفهم الأسس التي قامت عليها نظرية الشعب المقدس والمختار، علينا العودة إلى العهد القديم، ورصد النصوص التي فَعَدَت لهذه القداسة، والتي تركت أثارها في التكوين النفسي والذهني والعقائدي لليهود، والتي عملت الصهيونية على إبرازها من جديد، والعزف عليها بقوة بشكل انتقائي، لتشكيل وصياغة العقلية والنفسية اليهودية بهذه المبادئ القديمة الجديدة، لاستثمارها في المشروع الصهيوني من جهة، ومن جهة أخرى للتأثير على الآخر

---

1 - أنظر تفصيل ذلك عند شلومو ساند: اختلاق شعب إسرائيل من الكتاب المقدس إلى الصهيونية

– المسيحي وغيره – وصناعة وصياغة صناعات جديدة أخرى له، حتى تضمن تغيير ردة فعله الطبيعية تجاه اليهود من العدا والحاربة، إلى المصاحبة والمساندة. ومن هذه النصوص ما يلي:

**نصوص تقديس الشعب.**

تعرض نصوص العهد القديم علاقة الرب بشعبه والشكل المتميز (المقدس) الذي يجب أن يكونوا عليه، في ثنائية متلازمة، فكما أن الرب طاهر مقدس، يجب أن يكون شعبه الذي يحبه كذلك. ورد في [سفر اللاويين 20: 24-26] قوله: "أَنَا الرَّبُّ إِيَّاكُمْ الَّذِي مَيَّزْتُكُمْ مِنَ الشُّعُوبِ.<sup>٢٥</sup> فَتُمَيِّزُونَ بَيْنَ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَالنَّجِسَةِ، وَبَيْنَ الطُّيُورِ النَّجِسَةِ وَالطَّاهِرَةِ. فَلَا تُدَسُّوا نُفُوسَكُمْ بِالْبَهَائِمِ وَالطُّيُورِ، وَلَا بِكُلِّ مَا يَدِبُّ عَلَى الْأَرْضِ مِمَّا مَيَّزْتُهُ لَكُمْ لِيَكُونَ بَجَسًا.<sup>٢٦</sup> وَتَكُونُونَ لِي قَدِيسِينَ لِأَنِّي قُدُّوسٌ أَنَا الرَّبُّ، وَقَدْ مَيَّزْتُكُمْ مِنَ الشُّعُوبِ لِتَكُونُوا لِي."

ويصف الرب شكل حبه لشعبه واختياره له، في حلولية واضحة، وخصوصية تصل إلى درجة الالتصاق والالتحام، إذا ذكرت أحدهما وكأنك تذكر الآخر بالضرورة، كأنهما وجهان لعملة واحدة، الشعب حل في الرب والرب حل في الشعب، – تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، – علما أن هذا الحب يعلنه الرب من جهة واحدة وبلا سبب كما عودتنا نصوص العهد القديم، فقد جاء في [التثنية 7: 6-8] (...)" لِأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِيَّاكَ. إِيَّاكَ قَدْ اخْتَارَ الرَّبُّ إِيَّاكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخْصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، التَّصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لِأَنَّكُمْ أَقْلٌ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ.<sup>٨</sup> بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ، وَحَفِظِهِ الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَ لِآبَائِكُمْ..."

وقال أيضا في [التثنية 26: 16-19]: (...)" <sup>٨</sup>وَوَاعَدَكَ الرَّبُّ الْيَوْمَ أَنْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا، كَمَا قَالَ لَكَ، وَتَحْفَظَ جَمِيعَ وَصَايَاهُ، <sup>٩</sup>وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُسْتَعْلَبًا عَلَى جَمِيعِ الْقَبَائِلِ الَّتِي عَمَلَهَا فِي الثَّنَاءِ وَالْإِسْمِ وَالْبَهَاءِ، وَأَنْ تَكُونَ شَعْبًا مُقَدَّسًا لِلرَّبِّ إِيَّاكَ، كَمَا قَالَ."

أمام هذا "الحب المقدس" كيف ستكون نفسية اليهودي وشعوره؟ أكيد أنه سيشعر بأنه شخص ذو صفات فوق بشرية "سوبرمان" (super-men) على هذه الأرض، وأنها وبمن فيها له وحده، ويتقزم الكل أمامه حتى أنه لا يرى غير نفسه<sup>1</sup>. لذا وأمام هذه النعمة وهذا الفضل الذي منحه الرب لليهود كشعب وللإلهي كفرد، نجد أن اليهودي وجب عليه شكر إلهه في كل الصلوات لتفضيله واختياره للشعب اليهودي من بين الأمم. لذا حينما يقع الاختيار على أحد المصلين لقراءة التوراة، عليه أن يحمّد الإله لاختياره هذا الشعب دون الشعوب الأخرى، ولمنحه التوراة علامة على التمييز.

وقد حاول كثير من حاخامات اليهود وكثير من فقهاءهم ومفكرهم تفسير فكرة الاختيار، فجاءوا بتفسيرات كثيرة. ولكن، وبغض النظر عن مضمونها، إلا أن فكرة الاختيار، تؤكد على فكرة جوهرية ومحورية، هي فكرة الانفصال والانعزال عن الآخرين (تعبيراً عن القداسة الناجمة عن الحلول الإلهي في الشعب). لذا قال الفيلسوف والوُرخ آرنولد توينبي: "...). ويُقرُّ فلاسفة الصهيونية بالنظر العنصرية الاستعلائية في التوراة كما في التلمود، ويرى غيرهم أن هذه العنصرية هي السبب في عُزلة اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها، وعدم توافقتهم وانسجامهم مع الآخرين الأمر الذي يُعدُّ سمةً بارزة في الشخصية اليهودية"<sup>2</sup>. وقد جاء في التلمود أن جماعة إسرائيل يُشَبَّهون بجمّة الزيتون لأن

1 - أكد آحاد هعام، منطلقاً من المفاهيم النيتشوية - نسبة إلى نتشه - الخاصة بالسوبرمان، أن اليهود أمة متفوقة ("سوبر أمة" على حد قوله). وتحدّث المفكر الصهيوني الاشتراكي نحمان سيركين عن اليهودي بوصفه البروليتاري الأزلّي. أما لويس برانديز، فقد تحدّث عنه بوصفه الديموقراطي الأزلّي، أي أن اليهودي قد اختير منذ القدم ليؤدّي رسالة أزلّية اشتراكية عند الصهيوني الاشتراكي، وأزلّية ديموقراطية ليبرالية عند الصهيوني الديموقراطي الليبرالي. وتسيطر فكرة الشعب المختار، بعد علمنتها، على الفكر الصهيوني بجميع اتجاهاته.

2 - أرلوند توينبي: فلسطين جريمة ودفاع، ترجمة: عمر الديراوي، بيروت: 1961م، ص48.

الزيتون لا يمكن خلطه مع المواد الأخرى، وكذلك أعضاء جماعة إسرائيل يستحيل اختلاطهم مع الشعوب الأخرى. وقد كانت عملية التفسير هذه ضرورية، في الواقع، لأن أعضاء الشعب المختار المقدس، الذي يفترض أن الإله قد حلّ فيه، وجدوا أنهم من أصغر الشعوب في الشرق الأدنى القديم وأضعفها، ولم يكونوا بأية حال من الأحوال أكثرها رُقياً ولا تفوقاً، ناهيك أنهم حاقت بهم عدة هزائم و انتكاسات انتهت بالسبي الأول والثاني والثالث والرابع كما أسلفنا الذكر، ورغم ذلك فالدارس لتاريخ الفكر اليهودي يجد أن تفسيرات اليهود للاختيار عديدة ومتنوعة، إلا أنها في مجموعها تعبر عن درجات متفاوتة من الحلول والارتباط بين الربّ وشعبه، فكلما ازدادت نزعة الارتباط والحلولية، زادت القداسة في الشعب، ومن ثم زادت عزلته واختياره<sup>1</sup>.

وكأن نفسية الاعتزال - المرضية - عند اليهود، سببها قداسة اختيار الربّ لهم، فعموا وضموا، وحولوا كل نقيصة نفسية أو تشوّه في شخصيتهم الفردية والجماعية، إلى نقطة إيجابية، ترفّعهم ولا تهينهم، يُشكرون، ولا يُذمّون عليها، فكانت تطبيقات الحيل النفسية والعقلية عندهم<sup>2</sup>، تدفعهم إلى اتهام غيرهم بالعمى، لأنهم لا يفهمون ولا يرون الأشياء كما

1- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، المجلد 5، ص 72

2 - الحيل النفسية أو الدفاعات النفسية: يلجأ إليها الإنسان إذا لم يوفق في حل مشاكله، أو للتقليل من الصراعات في داخله، وأيضاً لحماية ذاته من التهديد، أو لعدم إرضاء دوافعه بطريقة سوية واقعية، لأسباب كثيرة: كأن تكون المشكلة فوق احتمالها، أو تكون نتيجة دوافع لاشعورية لا يعرف مصدرها، أو تكون ناتجة عن ضعف أو قصور في تكوينة النفس، وهذه الحيل تحقق للفرد التخلص من القلق والتوتر الناتج من عدم حل هذه المشكلة، ولكنها تصبح ضارة وخطيرة عندما تُعمى الفرد عن رؤية عيوبه ومشاكله الحقيقية، ولا تعينه على مواجهة المشكلة بصورة واقعية، و من أهم هذه الحيل النفسية: التعلية (التسامي)، التفكيك (العزل)، السلبية، التعويض، التقمص (التوحد)، الاحتواء (الاستدماج)، الإسقاط، النكوص، التثبيت، الانعزال، العدوانية، الانسحاب، الأحلام، أحلام اليقظة، التبرير، الإنكار، الإلغاء (الإبطال/ المحو)، الكبت، الإزاحة وغيرها... ولو فصلنا في كل وحدة منها لوجدنا لها صورة في الفكر والممارسات اليهودية ماضياً وحاضراً. كما يشير

يفهمها ويراهم اليهود بمنظارهم الخاص، تماما كما تفعله زوجة الملك القبيحة الوجه والطباع، فهي لا ترى قُبْحها ولكنها ترى حسن مقام بعلها الملك، الذي أعطاها مرآة منحٍ أضاف لها مسحة من الجمال، فخفف قبحها، بصرف الأنظار عنها وذلك بهيئته هو، فرغم قبحها هي، تبقى زوجة الملك...

وكذلك الاختيار، حسب هذا التفسير، لا علاقة له بالخير أو الشر، ولا بالطاعة أو المعصية، فهو لا يسقط عن الشعب اليهودي، حتى ولو أتى هذا الشعب بالمعصية، إذ أن حب الرب للشعب المختار يغلب على عدالته، ولذلك لن يرفض الإله شعبه كلية، في أي وقت من الأوقات مهما تكن شرور هذا الشعب. لذا يدعي أحد المفسرين أن الإله هو الذي اختار الشعب اليهودي، فالاختيار مُلزمٌ له هو وحده، وليس ملزماً للشعب!، بخلاف المفهوم الإسلامي للاختيار الذي يجعله مبنياً على القيم، ومشروطاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أنه ليس اختياراً عنصرياً أو عرقياً بل هو اختيار أخلاقي، غير مقصور لا على جنس ولا على أمة بعينها<sup>1</sup>، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات: 13]. و قال تعالى أيضا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل: 97].

لكن السؤال الذي يفرض نفسه بالحاح، لماذا هذا الاختيار؟ وما مبرراته و مرتكزاته؟.

---

علماء النفس أن هناك إلى جانب الحيل النفسية حيل عقلية أيضا، يتهرب بها الإنسان من مشكلاته بدل مجابتهها. لمزيد من التفصيل أنظر نهاد درويش: الحيل النفسية، دار الفتحة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1987.

1- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المرجع السابق. المجلد 5، ص 73 بتصريف.

يجبنا على ذلك عبد الوهاب المسيري وهو يعيد الأمر إلى اعتبارات ثلاثة:

1- الاختيار كعلامة على التفوق.

2- الاختيار كتكليف ديني.

3- الاختيار كأمر رباني وسر من الأسرار.

فالاختبار الأول: سببه أن الرب لم يختَر اليهود بوصفهم شعباً وحسب، بل اختارهم كجماعة دينية قومية توحدّها أفكارها وعقائدها، لأن الشعب اليهودي حمل وحده الرسالة التي عُرضت على شعوب الأرض قاطبة فرفضتها، فحوّلهم هذا الاختيار إلى مملكة من الكهنة والقسيسين، وإلى أمة مقدّسة تتداخل العناصر الدينية والقومية فيها. واختيار الإله لليهود هو جوهر العهد أو الميثاق المبرم بينه وبين إبراهيم عليه السلام.

كما يدل الاختيار حسب هذا الاعتبار على تفوق اليهود عرقياً، فقد اختير إبراهيم لنقائه، واختير اليهود لأنهم من نسله. وقد جاء في التلمود: "كل اليهود مقدّسون.. كل اليهود أمراء.. لم تُخلَق الدنيا إلا لجماعة إسرائيل.. لا يُدعى أحد أبناء الإله إلا جماعة إسرائيل.. لا يجب الإله أحداً إلا لجماعة إسرائيل". كما يدل الاختيار على تفوق اليهود الأخلاقي، فقد اختارهم لأنهم أول شعب يعبده وحده، فلما اختار الشعب الرب، اختار الرب بدوره الشعب. جاء في التلمود: "لماذا اختار الواحد القدوس تبارك اسمه جماعة إسرائيل، لأن... أعضاء جماعة إسرائيل اختاروا الواحد القدوس تبارك اسمه وتوراته".

أما الاعتبار الثاني القائم على التكليف: فقد اختار الإله الشعب اليهودي حتى يكون من جهة خادماً له بين الشعوب، ومن جهة أخرى ليكون أداة إصلاح شعوب العالم، وهذا يجعل الاختيار تكليف إلهي وليس ميزة، فهو يعني زيادة المسؤوليات والأعباء: "إِيَّاكُمْ فَقَطْ



عَرَفْتُ مِنْ جَمِيعِ قَبَائِلِ الْأَرْضِ، لِذَلِكَ أَعَاقِبُكُمْ عَلَى جَمِيعِ ذُنُوبِكُمْ". [عاموس 3: 2]، وعلى ذلك يصبح اليهود "خدام الإله الطيِّعين".

أما الاعتبار الثالث فهو أمر غيبي ربّاني: قائم على سرّ من الأسرار، يجعل الاختيار غير مشروط وبلا سبب، فهو من إرادة الإله التي لا يُسأل عنها، فالإله الذي اختار الشعب ووعدته بالأرض، وليس لأي إنسان أن يتدخل في هذا، فالاختيار هنا أمر ملكي على العبد الإذعان له وهو سرّ من الأسرار وهو أكثر التفسيرات تواتراً بين اليهود.<sup>1</sup>

ومن أهم النتائج المترتبة على أسطورة "شعب الله المختار"، شعور اليهودي بنقاء سلالته- وهذا ما لا تثبته الحقائق العلمية- ولذلك اختاره الربّ الواحد، والذي هو مخصوص لهم دون سواهم، فوحدانية الله عندهم مرتبطة بوحدانية الشعب اليهودي، والعكس صحيح أي: إذا خلع الشعب الوحدانية عن الإله، خلع الإله الوحدانية عن الشعب<sup>2</sup>، وما الصهيونية إلا ترجمة عملية لهذا الشعب في الوقت الراهن، وقد حاول بعض المفكرين اليهود في العصر الحديث، التخفيف من حدة الإطلاق لمفهوم الشعب المختار، إلا أنهم جعلوا له نسبة كبيرة مقارنة بباقي الشعوب، يقول "ليو باييك": "إن كل شعب يتم اختياره ليكون له نصيب من تاريخ البشرية، ولكن حظ اليهود من هذا التاريخ أكبر من أي نصيب آخر"، لذا تمرّد دعاة حركة التنوير اليهودية، واليهودية الإصلاحية، على مفهوم الاختيار بمعناه العنصري والأخلاقي، واستبدلوه بفكرة "الرسالة"، ومفادها أن الإله شتّت اليهود في أنحاء الأرض، لا عقاباً لهم، وإنما لينشروا رسالته وليصبحوا أدواته في تحقيق السلام

1- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المرجع السابق، المجلد 5، ص 73

2 - جمال البدرى: السيف الأحمر دراسة في الأصولية اليهودية المعاصرة، مرجع سابق، ص 35

والخلاص، - وهذا أيضا من صميم الحيل النفسية والعقلية - وقد تخلّى التجديديون تماماً عن فكرة الاختيار، أما اليهودية المحافظة والأرثوذكسية، فأبقت هذا المفهوم الديني وعمقته.<sup>1</sup>

كما نتج عن أسطورة "الشعب المختار" أسطورة أخرى، هي "الأمة المقدسة"، فأصبح اليهود يرون أنفسهم نتاج الاختيار أنهم "أمة مقدسة" من الكهنة والقديسين، الأمر الذي صبغ الطقوس الدينية كلها، والكتب اللاهوتية كلها، بطابع قومي عميق، وأصبح هذا المفهوم قاسما مشتركا لدى اليهود المتدينين والعلمانيين على حد سواء. الأمر الذي ولّد عُقدتين ثنتين في النفسية والعقلية اليهودية وهما: عُقدة الاضطهاد الجماعي، وعُقدة التفوق الفردي.

فبالأولى يجمعون شتاتهم وشعثهم فيكونون على صوت واحد، فإذا أصاب بعض الجماعة اليهودية أي مكروه أو شبه مكروه، هبّ الجميع نحو التنديد والبكاء والشكوى متدينين كانوا أم علمانيين، "يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ"، وما تضخيم قصة المحرقة عنا ببعيدة.

وأما الثانية فهو منظار مكبر، به يرون أنفسهم أنهم أحق الناس بكل فضل وعبقرية، و به يبرزون كل نجاحاتهم ومنجزاتهم الإنسانية على أنها نتاج العبقرية والتفوق اليهودي على كل البشرية، وقد صرح بن جوريون: أن دولة إسرائيل تضم الشعب الكنز، ولهذا فإن بوسعها أن تصبح منارة لكل الأمم.<sup>2</sup>

1- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، المجلد 5، ص 73

2- المرجع السابق.

وعليه فإذا سألتهم عن العالم الألماني اليهودي "ألبرت انشتاين" (Albert Einstein 1879 - 1955) مثلا، قالو: "إنه عبقرى متفوق لأنه يهودى..."، والحقيقة أنه عبقرى ولكن ليس لكونه يهوديا، وإنما لكونه ألمانيا، أثرت فيه بيئته المفعمة بالعلم والعمل والجدّ والإتقان، وإلا لماذا لا يوجد في "يهود الفلاشا" مثلا، من هو متفوق يومها كأنشتاين؟، ذلك لأن يهودى الفلاشا - الذي كان يومها يعيش في العراق، لا يكاد يجد حتى فتات الخبز -، هو أيضا ابن بيئته، فمخرجات الحضارة والتقدم تكوّن وتنتج حضارة وتقدمًا، ومخرجات التخلف لاتنتج إلا تخلفًا، ولا دخل لعبقرية جنس على آخر، فالعبقرية لا تُورث ولا تقسم بالأزلام، وما تفوق موسى بن ميمون اليهودى مثلا، إلا لتفوق بيئته الأندلسية يومها.

علما أن هذه العقدة - عقدة التفوق - تجدها حتى بين اليهود أنفسهم، وقد كشف لنا القرآن الكريم هذه النفسية بقوله تعالى: ﴿بِأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: 14].<sup>1</sup>

1 - قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ شَهِيدٌ لَّهُمْ لَكَاذِبُونَ {11} لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَصَرُوهُمْ لَيُولَّيْنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ {12} لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ {13} لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَىٰ مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ {14}﴾ [سورة الحشر: 11-14] راجع تفسير هذه الآيات وسبب نزولها عند ابن كثير أبو الفداء إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1

## نصوص تدنيس المقدس (Désacrilisation du sacré)

قد يقول قائل أن الترجمة الحقيقية للفظـة " Désacrilisation " هي " اللاتقديس " وليس تدنيس ، لأنه يمكن للشـيء أن يكون مقدسا، ثم تُنزع عنه القداسة فإنه لا يتحول بالضرورة إلى شيء مدنس ، فقد يصبح شيئا عاديا، فلماذا جاء التعبير بالمدنس؟ الحقيقة أن الأمر مقصود، فما سنعرضه من النصوص لا تنزع القداسة عن الشعب المختار وتجعله شعبا عاديا فحسب، بل تصفهم بأبشع صور التدنيس و السداجة والحمق، والحق أن بني إسرائيل رغم تشدقهم بعبادة الله، وأنهم قد اختصوه بهذه العبادة وحده حتى استحقوا أن يختصهم بعهدـه، فإنهم كانوا أكثر الشعوب كفرا به وتمردا عليه وتدمرا على رسله.. والنصوص التوراتية تؤكد هذا وتوثقه.<sup>1</sup>

تعرض لنا نصوص التوراة بعض المشاهد والصور والسياقات، تبين أن الخيانة من اليهود كانت متوقعة ، منها أن موسى عليه السلام دعا قومه فُيبل رحيله، وأشدهم على أنفسهم أمام الملأ قائلا: " <sup>٢٥</sup>أمر موسى اللاويين حاملي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ قَائِلًا: <sup>٢٦</sup>" خذُوا كِتَابَ التَّوْرَةِ هَذَا وَضَعُوهُ بِجَانِبِ تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ إِلَيْكُمْ، لِيَكُونَ هُنَاكَ شَاهِدًا عَلَيْكُمْ. <sup>٢٧</sup>لَأَنِّي أَنَا عَارِفٌ تَمَرُّدِكُمْ وَرِقَابِكُمْ الصُّلْبَةَ. هُوَذَا وَأَنَا بَعْدُ حَيٌّ مَعَكُمْ الْيَوْمَ، قَدْ صِرْتُمْ تُقَاوِمُونَ الرَّبَّ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ بَعْدَ مَوْتِي! <sup>٢٨</sup>اجْمَعُوا إِلَيَّ كُلَّ شَيْخِ أَسْبَاطِكُمْ وَعُرَفَاءِكُمْ لِأَنطِقَ فِي مَسَامِعِهِمْ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ. <sup>٢٩</sup>لَأَنِّي عَارِفٌ أَنَّكُمْ بَعْدَ مَوْتِي تَفْسِدُونَ وَتَزِيغُونَ عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ، وَيُصِيبُكُمُ الشَّرُّ فِي آخِرِ الْأَيَّامِ لِأَنَّكُمْ تَعْمَلُونَ الشَّرَّ

1- الشرقاوي عبد الله: الكنز المرصود في فضائح التلمود، مرجع سابق، ص 79

أَمَامَ الرَّبِّ حَتَّى تُعِظُوهُ بِأَعْمَالِ أَيْدِيكُمْ".<sup>٣٠</sup> فَنَطَقَ مُوسَى فِي مَسَامِعِ كُلِّ جَمَاعَةٍ إِسْرَائِيلَ  
بِكَلِمَاتِ هَذَا النَّشِيدِ إِلَى تَمَامِهِ. [سفر التثنية 29:25-31]

ثم جاء التصريح بالخيانة وأماط اللثام عنها كما في [سفر القضاة 10 : 6 - 7]:  
وَعَادَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يُعْمَلُونَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ، وَعَبَدُوا الْبُعْلِيمَ وَالْعَشْتَارُوثَ وَالْهَيْةَ أَرَامَ وَالْهَيْةَ  
صِيدُونَ وَالْهَيْةَ مُوَابَ وَالْهَيْةَ بَنِي عَمُونَ وَالْهَيْةَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، وَتَرَكُوا الرَّبَّ وَمَآ يَعْْبُدُونَهُ. <sup>٧</sup> فَحَمِي  
غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ وَبَاعَهُمْ بِيَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَبِيَدِ بَنِي عَمُونَ.... "، أنظر كذلك  
[سفر القضاة 3 : 5 - 8].

وجاء في نبوءة أرميا حوارات شنيعة منها:

" وَقَالَ الرَّبُّ لِي: "تُوجَدُ فِتْنَةٌ بَيْنَ رِجَالِ يَهُودَا وَسُكَّانِ أُورُشَلِيمَ. <sup>١٠</sup> قَدْ رَجَعُوا إِلَى  
أَنَامِ آبَائِهِمُ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ أَبَوْا أَنْ يَسْمَعُوا كَلَامِي، وَقَدْ ذَهَبُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لِيَعْبُدُوهَا. قَدْ  
نَقَضَ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ وَبَيْتُ يَهُودَا عَهْدِي الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ. <sup>١١</sup> لِذَلِكَ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ:  
هَآنَذَا جَالِبٌ عَلَيْهِمْ شَرًّا لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهُ، وَيَصْرُخُونَ إِلَيَّ فَلَا أَسْمَعُ لَهُمْ.  
<sup>١٢</sup> فَيَنْطَلِقُ مُدُنُ يَهُودَا وَسُكَّانُ أُورُشَلِيمَ وَيَصْرُخُونَ إِلَى الْآلِهَةِ الَّتِي يُبَحِّرُونَ لَهَا، فَلَنْ تُخَلِّصَهُمْ  
فِي وَقْتِ بَلِيَّتِهِمْ. <sup>١٣</sup> لِأَنَّهُ بَعْدَ مُدُنِكَ صَارَتْ آهَتُكَ يَا يَهُودَا، وَبَعْدَ شَوَارِعِ أُورُشَلِيمَ وَضَعْتُمْ  
مَذَابِحَ لِلْخَزْيِ، مَذَابِحَ لِلتَّبْخِيرِ لِلْبَعْلِ. <sup>١٤</sup> وَأَنْتَ فَلَا تُصَلِّ لِأَجْلِ هَذَا الشَّعْبِ، وَلَا تَرْفَعْ  
لِأَجْلِهِمْ دُعَاءً وَلَا صَلَاةً، لِأَنِّي لَا أَسْمَعُ فِي وَقْتِ صُرَاخِهِمْ إِلَيَّ مِنْ قِبَلِ بَلِيَّتِهِمْ... " [سفر  
إرميا 11 : 10 - 13]

وقال: <sup>٢٠</sup> "حَقًّا إِنَّهُ كَمَا تَخُونُ الْمَرْأَةَ قَرِينَهَا، هَكَذَا خُنْتُمُونِي يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ

الرَّبُّ". [سفر إرميا 3 : 20]

وقال لهم: "إِذَا وَلَدْتُمْ أَوْلَادًا وَأَوْلَادًا أَوْلَادٍ، وَأَطَلْتُمْ الزَّمَانَ فِي الْأَرْضِ، وَفَسَدْتُمْ وَصَنَعْتُمْ تَمَثُّلاً مَنُحَوَّتًا صُورَةً شَيْءٍ مَّأ، وَفَعَلْتُمْ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ إِلَهُكُمْ لِإِغَاظَتِهِ، <sup>٢٦</sup> أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ أَنَّكُمْ تَبِيدُونَ سَرِيعًا عَنِ الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ عَابِرُونَ الْأَرْضَ إِلَيْهَا لَتَمْتَلِكُوهَا. لَا تُطِيلُونَ الْأَيَّامَ عَلَيْهَا، بَلْ تَهْلِكُونَ لَا مَحَالَةَ. <sup>٢٧</sup> وَيُبَدِّدُكُمْ الرَّبُّ فِي الشُّعُوبِ، فَتَبْتَقُونَ عَدَدًا قَلِيلًا بَيْنَ الْأُمَمِ الَّتِي يَسُوقُكُمْ الرَّبُّ إِلَيْهَا. " [سفر التثنية 4: 25 - 27]

بل يذهب بهم التفرع والتويخ إلى أبعد حدوده وهم يدعون أنهم شعب الله المختار:  
 " وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: "رَأَيْتُ هَذَا الشَّعْبَ وَإِذَا هُوَ شَعْبٌ صُلْبُ الرِّقَبَةِ. <sup>١٠</sup> قَالَ لَانَ ائْتُرْكُنِي لِيَحْمِيَ غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأَفْنِيَهُمْ... " [سفر الخروج 32: 10]

" وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: "حَتَّى مَتَى يُهَيِّنُنِي هَذَا الشَّعْبُ؟ وَحَتَّى مَتَى لَا يُصَدِّقُونَنِي بِجَمِيعِ الْآيَاتِ الَّتِي عَمِلْتُ فِي وَسْطِهِمْ؟ <sup>١٢</sup> إِنِّي أَضْرِبُهُمْ بِالْوَبَا وَأُبِيدُهُمْ... " [سفر العدد 14: 11 - 12]

" وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلًا: <sup>٢٧</sup> "حَتَّى مَتَى أَعْفُرُ لِهَذِهِ الْجَمَاعَةِ الشَّرِيرَةِ الْمُتَدَمِّرَةِ عَلَيَّ؟ قَدْ سَمِعْتُ تَدْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِي يَتَدَمَّرُونَهُ عَلَيَّ. <sup>٢٨</sup> قُلْ لَهُمْ: حَيُّ أَنَا يَقُولُ الرَّبُّ، لِأَفْعَلَنَّ بِكُمْ كَمَا تَكَلَّمْتُمْ فِي أَدْبِي. <sup>٢٩</sup> فِي هَذَا الْقَفْرِ تَسْفُطُ جُنُودَكُمْ (...). <sup>٣٥</sup> أَنَا الرَّبُّ قَدْ تَكَلَّمْتُ. لِأَفْعَلَنَّ هَذَا بِكُلِّ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ الشَّرِيرَةِ الْمُتَقَفِّةِ عَلَيَّ. فِي هَذَا الْقَفْرِ يَفْنُونَ، وَفِيهِ يَمُوتُونَ. " [سفر العدد 14: 26 - 35]

بل كيف تخلد لهم الخيرية والرب يصفهم بأبشع الأوصاف وعلى رأسها حماقة وقلة الفهم والحكمة، يجعلهم خير الأمم وهم على هذه الشخصية التي استحقها بقوله:  
 "لأنَّ شَعْبِي أَحْمَقٌ. إِنِّي لَمْ يَعْرِفُوا. هُمْ بَنُونَ جَاهِلُونَ وَهُمْ غَيْرُ فَاهِمِينَ. هُمْ حُكَمَاءُ فِي عَمَلِ الشَّرِّ، وَلِعَمَلِ الصَّالِحِ مَا يَفْهَمُونَ. " [سفر إرميا 4: 22].

وقال: "لِذَلِكَ هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: ضَيْقٌ حَتَّى فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَيُنزِلُ عَنْكَ عِزُّكَ وَتُنْهَبُ قُصُورُكَ".<sup>١٢</sup> هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: "كَمَا يَنْزِعُ الرَّاعِي مِنْ فَمِ الْأَسَدِ كُرَاعَيْنِ أَوْ قِطْعَةً أُذُنٍ، هَكَذَا يُنْتزِعُ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْجَالِسُونَ فِي السَّامِرَةِ فِي زَاوِيَةِ السَّرِيرِ وَعَلَى دِمْقَسِ الْفِرَاشِ! <sup>١٣</sup> اسْمَعُوا وَاشْهَدُوا عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ إِلَهُ الْجَنُودِ. <sup>١٤</sup> إِلَيَّ يَوْمَ مُعَاقِبَتِي إِسْرَائِيلَ عَلَى ذُنُوبِهِ أَعَاقِبُ مَذَابِحَ بَيْتِ إِيْلَ، فَتُقَطَّعُ قُرُونُ الْمَذْبَحِ وَتَسْقُطُ إِلَى الْأَرْضِ. <sup>١٥</sup> وَأَضْرِبُ بَيْتَ الشِّتَاءِ مَعَ بَيْتِ الصَّيْفِ، فَتَبِيدُ بُيُوتُ الْعَاجِ، وَتَضْمَحِلُّ الْبُيُوتُ الْعَظِيمَةُ، يَقُولُ الرَّبُّ". [ سفر عاموس 3 : 11-15 ]

وذكرت المزامير بعض العقوبات الإلهية التي نزلت على اليهود بسبب كفرهم وعصيانهم، وفيها: " <sup>٢٨</sup> وَتَعَلَّقُوا بِبَعْلِ فُغُورَ، وَأَكَلُوا ذَبَائِحَ الْمَوْتَى. <sup>٢٩</sup> وَأَعَاظُوهُ بِأَعْمَالِهِمْ فَافْتَحَمَهُمُ الْوَبْأُ. <sup>٣٠</sup> فَوَقَفَ فَيَنحَاسُ وَدَانَ، فَاْمْتَنَعَ الْوَبْأُ... <sup>٣٤</sup> لَمْ يَسْتَأْصِلُوا الْأُمَّمَ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ الرَّبُّ عَنْهُمْ، <sup>٣٥</sup> بَلِ اخْتَلَطُوا بِالْأُمَّمِ وَتَعَلَّمُوا أَعْمَالَهُمْ. <sup>٣٦</sup> وَعَبَدُوا أَصْنَامَهُمْ، فَصَارَتْ لَهُمْ شَرَكًا. <sup>٣٧</sup> وَذَبَحُوا بَيْنَهُمْ وَبَنَاتِهِمْ لِلْأَوْثَانِ. <sup>٣٨</sup> وَأَهْرَقُوا دَمًا زَكِيًّا، دَمَ بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمِ الَّذِينَ ذَبَحُوهُمْ لِأَصْنَامِ كَنْعَانَ، وَتَدَنَسَتْ الْأَرْضُ بِالْدمَاءِ. <sup>٣٩</sup> وَتَنَجَّسُوا بِأَعْمَالِهِمْ وَزَنَوْا بِأَفْعَالِهِمْ. <sup>٤٠</sup> فَحَمِي غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى شَعْبِهِ، وَكَرِهَ مِيرَاثَهُ. <sup>٤١</sup> وَأَسْلَمَهُمْ لِيَدِ الْأُمَّمِ، وَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ مُبْغِضُوهُمْ. <sup>٤٢</sup> وَضَعَطَهُمْ أَعْدَاؤُهُمْ، فَذَلُّوا تَحْتَ يَدِهِمْ. <sup>٤٣</sup> مَرَّاتٍ كَثِيرَةً أَنْقَذَهُمْ، أَمَّا هُمْ فَعَصَوْهُ بِمَشُورَتِهِمْ وَأَخْطَوا بِأَيْمِهِمْ... [ سفر المزامير 106 : 28-43 ] .

وقال نبيهم أرميا في رثاء بيت المقدس وما أصابها من الأعداء بسبب معاصي بني إسرائيل، وخصي الرب لهم لمخالفاتهم لأوامره: " كَيْفَ جَلَسَتْ وَخَدَّهَا الْمَدِينَةُ الْكَثِيرَةُ الشَّعْبِ! كَيْفَ صَارَتْ كَأَرْمَلَةٍ الْعَظِيمَةِ فِي الْأُمَّمِ. السَّيِّدَةُ فِي الْبُلْدَانِ صَارَتْ تَحْتَ الْحِزْبَةِ! تَبْكِي فِي اللَّيْلِ بُكَاءً، وَدُمُوعُهَا عَلَى خَدَّيْهَا. لَيْسَ لَهَا مُعَزٌّ مِنْ كُلِّ مُحِبِّيْهَا. كُلُّ أَصْحَابِهَا



غَدَرُوا بِهَا، صَارُوا لَهَا أَعْدَاءً. <sup>٣</sup> قَدْ سُبِّتَ يَهُودًا مِنَ الْمَدَلَّةِ وَمِنْ كَثْرَةِ الْعُبُودِيَّةِ. هِيَ تَسْكُنُ  
بَيْنَ الْأُمَمِ. لَا تَجِدُ رَاحَةً. قَدْ أَدْرَكَهَا كُلُّ طَارِدِيهَا بَيْنَ الضَّيِّقَاتِ. <sup>٤</sup> طُرُقُ صِهْيُونِ نَائِحَةٌ لِعَدَمِ  
الْآتِينَ إِلَى الْعِيدِ. كُلُّ أَبْوَابِهَا خَرِبَةٌ. كَهَنْتُهَا يَتَنَهَّدُونَ. عَدَارَاهَا مُدَلَّلَةٌ وَهِيَ فِي مَرَارَةٍ. <sup>٥</sup> صَارَ  
مُضَايِقُوهَا رَأْسًا. بَجَحِ أَعْدَائِهَا لِأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَدَلَّهَا لِأَجْلِ كَثْرَةِ ذُنُوبِهَا. ذَهَبَ أَوْلَادُهَا إِلَى  
السَّبْيِ قُدَّامَ الْعَدُوِّ. <sup>٦</sup> وَقَدْ خَرَجَ مِنْ بِنْتِ صِهْيُونِ كُلِّ بَهَائِهَا. صَارَتْ رُؤْسَاوُهَا كَأَيَّامِهَا لَا تَجِدُ  
مَرَعَى، فَيَسِيرُونَ بِهَا قُوَّةَ أَمَامِ الطَّارِدِ. <sup>٧</sup> قَدْ ذَكَرْتَ أُورُشَلِيمَ فِي أَيَّامِ مَدَلَّتِهَا وَتَطَوَّحَهَا كُلَّ  
مُشْتَهَيَاتِهَا الَّتِي كَانَتْ فِي أَيَّامِ الْقَدَمِ. عِنْدَ سُقُوطِ شَعْبِهَا بِيَدِ الْعَدُوِّ وَلَيْسَ مَنْ يُسَاعِدُهَا.  
رَأَتْهَا الْأَعْدَاءُ. ضَحِكُوا عَلَى هَلَاكِهَا. <sup>٨</sup> قَدْ أَخْطَأَتْ أُورُشَلِيمُ خَطِيئَةً، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ صَارَتْ  
رَجِسَةً. كُلُّ مُكْرَمِيهَا يَحْتَقِرُونَهَا لِأَنَّهُمْ رَأَوْا عَوْرَتَهَا، وَهِيَ أَيْضًا تَتَنَهَّدُ وَتَرْجِعُ إِلَى الْوَرَاءِ.  
<sup>٩</sup> نَجَّاسَتُهَا فِي أَدْيَالِهَا. لَمْ تَذْكَرْ آخِرَتَهَا وَقَدْ انْحَطَّتِ انْحِطَاطًا عَجِيبًا. لَيْسَ لَهَا مُعَزٌّ. [سفر  
مراثي إرميا 1: 5-9].

هذا وقد أكد صراحة على غيابهم وانطماس بصيرتهم الفردية والجماعية قائلاً:  
"(...) <sup>٥</sup> أَفْسَدَ لَهُ الَّذِينَ لَيْسُوا أَوْلَادَهُ عَيْنَهُمْ، جِيلٌ أَعْوَجٌ مُلْتَوٍ. <sup>٦</sup> أَلرَّبُّ تُكَافِئُونَ هَذَا يَا شَعْبًا  
عَجِيبًا غَيْرَ حَكِيمٍ؟ أَلَيْسَ هُوَ أَبَاكَ وَمُقْتَنِيكَ، هُوَ عَمَلِكَ وَأَنْشَأَكَ؟. [سفر التثنية 32: 1-6].  
وقال: (...) <sup>٢٨</sup> إِنْهُمْ أُمَّةٌ عَدِيمَةُ الرَّأْيِ وَلَا بَصِيرَةٌ فِيهِمْ. <sup>٢٩</sup> لَوْ عَقَلُوا لَفَطِنُوا بِهِدِهِ  
وَتَأَمَّلُوا آخِرَتَهُمْ. [سفر التثنية 32: 28].

وقال: <sup>٢٠</sup> أَخْبِرُوا بِهَذَا فِي بَيْتِ يَعْقُوبَ وَأَسْمِعُوا بِهِ فِي يَهُودَا قَائِلِينَ: <sup>٢١</sup> اِسْمَعْ هَذَا أَيُّهَا  
الشَّعْبُ الْجَاهِلُ وَالْعَدِيمُ الْفَهْمِ، الَّذِينَ لَهُمْ أَعْيُنٌ وَلَا يُبْصِرُونَ. لَهُمْ آذَانٌ وَلَا يَسْمَعُونَ.  
<sup>٢٢</sup> أَيَّايَ لَا تَخْشَوْنَ، يَقُولُ الرَّبُّ؟ أَوْ لَا تَتَرَعَّدُونَ مِنْ وَجْهِِي؟ أَنَا الَّذِي وَضَعْتُ الرَّمْلَ نُحُومًا  
لِلْبَحْرِ فَرِيضَةً أَبَدِيَّةً لَا يَتَعَدَّاهَا، فَتَتَلَاطَمُ وَلَا تَسْتَطِيعُ، وَتَعْبُحُ أَمْوَاجُهُ وَلَا تَتَجَاوَزُهَا. <sup>٢٣</sup> وَصَارَ



لَهَذَا الشَّعْبِ قَلْبٌ عَاصٍ وَمُتَمَرِّدٌ. عَصَوْا وَمَضَوْا. <sup>٢٤</sup> وَمَ يَقُولُوا بِقُلُوبِهِمْ: لِنَحْفِ الرَّبَّ إِهْنَا  
الَّذِي يُعْطِي الْمَطَرَ الْمُبَكَّرَ وَالْمُتَأَخَّرَ فِي وَقْتِهِ... " [سفر إرميا 5: 20-24]

إن الأمة التي يحكم كتابها عليها بأنها عديمة الرأي و لا بصيرة فيها، ولا إدراك لها، لا  
ينبغي لها أن تدعي العقل والفهم، وقد عطلت السمع والبصر عن الوعي، وعطلت القلب  
عن الحشية، فهي أمة مكر وغدر.<sup>1</sup>

أمام هذه النصوص التي فيها وقع العبارة بدل الإشارة، والتصريح بدل التلميح، يقف  
الإنسان مذهولاً، كيف يُدنس المقدس، بل كيف يدنس هو نفسه، ويسقط من عين الله،  
وتُنزَع منه كل البركات، ويهوي من تلك المقامات إلى هذه الدركات، ورغم كل ذلك يبقى  
الشعب اليهودي يتباهى بنصوص التقديس، ويتغافل لدرجة العمى عن نصوص التدنيس؟.  
وككل مرة الحيل النفسية جاهزة، وأقلام الكتبة المحرّفين مبريّة، تنتظر إشارة الكهنة، لذا عمد  
مفكروا اليهود وحخاماتهم إلى ابتداع نصوص أخرى، لها من القداسة والرفعة والإكبار ما  
عند نصوص التوراة نفسها أو أكبر، ونقصد بذلك نصوص التلمود والفتاوى الحاخامية قديما  
وحديثا، والتي سنفصل في ذكرها لاحقا.

1- عابد توفيق الهاشمي: التربية في التوراة، العهد القديم (عرض وتقويم) بميزان الإسلام، مرجع سابق، ص 89

## المبحث الثاني: العقائر المصطنعة وورثها في صوغ أيرولوجيا الإبادة

### الأهداف والوسائل

لكل خطة أهداف ووسائل، وعلى كبر الأهداف تتعدد وتنوع الوسائل، وترتفع فاتورة التضحيات البشرية والمادية، وتُعد "العنصرية" أكبر دعامة، بل ولاقط استعملتها وتستعملها الصهيونية، لتجذب - ولو بمنطق التوريث - أكبر عدد ممكن من اليهود و حتى غيرهم، ليدور في فلکها ويطبق مخططاتها، بناء على نصوص توراتية وأخرى تلمودية ليتحقق الحلم المنشود(بناء الهيكل)، ويعود الغائب المحبوب(المسيح المخلص)، فيحصل الخلاص المنتظر، لذا يجب - من المنظور الصهيوني - على الجميع، الانخراط في معركة استرجاع الوطن المسلوب، من خلال تحريك المخبوء سواء في النفسية اليهودية، أو في التاريخ اليهودي، واستحضاره من جديد، لإطلاق مكنون "عنصرية الشعب الإسرائيلي" إلى أقصاها، وذلك بتفعيل التعاليم اليهودية، التي تنص على أن اليهودي وحده هو الإنسان، وأن كل شيء مسخر لخدمته، وأن اليهود جزء من العزة الإلهية، وإن الدنيا وما فيها ملك لهم، لهم عليها حق التسلط. تعاليم مشبّعة بالعنف والانتقام والتمييز والاستعلاء، تفضي إلى إبادة الآخر(القوم) والبداية باحتلال فلسطين. ولا أدل على ذلك، من الرسالة التي بعث بها "زئيف جابوتنسكي" لليهود المتطوعين، الذين تكونت منهم الفرقة الثامنة والثلاثون (38) البريطانية، تحت قيادة الكولونيل الانجليزي

المسيحي "باترسون" في الظاهر، وفي الخفاء، العقل المنظم لتحركاتها، الجاسوس الصهيوني العسكري: "يوسف ترومبلدور"<sup>1</sup>، علما أنها أول فرقة يهودية بريطانية تدخل مع الجيش البريطاني إلى فلسطين، فُقْبِلَ دخولهم إليها وهم على مشارفها في أرض سيناء، بعث لهم جابتنسكي - الذي كان واحدا من هذه الفرقة قبل أن يُرْفَى إلى ملازم في الجيش البريطاني - بهذه الرسالة، يحثهم على استفراغ الوسع في التقتيل لاحتلال الأرض المقدسة فلسطين. وفعلا... ما حطّت أقدامهم الحدود، حتى رفعوا الراية الصهيونية ذات النجمة السداسية، وقد كتبوا عليها "إن نسيتك يا أورشليم فلتتركني يميني"، وهي آية من المزمور رقم 137 من مزامير داود.<sup>2</sup> جاء في الرسالة: "اسمع يا إسرائيل<sup>1</sup>، أنصت لصوت قلبك، إن ساعة

1 - "يوسف ترومبلدور" (1880-1924) زعيم صهيوني أصبح رمزاً للجيل القديم من الصهاينة الرواد المقاتلين الذين جاءوا إلى فلسطين. كان أبوه جندياً في الجيش الروسي وقد التحق "يوسف" بمدرسة دينية قبل أن يدرس طب الأسنان. وأثرت فيه أفكار تولستوي، وامتزجت بالأفكار الصهيونية حيث بدأت تتبلور لديه فكرة المستعمرات الصهيونية المسلحة في فلسطين. وقد جُنِدَ في الجيش الروسي عام 1902، وقفد ذراعه اليسرى في الحرب الروسية - اليابانية، ورُقِّي وحاز عدة أوسمة ثم أُعيد إلى الجبهة بناء على طلبه فأسره اليابانيون وفي الأسر قام بتنظيم مجموعة صهيونية من الأسرى. وقد درس "ترومبلدور" الزراعة ثم القانون، وأخذ في تنظيم مجموعة من الصهاينة في أوكرانيا عام 1911 حيث قرروا الهجرة إلى فلسطين. عمل في مستوطنة داجانيا ثم حضر المؤتمر الصهيوني الحادي عشر (1913). وعند عودته إلى فلسطين، رحلته السلطات التركية إلى الإسكندرية حيث شارك في تكوين فرقة "البغالة" الصهيونية وأصبح نائباً لقائدها. وبعد اشتراك هذه الفرقة في القتال مع البريطانيين، سافر مع جابوتنسكي إلى لندن من أجل تكوين الفيلق اليهودي. وفي منتصف عام 1917، سافر إلى روسيا لإقناع السلطات هناك بتكوين قوة عسكرية يهودية تُرسل للقوقاز وتقاتل هناك حتى تصل إلى فلسطين. وبعد نجاح مبدئي، فشلت هذه المهمة وألقي القبض عليه فتحوّل إلى تكوين حركة الراند في روسيا. وفي 1919، سافر إلى فلسطين حيث عرض على أُلنبي إلحاق قوات يهودية قوامها 10 آلاف جندي بالقوات البريطانية، غير أن عرضه رُفِض. وكان قد اقترح من قبل غزو فلسطين بجيش قوامه 100 ألف يهودي! وقد أسس مكتباً للاستعلامات لقاعدة اليهود القادمين من روسيا وشارك في الدفاع عن المستعمرات الصهيونية في الجليل الأعلى حيث قتلته العرب عام 1920. وقد جاءت حركة بيتار المسماة باسمه بعد ذلك لتركز على النواحي العسكرية الصهيونية في فكره. ولا تزال منظمات الشباب الصهيونية ترفعه إلى مرتبة المثل الأعلى.

2 - أنظر التفصيل عند حسن ظاظا: إسرائيل ركيزة الاستعمار والعدوان بين المسلمين، دار القلم - دمشق، دار الشامية - بيروت، الطبعة الأولى،

1996، ص 11.

الاستيلاء على فلسطين قد حانت، وليس من المعقول أن نترك الناس من الأمم الأخرى يستولون عليها(يقصد الإنجليز)، استمع لصوت عقلك، ليس من المنطقي أن يحارب الإنجليز هنا أمام أعيننا، ونحن قاعدون في بيوتنا إلى أن يعيدوا إلينا هذه البلاد، وقد أخذوها بدمائهم، أنصت لما يقوله لك شعورك بالكرامة، هل من الممكن أن نقبل هدية كهذه، ممن استولوا على تلك الأرض بمهجهم دون أن نبذل أرواحنا معهم جنباً إلى جنب؟، إن دماء آبائنا التي سالت على هذه الأرض منذ آلاف السنين، و دم الإنجليز الذين يساعدوننا اليوم في الاستيلاء عليها، لدم مقدس، وهو يهيب بنا من ثرى هذه الأرض، أن هبوا للقتال، فلنخرج إلى ميدان المعركة نحن ومحرونا معاً، ومن الله النجاة، فاشتدوا وتشجعوا."

بهذه الكلمات استثار "زئيف جابوتنسكي" أول فرقة يهودية تضع أقدامها على أرض فلسطين، ليوقظ العملاق النائم في الذات اليهودية، ويحرك فيهم شرارة القتل والإبادة الجماعية، كوسيلة فعالة لتحقيق العقائد اليهودية المعطلة، فالخلاص اليهودي لا يحدث حتى يأتي المسيح المخلص، وهذا الأخير لا يأتي حتى يتهيأ له المكان المخصص وهو الهيكل، والذي لا يُبنى إلا إذا هُدم المسجد الأقصى، ولن يُهدم إلا إذا اغتُصبت أرضه، ولا يتم ذلك إلا بعد تهجير أهله منه نحو الشتات، وهجرة الشعب المختار إليه، ولا يتحقق كل ذلك إلا إذا احتلت فلسطين، فيتحقق الوعد المقدس للشعب المقدس على الأرض المقدسة.

---

1 - تبدأ الصلاة عند اليهود بهذه الجملة ، واستعملت لمزيد من التأثير النفسي لشحن الهمم، وللجمع بين صلاة الدير وصلاة الواجب في الواقع المعيش

فالصهيونية منذ أن وُجدت وهي تسعى بكل الوسائل إلى إعادة مجد بني إسرائيل، وبناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى المبارك، ومن ثم السيطرة على العالم والتحكّم في رقاب الأمم<sup>1</sup>.

ولفهم هذه التوليفة المركبة علينا تفكيكها إلى عناصرها الأولية، لتسهل دراستها من زاويتين:

الأولى: بيان الهدف ومتطلباته، وهو الخلاص وبناء الهيكل.

الثانية: بيان الوسيلة وهي تفعيل العنصرية، وهي آلية من آليات الاحتلال الصهيوني.

---

1- عبد الله التل: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والنصرانية، ص 157.

المطلب الأول: عقيدة الخلاص اليهودي و المسيح المنتظر

عقيدة الخلاص اليهودي:

تعريف الخلاص: (Delivrance / Salvation):

التخليص: هو التَّنَجِيَةُ من كل مَنَشَبٍ، تقول: خَلَّصْتَهُ من كذا تخليصاً، أي: بَجَيْتُهُ تنجية فتخلص، وتخلصه تخلصاً كما يتخلصُ العَزلُ إذا التَّبَسَ.<sup>1</sup>

وعليه يكون المُخَلَّصُ هو الذي يخلص غيره فيحصل له الخلاص. فالمخلص من الناحية العقدية حسب الرواية التوراتية هو الشخص الذي يأتي في آخر الزمان، ويخلص البشرية من الشرِّ، وينشر الخير والعدل في العالم.

فهذا اللفظ يجزنا للحديث عن مصطلح ديني آخر وهو "المسيح المخلص" المعبر عنه في اليهودية "الماشِيح" ومنه جاء مصطلح "الماشيحانية".

على مستوى الشكل والنطق اللغة العربية خلافا للعبرية، يُقلب فيها حرف "الشين" "سينا"، جاء في لسان العرب: "والمسيح الصَّدِّيق، وبه سمي عيسى عليه السلام". قال أبو بكر: واللغويون لا يعرفون هذا، قال: ولعل هذا كان يستعمل في بعض الأزمان، فَدَرَسَ فيما دَرَسَ من الكلام. وقال ابن سيده: قيل: سمي بذلك لصدقه، وقيل: سمي به لأنه كان سائحاً في الأرض لا يستقرّ. وقيل: سمي بذلك، لأنه كان يمسح بيده على العليل والأكمه والأبرص

<sup>1</sup> - ابن منظور محمد بن مكرم: لسان العرب، مرجع سابق، ج 5، ص 127

فببرئه بإذن الله. قال الأزهرى: وهو في "التوراة" مشيحا، فَعَرَّبَ وَغَيَّرَ كما قيل مُوسَى وأصله مُوشَى".

وقال شمر: سمي عيسى "المسيح"، لأنه مسح بالبركة. وقال أبو العباس: سمي مسيحا، لأنه كان "يمسح الأرض"، أي يقطعها. وروي عن ابن عباس: أنه كان لا يَمْسُحُ بيده ذا عاهة إلا بَرَأَ: وقيل: سمي مسيحا، لأنه كان أَمْسَحَ الرَّجُلِ، ليس لرجله أحمص. وقيل: سمي مسيحا، لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن.<sup>1</sup>

وجاء في كتاب: "الإنجيل كيف كتب وكيف وصل إلينا؟"، أن كلمة "مسيح" في اللغة العبرية هي "ماشيح - Mashiah" من الفعل العبرى "مشح"، أي "مسح". وتنطق بالأرامية "ماشيحا"، ويقابلها في اللغة العربية "مسيح" ومعناها، في العهد القديم، الممسوح "بالدهن المقدس"، ونقلت كلمة "ماشيح" إلى اليونانية كما هي ولكن بحروف يونانية "ميسياس - Messias"، وعن اليونانية نقلت إلى اللغات الأوربية: "ماسيا - Massiah"، كما ترجمت الكلمة إلى اليونانية، "خريستوس - christos"، أي المسيح أو الممسوح، من الفعل اليوناني "خريو - chriw"، أي يمسح والذي يقابل الفعل العبرى "مشح" والعربي "مسح"، وفي اللاتينية جاءت "كريستوس - christos"، وعنهما في اللغات الأوربية "christ". وكانت عملية المسح تتم في العهد القديم "بالدهن المقدس"، الذي كان يصنع من أفخر الأطياب وأفخر أصناف العطاراة وزيت الزيتون النقي [سفر الخروج 30: 22-25]: <sup>٢٢</sup> وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: <sup>٢٣</sup> وَأَنْتَ تَأْخُذُ لَكَ أَفْخَرَ الْأَطْيَابِ: مُرًّا قَاطِرًا...، وَقِرْفَةً عَطِرَةً...، وَقَصَبَ الدَّرِيرَةِ

1 - ابن منظور محمد بن مكرم: لسان العرب، مرجع سابق، ج 3، ص 92 بتصريف

...<sup>٢٤</sup> وَسَلِيحَةً ...، وَمِنْ رُبِّتِ الزَّيْتُونِ هِينًا.<sup>٢٥</sup> وَتَصْنَعُهُ دُهْنًا مُقَدَّسًا لِلْمَسْحَةِ. عَطَّرَ عِطَارَةَ صَنْعَةَ الْعِطَارِ. دُهْنًا مُقَدَّسًا لِلْمَسْحَةِ يَكُونُ.

وكان الشخص أو الشيء الذي يدهن بهذا الدهن المقدس يصير مقدسًا، مكرسًا ومخصصًا للرب، وكل ما يمسه يصير مقدسًا [سفر الخروج 30: 26-29]:<sup>٢٦</sup> وَتَمْسَحُ بِهِ خَيْمَةَ الْجَمْعِ، وَتَابُوتَ الشَّهَادَةِ،<sup>٢٧</sup> وَالْمَائِدَةَ وَكُلَّ آيَاتِهَا، وَالْمَنَارَةَ وَآيَاتِهَا، وَمَذْبَحَ الْبُخُورِ،<sup>٢٨</sup> وَمَذْبَحَ الْمُحْرَقَةِ وَكُلَّ آيَاتِهِ، وَالْمَرْحَضَةَ وَقَاعِدَتَهَا.<sup>٢٩</sup> وَتُقَدِّسُهَا فَتَكُونُ قُدْسًا أَقْدَاسًا. كُلُّ مَا مَسَّهَا يَكُونُ مُقَدَّسًا. "

وكان الكهنة والملوك والأنبياء يدهنون بهذا "الدهن المقدس" ليكونوا مقدسين، مكرسين ومخصصين، للرب:<sup>٣٠</sup> وَتَمْسَحُ هَارُونَ وَبَنِيهِ وَتُقَدِّسُهُمْ لِيَكُونُوا لِي. <sup>٣١</sup> وَتُكَلِّمُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلًا: يَكُونُ هَذَا لِي دُهْنًا مُقَدَّسًا لِلْمَسْحَةِ فِي أَجْيَالِكُمْ.<sup>٣٢</sup> عَلَى جَسَدِ إِنْسَانٍ لَا يُسْكَبُ، وَعَلَى مَقَادِيرِهِ لَا تَصْنَعُوا مِثْلَهُ. مُقَدَّسٌ هُوَ، وَيَكُونُ مُقَدَّسًا عِنْدَكُمْ [الخروج 30: 32-30]، "وَأَتَى رِجَالٌ يَهُودًا وَمَسَحُوا هُنَاكَ دَاوُدَ مَلِكًا عَلَى بَيْتِ يَهُوذَا. [صموئيل الثاني 4: 2].

وكانت عملية المسح تتم بصب الدهن المقدس على رأس الممسوح، وكذلك الأواني والأماكن الطقسية المراد مسحها وتقديسها، فيصير الإنسان الممسوح مقدسًا ويحل عليه "روح الرب"، وتتحول الأواني والأماكن إلى قدس للرب:<sup>٣٠</sup> ثُمَّ أَخَذَ مُوسَى دُهْنَ الْمَسْحَةِ وَمَسَحَ الْمَسْكَنَ وَكُلَّ مَا فِيهِ وَقَدَّسَهُ،<sup>٣١</sup> وَنَضَحَ مِنْهُ عَلَى الْمَذْبَحِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَمَسَحَ الْمَذْبَحَ وَجَمِيعَ آيَاتِهِ، وَالْمَرْحَضَةَ وَقَاعِدَتَهَا لِتَقْدِيسِهَا.<sup>٣٢</sup> وَصَبَّ مِنْ دُهْنِ الْمَسْحَةِ عَلَى رَأْسِ هَارُونَ وَمَسَحَهُ لِتَقْدِيسِهِ. [اللاويين 8: 10-12] و[صموئيل الأول 1: 10]



وهكذا دعى الكهنة والأنبياء والملوك بـ"مسحاء الرب" [مزامير داود 15:105]،  
ومفردتها "مسيح الرب" [صموئيل الثاني 1:14]، لأنهم مسحوا بالدهن المقدس وحل عليهم  
روح الرب، ويصفهم هو بـ"مُسْحَائِي"، كما ورد في [الأخبار الأول 22:16]: <sup>٢٢</sup> لَأَتَمَسُّوا  
مُسْحَائِي وَلَا تُؤْذُوا أَنْبِيَائِي.<sup>1</sup>

---

1 - القمص عبد المسيح بسيط أبو الخير: الإنجيل كيف كتب وكيف وصل إلينا؟، منشورات مطبعة المصريين، القاهرة، الطبعة الأولى -  
1994، ص 46 وما بعدها.

## مفهوم الخلاص

ويكاد يجمع فقهاء اللغة و دلالات الألفاظ الدينية على أن "الخلاص" هي لفظة مسيحية كنسية بالدرجة الأولى ومرادفها **Salvation** أو **Delivrance** وبالعبرية: "جيئولاه".<sup>1</sup> جاء في الموسوعة الحرة ويكيبيديا مادة "الخلاص": "الخلاص كمصطلح لاهوتي يدل على حالة الخروج من حالة أو وضع وظرف غير مقبول أو غير محبب، ويدرج استعماله في الكثير من الديانات."<sup>2</sup>

ومبدأ هذا المصطلح كان حوالي 325 م، بعد مجمع "نيقيا"، حيث بدأ فكر التثليث في التشكل، بناء على فكرة تجسيد الإله في صورة المسيح، ثم تألمه وموته بالصلب من أجل أن يخلص البشرية من ذنوبها، أو من "اللجنة" التي لازمتها، ابتداء من أكل آدم وحواء من الشجرة.<sup>3</sup>

ومصطلح "الماشيحانية" هي التي تؤمن بالمشيخ وهو إشارة إلى شخص يبعثه رب إسرائيل، يتمتع بقداصة خاصة، إنسان سماوي وكائن معجز خلقه الله قبل الدهور، يبقى في السماء حتى تحين ساعة إرساله، وهو يسمى "ابن الإنسان"، لأنه سيظهر في صورة الانسان وإن كانت طبيعته تجمع بين الإله والإنسان، فهو تجسد الإله في التاريخ !.

---

1 - محمد حمزة بن علي الكتاني: مفهوم الخلاص في الديانة اليهودية وأثره في الواقع اليهودي والحوار الإسلامي-اليهودي، مرجع سابق ، ص 35-36

2 - موقع إلكتروني بعدة لغات <http://ar.wikipedia.org>

3 - محمد حمزة بن علي الكتاني: المرجع السابق، ص 22

وتتميز "الماشيكانية" في الفكر اليهودي بأنها صيغة هلامية لا يمكن أن تهزم، فإذا ظهر مشيخ، فإن ظهور "المسيح المنتظر" علامة على صدق الرؤية الماشيكانية، وإذا لم يظهر، فإن الواجب هو الانتظار، أما إذا ظهر الماشيخ وانتصر في المراحل الأولى، فهذا علامة على صدقه، وإذا انهزم، فهزيمته نفسها تدل على صدقه، فهو يتعذب من أجل شعبه، وإذا أخذت الهزيمة شكل ارتداد عن اليهود فهذا - حسب التصورات الماشيكانية - من باب التمويه والتقية، كما أنه باعتباره الماشيخ، عليه أن ينزل إلى عالم الشر لمواجهة، ومن هنا ارتداده عن اليهودية، كما أنه إذا قُتل أو مات، فإن أتباعه - عادة - ما يعتبرون أنه لم يمت أو يقتل، وإنما اختفى وسيعود، وتكون جماعة التابعين المنتظرين - شيعة أو فريقاً دينياً مستقلاً عن المؤسسة الحاخامية - تدور أفكارها حول عقائد الماشيخ، وتدور ممارساتها حول انتظاره.<sup>1</sup>

علما أن الصهيوني عندما يطلع على هذه العقائد، أو يقرأ تاريخ هذا الشعب في الكتاب المقدس لا يقرأ مجرد تاريخ، ولكنه يعيش فلسفته ويتدين بها، وهذه القراءة تملأ أعماقه، وتصوغ فكره؛ لأنها تربط بين معصية أورشليم وظلمها، وبين التنبؤ بتدميرها وإبادة شعبها، بسبب عصيانهم، ما عدا قلة قليلة صالحة، بها يبقى الشعب ويستمر. وأنَّ يهوه سيرسل من أجل هذه البقية الصالحة مخلصاً من بيت داود صفيته الثاني بعد إبراهيم، يقوم هذا المخلص بالمعجزة، فيعيد اليهود إلى فلسطين، ويسترجع مجد دولة داود. وينهض البناء الفلسفي للصهيونية على التعصب للعنصر اليهودي، وعلى تفسير معصية اليهودي بأنها

عدم الامتثال لأمر يهوه، بخيانة هذه العنصرية، والاختلاط بالأمم الأخرى، ومصاهرتها، والأخذ من تراثها وثقافتها. ويقوم البناء الفلسفي للصهيونية كذلك، على مقولة: البقية الصالحة التي لا تأثم، ولا تخون عنصريتها اليهودية، وتُخْلِصُ لأطماعها وأهدافها. وأنَّ يهوه سيرسل لهم مسيحاً أو مهدياً، يعيدهم إلى مملكة إسرائيل، كإعادة نبتة الزرع إلى أرضها، ويسترجع الدولة المثالية التي يجب تحقيقها، ليعمّ العدل العالم، فيرضى الله، وتثمر الأرض لبناً وعسلاً. فالصهيونية إذاً هي: فلسفة الرجعة اليهودية إلى أرض فلسطين لإقامة المملكة الإسرائيلية بناء على عقيدة المسيح.<sup>1</sup>

وتأتي فكرة انتظار المخلص، أو المسيح، مقترنة بفكرة تجديد العهد مع الرب، أو فكرة "العهد الجديد". عندئذ تتجدد أمة الله، لتصبح جديدة بالله. وعندئذ تصير "أورشليم" مدينة لا مثيل لها بين المدائن، يقيم فيها الرب على جبل صهيون، ويتجمع فيها المشردون من بني إسرائيل وتزول فيها الأحقاد، بل يموت منها الموت نفسه!، وفي وسط هذه الآمال المركزة على إسرائيل، لا يسنى مروجوا تلك البشارات، أن يجعلوا فيها نصيباً ما، لباقي الإنسانية من غير بني إسرائيل. يقول النبي [إشعيا 6:25-10]: <sup>١</sup> وَيَصْنَعُ رَبُّ الْجُنُودِ لِجَمِيعِ الشُّعُوبِ فِي هَذَا الْجَبَلِ وَلَيْمَةَ سَمَائِنَ، وَلَيْمَةَ خَمْرٍ عَلَى دَرْدِيٍّ، سَمَائِنَ مُبْحَّةً، دَرْدِيٍّ مُصَفًى. <sup>٢</sup> وَيُفْنِي فِي هَذَا الْجَبَلِ وَجْهَ النَّقَابِ. النَّقَابِ الَّذِي عَلَى كُلِّ الشُّعُوبِ، وَالْغِطَاءَ الْمُعْطَى بِهِ عَلَى كُلِّ الْأُمَمِ. <sup>٣</sup> يَبْلَعُ الْمَوْتَ إِلَى الْأَبَدِ، وَيَمْسَحُ السَّيِّدُ الرَّبُّ الدُّمُوعَ عَنْ كُلِّ الْوُجُوهِ، وَيَنْزِعُ عَارَ شَعْبِهِ عَنْ كُلِّ الْأَرْضِ، لِأَنَّ الرَّبَّ قَدْ تَكَلَّمَ. <sup>٤</sup> وَيُقَالُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: "هُوَذَا هَذَا إِلَهُنَا.

1 - غنيم أحمد وآخرون: اليهود والحركة الصهيونية في مصر 1879-1947، القاهرة: 1969م، ص 93.

انتظرناه فخلصنا. هذا هو الرب انتظرناه. نبتهج ونفرح بخلصه".<sup>1</sup> لأن يد الرب تستقر على هذا الجبل، ويداس مواب في مكانه كما يداس التبن في ماء المزيلة.<sup>1</sup>

كل هذه الصور المفعمة بأحسيس السرور والسعادة والارتياح، هي صور نمطية تشدد الصهيونية على استحضارها، وتذكير العقل والوجدان اليهودي بها، حتى ما يتهاون ويتكاسل عن واجباته المقدسة للوصول إليها، فالطريق إليها واضح وعلى الجميع استعجال ذلك، ولكن كيف؟.

لمعرفة ذلك علينا أن نغوص في أغوار البناء العقلي والنفسي للشخصية اليهودية، والتي استطاعت الصهيونية الوصول إليها باستعمال الحيل النفسية والعقلية، من خلال استحضار و توظيف صور البؤس والشقاء والدمار التي مرّ بها الشعب اليهودي خلال مسيرته التاريخية، والعمل على تضخيمها، بتوظيف "المحنة التاريخية" والتأكيد عليها، لتعميق الشعور بالتعب من المحنة الجماعية، والرغبة في تخفيف الحمل بالتخلص منها، هذا البؤس والشقاء الذي بدل أن يقتل الذات اليهودية، - كما قيل شدة الأسي والبؤس تقتل النفس - حوّل بدوره إلى حافز ودافع للتخلص من حال المحنة الكاتم على الأنفاس، أي استعمال صور البؤس والشقاء لجلب واقع الراحة والرخاء.

ذلك أن الدارس لأثر المحنة في التاريخ الإسرائيلي على النفسية والعقلية اليهودية، يجده كبيرا جدا، لدرجة أنه مزج مفهوم القداسة، بين العقيدة والشريعة وحوادث التاريخ، فقد لازمت المحنة بني إسرائيل ردحا من الزمن، من بعد يوسف عليه السلام، إذ تعرض بنو إسرائيل

1- حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه، مرجع سابق، ص 98

للقتل والسبي زمن الفراعنة، فجاء موسى عليه السلام وحلّصهم من بطش فرعون وجنوده، وعبر بهم اليم، تحت أمواج عاتية قال تعالى عنها: فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63) وَأَزَلَفْنَا ثَمَّ الْأَخْرِينَ (64) وَأَبْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (65) ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ (66). [الشعراء 63-66]، ثم استكانوا بعدها للهوى، ولم تجفّ بعد أقدامهم من ماء المعجزة، حتى عبدوا العجل، قال تعالى: "وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (92) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (93)". [البقرة: 92-93]، فعوقبوا بالتيه أربعين عاما، ليبدأ بعدها عصر القضاة، من النبي يوشع بن نون عليه السلام إلى صموئيل عليه السلام، ثم بدأ بعده عصر السبي والشتات الثاني، الذي استمر نحو مائة عام، إلى ظهور نبي الله "الملك" داود عليه السلام، والذي أسس مملكة كبيرة انتهت بعد وفاة سليمان عليه السلام وابنه "رجبعام"، تم خراب "الهيكل الأول"، وتفرق بني إسرائيل للمرة الثالثة، ليبدأ زمن السبي البابلي والشتات من جديد عام 586 ق.م. ثم جاء بناء "الهيكل الثاني" عام 516 ق.م بمساعدة "كورش الأخميني"<sup>1</sup>، إلى أن تحطم تحطمه الأخير على يد "تيتوس" عام 70 م، وبعد هذا التحطم استمر الطرد والتشردم لليهود إلى الآن. ومما زاد الألم والتيه اليهودي لقرون، ضياع

1 - كورش الأخميني يطلق عليه أيضا "قورش الأكبر" قيل هو "ذو القرنين" الذي ورد ذكره في القرآن في سورة الكهف. لما فتح كورش الأخميني الفارسي بلاد بابل (539-538 ق.م)، سار في فتوحاته حتى احتل سورية وفلسطين ومن ضمنها أورشليم، فسمح لمن أراد من أسرى نبوخذ نصر الرجوع إلى فلسطين، وأعاد إليهم كنوز الهيكل التي كان قد سلبها نبوخذ نصر، وأمر بإعادة بناء الهيكل في أورشليم على نفقة بيت الملك، فعاد فريق منهم بقيادة "زوربابيل" بن شلانييل بن يهوياكين ملك يهوذا الأخير. وصار يسمى هيكل زوربابيل.

أكبر كنز لمقدساتهم وهو "تابوت العهد"<sup>1</sup>، والذي يحتوي آثار موسى عليه السلام، والصحف المنزلة إليه وألواح الوصايا العشر، وبضياعه ضاعت صحف العهد القديم، وبقي الشعب تائها بلا كتاب ولا آثار للشريعة، مما اضطر الأبناء لجمعها ولكن بما رسخ في حافظاتهم، وبتأليف وكتابة المفتقد منه ولو كان حلما وطموحا خرافيا. وظهرت بعدها فتاوى كثيرة، اعتنى بها الأحرار ليحفظوا بها الشعب اليهودي من الاندثار والذوبان في غيره.<sup>2</sup> لذا فهم في انتظار دائم للمسيح المخلص ليخلصهم من جديد، ولكن هذه المرة إلى الأبد، وهم اليوم

1- أو "تابوت الشهادة"، أو "سفينة العهد": وهو صندوق من خشب السنط، طوله ذراعان ونصف، وكل من عرضه وارتفاعه ذراع ونصف، وهو محلى بالذهب من الداخل و الخارج، [وصفه في سفر الخروج 25] وكان التابوت محمولاً على مساند من خشب السنط المذهبة، المعشقة في حلقات ذهبية مصبوبة بجانب التابوت. ومكان التابوت كان المكان الأكثر قداسة في الهيكل، ألا وهو قدس الأقداس: "وتجعل الحجاب تحت الأشظة وتدخل إلى هناك داخل الحجاب تابوت الشهادة. فيفضل لكم الحجاب بين القدس و قدس الأقداس. وتجعل الغطاء على تابوت الشهادة في قدس الأقداس" (الخروج 26 33-34) قبل أن يوضع تابوت العهد في الهيكل، كان في خيمة الاجتماع المقدسة المتحركة التي كان يحملها بنو إسرائيل في الصحراء، في طريقهم إلى أرض كنعان، وبعد ذلك وضع في خيمة الاجتماع في مدينة شيلوه. في سفر صموئيل الأول تم التحدث عن سقوط التابوت في السبي على يد الفلسطينيين. فكما هو متبع في الشرق القديم، فإن تابوت العهد (شأنه في ذلك شأن الأغراض الدينية الأخرى) كان يؤخذ إلى ميدان القتال أملاً في جلب دعم الرب للمقاتلين. وبسبب هزيمة بني إسرائيل سقط تابوت العهد في السبي وأخذ إلى أشدود، وبعد انتقاله من مكان لآخر استقر عند الملك داوود في اورشليم، ونقله أبنة سليمان بعد ذلك إلى قدس الأقداس، في الهيكل الذي بناه. هناك على حجر الأساس - وهو الحجر الذي عليه - وفقاً للمعتقد اليهودي - تم تقديم إسحاق قراباً على يد والده إبراهيم، ومنها أسس العالم - تم وضع التابوت، تحت تمثالين مصنوعان من الذهب يظللانه. هذا ولا يسمح بدخول قدس الأقداس سوى لكبير الكهنة، وهو أيضا لا يسمح له بالدخول سوى مرة واحدة في العام - في يوم الغفران. وبالإضافة إلى التابوت كان يوجد في قدس الأقداس أيضا عصا أهرون الكاهن، أول كاهن أكبر. ولا يعرف مصير تابوت العهد بعد نقله إلى الهيكل. وزعم اليهود أنه أسقل المسجد عند قبة الصخرة لذا فهم في محاولة هدمه وبناء الهيكل مكانه. راجع محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، الحضارة، الحياة الدينية و الاجتماعية الاقتصادية و القضائية و العسكرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط: 01، 2008، م، ج 4، ص 500-501 وكذا ويكيبيديا، الموسوعة الحرة "تابوت العهد". <http://ar.wikipedia.org>

2- راجع محمد حمزة بن علي الكتاني: مفهوم الخلاص في الديانة اليهودية وأثره في الواقع اليهودي والحوار الإسلامي-اليهودي، مرجع

سابق، ص 35-36

يستعجلون ظهوره، بداية باحتلال فلسطين، وانتهاء ببناء "الهيكل الثالث" على جبل الربّ "جبل صهيون"، ليرتاحوا من الكرب العظيم والعذاب الأليم، الذي عانوه منذ قرون. من خلال هذه التفاصيل يتضح لنا شدة تعلق اليهود بأرض فلسطين، التي وجد فيها شعب إسرائيل أوج عزهم ومجدهم في مملكة داود عليه السلام، كتجربة ناجحة تجسد فيها الكيان اليهودي، لذا فهم يحنّون قرون لاسترجاع هذا المكان واستعادة الذكريات. ولو على جثث وأشلاء الأبرياء.

فاليهود شعبٌ مميّز عن بقية الشعوب، منفصل عن الجنس البشري، لا يخضع للقيم الأخلاقية التي تخضع لها سائر الشعوب؛ ولذلك فإنه قادرٌ على ارتكاب الجرائم باسم القيم والأخلاق والأهداف، التي يقرّها هو حسب هواه.<sup>1</sup>

---

1 - راجع مقال عمر بن عبدالعزيز قريشي: اليهودية والصهيونية، موقع الألوكة <http://www.alukah.net/culture/0/62475> .



## المسيح المخلص (المشيح) بين الحقيقة والخيال

كل ما ذكرناه آنفا يصب في معاني ومفهوم "المشيح المخلص" وفي الخلاص ، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هل ورد ذكر هذا المشيح المخلص صراحة في أسفار التوراة الموسمية الخمسة أم أنه من قبيل الوهم والخيال؟.

يجيبنا الدكتور حسن ظاظا على ذلك، وهو يعيد كل المسألة إلى نصين مبهمين فقط من أسفار التوراة، فيعلق على الأول بقوله: "وكما أن فكرة الآخرة لا تبدوا من خلال أسفار التوراة الموسمية الخمسة بحالتها المعروفة، فإننا لا نكاد نجد شيئا يشعر بفكرة انتظار المسيح المخلص كذلك. ولكن الباحثين، واليهود منهم بوجه خاص، تأولوا ذلك من خلال آيتين، في كل التوراة، مع كثير من التكلف والتعسف. فالآية الأولى [تكوين 10:49] تقول: 'لَا يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُودًا وَمُشْتَرَعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شَيْلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعٌ شُعُوبٍ'. ونحن نسأل مع الباحثين في نص العهد القديم: من هو شيلون أو شيلو في ترجمات أخرى؟.

الواقع أنه لا يوجد لهذا السؤال جواب شاف. فقد حرص بعضهم على أن يذكره كما هو دون تعليق. واعتبره بعضهم تحريفا من الناسخ، وحاول أن يصحح هذا التحريف برأيه. فمثلاً نجد سعديا الفيومي<sup>1</sup> من خلال ترجمته العربية، يبدو أنه قرأ (شلو) وهي بالعبرية

---

1 - سعديا ( سعادية) او سعيد بن يوسف الفيومي: هو من اهل مصر في الاصل ولد في الفيوم سنة (892م) في اغلب الروايات او سنة (882م) على رواية ولهذا نسب الى الفيوم وقد غادر مصر الى فلسطين فالعراق فسكن في مدينة (سورا) القريبة من الحلة وكانت من اهم مراكز العلم والثقافة بالنسبة الى اليهود في ذلك العهد وتولى رئاسة يهود سورا حتى سنة (942م)(331هـ) فتوفى فيها ودفن في قبر جعله اليهود مزارا يقصدونه من مختلف انحاء العراق درس العلوم العربية بانواعها ودرس العبرانية والكتب الدينية اليهودية من تورا تلمود ومشنا

معناها: "الذي له، الذي ينتمي إليه، صاحبه"، ولذلك يقول في ترجمته العربية: ولا يزول القضيبي من آل يهوذا، والراسم من تحت أمره إلى أن يجيء "الذي هو له"، وإليه تجتمع الشعوب. أما الفرنسي "جنيير" فيرى وجهاً آخر في تصحيح هذا التحريف، فيقرأ (موشلو) بدلاً من (شيلو) ومعناها "حاكمه، والمسيطر عليه".

أما الترجمة الرسمية للحاخامية اليهودية بفرنسا، فتقرأ: "شاليو"، ومعناها: "المسلم، المتمسك بالهدوء والسكون"، وكلها كما نرى افتراضات حول نص غامض، لا سبيل إلى الوصول لوجه الحق فيه، ومع ذلك فإنه بعد كل ما يمكن تصوره من تعديل أو تصحيح، لا يمكن أن ينطبق على المخلص والمسيح بحال من الأحوال، فالمسألة كلها لا تعدو أن تكون حديثاً عن سبط يهوذا الذي ينتمي إليه داود وسليمان وأسرتهما الملكية، (...) وهذا هو رأي "دريفر" إذ يقول: "إن الإصحاح 49 سفر التكوين، الذي يبارك فيه يعقوب الأسياب، هو بطبيعة الحال مُقحم على يد كاتب من المدرسة اليهودية (اليهودية)، أخذه من مصدر مستقل. فالملابسات التاريخية والجغرافية التي تشع منه، هي نفس الملابسات المعروفة في عصر القضاة وصموئيل وداود، وهو العصر الذي أخذت فيه عادة بركة شيخ القبيلة شكلها

---

وكتب دينية أخرى وتعلم الاغريقية ومعارف اليونان واحاط بمعارف زمانه من فلسفة ورياضيات وجغرافية وتاريخ وموسيقى وشعر ولغة وهينة وديانات وانكب على تعلمها حتى برع فيها وحاز على شهرة كبيرة عند بني قومه اليهود وعند المسلمين كذلك. وهاجر الى فلسطين واقام امدا في طبرية مركز العلم والثقافة عند اليهود في ذلك العهد وقد اشتهرت بالعناية بدراسة التلمود والمدراشيم وحديث اليهود باللغة العبرانية وبالمحافظة على التقاليد اليهودية القديمة وبأخذها بظواهر النص.

الشعري الذي نراه هنا. " والمؤلف البريطاني يوافق في ذلك الألماني "دلمان"، ويتفق معهما في نفس الرأي السويسري "جوتيه" وغيره<sup>1</sup>. فكل هؤلاء الباحثين والعلماء يرون أن النص مبهم. أما النص الثاني فقد توهم بعض الباحثين أنه يتحدث عن المسيح المخلص، والحقيقة أن القارئ له لا ينصرف ذهنه إلى المسيح المخلص إطلاقاً، فلا منطوق النص ولا مفهومه يدلان على ذلك، إلا أن مؤلفي النصوص أرادوا أن يحجروا هذه المرة على العقول، ويوجهونها لتفهم الفهم الذي يريدونه. يقول النص وهو من سفر [العدد 17:24]: "أَرَأَهُ وَلَكِنْ لَيْسَ الْآنَ. أَبْصَرُهُ وَلَكِنْ لَيْسَ قَرِيبًا. يَبْرُزُ كَوْكَبٌ مِنْ يَعْقُوبَ، وَيَثُومُ قَضِيبٌ مِنْ إِسْرَائِيلَ، فَيَحْطُمُ طَرِيقَ مُوآبَ، وَيُهْلِكُ كُلَّ بَنِي الْوَعَى." وفي ترجمة عربية أخرى: "لأنني أراه وليس حاضرًا، أبصره وليس قريبًا. يبرز كوكب من يعقوب ويقوم صولجان من إسرائيل، فيحطم طريقي مؤاب، ويخسف كل أبناء الغرور." كيف يوجه النص حتى نفهم أنه يتحدث عن المخلص؟. علق حسن ظاظا على هذا النص و على تناقض الروايات ومدلولاتها بقوله: "والآية تنطوي على غموض لا يقل عن سابقتها. فالترجمة التي أثبتناها هي ما فهمته منها الحاخامية الفرنسية. أما الترجمة العربية الكاثوليكية فتثبت بدل المقطع الأخير "ويريح جميع بني شيت". على حين أن الترجمة العربية البروتستنتية تقول: "ويزلزل سائر بني شيت". ومهما

1 - حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه، مرجع سابق، ص 98-100. يمكن العودة إلى تفسير ترجمة التوراة الأسفار الخمسة لسعاديا بن يوسف الفيومي من كتاب إدريس اعبيزة: مدخل إلى دراسة التوراة ونقدها مع ترجمتها العربية لسعديا كؤون الفيومي، منشورات دار الأمان - الرباط، الطبعة الأولى 2010، ص 235

يكن من شيء، فإن هذا الموصوف هنا يبدو جبار حرب، منتقما شديد البطش، بعيدا عما يقترن بفكرة المسيح المنتظر، من الوئام والسلام...<sup>1</sup>

نستنتج من ذلك أنه لا يوجد نص من التوراة صريح الدلالة يتحدث عن المسيح المخلص، لذا عنواننا هذا المبحث "بالعقائد المصطنعة"، فوجه الدلالة أن العقائد في حقيقة الأمر تتبع من وحي النصوص، و في حالتنا هذه النصوص لا تشير إلى المسيح المخلص إطلاقا، وهو في ذات الوقت عقيدة عند معظم اليهود، كما يشير حسن ظاظا بقوله: "ومع ذلك، فلا بد لنا من القول، بأن فكرة المسيح المنتظر قد أخذت في عقلية اليهود، بحسب العصور والظروف التي عاشوا فيها، أشكالاً مختلفة جدا، كل جيل منهم صنع مسيحه حسب هواه، وطبقا للصورة الخيالية الوجدانية التي يحلم بأن يكون عليها هذا المسيح."<sup>2</sup>

من هذا المنطلق فإن الدارس للتاريخ اليهودي، يجد أن المسيح المخلص يُصنع اصطناعا، عند الطلب، وكلما احتاج بنو إسرائيل إلى ذلك، خاصة أوقات المحن فهم ينفسون عن ضيقهم بذكره، ويتوعدون أعداءهم به، وعليه لم يعد هناك مخلص واحد بل محلّصون كثر، وهذا ما قاله يسوع لحوارييه على انفراد وهو جالس على جبل الزيتون: **أَتُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ وَمَضَى مِنَ الْهَيْكَلِ، فَتَقَدَّمَ تَلَامِيذُهُ لِكَيْ يُرَوْهُ أُبْنِيَّةَ الْهَيْكَلِ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: "أَمَا تَنْظُرُونَ جَمِيعَ هَذِهِ؟ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَا يُتْرَكُ هَهُنَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لَا يُنْقَضُ!".** <sup>3</sup> **وَفِيمَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى جَبَلِ الزَيْتُونِ، تَقَدَّمَ إِلَيْهِ التَّلَامِيذُ عَلَى انْفِرَادٍ قَائِلِينَ: "قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هَذَا؟ وَمَا هِيَ عَلَامَةٌ بَجِيئِكَ وَأَنْقِضَاءِ الدَّهْرِ؟" فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ**

1 - حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه، مرجع سابق، ص100

2 - المرجع السابق

هُمَّ: "انظروا! لا يُضِلُّكُمْ أَحَدٌ. ° فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي قَائِلِينَ: أَنَا هُوَ الْمَسِيحُ! وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ. (...)<sup>٢١</sup> لِأَنَّهُ يَكُونُ حِينِيذٍ ضَيْقٌ عَظِيمٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْعَالَمِ إِلَى الْآنَ وَلَنْ يَكُونَ. <sup>٢٢</sup> وَلَوْ لَمْ تُقْصِرْ تِلْكَ الْأَيَّامُ لَمْ يَخْلُصْ جَسَدٌ. وَلَكِنْ لِأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ تُقْصِرُ تِلْكَ الْأَيَّامُ. <sup>٢٣</sup> حِينِيذٍ إِنْ قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ: هُوَذَا الْمَسِيحُ هُنَا! أَوْ: هُنَاكَ! فَلَا تُصَدِّقُوا. <sup>٢٤</sup> لِأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسَحَاءً كَذِبَةً وَأَنْبِيَاءُ كَذِبَةً وَيُعْطُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةً وَعَجَائِبَ، حَتَّى يُضِلُّوا لَوْ أَمَكَنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضًا. <sup>٢٥</sup> هَا أَنَا قَدْ سَبَقْتُ وَأَخْبَرْتُكُمْ. <sup>٢٦</sup> فَإِنْ قَالُوا لَكُمْ: هَا هُوَ فِي الْبَرِّيَّةِ! فَلَا تَخْرُجُوا. هَا هُوَ فِي الْمَخَادِعِ! فَلَا تُصَدِّقُوا. [ متى 24:1-25 ] .

واختلف اليهود في شخص المسيح المنتظر، غير أن أعظم الشخصيات وأهمها هو النبي إلياس، والذي يسميه اليهود (إيليا التشبي) أو (الياهو النبي)، وقد كان في نسبه في بني إسرائيل خلاف كبير، فبعض أحرار اليهود نسبوه إلى سبط جاد، وآخرون إلى سبط بنيامين، بل قيل أيضا إنه من الكهنة، أي من سبط ليفي الذي ينسب إليه موسى وهارون. مما جعله إلى يومنا هذا من الأركان الغيبية في الفكر اليهودي، وقد كثر الحديث عنه في التلمود والمدارس وكتب التصوف اليهودي، واعتبر في نظر الكثيرين مساويا لموسى عليه السلام، بل اعتبر الوحيد من بني إسرائيل الذي يمكن أن يقارن موسى عليه السلام.

جاء في المجلد الثاني في دائرة المعارف العبرية المنشور في نيويورك سنة 1908 بإشراف يهودا دافيد أيزنشتاين تحت عنوان "موسى وإلياهو"<sup>1</sup> أن أصحاب المدراس جروا على تشبيهه إلياهو بموسى من عدة وجوه أهمها:

- أن الاثنين ينتميان إلى سبط اللاويين (وقد أشرنا إلى الخلاف القائم حول نسبة إيلياهو إلى هذا السبط).

- أنهما مكلفان من الله برسالة محددة هي خلاص بني إسرائيل، أما موسى فقد أتم رسالته بتخليصهم من فرعون، وأما إيلياهو فالأمر فيه مختلف جدا، إذ أنه - في اعتقادهم - قد صعد إلى السماء في المركبة النارية التي ذكرنا قصتها وأنه سينزل إلى الأرض في آخر الزمان، قبل يوم الدين ليتم رسالة الخلاص التي كلف بها، وقد كانت هذه العقيدة شائعة بين اليهود بعد العودة من السبي البابلي، فالنبي ملاخي الذي عاش في أواسط القرن الخامس قبل الميلاد يقول [ملاخي 4:4-6]: "أذْكُرُوا شَرِيعَةَ مُوسَى عَبْدِي الَّتِي أَمَرْتُهُ بِهَا فِي حُورِيبَ عَلَى كُلِّ إِسْرَائِيلَ. الْفَرَائِضَ وَالْأَحْكَامَ." "هَآنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيْلِيَا النَّبِيِّ قَبْلَ بَحْيٍ يَوْمَ الرَّبِّ، الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ، فَيَرُدُّ قَلْبَ الْآبَاءِ عَلَى الْآبْنَاءِ، وَقَلْبَ الْآبْنَاءِ عَلَى آبَائِهِمْ. لِئَلَّا آتِي وَأَضْرِبَ الْأَرْضَ بِلُغْنٍ".

- أن كلا منهما نبي، وقد لقب كلاهما بلقب «رجل الله» في الكتاب المقدس.

- أنهما جميعا قد صعدا إلى السماء وقد رأينا في ذلك نصا صريحا في قصة إيلياهو، أما موسى فالنص الصريح الذي عندنا في الكتاب المقدس عنه أنه مات ولم يرفع، بل دفن في قبر لم يكن الذي سجل التوراة بالكتابة يعرف أين هو [التثنية 34:5-6] والواقع أن ارتفاع موسى إلى السماء قد تأوله اليهود اجتهادا فيما بعد.

- أن كلا منهما قتل رجلا ظلما، فموسى قتل المصري الذي رآه يضرب واحدا من قومه، وقالوا إن إيلياهو قتل حيئيل باني مدينة أريحا، المعاصر لإيلياهو وللملك الإسرائيلي أخاب، وحادثة القتل المنسوبة إلى إيلياهو النبي هي أيضا من اجتهادات اليهود في التأويل ولم

يرد بها نص صريح، وكل ما هنالك أنهم توهموا في آية [هوشع 1:13] التي لا تفصح عن ذلك بحال فهي تقول: "لَمَّا تَكَلَّمَ أَفْرَائِمُ بِرَعْدَةٍ، تَرَفَّعَ فِي إِسْرَائِيلَ. وَلَمَّا أَثِمَ بِبَعْلِ مَاتَ."  
- أن موسى وإيليا كلاهما قد اعتمد في فترة معينة على امرأة، موسى على بنت كاهن مدين، وإيليا على الأرملة التي أحيا لها ولدها من الموت.  
- أن موسى هرب من وجه فرعون، وإياهو هرب من وجه آخاب وزوجته الكافرة إيزابيلا.

- أن موسى جمع شمل قومه على جبل الطور في سيناء، وإياهو جمع شملهم على جبل الكرمل في شمال فلسطين.

- أن كلاهما اتخذ له مغارة يختبئ فيها، ورد ذكر مغارة موسى في سفر [الخروج 22:33] في قول الرب له: "وَيَكُونُ مَتَى اجْتَازَ بَحْدِي، أَنِّي أَضَعُكَ فِي نُقْرَةٍ مِنَ الصَّخْرَةِ، وَأَسْتُرُكَ بِيَدَيَّ حَتَّى أَجْتَازَ."

- أن كلا من موسى وإياهو قد بقي أربعين ليلة على وجبة واحدة، موسى عندما واعد ربه، وإياهو في صحراء يهوذا في الجنوب من فلسطين.

- أن موسى وإياهو كانا جديرين بالتجلي الإلهي العجيب، وتأولوا هنا قول نبيهم [ناحوم 3:1]: "الرَّبُّ بَطِيءُ الْعَصَبِ وَعَظِيمُ الْقُدْرَةِ، وَلَكِنَّهُ لَا يُبْرِيءُ الْبَتَّةَ. الرَّبُّ فِي الزُّوْبَعَةِ، وَفِي الْعَاصِفِ طَرِيقُهُ، وَالسَّحَابُ غُبَارُ رِجْلَيْهِ." الرب في الزوبعة، وفي العاصفة طريقه، قالوا إن الزوبعة هي موسى والعاصفة هي إياهو.

وأخبار ومعجزات هذا النبي كثيرة في العهد القديم نفسه، حيث كان معاصراً للملك آخاب، سابع ملوك دولة إسرائيل المنشقة في شمال فلسطين، التي كانت عاصمتها السامرة في إقليم نابلس، جاء في سفر [الملوك الأول 16:29-33]: "وَأَخَابُ بْنُ عُمْرِي مَلِكٌ عَلَى

إِسْرَائِيلَ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ وَالثَّلَاثِينَ لَأَسَا مَلِكِ يَهُودَا، وَمَلِكِ أَخَابُ بْنُ عُمَرِي عَلَى إِسْرَائِيلَ فِي السَّامِرَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً.<sup>٣٠</sup> وَعَمِلَ أَخَابُ بْنُ عُمَرِي الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الَّذِينَ قَبْلَهُ.<sup>٣١</sup> وَكَأَنَّهُ كَانَ أَمْرًا زَهِيدًا سُلُوكُهُ فِي خَطَايَا يَرْبَعَامَ بْنِ نَبَاطَ، حَتَّى اتَّخَذَ إِيزَابَلَ ابْنَةَ أَتْبَعَلِ مَلِكِ الصِّيدُونِيِّينَ امْرَأَةً، وَعَبَدَ الْبَعْلَ وَسَجَدَ لَهُ.<sup>٣٢</sup> وَأَقَامَ مَذْبَحًا لِلْبَعْلِ فِي بَيْتِ الْبَعْلِ الَّذِي بَنَاهُ فِي السَّامِرَةِ.<sup>٣٣</sup> وَعَمِلَ أَخَابُ سَوَارِي، وَزَادَ أَخَابُ فِي الْعَمَلِ لِإِغَاظَةِ الرَّبِّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ مُلُوكِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ. " كان ذلك حوالي سنة 900 قبل الميلاد.

ويرى اليهود أن إيليا مكث في الأرض مدة يدعو بني إسرائيل، ثم رفع إلى السماء حيا ولم يموت، وسينزل إلى الأرض في آخر الزمان، ليتم رسالة الخلاص للشعب اليهودي، والتي كلف بها.

ومن أمثلة الذين ادعوا أنهم المسيح المخلص: "ثيوداس" الذي ظهر سنة 44 م، فاتبعه جمهور كبير من اليهود، وأراد أن يستغلهم سياسيا لصالحه، فاجتمع بهم على نهر الأردن، وادعى أنه سيشطر ماء النهر كما فعل موسى عليه السلام مع فرعون، ليعبر هو والشعب معه، فوصل أمره للحاكم العسكري الروماني في تلك المنطقة، فأرسل من يتعقبه هو ومن معه من اليهود فأبيدوا عن بكرة أبيهم، وحملوا رأس "ثيوداس" إلى قائدهم.

تزامنا مع "ثيوداس"، وفي وقت نفسه ظهر يَهُودًا الْجَلِيلِيُّ، وهو من اليهود ادعى أنه المخلص أيضا، فكانت نهايته هو الآخر ومن اتبعه وخيمة جاء في [ أعمال الرسل 27:5]:



٣٧ بَعْدَ هَذَا قَامَ يَهُودًا الْجَلِيلِيِّ فِي أَيَّامِ الْاِكْتِسَابِ، وَأَزَاعَ وَرَاءَهُ شَعْبًا غَفِيرًا. فَذَلِكَ أَيْضًا هَلَكٌ،  
وَجَمِيعُ الَّذِينَ انْقَادُوا إِلَيْهِ تَشَتَّتُوا.<sup>1</sup>

كما ذكر لنا التاريخ في العصر القديم مجموعة من الأسماء الذين ادعوا أنهم المسيح المخلص، منهم "يودغان" و"داود الرائي" و"ديفيد رؤفيني" و"لومون ملكو"، ولكن أبرزهم "أبو عيسى الأصفهاني"، واسمه الحقيقي "إسحق بن يعقوب"، من مواليد أصفهان، كان حياطا أميًا، عاش في زمن الخليفة عبد الملك بن مروان (865-705)، و يذهب الشهرستاني إلى أنه عاش في الفترة بين حكم الخليفة الأموي مروان بن محمد (744-750) والخليفة العباسي المنصور (754-775)، ويبدو أن هذا التاريخ الأخير أكثر دقة، فقد كانت هذه الفترة فترة انتقال شهدت سقوط الدولة الأموية وظهور الدولة العباسية، وعادة ما كانت الحمى المشيخانية تتصاعد بين اليهود (والأقليات بشكل عام) في مثل هذه الفترات.

وفي عام 755م، أعلن "أبو عيسى" أنه الماشيخ الذي سيحرر اليهود من الأغيار، وقاد بهذه الصفة تمردا ضد الحكم الإسلامي، وانضم له العديد من يهود "فارس"، لكن هذا التمرد تم إخماده بعد عدة سنوات وقُتل "أبو عيسى". و لكن أتباعه كما هي العادة، أعلنوا أنه لم يقتل وإنما دخل كهفا واختفى، كما تداولوا بعض القصص عن المعجزات التي أتى بها، من بينها أنه ضرب المسلمين ضربة قوية، وأنه انضم لأبناء موسى في الصحراء ليطلق نبوءاته، وقد تأسست من بعده فرقة العيسوية التي ظلت قائمة حتى حوالي عام 930 م.<sup>2</sup>

1 - المرجع السابق، ص 112-113

2 -مقال: المسيح المنتظر في المعتقد اليهودي: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، 1433 هـ، 2012م، على رابط الانترنت التالي:

<http://taseel.com/display/pub/default.aspx?id=3073&ct=4&ax=6>

أما في العصر الحديث، فهناك كثير من الشخصيات اليهودية التي ادعت أنها المسيح المنتظر، ولكن أبرزهم "شبتاي تسفي"، الذي ولد "بأزمير" وتلقى تعليماً دينياً تقليدياً، فدرس التوراة والتلمود واستغرق بدراسة التصوف اليهودي (القبالاه)، عمل على ربط خلاص اليهود بشخصية المسيح المنتظر، فعدّل بذلك صيغة الحلول الإلهي من الجماعة اليهودية إلى شخص المخلص (المسيح)، ثم ادعى أنه المسيح المنتظر عام 1648م، فطرد من أزمير وتنقل بعد ذلك، في كل من "اليونان" و"اسطنبول" و"القاهرة" و"فلسطين" المحتلة. ثم دخل القدس على فرس (كما هو متوقع من الماشيح) عام 1665م، وأعلن أنه المتصرف الوحيد في العالم كله، وأعلن أنه سيذهب إلى تركيا ويخلع السلطان، وأخذ يضيف على نفسه ألقاباً يوقع بها رسائله منها: "ابن الإله البكر"، "أبوكم يسرائيل"، "أنا الرب إلهكم شبتاي تسفي"، وقد قبض عليه في فبراير عام 1666 في اسطنبول وأودع السجن، فُدم بعد فترة من سجنه للمحاكمة، فأنكر دعوته وزعم أنه مجرد رجل يهودي عادي، كما أنه أعلن رغبته بالدخول للإسلام، فأشهر إسلامه نفاقاً، وغير اسمه فأصبح "محمد أفندي"، وتعلّم العربية والتركية ودرس القرآن، وأسلمت زوجته من بعده، وسمت نفسها "فاطمة"، ثم حذا حذوه كثير من أتباعه الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا اليهودية والكيد للإسلام، وقد أطلق عليهم اسم "دونمه"<sup>1</sup>.

---

1 - المسيح المنتظر في المعتقد اليهودي: المرجع السابق. أما لفظة "دونمة": كلمة تركية تعني (المرتدين) وفي أصلها مركبة من (دو) أي اثنين، و(نمة) بمعنى نوع، أي الفرقة القائمة على نوعين من الأصول: النوع اليهودي والنوع الإسلامي، وقد حاول يهود دونمة العدول عن هذه التسمية، حيث سمو أنفسهم (المؤمنين) (الرفاق) (المجاهدين).

## وقت الخلاص اليهودي

المسيح المنتظر عند اليهود "ملك" من نسل داود، سيأتي بعد ظهور "النبي إيا" الذي رفع إلى السماء - كما ذكرنا- ليعدّل مسار التاريخ اليهودي، بل البشري، فينهى عذاب اليهود ويأتيهم بالخلاص، ويجمع شتات المنفيين ويعود بهم إلى صهيون ويحطم أعداء جماعة إسرائيل، ويتخذ أورشليم (القدس) عاصمة له، ويعيد بناء الهيكل، ويحكم بالشرعيتين المكتوبة والشفوية اليهودية (التوراة والتلمود)، ويعيد كل مؤسسات اليهود القديمة مثل السنهدرين، ثم يبدأ الفردوس الأرضي الذي سيدوم ألف عام.

والدارس للتاريخ اليهودي يلحظ أنه يكثر التفاهم على فكرة المسيح المخلص، كلما تعرضوا للإهانة والسبي والاستعباد والفساد، من النكبات المتعاقبة التي حلت بهم، فالحنّة تولد فكرة الأمل والمنحة المجسدة في المسيح المخلص<sup>1</sup>، حتى أصبحت من أركان العقيدة اليهودية العامة، وسميت عند كثير من مؤرخي الفكر الإسرائيلي باسم "المسيحانية Messianisme" كما أسلفنا الذكر. جاء في سفر [إشعيا 9:6-7]: "لأنّهُ يُولَدُ لَنَا وَكَدُّ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَيَّ كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، إلهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلَامِ. <sup>٧</sup>لِنُمُو رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلَامِ لَا نَهَايَةَ عَلَيَّ كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَيَّ مَمْلَكَتِهِ، لِيُنْتَبَهَهَا وَيَعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ، مِنْ الْآنَ إِلَى الْأَبَدِ. غَيْرُهُ رَبُّ الْجُنُودِ تَصْنَعُ هَذَا."

1 - إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي: الرسالة السبعية باباطال الديانة اليهودية، تحقيق وتعليق: عبد الوهاب الطويلة، دار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى - 1989، ص 37

يقول الباحث عمر بن عبدالعزيز قريشي: " ويتطَّلع اليهود إلى المسيح المنتظر، في كل حين - لا سيما عندما كانت تجري الحوادث على عكس ما يشتهون - ويرون فيه بلسماً لجراحهم، فبعد أن شتَّتهم الرومان سنة 70 للميلاد في أنحاء الإمبراطورية الرومانية، تصاعدت أصوات اليهود إلى السماء من جديد بأن يرسل الإله لهم مسيحاً يخلصهم ويعيد لهم مجدهم التليد، بل وأصبح هذا الدعاء والتطلع النفساني الذي ينطوي عليه عنصراً مكوناً للدين اليهودي؛ ففي أقدس أوقات السنة في يوم التكفير أو "يوم كيبور"، يقول المصلُّون في آخر ما يتوجهون به من دعاء: "السنة القادمة في أورشليم"، وبهذا التحم الدين اليهودي بالقومية التحاماً أصبح يتعدَّ بعدة فصلٍ السياسة عن الدين، بل دخلت السياسة في الدين بشكل أصبحت هي فحواه، وعليه أصبح الدين قومية دينية.<sup>1</sup>

ومادام أن اليهود يتقربون دائماً المخلص الذي يأخذ بأيديهم إلى برّ الأمان في اللحظات الحالكات، فلماذا لم يؤمنوا إذن بالمسيح عيسى بن مريم عليه السلام عندما جاءهم يدعوهم بدعوته ويرفع عنهم إصرهم والأغلال وهو يهودي منهم.؟

لقد تعلل اليهود في ذلك، بأن عيسى عليه السلام، لا تتحقق فيه الشروط التي وردت عند الأنبياء السابقين حول المسيح المنتظر وزمانه. وعلى رأسها أن إرهابات النبوة لم تظهر عند مجيئه، ومن إرهابات القدوم: أن النبي إيليا لم ينزل مُرهصاً له، ولم يعد من السماء قبل مجيئه معلناً عن بعثته، ثم إنهم يقولون إن النبي إشعيا وصف صفات المسيح المنتظر فيقول في سفر [إشعيا 11]: " وَيُخْرِجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَى، وَيَنْبُتُ عُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ، وَيَجُلُّ عَلَيْهِ رُوحٌ

1 - عمر بن عبدالعزيز قريشي: اليهودية والصهيونية، مرجع سابق

الرَّبِّ، رُوحَ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ، رُوحَ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ، رُوحَ الْمَعْرِفَةِ وَخَافَةَ الرَّبِّ. <sup>٣</sup> وَلَدَّتْهُ تَكُونُ فِي خَافَةِ الرَّبِّ، فَلَا يَفْضِي بِحَسَبِ نَظَرِ عَيْنَيْهِ، وَلَا يَحْكُمُ بِحَسَبِ سَمْعِ أُذُنَيْهِ، <sup>٤</sup> بَلْ يَفْضِي بِالْعَدْلِ لِلْمَسَاكِينِ، وَيَحْكُمُ بِالْإِنْصَافِ لِبَائِسِي الْأَرْضِ، وَيَضْرِبُ الْأَرْضَ بِقَضِيبِ فَمِهِ، وَبِمِثِّ الْمُنَافِقِ بِنَفْحَةِ شَفْتَيْهِ. <sup>٥</sup> وَيَكُونُ الْبِرُّ مِنْطَقَةً مَتْنِيَهُ، وَالْأَمَانَةُ مِنْطَقَةً حَقْوِيهِ. <sup>٦</sup> فَيَسْكُنُ الذُّبُّ مَعَ الْحُرُوفِ، وَيَرْبُضُ النَّمْرُ مَعَ الْجُدِيِّ، وَالْعِجْلُ وَالشِّبْلُ وَالْمُسَمَّنُ مَعًا، وَصَيِّ صَغِيرٌ يَسُوقُهَا. <sup>٧</sup> وَالْبَقَرَةُ وَالذَّبَّةُ تَرَعِيَانِ. تَرْبُضُ أَوْلَادُهُمَا مَعًا، وَالْأَسَدُ كَالْبَقَرِ يَأْكُلُ تَبْنَا. <sup>٨</sup> وَيَلْعَبُ الرَّضِيعُ عَلَى سَرَبِ الصَّلِّ، وَيُمُدُّ الْفَطِيمُ يَدَهُ عَلَى جُحْرِ الْأَفْعَوَانِ. <sup>٩</sup> لَا يَسُورُونَ وَلَا يُنْسِدُونَ فِي كُلِّ جَبَلٍ قُدْسِي، لِأَنَّ الْأَرْضَ تَمْتَلِي مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ كَمَا تُعْطِي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ. <sup>١٠</sup> وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَصْلَ يَسَى الْقَائِمِ رَايَةً لِلشُّعُوبِ، إِيَّاهُ تَطْلُبُ الْأُمَمُ، وَيَكُونُ مَحَلُّهُ جَحْدًا. <sup>١١</sup> وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ السَّيِّدَ يُعِيدُ يَدَهُ ثَانِيَةً لِيَقْتَنِي بَقِيَّةَ شَعْبِهِ، الَّتِي بَقِيَتْ، مِنْ أَشُورَ، وَمِنْ مِصْرَ، وَمِنْ فِتْرُوسَ، وَمِنْ كُوشَ، وَمِنْ عِيْلَامَ، وَمِنْ شِنْعَارَ، وَمِنْ حَمَاهَ، وَمِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ. <sup>١٢</sup> وَيَرْفَعُ رَابِعَةً لِلْأُمَمِ، وَيَجْمَعُ مَنْفِيي إِسْرَائِيلَ، وَيَضُمُّ مُشْتَتِي يَهُودًا مِنْ أَرْبَعَةِ أَطْرَافِ الْأَرْضِ. <sup>١٣</sup> فَيَزُولُ حَسَدُ أَفْرَايِمَ، وَيَنْقَرِضُ الْمُضَايِقُونَ مِنْ يَهُودًا. أَفْرَايِمُ لَا يَحْسُدُ يَهُودًا، وَيَهُودًا لَا يُضَايِقُ أَفْرَايِمَ. <sup>١٤</sup> وَيَنْقَضَانِ عَلَى أَكْتَاكِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ غَرْبًا، وَيَنْهَبُونَ بَنِي الْمَشْرِقِ مَعًا. يَكُونُ عَلَى أَدُومَ وَمُؤَابَ امْتِدَادُ يَدَيْهِمَا، وَبَنُو عَمُونَ فِي طَاعَتِهِمَا. <sup>١٥</sup> وَيُيِّدُ الرَّبُّ لِسَانَ بَحْرِ مِصْرَ، وَيَهْزُ يَدَهُ عَلَى النَّهْرِ بِقُوَّةِ رِيحِهِ، وَيَضْرِبُهُ إِلَى سَبْعِ سَوَاقٍ، وَيُجِيزُ فِيهَا بِالْأَحْذِيَةِ. <sup>١٦</sup> وَيَكُونُ سِكَّةٌ لِبَقِيَّةِ شَعْبِهِ الَّتِي بَقِيَتْ مِنْ أَشُورَ، كَمَا كَانَ لِإِسْرَائِيلَ يَوْمَ صُغُودِهِ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ.

وقد تكرر ذلك كله في مواضع أخرى من أقوال نفس هذا النبي، أشهرها ما جاء في نهاية الإصحاح الخامس والستين من سفره حول السلام الدائم القائم بين الذئب والحمل،

وما سيكون من إقلاع الأسد عن الافتراس واكتفائه بأكل التبن كالبقر. ويقول اليهود إنه لم يتحقق شيء واحد من ذلك على عهد عيسى بن مريم، فالذئب ما يزال يأكل الحمل، والأسد لا يذوق التبن، بل يعيش على قتل الفريسة وتمزيقها، والحية تهلك الإنسان، وبقية إسرائيل ويهوذا ذليلة مشردة في الأرض. وهكذا تنكّر هؤلاء اليهود للمسيح حتى إنهم حرفوا اسمه من "يسوع" التي تنطق بالعبرية "يشوع"، ومعناها المخلص، فسموه "يشو"، وهو تحريف خبيث بنوه على حساب عددي لحروف هذه الكلمة، إذ هي بحساب الجمل تساوي ثلاثمائة وستة عشر وقد جعلوها رمزا لعبارة سرية فيما بينهم تساوي في هذا الحساب نفس القيمة، وهي العبارة الآرامية "نبلا بريكا"، التي معناها: "الرّمة المقدسة"، ينعنون بها السيد المسيح عليه السلام.<sup>1</sup>

و الواقع أن هذا الذي حدث بالضبط في التاريخ الإسلامي قبيل البعثة، فقد كان اليهود قبل البعثة النبوية يتوعدون مشركي العرب، بأنه أظل زمان يبعث فيه نبي آخر الزمان، وأنهم سيتبعونه وينتصرون به على العرب، فلما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من العرب، تنكروا له، قال تعالى: **وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (89).**

[البقرة: 89]

والواقع أن الحلم المسيحاني لم يكف عن مداعبة خيال اليهود منذ السبي البابلي وحتى القرن العشرين. يقول النبي [دانيال 7: 13-28]: **كُنْتُ أَرَى فِي رُؤْيِ اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ**

1 - حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه، مرجع سابق، ص 110-111، وانظر أيضا إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي:

الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية، مرجع سابق، ص 38

سُحِبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الْأَيَّامِ، فَفَرَّطَهُ قُدَّامَهُ. <sup>٤</sup> فَأَعْطِي سُلْطَانًا وَجَدًّا وَمَلَكُوتًا لَتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ وَالْأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لَا يَنْقَرِضُ. <sup>١٥</sup> "أَمَا أَنَا دَانِيَالُ فَحَزَنْتُ رُوحِي فِي وَسْطِ جِسْمِي وَأَفْزَعْتَنِي رُؤْيُ رَأْسِي. <sup>١٦</sup> فَأَقْتَرَنْتُ إِلَى وَاحِدٍ مِنَ الْوُقُوفِ وَطَلَبْتُ مِنْهُ الْحَقِيقَةَ فِي كُلِّ هَذَا. فَأَخْبَرَنِي وَعَرَّفَنِي تَفْسِيرَ الْأُمُورِ: ". ثم يستمر هذا الإصحاح نفسه في سياق تفسير أحلام دانيال، وهي نبؤات سياسية وعسكرية متوقعة في آخر الزمان، تنتهي بهلاك أعداء الرب وشعبه المختار، واحدا تلو الآخر، حتى يأتي آخر الظالمين (...). <sup>٢٥</sup> وَيَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ ضِدَّ الْعَلِيِّ وَيُبْلِي قَدَيْسِي الْعَلِيِّ، وَيَطُنُّ أَنَّهُ يُعَيِّرُ الْأَوْقَاتَ وَالسُّنَّةَ، وَيُسَلِّمُونَ لِيَدِهِ إِلَى زَمَانٍ وَأَزْمَنَةٍ وَنِصْفِ زَمَانٍ. <sup>٢٦</sup> فَيَجْلِسُ الدِّينُ وَيَنْزِعُونَ عَنْهُ سُلْطَانَهُ لِيَفْنَوْا وَيَبِيدُوا إِلَى الْمُنْتَهَى. <sup>٢٧</sup> وَالْمَمْلَكَةُ وَالسُّلْطَانُ وَعَظْمَةُ الْمَمْلَكَةِ تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ تُعْطَى لِشُعْبِ قَدَيْسِي الْعَلِيِّ. مَلَكُوتُهُ مَلَكُوتٌ أَبَدِيٌّ، وَجَمِيعُ السَّلَاطِينِ إِيَّاهُ يَعْبُدُونَ وَيُطِيعُونَ. "

إذن الغاية من الخلاص ليس هو التخلص والقضاء على البؤس، وحياة الشقاء والقلق، وتعويضها ب حياة النعيم والهدوء والسكينة، كما تنص كل الأديان وكما يحلم به كل الإنسان، وذلك ما يُعبر به عن الفوز بالجنة ودار النعيم والخلود... فالخلاص اليهودي لا يسير في هذا الاتجاه، وإنما في اتجاه الانتقام وتفصيل العنصرية والعدوانية، والمتمثل في التخلص من عدوهم وسحقه، والتنعم برؤيته وهو في حال العذاب وذلل الهوان، فالسوي من الناس إن نجح هو من العذاب، لا يهمله إن عُفي عن عدوه وُجُوزَ عنه، فهذا مقصد العفو والمسامحة فالخير يسع الجميع ، ناهيك إن كان من عند الرحمن الرحيم. أما مريض النفس والطباع، الذي عشت فيه روح العنصرية والانتقام، فإنه لا يهدأ له بال، ولا تقر له عين حتى يرى عدوه يسومه سوء العذاب، فلا يكتمل هناؤه بنعيم الجنة، حتى يرى عدوه يتقلّى في سموم الجحيم...



تلك هي الشخصية التي تربيها التوراة، فكيف يسوغ معها الحديث عن التسامح والعفو ونسيان الضغائن...؟!، فهي إن فعلت ذلك كمدا تموت، وهي لا تريد أن تموت. إن هذه التوراة هي الرد اللاشعوري، على الاضطهاد والسي وهتك الأعراض وقتل الرجال، ومن هذا المنطلق يأتي الخلاص اليهودي... إنه خلاص في الدنيا... إنه مملكة تقام على الأرض. ألم يُهدم- في اعتقادهم- هيكلهم؟، ألم تُقَوَّض مملكتهم التي لم تدم سوى بضع سنين؟، فليكن الخلاص متمثلاً في مملكة على الأرض، وإذا كانوا قد ذاقوا مرارة السبي وقسوة القتل فلتأت النبوءات بالخلاص... الخلاص والتخلص من الكل...، حيث يدوسون كل شعوب الأرض، ولنقرأ هذا النص من [سفر أشعيا 11:11-16]:

" (...) <sup>11</sup> وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ السَّيِّدَ يُعِيدُ يَدَهُ ثَانِيَةً لِيَقْتَنِي بَقِيَّةَ شَعْبِهِ، الَّتِي بَقِيَتْ، مِنْ أَشُّورَ، وَمِنْ مِصْرَ، وَمِنْ فِتْرُوسَ، وَمِنْ كُوشَ، وَمِنْ عِيْلَامَ، وَمِنْ شِنْعَارَ، وَمِنْ حَمَاءَ، وَمِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ. <sup>12</sup> وَيَرْفَعُ رَايَةً لِلْأُمَّمِ، وَيَجْمَعُ مَنْقَبِي إِسْرَائِيلَ، وَيَضُمُّ مُشْتَتِي يَهُودًا مِنْ أَرْبَعَةِ أَطْرَافِ الْأَرْضِ. <sup>13</sup> فَيَرْزُلُ حَسَدَ أَفْرَايِمَ، وَيَنْقَرِضُ الْمُضَايِقُونَ مِنْ يَهُودًا. أَفْرَايِمُ لَا يَحْسُدُ يَهُودًا، وَيَهُودًا لَا يُضَايِقُ أَفْرَايِمَ. <sup>14</sup> وَيَنْقَضَانِ عَلَى أَكْتِافِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ غَرْبًا، وَيَنْهَبُونَ بَنِي الْمَشْرِقِ مَعًا. يَكُونُ عَلَى أَدُومَ وَمُؤَابَ امْتِدَادُ يَدَيْهِمَا، وَيَبْنُو عَمُونَ فِي طَاعَتِهِمَا. <sup>15</sup> وَيُيِيدُ الرَّبُّ لِسَانَ بَحْرِ مِصْرَ، وَيَهْزُ يَدَهُ عَلَى النَّهْرِ بِقُوَّةِ رِيحِهِ، وَيَضْرِبُهُ إِلَى سَبْعِ سَوَاقٍ، وَيُجِيزُ فِيهَا بِالْأَحْذِيَّةِ. <sup>16</sup> وَتَكُونُ سَكَّةٌ لِبَقِيَّةِ شَعْبِهِ الَّتِي بَقِيَتْ مِنْ أَشُّورَ، كَمَا كَانَ لِإِسْرَائِيلَ يَوْمَ صُعودِهِ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ."

وهكذا يكون الخلاص بالثأر من التاريخ... الثأر من المصريين خاصة لما فعله أجدادهم ومن غير المصريين عامة حيث يصير الجميع خدما وعبدا.



وإذا كان المصريون قد سبق لهم وأن استعبدوا بني إسرائيل وساموهم سوء العذاب، فإنه لا بد أن يأتي اليوم الذي تنهار فيه الحياة في مصر، حتى لا ترفع عصاها في وجه اليهود، وقد تكفل الربُّ بهذه المهمة، ليتذوق بني إسرائيل تمام النعمة، والتي لا تكون إلا بتعذيب عدوهم كما أسلفنا، ولنا أن نقرأ هذه النصوص لتؤكد من هذه الحقيقة :

جاء في [سفر أشعيا 19:1-17] :<sup>١</sup> "وَحَيٌّ مِنْ جِهَةِ مِصْرَ: هُوَذَا الرَّبُّ رَاكِبٌ عَلَى سَحَابَةٍ سَرِيعَةٍ وَقَادِمٌ إِلَى مِصْرَ، فَتَرْجِفُ أَوْثَانُ مِصْرَ مِنْ وَجْهِهِ، وَيَذُوبُ قَلْبُ مِصْرَ دَاخِلَهَا. وَأَهْيِجُ مِصْرِيِّينَ عَلَى مِصْرِيِّينَ، فَيُحَارِبُونَ كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ: مَدِينَةُ مَدِينَةً، وَمَمْلَكَةٌ مَمْلَكَةً. <sup>٢</sup> وَتُهْرَاقُ رُوحُ مِصْرَ دَاخِلَهَا، وَأُفْنِي مَشُورَتَهَا، فَيَسْأَلُونَ الْأَوْثَانَ وَالْعَارِيفِينَ وَأَصْحَابَ التَّوَابِعِ وَالْعَرَايفِينَ. <sup>٣</sup> وَأُعْلِقُ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ فِي يَدِ مَوْلَى قَاسٍ، فَيَتَسَلَطُ عَلَيْهِمْ مَلِكٌ عَزِيزٌ، يَقُولُ السَّيِّدُ رَبُّ الْجُنُودِ. <sup>٤</sup> وَتُنَشَفُ الْمِيَاهُ مِنَ الْبَحْرِ، وَيَجِفُّ النَّهْرُ وَيَبْسُ. <sup>٥</sup> وَتُنْتِنُ الْأَنْهَارُ، وَتَضْعَفُ وَتَجْفُ سَوَاقِي مِصْرَ، وَيَتَلَفُ الْقَصَبُ وَالْأَسْلُ. <sup>٦</sup> وَالرِّيَاضُ عَلَى النَّيْلِ عَلَى حَافَةِ النَّيْلِ، وَكُلُّ مَزْرَعَةٍ عَلَى النَّيْلِ تَيْبَسُ وَتَتَبَدَّدُ وَلَا تَكُونُ. <sup>٧</sup> وَالصَّيَّادُونَ يَبْسُونَ، وَكُلُّ الَّذِينَ يُنْقَوْنَ شِصًّا فِي النَّيْلِ يَنُوحُونَ. وَالَّذِينَ يَبْسُطُونَ شَبَكَةً عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ يَجْزُونَ، <sup>٨</sup> وَيَخْرَى الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الْكَتَانَ الْمُمَشَّطَ، وَالَّذِينَ يَحِيكُونَ الْأَنْسِجَةَ الْبَيْضَاءَ. <sup>٩</sup> وَتَكُونُ عُمْدُهَا مَسْحُوقَةً، وَكُلُّ الْعَامِلِينَ بِالْأَجْرَةِ مُكْتَبِي النَّفْسِ (...). لِيَعْرِفُوا مَاذَا قَضَى بِهِ رَبُّ الْجُنُودِ عَلَى مِصْرَ. <sup>١٠</sup> رُؤَسَاءُ صُوعَنَ صَارُوا أَعْيَاءَ. رُؤَسَاءُ نُوفَ اخْتَدَعُوا. وَأَضَلَّ مِصْرَ وَجُوهُ أَسْبَاطِهَا. <sup>١١</sup> مَزَجَ الرَّبُّ فِي وَسْطِهَا رُوحَ غَيٍّ، فَأَضَلُّوا مِصْرَ فِي كُلِّ عَمَلِهَا، كَثُرَتْحِ السَّكْرَانِ فِي قَيْئِهِ. <sup>١٢</sup> فَلَا يَكُونُ لِمِصْرَ عَمَلٌ يَعْمَلُهُ رَأْسٌ أَوْ ذَنْبٌ، نَخْلَةٌ أَوْ أَسَلَةٌ. <sup>١٣</sup> فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَكُونُ مِصْرُ كَالنِّسَاءِ، فَتَرْتَعِدُ وَتَرْجِفُ مِنْ هَرَّةٍ يَدِ رَبِّ الْجُنُودِ الَّتِي يَهْرُهَا عَلَيْهَا. <sup>١٤</sup> وَتَكُونُ أَرْضُ يَهُودَا رُعبًا لِمِصْرَ. كُلُّ مَنْ تَذَكَّرَهَا يَرْتَعِبُ مِنْ أَمَامِ قَضَاءِ رَبِّ الْجُنُودِ الَّذِي يَقْضِي بِهِ عَلَيْهَا."

هكذا يُفعل بمصر في التفكير والمخيال اليهودي، فلها وضع خاص ومكانة خاصة عند الربّ وشعبه... يجب أن تنهار، ويجب أن تسود فيها الفتنة... ويجب أن يعملوا على تخريبها حتى ينوح كل من فيها... ولا سبيل لخلاصها إلا أن تكون تابعا لبني إسرائيل، كما بينه نفس الإصحاح: "...<sup>٩</sup> فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ مَذْبَحٌ لِلرَّبِّ فِي وَسْطِ أَرْضِ مِصْرَ، وَعَمُودٌ لِلرَّبِّ عِنْدَ خُمَيْهَا. <sup>١٠</sup> فَيَكُونُ عَلَامَةً وَشَهَادَةً لِرَبِّ الْجُنُودِ فِي أَرْضِ مِصْرَ. لِأَنَّهُمْ يَصْرُخُونَ إِلَى الرَّبِّ بِسَبَبِ الْمُضَايِقِينَ، فَيُرْسِلُ لَهُمْ مُخْلَصًا وَمُحَامِيًا وَيُنْقِذُهُمْ. <sup>١١</sup> فَيَعْرِفُ الرَّبُّ فِي مِصْرَ، وَيَعْرِفُ الْمِصْرِيُّونَ الرَّبَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَيَقْدُمُونَ ذَبِيحَةً وَتَقْدِمْةً، وَيَنْدُرُونَ لِلرَّبِّ نَذْرًا وَيُوفُونَ بِهِ. <sup>١٢</sup> وَيَضْرِبُ الرَّبُّ مِصْرَ ضَارِبًا فَشَافِيًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى الرَّبِّ فَيَسْتَجِيبُ لَهُمْ وَيَشْفِيهِمْ.

وهكذا لا يكون لمصر خلاص إلا بتبعتها لبني إسرائيل، ولنقرأ هذا النص من نفس الإصحاح لنرى كيف يكون خلاص بني إسرائيل... حيث سيعودون رأس الزاوية وأساس البركة...<sup>١٣</sup> " فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَكُونُ سِكَّةٌ مِنْ مِصْرَ إِلَى أَشُورَ، فَيَجِيءُ الْأَشُورِيُّونَ إِلَى مِصْرَ وَالْمِصْرِيُّونَ إِلَى أَشُورَ، وَيَعْبُدُ الْمِصْرِيُّونَ مَعَ الْأَشُورِيِّينَ. <sup>١٤</sup> فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ إِسْرَائِيلُ ثُلُثًا لِمِصْرَ وَالْأَشُورَ، بَرَكَهٌ فِي الْأَرْضِ، <sup>١٥</sup> بِهَا يُبَارِكُ رَبُّ الْجُنُودِ قَائِلًا: "مُبَارَكٌ شَعْبِي مِصْرَ، وَعَمَلُ يَدَيَّ أَشُورَ، وَمِيرَاثِي إِسْرَائِيلُ".

واقرا في [سفر أشعيا 6:34-11]: " لِأَنَّ لِلرَّبِّ ذَبِيحَةً فِي بُصْرَةَ وَذَبْحًا عَظِيمًا فِي أَرْضِ أَدُومَ. <sup>٧</sup> وَيَسْقُطُ الْبَقَرُ الْوَحْشِيُّ مَعَهَا وَالْعُجُولُ مَعَ الشَّيْرَانِ، وَتَرَوِي أَرْضُهُمْ مِنَ الدَّمِ، وَتُرَابُهُمْ مِنَ الشَّحْمِ يُسَمَّنُ. <sup>٨</sup> لِأَنَّ لِلرَّبِّ يَوْمَ انْتِقَامٍ، سَنَةٌ جَزَاءٍ مِنْ أَجْلِ دَعْوَى صِهْيُونَ. <sup>٩</sup> وَتَحْوَلُ أَنْهَارُهَا زَيْتًا، وَتُرَابُهَا كِبْرِيَّتًا، وَتَصِيرُ أَرْضُهَا زَيْتًا مُشْتَعِلًا. <sup>١٠</sup> لَيْلًا وَنَهَارًا لَا تَنْطَفِئُ. إِلَى الْأَبَدِ

يَصْعَدُ دُخَانُهَا. مِنْ دَوْرٍ إِلَى دَوْرٍ تُحْرَبُ. إِلَى أَبَدِ الْآبِدِينَ لَا يَكُونُ مَنْ يَجْتَازُ فِيهَا. <sup>١</sup> وَيَرْتَهَا  
الْقُوْفُ وَالْمُنْفُذُ، وَالكَرْكِيُّ وَالْعُرَابُ يَسْكُنَانِ فِيهَا، وَيُمَدُّ عَلَيْهَا خَيْطُ الْحُرَابِ وَمَطْمَأُ الْحَلَاءِ.  
وهكذا تُحْرَبُ العراق كما تُحْرَبُ مصر وغيرها... أما بنو إسرائيل فسيعيشون النعيم  
ويُخَلِّصُونَ من أَعْلَالِ الْأَغْلَفِ والنجس اللذان يعيقانها و يترصداها... وعلينا أن نعرف من  
الأغلف ومن النجس ؟ :

" <sup>١</sup> اسْتَيْقِظِي، اسْتَيْقِظِي! الْبَسِي عِزِّكَ يَا صِهْيُونَ! الْبَسِي ثِيَابَ جَمَالِكَ يَا أُورُشَلِيمَ،  
الْمَدِينَةُ الْمُقَدَّسَةُ، لِأَنَّهُ لَا يَعُودُ يَدْخُلُكَ فِي مَا بَعْدَ أَغْلَفٍ وَلَا بَجَسٍ. <sup>٢</sup> انْتَفِضِي مِنَ التُّرَابِ.  
قُومِي اجْلِسِي يَا أُورُشَلِيمَ. ائْحَلِّي مِنْ رُئُطِ عُفْكَ أَيَّتُهَا الْمَسِيئَةُ ابْنَةُ صِهْيُونَ. [سفر أشعيا  
2-1:52] .

ويُلَخِّصُ لنا النص التالي قضية "الخلاص" وهدفه في المفهوم اليهودي، ومنه نتعرف  
على الأغلف والنجس جاء في [سفر أشعيا 22:49-23]: <sup>٢٢</sup> "هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: "هَا  
إِنِّي أَرْفَعُ إِلَى الْأُمَمِ يَدَيَّ وَإِلَى الشُّعُوبِ أَقِيمُ رَأْيِي، فَيَأْتُونَ بِأَوْلَادِكَ فِي الْأَحْضَانِ، وَبَنَاتِكَ  
عَلَى الْأَكْتَفِ يُحْمَلْنَ. <sup>٢٣</sup> وَيَكُونُ الْمُلُوكُ حَاضِنِيكَ وَسَيِّدَاتُهُمْ مُرْضِعَاتِكَ. بِالْوُجُوهِ إِلَى  
الْأَرْضِ يَسْجُدُونَ لَكَ، وَيَلْحَسُونَ غُبَارَ رِجْلَيْكَ، فَتَعْلَمِينَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي لَا يَنْزِي  
مُنْتَظَرُوه" <sup>1</sup>.

ولعلنا الآن عرفنا سر إسقاط التفكير في اليوم الآخر، من ذاكرة كُتَابِ ومؤلُفِي  
الكتاب المقدس... إنهم رأوا خلاصهم على هذه الأرض... حيث يعودون شعبًا مدللًا...

1 - يراجع محمد عبد الرحمن عوض: الخلاص من الخطيئة في مفهوم اليهودية والمسيحية والإسلام، دار البشير للطباعة والنشر و

التوزيع، القاهرة، ص 24-26

فيه البركة... يسجد له الجميع (الأغلف والنجس)، لذا فهم يحاولون تعجيل وتسريع مجيئ هذا اليوم، والذي لا يأتي حسب زعمهم إلا بتعجيل بناء الهيكل المفقود، ذلك أن "الخلاص" و بناء "الهيكل" متلازمان في الفكر اليهودي عامة، وفي المشروع الصهيوني خاصة. وما تكثيف الهجرات إلى فلسطين من اليهود، وتهجير أهلها نحو الشتات إلا آلية من آليات تسريع واستعجال الخلاص.

فما قصة الهيكل وما قيمته اليهودية؟ هذا ما سنتعرف عليه لاحقاً.

## المطلب الثاني: بناء الهيكل وأيديولوجيا الإبادة

### ما هو الهيكل (Temple)

الهيكل هو اسم عام لهياكل متعددة بينى هذا على أنقاظ ذاك، كل منها كان في حقة محددة و باسم محدد، جاء في [ صموئيل الثاني 7: 13-2 ] <sup>2</sup> أَنَّ الْمَلِكَ قَالَ لِنَاثَانَ النَّبِيِّ: "انظُرْ. إِنِّي سَاكِنٌ فِي بَيْتٍ مِنْ أَرْزِ، وَتَابُوتُ اللَّهِ سَاكِنٌ دَاخِلَ الشُّقِيِّ". <sup>3</sup> فَقَالَ نَاثَانُ لِلْمَلِكِ: "اذهَبِ افْعَلِي كُلَّ مَا بِقَلْبِكَ، لِأَنَّ الرَّبَّ مَعَكَ". <sup>4</sup> وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ كَانَ كَلَامُ الرَّبِّ إِلَى نَاثَانَ قَائِلًا: <sup>5</sup> "اذهَبْ وَقُلْ لِعَبْدِي دَاوُدَ: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: أَنْتَ تَبْنِي لِي بَيْتًا لِسُكْنَائِي؟ <sup>6</sup> لِأَنِّي لَمْ أَسْكُنْ فِي بَيْتٍ مُنذُ يَوْمِ أَصْعَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ، بَلْ كُنْتُ أَسِيرُ فِي خَيْمَةٍ وَفِي مَسْكَنِ. <sup>7</sup> فِي كُلِّ مَا سَرْتُ مَعَ جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، هَلْ تَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ إِلَى أَحَدِ قُضَاةِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ أَمَرْتُهُمْ أَنْ يَرْعَوْا شِعْبِي إِسْرَائِيلَ قَائِلًا: لِمَاذَا لَمْ تَبْنُوا لِي بَيْتًا مِنَ الْأَرْزِ؟ <sup>8</sup> وَالآنَ فَهَكَذَا تَقُولُ لِعَبْدِي دَاوُدَ: هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ (... ) وَقَدْ أَرَحْتُكَ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِكَ. وَالرَّبُّ يُخَبِّرُكَ أَنَّ الرَّبَّ يَصْنَعُ لَكَ بَيْتًا. <sup>9</sup> مَتَى كَمَلْتَ أَيَّامَكَ وَاضْطَجَعْتَ مَعَ آبَائِكَ، أُقِيمُ بَعْدَكَ نَسْلَكَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ وَأُثَبِّتُ مَمْلَكَتَهُ. <sup>10</sup> هُوَ يَبْنِي بَيْتًا لِاسْمِي، وَأَنَا أُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مَمْلَكَتِهِ إِلَى الْأَبَدِ."

فبداية الحكاية كانت بداوود، الذي فكر في قلبه بأن يبني بيتا للرب، وطلب من ناثان النبي أن يبلغ الرب بذلك. إلا أن الرب، وعن طريق ناثان، أخبر داوود أنه منذ أن أخرج بني إسرائيل من مصر لم يكن يسكن في بيت، بل كان يسير في "خيمة وفي مسكن" (خيمة الاجتماع)، وهو لم يطلب من أحد أن يبني له بيتا، واستتباعا لذلك فعلى داوود ألا يفعل ذلك، بل إن من سوف يقوم ببناء البيت هو ابن داوود: "هو يبني بيتا لاسمي وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد". وعندما أنهى سليمان البناء خاطب الجمهور الذي دعاه للبيت

١٢ "حِينَئِذٍ تَكَلَّمَ سُلَيْمَانُ: "قَالَ الرَّبُّ إِنَّهُ يَسْكُنُ فِي الضَّبَابِ. ١٣ إِيَّيَّ قَدْ بَنَيْتُ لَكَ بَيْتًا سَكْنِي، مَكَانًا لِسُكْنِكَ إِلَى الْأَبَدِ". "قال الرب إنه يسكن في الضباب، إني قد بنيت لك بيت سكني مكانا لسكنائك إلى الأبد". ثم "إن الملك وجميع إسرائيل معه ذبحوا ذبائح أمام الرب. وذبح سليمان ذبائح السلامة التي ذبحها للرب: من البقر اثنين وعشرين ألفا، ومن الغنم مئة ألف وعشرين ألفا، فدشن الملك وجميع إسرائيل بيت الرب". [ سفر الملوك الأول 8، 7 ]

### الهيكل الأول "بيت ريشون"

هو الهيكل الذي بناه سليمان، واستمر، استناداً للمرويات اليهودية، 410 أعوام. وقد بنى الهيكل شمال مدينة داود في مكان مقدس تمت فيه، التضحية بإسحاق، وفقاً للمرويات اليهودية القديمة

لم يكن مخصصاً لجمهور المصلين باادي الأمر، فحجمه كان صغيراً وكان الناس يجتمعون حوله وليس في وسطه. وينقسم إلى ثلاثة أقسام تتابع: المدخل والقدس، وقدس الأقداس "دفير"، الذي كان حجرة مظلمة دون نوافذ يوضع في وسطه "تابوت العهد"، وملكين مجنحين "كروبيم"، من خشب مكسو بالذهب يظلان عليه من كل جانب، صمد هذا البناء قرابة قرن والنصف (155 عام)، ثم رمم مرتين: الأولى أيام "يوآش"، و الثانية أيام "ياشياهو" الذي جاء بعد يوآش بمائتين وثمانية عشرة سنة (218).

هذا المكان هو "الهضبة الصغيرة"، الواقعة خلف الحائط الغربي من مدينة القدس القديمة، إنَّها جبل "مورياه التوراتي" الذي ضحى إبراهيم فيه بابنه إسحاق، كما جاء في سفر التكوين. وهو الموقع الذي بنى فيه "هيكل سليمان" و "هيكل هيرودوس". والحائط الغربي هو الجدار المحيط بحرم "هيكل هيرودوس"، وهو القطعة الوحيدة التي سلمت من المبنى كله. وهي مقدسة عند

المسلمين واليهود معاً. فمنها أُعرج بالنبي محمد ﷺ، ليلة الإسراء والمعراج. و عليها بُنيت قبة الصخرة الرائعة، والمسجد الأقصى، قائم على الهضبة أيضاً، وهو أولى القبلتين وثالث الحرمين في الإسلام، بعد حرمي مكة والمدينة. واليهود يطلقون على هذا الموضع "هر هبيت" أي: "جبل الهيكل"، والمسلمون يسمونه الحرم الشريف.<sup>1</sup>

## الهيكل الثاني "بَيْتُ شَيْنِي"

بني بعد حوالي سبعين عاماً (70) من خراب الهيكل الأول، كما تذكر الروايات اليهودية، أي بعد عودة بني إسرائيل من بابل بعد سبيهم، وذكرت تفاصيل ذلك في أسفار "عزرا" و "نحميا" و "حجي" و "زكرياء"، وقد بني على غرار الهيكل الأول، إلا أنهم أنقصوا منه بعض الأمور كـ بعض المغاسل والأحواض إلخ... وقد أصلحه "هورودوس"<sup>2</sup> في السنة الثامنة عشرة من حكمه، وأضاف إليه مباني فخمة من الخارج وقاعات الأفنية، كما أضفوا أفنية كثيرة كانت تمتلئ بالحجيج، كما أقاموا فيه مباني إدارية جديدة. منها " لشكت

---

1 - رشاد الشامي: موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2002، ص 66-67، وكذا حمودي صبحي و كوريون جان: معجم الإيمان المسيحي، مرجع سابق، ص 531

2 - هورودوس أو "هيروودس الكبير": هو أشهر أفراد العائلة الهيروودية، وهو أدومي الأصل (من نسل عيسو) ... حاول أن يتقرب إلى اليهود بأن تزوج من يهودية، كما بدء بإعادة بناء الهيكل وتوسيعه في عام 19 ق.م. وقد مات هيرودس عام 4 ق.م قبل أن يكمل بناء الهيكل. ويرتبط اسم هيرودس هذا بولادة يوحنا [لوقا: 1: 5] ومجيء المجوس إلى أورشليم [متى: 2]، ومذبحة أطفال بيت لحم [متى: 2: 16]. كان هدف هيرودس هو أن يعيد بناء "هيكل زربابل" بصورة أكثر فخامة، وعليه فمن غير الدقيق أن نقول عنه إنه "هيكل ثالث". وحتى لا تمتد إليه أيدي النجاسة، درب هيرودس ألفاً من الكهنة اليهود على أعمال النحت والنجارة ... كي يقوموا بالعمل لأضواء لليهود. وخلال أقل من سنتين، أكمل بناء المقدس الرئيسي، أما باقي المباني فاستمرت بعد وفاته أثناء زمن يسوع (يوحنا: 2: 20) إلى أن تم الانتهاء منه تماماً في عام 64 م، أي قبل تدميره نهائياً بست سنوات فقط.

هَجَازِيْت" الذي كان مقر "السُنْهَدْرِيْن" (المَحْكَمَة العَلِيَا لليهود)<sup>1</sup>، ووفقًا للمرويات فقد صمِد بناء الهيكل الثاني 420 عامًا، ولكن وفقًا لتقديرات المؤرخين، فقد صمِد اعتبارًا من 520 ق.م حتى تم خرابه، في عام 70م، وفقًا لكل الأراء. وقد ظل الهيكل المقدس رمزًا للعبادة ومكانًا للصلاة يتجه إليه كل بني إسرائيل.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - "السُنْهَدْرِيْن" كلمة ترجع إلى اليونانية أي : "مجلس الشيوخ"، وكان المؤسسة الدينية، والقضائية والسياسية العليا لليهود في "أرض إسرائيل" من أيام الحشمونائيم وحتى توقفه عن العمل. وهناك السُنْهَدْرِيْن الأصغر ويتكون من ثلاثة وعشرين عضوًا، والسُنْهَدْرِيْن الأكبر ويتألف من واحد وسبعين عضوًا. ويشكلان معًا السُنْهَدْرِيْن الأصغر والأكبر، المحكمة المختصة ببحث قانون العقوبات وفقًا للتوراة. وفي أيام الهيكل الثاني استقر السُنْهَدْرِيْن في "ليشكت هجازيت" غرفة السُنْهَدْرِيْن في الهيكل. وانتقل بعد خراب الهيكل إلى "يقته" وتقلصت صلاحياته.

<sup>2</sup> - انظر رشاد الشامي: موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المرجع السابق، ص 67



## الأحكام الجوهرية و بعض الجماعات اليهودية المتعلقة بالهيكل

### بعض الأحكام الجوهرية المتعلقة بالهيكل

من أهم الأحكام الجوهرية الشرعية والاجماعية المتعلقة بالهيكل ما يلي:

- من أهم أسماء الهيكل "بيت يهوه" أي "بيت الرب" لأنه مسكن الربّ وليس مكانا للعبادة، على عكس دور العبادة كالمسجد أو الكعبة فهي أمكنة تؤدى فيها العبادة، وإن قيل هي بيوت الله فبالمعنى المجازي، أما الهيكل من المنظور اليهودي فهو "بيت الرب حقيقة لاجازا، لذا فرغم أنه كان مصرحا للكهنة ولعبيد الهيكل الدخول فيه، ولكن لا يُسمح لهم بالتحرك فيه بكل حرية، ويمنع منعا باتل من دخول قدس الأقداس إلا للكاهن الأعظم والذي يجب أن يكون من سبط لاوي، مرة واحدة في السنة وهو يوم الغفران.<sup>1</sup>

- يتصور اليهود أن الهيكل هو مركز العالم بني في وسط القدس التي تقع وسط الدنيا، وقدس الأقداس تقع وسط الهيكل فهي بمثابة سرّة العالم يوجد أمامه حجر الأساس وهي النقطة التي خلق الله عندها العالم. ويُعدُّ الهيكل في نظر الرب كنز مثل جماعة إسرائيل، ولتهويل شأنه وبيان عدم التفريط فيه، قالوا الهيكل أثنى عند الربّ من السماوات بل ومن كل الأرض ومن عليها ذلك أنه خلقها بيد واحدة، وخلق الهيكل بيديه كليهما، بل إنه قرر بناء الهيكل قبل خلق الكون نفسه.<sup>2</sup>

- هناك خطوات عملية لإقامة الهيكل تتمثل في توفير ثلاثة عناصر مجتمعة وهي:

1 - عبد الوهاب المسيري: إنهيار إسرائيل من الداخل، مؤسسة دار المعارف، القاهرة-2002، ص123. وكذا جمال البديري: السيف الأحمر

دراسة في الأصولية اليهودية المعاصرة، مرجع سابق، ص40

2 - لمرجع السابق، ص124

1- تحديث السنهدين: يرى أنصار الهيكل أن إقامة "الهيكل الثالث" تستلزم تحديث السنهدين (محكمة الشريعة العليا). ووفقاً لتقرير صدر عن "كيشف" مركز حماية الديمقراطية في إسرائيل، فقد جدد أنصار الهيكل مؤخرًا في هدوء وسرية السنهدين الأصغر وهو عبارة عن هيئة تشريعية، يبلغ عدد أعضائها ثلاثة وعشرين عضوًا، وقد توقفت عن العمل في القرن الخامس الميلادي.

2- البحث عن بقرة حمراء: تتمثل أهمية العثور على بقرة حمراء، في معتقد جماعات "أنصار الهيكل"، في كونها شرطًا ضروريًا لبناء الهيكل، حيث لا يمكن بناء الهيكل، والقائمون على بنائه في حالة نجاسة بسبب ملامسة الموتى حيث إن نجاسة الموتى تمنع استئناف 95% من الأنشطة التي كانت تجرى في الهيكل القديم.

ومن هذه الأنشطة تقديم القرابين ودخول الحرم القدسي. وكانت العادة قديماً أن من تنجس من الموتى، يعتكف ثلاثة أيام لا يلمس فيها ميتاً مرة أخرى، أو يتعرض لنجاسة الموتى. وفي اليوم الثالث يذرون عليه رماد البقرة الحمراء. وفي اليوم السابع يغطس في حمام شرعي ويصبح طاهرًا مع نهاية اليوم السابع. ويُستدل من التراث الديني اليهودي على أنه قد تم العثور على تسع بقرات حمراوات من أيام موسى حتى "خراب الهيكل".

3- إعداد كهنة أطفال: يرى "أنصار الهيكل" أنه يجب العمل على إعداد كهنة أطفال أولاً، وانتظار ظهور البقرة الحمراء ثانيًا خشية أن تدنس البقرة خلال فترة إعداد الكهنة الأطفال، وهي فترة ثلاثة عشر عامًا، أو أن تموت البقرة خلال هذه المدة. وقد قام سكان إحدى المستوطنات الدينية الواقعة شرقي القدس بتأسيس قرية أطفال كهنة لينشئوا على الطهارة منذ ميلادهم وذلك بعزلهم داخل القرية لكي يقوم هؤلاء الأطفال مستقبلاً بإعداد البقرة الحمراء للذبح والحرق واستخدام رمادها للتطهير من نجاسة الموتى، على أن يتم إسكان الأطفال في

مكان مرتفع عن الأرض يسمح بمرور الهواء أسفله، ولن يسمح لهؤلاء الأطفال بمغادرة هذا المكان حتى سن الثالثة عشرة، أو ربما حتى اكتشاف أو ظهور بقرة حمراء جديدة. ويحتاج تنفيذ المخطط إلى مجموعة من نحو عشرة أطفال، وهناك شروط معينة للطفل الكاهن إذ يجب أن يكون خاليًا من العيوب، وهناك سبعون نوعًا من العيوب التي تجعل الطفل لا يصلح كاهنًا، ولن يسمح بزيارة هؤلاء الأطفال إلا لمن تم تغطيسه في حمام شرعي، والطعام الذي يأتون به للطفل يجب أن يكون في أوان خاصة، كما أنه ليس مسموحًا بارتداء ثياب أو الاحتفاظ بأشياء لأن الأدوات تنتجس من الموتى، وستكون هناك ثياب خاصة لزوار الأطفال الكهنة في قريتهم، وهي ثياب لم ينته صنعها، وهو شرط عدم اعتبارها أداة، كما أن أى جهاز لدى الطفل يجب أن لا يكون به عيب معين لكي يعتبر أداة غير مكتملة.<sup>1</sup>

- يذكر التلمود أن الرب بكى وندم بعد تهدم الهيكل وتشرد بني إسرائيل - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا- كل ذلك لإيهام القارئ من اليهود أن للهيكل مكانة عظيمة عند الرب فكيف لا تكون عند اليهودي كذلك؟، وإن كانت كذلك، فعليه أن يساهم بكل قواه لإعادة بنائه من أجل مجد صهيون وإسرائيل، فرعم تلمودهم: أن الله يقضي الليل في مذاكرة التلمود مع الملائكة وملك الشياطين، هذا قبل هدم الهيكل، وأما بعد أن قدر هدمه وتشريد بني إسرائيل فقد غير عمله فأصبح يقضي ثلاثة أرباع الليل في الندم والبكاء لفعلة الشنيعة في الشعب المختار وأن الله قسم النهار أربعة أقسام، كل قسم ثلاثة ساعات: قسم يجلس

1 - لمزيد من التفاصيل تراجع هويدا عبد الحميد مصطفى: الجماعات اليهودية المتطرفة والاتجاهات السياسية الدينية في إسرائيل، مرجع سابق، ص 120-124، وكذا صالح الرقب: يا مسلمي العالم أفيقوا، دار الأندلس الخضراء، المملكة العربية السعودية جدة، الطبعة الأولى 2004م، المملكة العربية السعودية جدة ص 79-82

فيه لمطالعة الشريعة، وقسم لحكم العالم، وقسم لإطعامه، وقسم للجلوس واللعب مع الحوت ملك الأسماك.<sup>1</sup>

- في المخيال اليهودي نجد وعد الربّ قد تحقق بعد داود مباشرة في ابنه سليمان الذي بنى الهيكل وجلس على كرسي عرش، داود أبيه. ولكن وعد الله لداود لم يكن مجرد وعد بملك يجلس على عرشه لفترة محدودة من الزمن، بل كان وعدًا بملك أبدي بملك إلى الأبد، لذا على اليهود تحقيق هذه الأبدية باستعادة ملك داود وسليمان من خلال إعادة بناء الهيكل و عودة اليهود إلى صهيون: " <sup>٣٥</sup> مَرَّةً حَلَفْتُ بِقُدْسِي، أَيَّ لَأ أَكْذِبُ لِدَاوُدَ: <sup>٣٦</sup> نَسَلُهُ إِلَى الدَّهْرِ يَكُونُ، وَكُرْسِيُّهُ كَالشَّمْسِ أَمَامِي. <sup>٣٧</sup> مِثْلَ الْقَمَرِ يُثَبَّتُ إِلَى الدَّهْرِ. وَالشَّاهِدُ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ". سِلاة. [المزامير 89: 35-37].

وتأكيدا لهذا المعنى جاء في [المزامير 89: 20-29]: "وأجعل إلى الأبد نسله وكرسيه مثل أيام السموات" <sup>٢٠</sup> وَجَدْتُ دَاوُدَ عَبْدِي. بِدُهْنِ قُدْسِي مَسَحْتُهُ. <sup>٢١</sup> الَّذِي ثَبَّتُ يَدِي مَعَهُ. أَيْضًا ذِرَاعِي تُشَدِّدُهُ. <sup>٢٢</sup> لَأ يُرْغِمُهُ عَدُوُّ، وَابْنُ الإِثْمِ لَأ يُدَلِّلُهُ. <sup>٢٣</sup> وَأَسْحَقُ أَعْدَاءَهُ أَمَامَ وَجْهِهِ، وَأَضْرِبُ مُبْغِضِيهِ. <sup>٢٤</sup> أَمَّا أَمَانَتِي وَرَحْمَتِي فَمَعَهُ، وَبِاسْمِي يَنْتَصِبُ قَرْنُهُ. <sup>٢٥</sup> وَأَجْعَلُ عَلَى الْبَحْرِ يَدَهُ، وَعَلَى الأَنْهَارِ يَمِينَهُ. <sup>٢٦</sup> هُوَ يَدْعُونِي: أَبِي أَنْتَ، إلهي وَصَخْرَةُ خَلَاصِي. <sup>٢٧</sup> أَنَا أَيْضًا أَجْعَلُهُ بَكْرًا، أَعْلَى مِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ. <sup>٢٨</sup> إِلَى الدَّهْرِ أَحْفَظُ لَهُ رَحْمَتِي. وَعَهْدِي يُثَبَّتُ لَهُ. <sup>٢٩</sup> وَأَجْعَلُ إِلَى الأَبَدِ نَسَلَهُ، وَكُرْسِيَهُ مِثْلَ أَيَّامِ السَّمَاوَاتِ."

1 - الكنز المرصود في قواعد التلمود، مرجع سابق، ص 49، التلمود البابلي - رسالة عبدة الأوثان، ترجمة وتقديم نبيل فياض، الطبعة الأولى، دار الغدير دمشق، ص 25

وقال في [المزامير 17:72-18]: "يَكُونُ اسْمُهُ إِلَى الدَّهْرِ. قُدَّامَ الشَّمْسِ يَمْتَدُّ اسْمُهُ، وَيَتَبَارَكُونَ بِهِ. كُلُّ أُمَّمِ الأَرْضِ يُطَوِّبُونَهُ."

وقد تجلّت هذه النظرة العنصرية الاستعلائية فيما فعله أحرار التلمود من تشويه لمفهوم الخلاص وجعله مفهوماً عنصرياً: "حيث أصبح يشير إلى الإيمان بمحىء ملك يهودى ترسله السماء، يتميز بقدرات قتالية، يقود بنى إسرائيل ويضعهم طبقاً لهذا المفهوم المتطوّر على قمة السلم البشرى... ووضع أحرار التلمود شروطاً لمحىء هذا الملك المسيح عُرفت باسم "مخاض ولادة المسيح"، هي فى مجملها حالة الكوارث المدمرة الشاملة للعالم أجمع، تتبعها حالة سلام وهدوء أبدي يتميزون فيها كما يعتقدون - بوضع السيادة على كافة الأمم، وتأتيهم الشعوب من كافة أنحاء المعمورة متعبدة طائعة مقدّمة القرابين؛ لتتخذ من صورة الإله التى يرسمها بنو إسرائيل فى هذا التراث محطاً للعبادة، وتصبح عبادة الشعوب لصورة هذا الرب خضوعاً لبنى إسرائيل فى ذات الوقت... وقد أدى تشويه مفهوم المسيحية عند أحرار التلمود إلى إفساد مفهوم الاختيار الدينى بالتالى فبد من أن يظل فى معناه الخالص الذى يقوم على اعتبار بنى إسرائيل هم حملة لرسالة السماء؛ ليكونوا هداة للناس، أصبح يُقصد به وضع إسرائيل فى نقطة السيادة على العالم<sup>1</sup>. وهى النتيجة نفسها التى توصل إليها رجاء جارودى بقوله: "عندما أشار الأنبياء إلى استعادة دولة إسرائيل، فإن ذلك لم يكن الأرض التى تملك بذاتها سمة القداسة. فالمعيار المطلق الذى لا نقاش فيه، هو إعادة أو استعادة الميثاق مع الله على حين أن الذى قضى على هذا التحالف هو الملك وشعبه. والنبي ميخا

1 - هويدا عبد الحميد مصطفى: الجماعات اليهودية المتطرفة والاتجاهات السياسية الدينية فى إسرائيل، مرجع سابق، ص 52

يقول هذا الكلام بكل وضوح: " وَقُلْتُ: "اسْمَعُوا يَا رُؤَسَاءَ يَعْقُوبَ، وَقُضَاءَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ. أَلَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الْحَقَّ؟<sup>٢</sup> الْمُبْغِضِينَ الْحَيَرَ وَالْمُحِبِّينَ الشَّرَّ، النَّازِعِينَ جُلُودَهُمْ عَنْهُمْ، وَحَمَهُمْ عَنْ عِظَامِهِمْ.<sup>٣</sup> وَالَّذِينَ يَأْكُلُونَ لَحْمَ شَعْيِي، وَيَكْشِطُونَ جِلْدَهُمْ عَنْهُمْ، وَيَهْشَمُونَ عِظَامَهُمْ، وَيُشَقِّقُونَ كَمَا فِي الْقَدْرِ، وَكَاللَّحْمِ فِي وَسْطِ الْمِقْلَى ".<sup>٤</sup> حِينَئِذٍ يَصْرُخُونَ إِلَى الرَّبِّ فَلَا يُجِيبُهُمْ، بَلْ يَسْتُرُ وَجْهَهُ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَمَا أَسَاءُوا أَعْمَالَهُمْ.<sup>٥</sup> هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يُضِلُّونَ شَعْيِي، الَّذِينَ يَنْهَشُونَ بِأَسْنَانِهِمْ، وَيُنَادُونَ: "سَلَامٌ!" وَالَّذِي لَا يَجْعَلُ فِي أَفْوَاهِهِمْ شَيْئًا، يَفْتَحُونَ عَلَيْهِ حَرْبًا:<sup>٦</sup> "لِذَلِكَ تَكُونُ لَكُمْ لَيْلَةٌ بِلَا رُؤْيَا. ظِلَامٌ لَكُمْ بَدُونَ عِرَاقَةٍ. وَتَغِيبُ الشَّمْسُ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ، وَيُظْلَمُ عَلَيْهِمُ النَّهَارُ.<sup>٧</sup> فَيَحْزَى الرَّائُونَ، وَيَحْجَلُ الْعَرَّافُونَ، وَيَعْطُونَ كُلَّهُمْ شَوَارِبَهُمْ، لِأَنَّهُ لَيْسَ جَوَابٌ مِنَ اللَّهِ ".<sup>٨</sup> لَكِنِّي أَنَا مَلَأْتُ قُوَّةَ رُوحِ الرَّبِّ وَحَقًّا وَبَأْسًا، لِأَخْبَرَ يَعْقُوبَ بِذَنْبِهِ وَإِسْرَائِيلَ بِخَطِيئَتِهِ.<sup>٩</sup> اسْمَعُوا هَذَا يَا رُؤَسَاءَ بَيْتِ يَعْقُوبَ وَقُضَاءَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ، الَّذِينَ يَكْرَهُونَ الْحَقَّ وَيُعَوِّجُونَ كُلَّ مُسْتَقِيمٍ.<sup>١٠</sup> الَّذِينَ يَبْنُونَ صِهْيُونَ بِالِدَّمَاءِ، وَأُورُشَلِيمَ بِالظُّلْمِ.<sup>١١</sup> رُؤَسَاؤُهَا يَقْضُونَ بِالرَّشْوَةِ، وَكَهَنَتُهَا يُعَلِّمُونَ بِالْأَجْرَةِ، وَأَنْبِيَائُهَا يَعْرِفُونَ بِالْفِضَّةِ، وَهُمْ يَتَوَكَّلُونَ عَلَى الرَّبِّ قَائِلِينَ: "أَلَيْسَ الرَّبُّ فِي وَسْطِنَا؟ لَا يَأْتِي عَلَيْنَا شَرٌّ!".<sup>١٢</sup> لِذَلِكَ بِسَبَبِكُمْ تُفْلِحُ صِهْيُونُ كَحَقْلٍ، وَتَصِيرُ أُورُشَلِيمُ حَرْبًا، وَجَبَلُ الْبَيْتِ شَوَامِخَ وَعَرٍ. "[مِيخَا 3: 1-12]

إن صهيون لا تكون مقدسة ما لم تسد فيها شريعة الله . وهذا لا يعني أن كل قانون يقرر في القدس هو قانون مقدس، وليست الأرض وحدها هي التي تتعلق حياتها بالامتثال للتحالف مع الله، والوفاء له. بل إن الشعب الذي استعاد استقراره في صهيون ملزم بواجبات العدالة والاستقامة والوفاء والتحالف مع الله.

وصهيون لا يستطيع انتظار ردّ الحياة إلى شعب يعتمد على معاهدات وتحالفات، ونسبة تسليح كبيرة، أو على تراتب عسكريّ يحاول أن يتفوق على جيران إسرائيل. فالتراث النبوي يكشف بوضوح أن قداسة الأرض لا تتعلق بتراجمها ولا بشعبها، أو بمجرد حضوره ووجوده على هذه الأرض. إن الشيء المقدس وحده والجدير بصهيون هو الوفاء للحالف مع الله، الذي يعبر عن نفسه في سلوك شعب إسرائيل... ولكن الدولة الحالية لا تملك أي حق في الادعاء بأنها تستكمل المشروع الإلهي في إقامة عهد خلاصيّ... إنما هناك، هو ديماغوجية خالصة مؤلفة من مزيج من الأرض والدم. فلا الشعب ولا الأرض بالأمرين المقدسين، وهما لا يستحقان أي امتياز من العالم. إن الحكم الجماعي الصهيوني الذي يحاول أن يخضع كل الشعب اليهودي - حتى ولو كان ذلك بالعنف والقوة - يجعل منه شعبا كسائر الشعوب ومثل أي شعب من الشعوب دون خصوصية.<sup>1</sup>

قال في [المزمير 2: 1-12]: "لِمَاذَا ارْتَبَحَتِ الْأُمَمُ، وَتَفَكَّرَ الشُّعُوبُ فِي الْبَاطِلِ؟ أَقَامَ مُلُوكُ الْأَرْضِ، وَتَأَمَّرَ الرُّؤَسَاءُ مَعًا عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ (...) <sup>6</sup> "أَمَا أَنَا فَقَدْ مَسَحْتُ مَلِكِي عَلَى صِهْيُونَ جَبَلِ قُدْسِي". <sup>7</sup> "إِنِّي أَخْبِرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ: قَالَ لِي: "أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ. <sup>8</sup> اسْأَلْنِي فَأُعْطِيكَ الْأُمَّةَ مِيرَاثًا لَكَ، وَأَقَاصِي الْأَرْضِ مُلْكًا لَكَ. <sup>9</sup> تُحْطِّمُهُمْ بِقَضِيْبٍ مِنْ حَدِيدٍ. مِثْلَ إِنَاءٍ خَزَافٍ تُكَسِّرُهُمْ". <sup>10</sup> "فَالآنَ يَا أَيُّهَا الْمُلُوكُ تَعَقَّلُوا. تَأَدَّبُوا يَا قُضَاةَ الْأَرْضِ. <sup>11</sup> "اعْبُدُوا الرَّبَّ بِخَوْفٍ، وَاهْتَفُوا بِرَعْدَةٍ. <sup>12</sup> "قَبِّلُوا الْإِبْنَ لِغَلَا يَغْضَبَ فَيَبِيدُوا مِنَ الطَّرِيقِ. لِأَنَّهُ عَنِ قَلِيلٍ يَتَّقِدُ غَضَبُهُ. طُوبَى لِجَمِيعِ الْمُتَّكِلِينَ عَلَيْهِ.



## جماعات "أنصار الهيكل"

- بعد بدء مفاوضات السلام مع مصر سنة 1977 ، والتي نصت على مجموعة من القرارات من بينها تخلى اليهود عن سيناء، شعرت مجموعة من الجماعات اليهودية في دولة إسرائيل، بخيبة أمل كبيرة، مما جعلها تكثف الضغط على حكومة بيجن، وبدأت تدفع بفكرة معاودة التهويد، من خلال تكتلها في كيان أطلق عليه جماعات "أنصار الهيكل"<sup>1</sup>، وهي مجموعة من الهيئات الدينية التي تعمل على دفع فكرة إقامة "الهيكل الثالث"، وتضع نصب عينيها هدفًا واضحًا، هو هدم أو تفجير المساجد الواقعة على جبل الهيكل (مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى)، وبناء الهيكل الثالث على أنقاضها.

وقد تبنت هذه الجماعات والهيئات الدينية المساندة لفكرة إقامة "الهيكل الثالث" نظرية المراحل. وتوجد عشر هيئات على أقل تقدير تعمل فعليًا في الدائرة الأولى، في دفع عملي لفكرة إقامة الهيكل الثالث. وبالرغم من أن كل هيئة من هذه الهيئات، تعمل في نطاق خاص بها، لكنها ترتبط بالأيدولوجية العامة لأنصار الهيكل، التي تتأسس على نظرية المراحل، التي على رأسها التعليم، وتحديد خدمات الهيكل، والشعائر الدينية، وفي نهايتها إقامة الهيكل مكان مساجد جبل الهيكل. وفي الدائرة الثانية مجموعة تضم هيئات دينية، مثل "المحكمة بجوار جبل الهيكل"، وجمعيات استيطانية في شرق القدس، مثل "عطيرت كوهانيم" (تاج الكهنة)، التي يتركز نشاطها في شراء الممتلكات المجاورة لأسوار جبل الهيكل، و"يشيفوت" (مدارس دينية

---

1 - أنصار الهيكل-هيئة عليا تضم غالبية تنظيمات "جبل الهيكل" برئاسة البروفيسور هليل فييس .وكانت الفكرة " ضم الأصابع المتفرقة في قبضة واحدة"، على حد تعريف يهودا عتسيون .ويُعد الحاخام باروخ كهانا، ابن الحاخام مائير كهانا، زعيم حركة كاخ الذي أُغتيل، أحد النشطاء الرئيسيين في حركة أنصار الهيكل.



يهودية) متطرفة، مثل "يشيفا شوغو بانيم" (عودوا أيها الأبناء)، ودوائر من مجلس مستوطنات الضفة وقطاع غزة الذي يعرف اختصاراً "بيشع" وحركة "زو أرتسينو"<sup>1</sup> (هذه أرضنا).<sup>2</sup> وقد جمع لنا الباحث هويدا عبد الحميد مصطفى، معظم الحركات الداعمة لبناء الهيكل الثالث منها<sup>3</sup>:

- "الحركة من أجل إقامة الهيكل" برئاسة الحاخام داويد ألبوم. تزعم الحركة أنها تعالج الجوانب العملية الخاصة بتجديد طقوس القرابين وطقوس أخرى خاصة بالمعبد. وتنادى بتجديد الطقوس الخاصة بالقرابين بسرعة في الحال، وتعد ملابس الكهنوت، وأدوات المعبد..

- "معهد الهيكل" أُقيم عام 1983 في الحى اليهودى فى القدس، على يد الحاخام يسرائيل آريئيل، و"موشيه نيومان"، وميخال بن حورين، المقيم فى نوف فى الجولان. وقد استشهد الحاخام يسرائيل آريئيل بأقوال الرابي موسى بن ميمون، التى تؤكد على أهمية بناء الهيكل بشرياً، وأنها مهمة ملقاة على عاتق كل رجل وامرأة؛ وذلك استناداً إلى الوصية الواردة فى التوراة [ الخروج 25: 7-8 ]: "وَحِجَارَتُهُ جَزَعٌ وَحِجَارَتُهُ تَرْصِيعٌ لِلرِّدَائِ وَالصُّدْرَةِ. <sup>٨</sup>فَيَصْنَعُونَ لِي مَقْدِسًا لِأَسْكُنَ فِي وَسَطِهِمْ." وقد استنكر ما يقوم به اليهود المتدينون من البكاء فى التاسع من آب، فى ذكرى هدم

1 - حركة "زو أرتسينو" (هذه أرضنا)، هى إحدى الحركات اليمينية حديثة المنشأ أعلنت فى ديسمبر 1993 حين اجتمع مؤسسوها فى حى "نقى عزيزا" بمستوطنة جينون شمرون فى الضفة الغربية، بهدف تأسيس حركة تسلك طريق العصيان المدنى... وقد اعترف "موشيه فيجلين" رئيس الحركة بانتماء حركته إلى معسكر اليمين المتطرف، نافياً أن يكون أعضاؤها من أتباع الحاخام "مائير كهانا"... وقد عمدت الحركة إلى احتلال أعداد من المنتمين لها مواقع خالية وإعلان تأسيس مستوطنات جديدة فيها، وهو ما يدعمه الحاخام "بنى ألون" أحد منظمى الحركة، الذى يدير حلقة دينية فى مستوطنة "بيت إيل" القريبة من "رام" وتتركز أنشطتها فى دعم منظمات الاستيطان المتطرفة، وبالذات "عطيرت كوهانيم" أنظر عبد الغفار الدويك: أنبياء إسرائيل الجدد رؤى اليهود للعالم ولأنفسهم، ميريت للنشر، القاهرة - 2003، ص 239-240

2 - هويدا عبد الحميد مصطفى: الجماعات اليهودية المتطرفة والاتجاهات السياسية الدينية فى إسرائيل، مرجع سابق ص 110. وانظر أيضا صالح الرقب: يا مسلمي العالم أبقوا، مرجع سابق، ص 30

3 - أنظر التفاصيل المرجع السابق ص 111-120

الهيكل، بدلا الشروع في بنائه.وقد طالبهم بالذهاب إلى المحاجر، وجلب الأحجار والبدء في البناء.

- "حى فقيام" (حى وموجود) أقيمت فى أوائل التسعينيات على يد رجل الحركة السرية اليهودية يهودا عتسيون وجماعة من رجال مستوطنة "بت عين" فى جوش عتسيون. وتُعرّف الحركة نفسها كحركة مسيحية "حركة خلاص لإعادة مملكة إسرائيل"، ويُعرّف رجالها أنفسهم كرجال ثقافة الهيكل الثالث

- "أمنا جبل الهيكل" - برئاسة جرشون سلومون؛ وهي هيئة تعمل خارج التنظيم الفوقى (الذى يضم منظمات أو تنظيمات لها أهداف مشابهة للتنسيق بينها). ويجمع سلومون تبرعات من طوائف مسيحية متعصبة فى الولايات المتحدة الأمريكية، التى ترى فى حرب ياجوج ومأجوج، وفى إقامة الهيكل مرحلة لاهوتية ضرورية قبل عودة يسوع (المسيح) وذلك يتسق مع رؤية رؤساء الحركة السرية اليهودية : فرؤساء الحركة السرية اعتبروا أن تفجير ذلك الرجس (مسجد الصخرة والمسجد الأقصى) سيقود مئات ملايين المسلمين إلى الجهاد، الأمر الذى سيشعل الإنسانية كلها فى مواجهة أخيرة. كانوا يرون فى هذه المواجهة حرب "ياجوج" ضد "ماجوج" مع كل متضمناتها الكونية. وانتصار إسرائيل فى نهاية امتحان النار الذى طال انتظاره، هذا يمكن أن يمهد الطريق أمام ظهور المسيح المخلص.

لقد تعددت الهيئات والتنظيمات التى تعمل على إقامة الهيكل. وقد اتهمت هذه التنظيمات كلا من الدولة والحاخامية الرئيسية بالتقصير، والتخلى عن جبل الهيكل. ويرى الحاخام دايفيد ألبويم، رئيس الحركة من أجل إقامة الهيكل، أن الشعب اليهودى قد تخلى عن قدس الأقداس معتمداً على الدولة وعلى الحاخامية، وكلاهما فى نظر الحاخام "ألبويم" من الخونة. ولو لم تكن لنا دولة على حد قوله، لاتحد يهود العالم حفاظاً على قدس الأقداس ويتهم الحاخام ألبويم علماء الآثار بأنهم مأجورين للعدو، كما يتهم الحاخامية الرئيسية بأنها تخلت ولازالت تتخلى عن جبل الهيكل.

ولذلك فقد رأت هذه التنظيمات ضرورة اتخاذ خطوات عملية لإقامة الهيكل مهما كلف الأمر.<sup>1</sup>

كل هذه التنظيمات التي أوردناها ملخصة والتي تحتاج إلى كثير من البسط والتحليل، تعطينا ولو صورة موجزة عن النهم اليهودي في إعادة بناء الهيكل، رغم أنّ الحفريات والتنقيبات تحت الحرم التي قام بها اليهود منذ أكثر من ثلاثين سنة، لم تثبت شيئاً من مزاعم اليهود في وجود الهيكل، كما أنّ علماء الآثار من اليهود والأوروبيين والأمريكان الذي عملوا شهوراً وسنوات في البحث عن أي أثر للهيكل، قد كذبوا مزاعم اليهود في وجود الهيكل تحت الحرم القدسي، بل عدّ بعضهم فكرة الهيكل أسطورة من الأساطير الدينية التي لم تثبت تاريخياً ولا أثرياً، بل هي خرافة على حدّ تعبير عالم الآثار اليهودي المعاصر "إسرائيل فلنكشتاين".

بل إن الدارس لما جاء في تقرير اللجنة الدولية<sup>2</sup>، المقدم إلى عصبة الأمم عن حائط المبكى في ديسمبر 1930، ليصل إلى درجة اليقين من أن ادعاءات اليهود حول الهيكل المزعوم، ما هي إلا صورة نسجها خيال اليهودي القديم في العهد القديم، وأراد اليهودي الجديد أن يجعل منها حقاً يطالب به من جديد، فقد جاء في التقرير مايلي:

1 - انظر تفصيل ذلك عند صالح الرقب: يا مسلمي العالم أفيقوا، مرجع سابق، ص 30 وما بعدها.

2 - هي لجنة دولية برئاسة وزير خارجية السويد وعضوين أحدهما هولندي والآخر سويسري. نشرت تقريرها في ديسمبر 1930، وقد وافقت الجمعية العمومية لعصبة الأمم، وحكومة بريطانيا - الدولة المنتدبة على فلسطين - على قرارات هذه اللجنة. وصدر أمر الملك جورج الحامي بتنفيذها. وصدر عدد خاص من الجريدة الرسمية بتنفيذ ذلك اعتباراً من يوم 8 يونيو. 1931. أنظر أحمد عبد الوهاب: تاريخ انهيار إسرائيل ومحو الهيكل من الجغرافيا والتاريخ، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى - فبراير 2001، ص 115.

"إن المسألة التي نبحث فيها الآن تدور حول ملك ما زال في تصرف المسلمين منذ قرون عديدة. فالبراق جزء من الحرم الشريف، وليس فيه حجر واحد يعود إلى عهد الملك سليمان، والممر الكائن عند الحائط ليس طريقاً عاماً، لكنه أنشئ فقط لمرور سكان محل المغاربة وغيرهم من المسلمين في ذهابهم إلى مسجد البراق ومن إلى الحرم الشريف، وبالتالي فهذه المحلة إسلامية بحتة، وبما أنه ليس لليهود حقوق في ذلك المكان، فإن وجودهم عند الحائط في أيام معلومة، لا يعنى سوى أنه من قبيل التسامح، الذي أبداه نحوهم المسلمون، والذي يفوق ما أبداه المسيحيون لهم، ولذا فلا يستطيع اليهود أن يستعملوا هذا التسامح، كوسيلة لتقديم مطالب بحقوق مطلقة كما يحاولون أن يفعلوا الآن.

إن قدسية الحائط الغربي الذي هو جزء من الحرم الشريف لا ينازع فيه منازع، وقد ورد ذكر إسرائ النبي إلى القدس في القرآن الكريم على الوجه الآتي:

"سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله."، إن هذه الأمور توضح صريحاً القدسية الخاصة التي للحرم الشريف والمباني التابعة له في نظر المسلمين في جميع أقطار العالم. أما تقديس الحائط والرصيف فإنه آت من أنه محل البراق، نزل فيه النبي، ومر به، ثم ربط براقه في الحائط نفسه ليلة الإسراء، وبناء على تقديس المسلمين لهذا المحل، وقف أصحاب الأملاك المجاورة أملاكهم.

على اللجنة أن تصدر قراراً بشأن مطالب وإدعاءات اليهود، ومع أن اليهود لا يدعون ملكية الحائط، ولا ملكية الرصيف الكائن أمامه، (خطاب وكلاء فريق اليهود الختامي - محضر اللجنة ص 908)، فقد رأت اللجنة أن من واجبها التحقيق في مسألة الملكية من الوجهة القانونية.

فاللجنة تصرح في هذا المقام، استناداً إلى التحقيق الذي أجرته: بأن حق ملكية الحائط وحق التصرف به وما جاوره من الأماكن المبحوث عنها في هذا القرار، عائد للمسلمين، ذلك أن الحائط نفسه ملك المسلمين، لكونه جزءاً لا يتجزأ من الحرم الشريف.<sup>1</sup>

---

1 - أحمد عبد الوهاب: تاريخ انهيار إسرائيل ومحو الهيكل من الجغرافيا والتاريخ، المرجع السابق، ص 115-117

## أيدولوجيا الإبادة بين التمييز العنصري وهمجية النصوص

### تعريف التمييز العنصري

#### تعريف التمييز (Discrimination) :

التمييز (Discrimination)، كلمة تعبر عن عملية حرمان فرد ما، أو جماعة ما، من التساوي في الفرص والحقوق والواجبات. وفي حقل العلاقات بين الفئات المختلفة من رعايا دولة ما، تنطبق على الفئات التي يختلف بعضها عن بعض من حيث العنصر أو الدين أو القومية أو العرق أو الطبقة الاجتماعية، وتمارس الفئات الأكثر قوة بينها نوعاً من الهيمنة على الفئات الأخرى، قد تكون مكشوفة ورسمية كما هي الحال في جنوب أفريقيا سابقاً والكيان الصهيوني حالياً. أو مبطنة كما هي في الولايات المتحدة الأمريكية، ويكون التمييز عادةً عرقياً أو عنصرياً أو قومياً أو اجتماعياً، وقد يطبق في عدة مجالات مثل: حق ملكية الأراضي، التعليم، الحقوق السياسية، الاقتصاد، الملاهية والأماكن العامة، الأجور والرواتب، الحريات والحقوق والواجبات.<sup>1</sup>

أما التمييز العنصري (Discrimination Raciale)، وهو أحد مكونات العنصرية، فيستند إلى مفهوم "التفوق العنصري"، وهو مبدأ يصنف البشر على أساس الهوية العنصرية، ويقسمهم إلى أجناس: متفوقة، وأخرى سفلى، ويمنح الأجناس المتفوقة امتيازات خاصة (مادية ومعنوية) يحجبها عن الأجناس الدنيا، وتأخذ هذه الامتيازات أشكالاً متعددة، منها حصر الحق في الإقامة في مناطق "جميلة"، مخصصة للطبقة "المتفوقة"، وكذلك بالنسبة

1 - الكيالي عبد الوهاب، وآخرون: موسوعة السياسة، مرجع سابق، ج 1، ص 788

للمدارس والمستشفيات ووسائل المواصلات العامة والخدمات كافة،(أي الحق في "الفصل العنصري") و في المناصب العليا أو الحساسة في الدولة وأمام القضاء، وفي مهن معينة وفي الملكية ، كما يحصر حق الانتخابات والترشيح بالطبقة "المتفوقة" ، بل وتحرم الطبقة "الدنيا" من سكان البلاد في كثير من الأحيان من حق المواطنة. ويصنف السكان في وثائق الهوية أو السفر على أسس متباينة، تكون مقدمة لاضطهادهم في كل وجوه الحياة ومراحلها، بحيث يعيش أبناء الجنس الأدنى في حرمان، يعانون الاضطهاد والقهر المادي والمعنوي، ويعملون في المهن و الوظائف الحقيرة، وبالتالي يزرحون تحت ظروف تجعلهم أناسا مستلبين، ومظلومين وفقراء ناقلين. و أوضح أمثلة على عقائد العنصرية والتمييز العنصري في العالم، هي النازية الهتليرية، ونظام الأبارتايد في جنوب إفريقيا، والصهيونية في فلسطين، والمثالان الأخيران أكثر تطرفا وخصوصية في هذا الميدان، وقد حرصت الأمم المتحدة في الاتفاقيات الدولية حول القضاء على كل أشكال التمييز العنصري كل ممارسات التمييز العنصري، كما اتخذت قرارات أدانت الأبارتايد، والعنصرية الصهيونية.<sup>1</sup>

ويبرز التمييز العنصري الذي تمارسه إسرائيل على العرب والمسلمين سواء كانوا داخل فلسطين أو خارجها، من خلال الأنظمة والقوانين التي تحكمهم بها وتحاكمهم إليها السلطات الإسرائيلية وهي كالتالي:

1- أنظمة الطوارئ العسكرية لعام 1945 الموروثة عن عهد الانتداب البريطاني

2- أنظمة وقوانين الطوارئ المدنية المطبقة على العرب الذين بقوا في الأراضي المحتلة بعد تاريخ 29/11/1947 تاريخ قرار التقسيم.

3- قانون استملاك الأراضي الصادر عام 1958.

فجميع هذه الأنظمة والقوانين - وغيرها كثير - تهدف بالدرجة الأولى إلى إيجاد الأساس القانوني لجميع عمليات مصادرة الأراضي العربية وطرد السكان الأصليين وإعلان المناطق المحظورة بموجب قرارات الحاكم العسكري المبني على العنصرية. كما تظهر سياسة التمييز العنصري الإسرائيلية من خلال كل الممارسات والإجراءات والقوانين الصادرة في جميع الميادين: العمل، التربية والثقافة والتعليم، والخدمات الاجتماعية، الصحافة والنشر، سياسة العقوبات الجماعية، ومن خلال المدهامات والاعتقالات وأعمال التعذيب الوحشية داخل السجون.

إنطلاقاً مما تقدم، واستناداً لمئات الأدلة والشواهد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الثلاثين (أيلول - كانون الأول 1975) قراراً رقم 3379 (د-30) بتاريخ 10/11/1975 جاء فيه أن "الجمعية العامة للأمم المتحدة تقرّ بأن الصهيونية هي شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصر". وقد ورد التأكيد ذاته على عنصرية الصهيونية في سلسلة من القرارات الصادرة عن عدة منظمات دولية من بينها: قرار مؤتمر القمة لمنظمة الوحدة الإفريقية لعام 1975، الإعلان السياسي لمؤتمر وزراء خارجية الدول غير المنحازة لسنة 1975، الإعلان الصادر عن المؤتمر العالمي للمرأة الذي انعقد في المكسيك بتاريخ 19/06/1975،



وبيان مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد في جدة بتاريخ 23/03/1980... وغيرها من اللوائح الأمية والدولية التي تدين العنصرية الصهيونية.<sup>1</sup>

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه ما هي التربية التي تلقاها الصهيوني حتى تأصلت فيه إيديولوجيا الإبادة، وصار على هذه الأخلاق المزرية والشخصية العدوانية الظالمة والمظلمة والتي يكرهها من في السماء ومن في الأرض؟

الدارس لهمجية النصوص التوراتية والتلمودية يجدها تأصل وتقعّد لأيديولوجيا الإبادة والعنصرية وسحق الآخر، وهذا ما يفسر العنف والقسوة التي طبعت الشخصية اليهودية عموماً، والصهيونية خصوصاً، علماً أن قادة الصهيونية ومنظريها يصرحون بذلك منهم البروفيسور والفيلسوف الإسرائيلي عادي أوفير **Adi Ophir** يقول: "نحن البقايا اللعينة لأوروبا. نحن اليهود الذين لم تنجح أوروبا في القضاء عليهم. نحن المكان الذي فيه يحيا ويوجد الكابوس النازي، محمولاً في أذهان الناس الناجحين وأذهان أولئك الذين تربوا في ظلّ الناجين، وفي أذهان جميع الآخرين الذين أغرقهم الكلام الذي لا ينتهي، الذي قدّس الكارثة... نحن آخر مكان في أوروبا مازال فيه الماضي النازي يؤتي جدوى، لأن الدولة جعلت خراب يهود أوروبا ملكاً قومياً، نوراً للأمة وتعويضاً لليهود... نحن قدوة الإستشراق الأوروبي، الذي أصبح يقوم فجأة في الشرق نفسه، بلا حياء ووعي للذات... نحن موقع تجريب للمبدأ الكوني الوحيد الذي تعرف أوروبا كيف تضع له حدوداً - عموم الشر: يستطيع كل إنسان أن يجد نفسه مشاركاً في ذلك التآليف الفظيع بين كراهية الأجانب، والاضطهاد، والإذلال والتمييز العنصري، ومخيمات

1 - راجع التفاصيل عند الكيالي عبد الوهاب، وآخرون: موسوعة السياسة، مرجع سابق، ج 4، ص 253 - 255

الإغلاق، والتطهير العرقي للأحياء والمدن... قد يحدث هذا لكل واحد، لكل واحد، حتى لأولئك الذين كانوا ضحايا.<sup>1</sup>

علما أن هذه الفكرة لا تقتصر على المتأخرين من اليهود كما في العصر الحديث فحسب بل هي رؤية جماعية موحدة بينهم منذ القدم، فهذا أفضل فلاسفتهم موسى بن ميمون يقول: "هناك بشر غير قادرين على مقارنة لله: إنهم نوع البشر الذين هم ليس لديهم أي معتقد ديني ولا عملي ولا تقليدي، مثل آخر الأتراك في أقصى الشمال والزنوج في أقصى الجنوب والذين يشبهونهم في مناخاتها، هؤلاء يعدون مثل حيوانات غير عاقلة، فأنا لا أصنفهم في مستوى البشر، إذ إنهم من بين الكائنات الحيّة، صنف أدنى من البشر وأعلى من القرد، بما أن لديهم وجه وملامح الإنسان وفطنة أعلى من القرد"<sup>2</sup>.

وهكذا نجد أن العلامة ابن ميمون يصنف اليهودي في الأعلى سلم المخلوقات، باعتباره مجهز بدماغ وروح إلهية قادرة أن تربطه بواسطة المعرفة الإلهية، وفي درجة أدنى يكون غير اليهودي مجهزا بدماغ، هذا أكيد لكنه لا يملك روحا إلهية، فهو في أسفل السافلين، أي في حدود الحيوانية الزنجي، فهو كائن "غير عاقل"، وبعبارة أخرى: تحركه - فقط - رغبات جسده<sup>3</sup>.

1 - عباس إسماعيل: عنصرية إسرائيل، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، الطبعة الأولى-2008، ص 14

2 - موسى بن ميمون: "دلالة الحائرين" ترجمة وتحقيق: حسين أتاي، مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة. ج3

3 - ألبير تودانزول: اليهودية والغريبة، ترجمة ماري شهرستان، دار الأوانل، دمشق، ط الأولى، 2004م، ص 11-12

الباحث في النصوص المشكّلة للتعاليم الدينية اليهودية والصهيونية، يصل إلى وضع اليد على النصوص الصائغة لأدبيات أيديولوجية الإبادة، فمثلا سجل [سفر التكوين الإصحاحين 33، 34]، حادثة أليمة اعتبرها علماء الدراسات اليهودية، من أمثال إسماعيل راجي الفاروقي، أنها تدل على وجود الصهيونية في العصر البطريكي على حد تعبيره<sup>1</sup>، في قصة نزول يعقوب عليه السلام وقبيلته في شكيم (نابلس)<sup>2</sup>، عاصمة مملكة إسرائيل فيما بعد.

وخلاصة الحادثة: أن يعقوب عليه السلام وقبيلته، جاءوا إلى شكيم مهاجرين، فاستأجر يعقوب عليه السلام قطعة أرض من حمور، كي يقيم عليها مع قبيلته، وجاءت ابنة يعقوب "دينة"، من زوجته "ليئة"، تزور نساء شكيم، فأراها أمير شكيم وأحبّها وتمكّن منها دون استئذان أهلها. وكانت "دينة" راضية عن ذلك، وعندما علم أهلها طالبوا بعودة الفتاة، فجاءهم حمور يخطب يعقوب لتكون ابنته "دينة" زوجة لابنه "شكيم". وأعلن الملك وابنه الأمير أنهما على استعداد للتعويض مهما كلف الثمن، لأن "شكيم" يحب "دينة" وهي كذلك. تشاور يعقوب - في الرواية التوراتية - مع أبنائه في الموضوع، فوافقوا مع إضمار نية الغدر: "فَأَجَابَ بَنُو يَعْقُوبَ شَكِيمَ وَحَمُورَ آبَاهُ بِمَكْرٍ وَتَكَلَّمُوا. لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ بَحَسَ دِينَةَ أُخْتَهُمْ،<sup>3</sup> فَقَالُوا لَهُمَا: "لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْعَلَ هَذَا الْأَمْرَ أَنْ نُعْطِيَ أُخْتَنَا لِرَجُلٍ أَغْلَفَ (أي: غير مختون)، لِأَنَّهُ عَارٌّ لَنَا. [سفر التكوين 33: 13-14]. فإن حققتم الشرط وهو أن تصبحوا

1 - إسماعيل راجي الفاروقي: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، ص 27 وما بعدها.

2 - "شكيم": تقع اليوم في أراضي قرية "بلاطة" بجوار "نابلس"، وقد دلت الآثار على أنها هدمت وأحرقت وهي تتصدى لإحدى الهجرات إليها، وقد يكون هذا من فعل يعقوب عليه السلام وقبيلته المذكورة في التوراة. وتؤكد آثار العمارنة، أن حاكم منطقة شكيم (شكيم بن حمور) أرسل يستجد فرعون ليرسل له الزاد والرجال كي يعيد النظام والسلامة اللذين حطمهما "العابيرو"، أو البدو المهاجمون، الذين عرفهم المؤرخون كقبيلة العبريين. أنظر إسماعيل راجي الفاروقي: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، ص 27-28

مثلنا أي: " إِنْ صِرْتُمْ مِثْلَنَا بِحُنَيْنِكُمْ كُلَّ ذَكَرٍ. <sup>٢٦</sup> نُعْطِيكُمْ بَنَاتِنَا وَنَأْخُذُ لَنَا بَنَاتِكُمْ، وَنَسْكُنُ مَعَكُمْ وَنَصِيرُ شَعْبًا وَاحِدًا. "

وافق الملك حمور وولده شكيم على ذلك، بله اختتن جميع ذكور المدينة، واغتناما لفرصة جراح الختان وآلامه، غدر أبناء يعقوب بالشكيمين ودخلوا المدينة على حين غفلة من أهلها، مشهرين سيوفهم وقتلوا كل ذكر فيها، بمن فيهم الملك، وابنه، وسبوا جميع النساء والأطفال، واستاقوا ما فيها من مواشي (بقر وغنم وحمير) ونهبوا جميع أموالها، وأعادوا "دينة" وفروا إلى منطقة أخرى تحصنوا بها لفترة، ثم ارتحلوا إلى حبرون. (<sup>٢٥</sup> فَحَدَّثَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ إِذْ كَانُوا مُتَوَجِّعِينَ أَنَّ ابْنَ يَعْقُوبَ، شِمْعُونَ وَلَاوِيَّ أَخَوَيْ دِينَةَ، أَخَذَا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ وَأَتَيَا عَلَى الْمَدِينَةِ بِأَمْنٍ وَقَتَلَا كُلَّ ذَكَرٍ. <sup>٢٦</sup> وَقَتَلَا حَمُورَ وَشَكِيمَ ابْنَيْ بَحْدِ السَّيْفِ، وَأَخَذَا دِينَةَ مِنْ بَيْتِ شَكِيمَ وَخَرَجَا. <sup>٢٧</sup> ثُمَّ أَتَى بَنُو يَعْقُوبَ عَلَى الْقَتْلَى وَنَهَبُوا الْمَدِينَةَ، لِأَنَّهُمْ نَحَسُوا أُخْتَهُمْ. <sup>٢٨</sup> غَنَمَهُمْ وَبَقَرَهُمْ وَحَمِيرَهُمْ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ وَمَا فِي الْحُقْلِ أَخَذُوهُ. <sup>٢٩</sup> وَسَبَّوْا وَنَهَبُوا كُلَّ تَرَوِيهِمْ وَكُلَّ أَطْفَالِهِمْ، وَنِسَاءَهُمْ وَكُلَّ مَا فِي الْبُيُوتِ). . [سفر التكوين 33: 25-29].

في الحادثة التوراتية صور مفزعة، من الغدر والخيانة والقسوة البالغة، في حق أهل بلد أكرمهم، ووافقوا على النزول في أرضهم، وفي جوارهم، وذلك بسبب نزوة غرامية لشخص منهم، مع أن ملك البلد وأهل البلد، أظهروا كل استعداد لتلافي أمر الصدام، وإصلاح الوضع، ووافقوا على شروط يعقوب وأولاده، إضافة أن بنة يعقوب "دينة"، لم تشتك اغتصابا أو عنفا، وإنما كان الأمر برضاها وموافقتها، فقد بادلت شكيم بن حمور الحب

والغرام<sup>1</sup>. رغم أن ما حصل بين أمير شكيم ودينة يراه بعض الدارسين للتشريع اليهودي<sup>2</sup>، أنه ليس بالأمر الغريب ولا هو بالعار، فالعادة المتبعة في ذلك العصر تقول: إذا عاشر رجل فتاة غير متزوجة وجب عليه التزوج منها. فإن فعل، ودفع شيئاً لذويها، لا تقع عليه لومة لائم. وهذا ما نص عليه التشريع في [سفر التثنية 22: 28]: "إِذَا وَجَدَ رَجُلٌ فَتَاةً عَدْرَاءَ غَيْرَ مَحْطُوبَةٍ، فَأَمْسَكَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا، فَوُجِدَا. <sup>29</sup> يُعْطِي الرَّجُلُ الَّذِي اضْطَجَعَ مَعَهَا لِأَبِي الْفَتَاةِ خَمْسِينَ مِنَ الْفِضَّةِ، وَتَكُونُ هِيَ لَهُ زَوْجَةً مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ قَدْ أَدَّهَا. لَا يَقْدِرُ أَنْ يُطَلِّقَهَا كُلَّ أَيَّامِهِ."

هذه القصة لم تمرّ على العلامة إسماعيل راجي الفاروقي مرور الكرام، بل علّق عليها، واستنتج منها استنتاجات وحقائق خطيرة، كشف بها المستور من أصول العنصرية في النفسية اليهودية، وحدد بدقة سبب خيانة اليهود لشكيم والتنكيل بهم. فبعد أن تحدث عن إمكانية تصحيح الوضع مع شكيم بالزواج قال: (...). لكن بني إسرائيل ظنوا أن الشكيمين لن يمثلوا لمثل هذا الطلب (يعني الختان) لأنهم عنصريون كالإسرائيليين. وفوجيء الإسرائيليون باستجابة وتنفيذ شكيم لما طلبوا... فبإجرائهم هذا جعل الشكيميون أنفسهم "إسرائيليين". وهذا هو إثمهم الأكبر والذي لا يُغتفر. أن يخسر الإسرائيليون ابنة فهذا أمر يسير، ومع هذا فهم كانوا سيعوضونه بالفضة وتزويج الابنة والحصول على الأرض والملك والتجارة والاستقرار، أما أن "يُسرّل" الشكيميون أنفسهم، أي يتهودوا، فهذه جريمة بحق العنصر اليهودي لا تطاق، ولا تعاقب إلا بالقتل والإبادة. و المبدأ العنصري الذي يركز عليه

1 - رجا عبد الحميد عربي: سفر التاريخ اليهودي، مرجع سابق، ص 470

2 - أنظر إسماعيل راجي الفاروقي: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، مرجع سابق، ص 28-29

واضح بيّن. ويؤيد هذا ما ذكرته التوراة من جعل الاختتان علامة لازمة للعهد مع إبراهيم. فقالت: "أنا الله القدير... فَأَجْعَلْ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، ... 'هَذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ: يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ، 'فَتُخْتَنُونَ فِي لَحْمِ غُرَّتِكُمْ، فَيَكُونُ عَلَامَةً عَهْدِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ... فَيَكُونُ عَهْدِي فِي لَحْمِكُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا. ' وَأَمَّا الذَّكْرُ الْأَعْلَفُ الَّذِي لَا يُخْتَنُ فِي لَحْمِ غُرَّتِهِ فَتُقَطَّعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ شَعْبِهَا. إِنَّهُ قَدْ نَكَثَ عَهْدِي". [سفر التكوين 17: 14].

ويعلق الحاخام هرتس على هذه الكلمات بقوله: "إن ولاء بني إسرائيل للاختتان كنظام حيوي وأساسي في الدين اليهودي واحتفاظهم به وتمسكهم به لا يعرف حدا. فاليهود رجالا ونساء، كانوا دائما على استعداد لتضحية أرواحهم في سبيله. فالشهداء المكابيون استشهدوا دفاعا عنه، كما قال الكتاب المقدس في سفر مكابيوس الأول 1:6، وتقبلت اليهوديات والأمهات اليهوديات الموت على يد الملك "أنطيوخس" عندما أمرهن بعدم ختان أولادهن، وكذلك في أيام اضطهاد الملك "هارديان"... والتفتيش المسيحي وكل اضطهاد آخر استهدف اقتلاع الدين اليهودي، كان بنو إسرائيل دائما مستعدين لفدية هذا النظام بأرواحهم. ولكن الختان لم يكن في يوم من الأيام خاصا باليهود، فمن المعروف أن شعوبا كثيرة كانت تمارس هذه العادة في العصور السالفة، فالجديد في الأمر إذن ليس مجرد الاختتان المادي، بل معاني العنصرية التي أضيفت على الختان، فاليهودي لا يقدم روحه فدية للاختتان فحسب، بل فدية "المختارية" التي ركزها في الاختتان. ولا غرابة في أن سعي

اليهود لتكيز العنصرية- وهي طريقة تفكير -في شيء مادي، خارجي يسهل على العوام فهمه وتنفيذه، فالتفكير العنصري مناقض للشيء الهين.<sup>1</sup>

هذا هو ديدن النفسيات والعقليات الطفلة، تعيش بالأناية والعنصرية حتى ما ترى إلا ذاتها ونفسها فقط، ولا تقبل أن يشاركها غيرها في أي أمر تعدّه هي امتيازاً لها وحدها، فعمي أبناء يعقوب عليه السلام - على زعم قصة التوراة- عن أحكام الشريعة الواردة عندهم في مسألة زواج "شكيم" بابتهم "دينة"، ولم ينجحوا للسلم والحلول الميسرة، بل تجاوزوا وتعدوا الحدود لإبادة شعب من أجل تغذية شهوة العنصرية الدفينة فيهم. والذي يقرأ الواقع الإسرائيلي اليوم، يجد نفس الممارسات تطبق ليل نهار على الشعب الفلسطيني الأعزل، أفراداً وجماعات، فما ترويه وسائل إعلامهم دليل على ذلك، منها ما روته صحيفة هآرتس الإسرائيلية يوم 2007/05/15، إذ روت قصة مروعة مليئة بالحقد والكراهية والعنصرية، مفادها أن "جوليان" و"جون ناثان سيفر" وهما يهوديان شقيقان، أوقفا سيارة أجرة في القدس، وبعد أن تأكدا من أن السائق عربي، طلبا منه أن يوصلهما إلى تل أبيب. وهناك طلبا من السائق الصعود إلى الشقة للاستراحة من المشوار الطويل، فنزل لينقضا من ثمّ عليه ويطعناه حتى الموت. وُجد تيسير عبد الحميد كركي (34 عاماً وأب لخمسة أطفال) مذبحاً من الحنجرة وغارقاً في بركة دماء في شقة سكنية بتل أبيب.

وقال بيان للشرطة الإسرائيلية أن مهاجرين فرنسيين متهمان بقتل السائق العربي بعد استدراجه إلى شقتيهما، وأن الجريمة وقعت على خلفية الحقد والكراهية، وهذا ما أكدّه أحد

---

1 - إسماعيل راجي الفاروقي: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، مرجع سابق، ص 29-30

الأخوين، حيث قال لوسائل الإعلام الإسرائيلية: "قررت قتل العربي لأنه عربي". أما لمحقيقه، فقال جوليان: "طعنته 24 مرة في رقبته... ولم أشعر بأي شيء. كان الأمر مثل نحر حيوان."<sup>1</sup> ما عسانا نقول إلا ما أشبه اليوم بالبارحة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولو طبقنا نفس المنهج التحليلي النفسي والفكري على نصوص العهد القديم والتلمود لوجدنا العجب العجاب، من استباحة أموال الناس بغير حق كما حدث لموسى عليه السلام عند الخروج في أكبر سرقة عالمية [سفر الخروج 11: 2-3، سفر الخروج 12: 35-37]، وكما حدث في سفر يشوع للمذبحة الجماعية لسكان مدينة "أريحا"، دون استثناء للنساء والشيوخ والأطفال، ولا حتى الحيوانات، تطبيقاً لأوامر الرب، كما جاء في [تثنية 1: 1-3]: "مَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لَتَمْتَلِكَهَا، وَطَرَدَ شُعُوبًا كَثِيرَةً مِنْ أَمَامِكَ: الْحِثِّيَّ وَالْجِرْجَاشِيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْكَنَعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، سَبَعَ شُعُوبٍ أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكَ، أَوْدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلَهُكَ أَمَامَكَ، وَضَرَبْتَهُمْ، فَإِنَّكَ تُحَرِّمُهُمْ. لَا تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلَا تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ،<sup>3</sup> وَلَا تُصَاهِرُهُمْ." وهذا ما حدث بالفعل طوال قرن من الزمان في فلسطين ولبنان، من مذبحة قانا إلى دير ياسين، إلى جنين إلى الخليل في الجامع الابراهيمي والناس يصلون، إلى عزة إلى... والقائمة تطول.

ومن النصوص التي تدعو إلى حروب الإبادة الشاملة على الآخر، قوله: "ثُمَّ رَجَعَ يَشُوعُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَأَخَذَ حَاصُورَ وَضَرَبَ مَلِكَهَا بِالسَّيْفِ، لِأَنَّ حَاصُورَ كَانَتْ قَبْلًا رَأْسَ جَمِيعِ تِلْكَ الْمَمَالِكِ. <sup>11</sup> وَضَرَبُوا كُلَّ نَفْسٍ بِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. حَرَّمُوهُمْ، وَمَنْ تَبَقَّ نَسَمَةٌ، وَأَحْرَقَ



حَاصُورَ بِالنَّارِ. <sup>١٢</sup> فَأَخَذَ يَشُوعُ كُلَّ مُدُنِ أَوْلِيكَ الْمُلُوكِ وَجَمِيعَ مَلُوكِهَا وَضَرَبَهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ. حَزَمَهُمْ كَمَا أَمَرَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ. <sup>١٣</sup> غَيْرَ أَنَّ الْمُدْنَ الْقَائِمَةَ عَلَى تِلَالِهَا لَمْ يُحْرِقْهَا إِسْرَائِيلُ، مَا عَدَا حَاصُورَ وَحَدَهَا أَحْرَقَهَا يَشُوعُ. <sup>١٤</sup> وَكُلُّ غَنِيمَةِ تِلْكَ الْمُدْنَ وَالْبَهَائِمِ نَهَبَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لِأَنْفُسِهِمْ. وَأَمَّا الرَّجَالُ فَضَرَبُوهُمْ جَمِيعًا بِحَدِّ السَّيْفِ حَتَّى أَبَادُوهُمْ. لَمْ يُبْقُوا نَسَمَةً. <sup>١٥</sup> كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى عَبْدَهُ هَكَذَا أَمَرَ مُوسَى يَشُوعَ، وَهَكَذَا فَعَلَ يَشُوعُ. لَمْ يُهْمَلْ شَيْئًا مِنْ كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ الرَّبُّ مُوسَى. <sup>1</sup> [سفر يشوع 11: 10-15]. ومن الوصايا التي ينسبونها للرب، أن رحمته لا تنزل عليهم إلا بكثرة القتل والذبح والحرق لأعدائهم، [سفر التثنية 13: 15-18]. وحتى الضعفاء كالأطفال والحوامل، لا يسلمون من الإبادة في الكتاب المقدس، لا حقوق لهم ولا مجال لرحمتهم و الإشفاق عليهم، بل تحدد وصايا الرب شكل الإبادة والتحطيم بكل وحشية وبرودة دم [سفر هوشع 13: 15-16، سفر صموئيل الأول 15: 3-4]. وحتى يتصالح الرب مع شعبه ويهدأ غضبه يأمر الرب موسى عليه السلام أن يصلب العصاة عند الشمس، كلما أحرقهم فيحها ولهبها كلما هدأ وبرد غضب الرب [سفر العدد 25: 3-4].

"وَعِنْدَمَا تَقْرُؤُونَ مِنَ الْحَرْبِ يَتَقَدَّمُ الْكَاهِنُ وَيُخَاطِبُ الشَّعْبَ وَيَقُولُ لَهُمْ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: أَنْتُمْ قَرَّبْتُمْ الْيَوْمَ مِنَ الْحَرْبِ عَلَى أَعْدَائِكُمْ. لَا تَضَعُفْ قُلُوبِكُمْ. لَا تَخَافُوا وَلَا تَرْتَعِدُوا وَلَا تَرْهَبُوا وَجُوهَهُمْ، لِأَنَّ الرَّبَّ إِيَّاكُمْ سَائِرٌ مَعَكُمْ لِكِنِّي يُحَارِبُ عَنْكُمْ أَعْدَاءَكُمْ لِيُخَلِّصَكُمْ. ثُمَّ يُخَاطِبُ الْعُرَفَاءَ الشَّعْبِ قَائِلِينَ: مَنْ هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي بَنَى بَيْتًا جَدِيدًا وَلَمْ

1- أنظر الإصحاح 12 و13 من نفس السفر ففيها من نصوص القتل و الإبادة ما تتفرز له كل نفس سوية.

يُدشَّنُهُ؟ لِيَذْهَبَ وَيَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ لِقَلًّا يَمُوتَ فِي الْحَرْبِ فَيُدشَّنُهُ رَجُلٌ آخَرُ... لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَجْعَلَ عَلَيْكَ رَجُلًا أَجْنَبِيًّا لَيْسَ هُوَ أَخَاكَ". [تثنية 17: 15]

ومما يلاحظه الباحثون في الدراسات التوراتية والتلمودية أن "يشوع" دخل بقوة في التفكير الصهيوني الإسرائيلي، إلى درجة تقمص شخصيته العدوانية المعروضة في النصوص، كما حدث من تقمص يشوع لشخصية موسى كما ورد في [ سفر يشوع 7:3 ]:

"فَقَالَ الرَّبُّ لِيَشُوعَ: "الْيَوْمَ أَبْتَدَيْتُ أُعْظِمُكَ فِي أَعْيُنِ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ لِكَيْ يَعْلَمُوا أَنِّي كَمَا كُنْتُ مَعَ مُوسَى أَكُونُ مَعَكَ". فصار "يشوع" نموذجاً يحتذى به في إبادة الآخر، أما ضحايا هذا الفعل فهم كالعادة الكنعانيون والفلسطينيون القدامى، الذين استدعت الصهيونية رموزهم في الخلفية الفكرية، وأسقطتها في الأجواء النفسية ثم التطبيقية العملية، على الفلسطينيين الحاليين، الذين يجب التعامل معهم وفق الصورة النمطية، المحفورة والمسجلة في المخيال اليهودي الفردي والجماعي، أي التعامل مع الفلسطينيين كما تعامل أسلافهم "بنو إسرائيل"، مع الأقدمين منهم بالمنهج نفسه، بقطع دابرهم واستئصال شأفتهم بكل وسائل العنف الهمجي المتاحة والممكنة.

إذن هذه النصوص العدوانية تحفر في نفسية متلقيها وتمسحه بمسوحها حتى تصبغ شخصيته بها، حتى لا تكاد تميز بين الزمنين أنحن في الحاضر أم في الماضي؟، وحتى نخرج من دائرة الاتهام إلى دائرة التحقق والإثبات، وكدليل مادي وواقعي على هذا الاستنتاج، نورد نتائج دراسة علمية موثقة من داخل الفكر والمجتمع اليهودي نفسه - وشهد شاهد من أهلها -، فقد قام الباحث اليهودي "جورج تمارين" (Georges Tamarin)، أستاذ علم النفس الاجتماعي في جامعة تل أبيب، بدراسة أجراها على عينة تتكون من ألف (1000) طالب وطالبة من المدارس الثانوية في إسرائيل، لمعرفة تأثير أفعال الإبادة المنسوبة إلى "يشوع"

في تفكيرهم. وقد جرت الدراسة بأن طرح "تمارين Tmarin" على الطلبة سؤالين فقط يتصلان بما فعله يشوع - كما تروي التوراة- في كل من "أريحا" و "مكيدة" عندما تغلب يشوع عليهما:

السؤال الأول: هل ترى أن فعل يشوع والإسرائيليين الذين كانوا معه، كان صوابا تجاه سكان "أريحا" و "مكيدة"؟.

أما الثاني فكان: افترض - جدلا- أن الجيش الإسرائيلي افتتح قرية عربية في الحرب، فهل تراه أمرا سيئا أم صوابا، أن يتصرف الجيش مع سكان هذه القرية كما فعل "يشوع" بالنسبة إلى سكان "أريحا" و "مكيدة"؟.

كانت الإجابة أن ثمانين في المئة (80%) من الطلاب الذين سُئلوا وافقوا على صواب ما فعله يشوع، بينما كانت إجابة ثمانية وثلاثين في المئة (38%) منهم، أن على الجيش الإسرائيلي أن يفعل بالقرية العربية المفترضة ما فعله "يشوع" بأريحا ومكيدة.

أذهلت النتائج "تمارين Tmarin" نفسه فكتب معلقا عليها: "إن تدريس "الكتاب" بطريقة غير نقدية لطلاب هذا العمر المبكر، حتى ولو لم يكن يُدرّس بشكل واضح على أنه نص مقدس بل على أنه تاريخ قومي، يؤثر بلا شك تأثيرا عميقا في تكوين توجهات إلحاق الأذى "بالآخرين"... حتى الطلاب غير المتدينين، وفي تأكيد الصورة السلبية المعادية للأجانب."<sup>1</sup>

1 - عصام سخيني: الإبادة الجماعية من أيديولوجيا الكتاب العبري إلى المشروع الصهيوني، مرجع سابق، ص 56

بعد إبراز نتائج هذه الدراسة وانتقاد "تمارين Tmarin" للنظام الدراسي في إسرائيل، شرب من كأس العنصرية نفسه، فحوصرت وتعرض للمضايقة الشديدة، أفضت إلى خسران منصبه ووظيفته كأستاذ في جامعة تل أبيب، وكانت ردّة فعله على هذا الإجراء أن كتب إلى مجلس الجامعة، "أنه على الرغم من أنه نهج في دراسته منهجا علميا لا غبار عليه، فإنه لم يحلم قط بأن يكون هو الآخر من ضحايا فتح "يشوع" لأريحا.<sup>1</sup>

و على ذات الصورة العنصرية، فالدارس لبعض الأسماء في النصوص التوراتية والتلمودية يجد لها صدى عجيبا في النفسية والعقلية الصهيونية واليهودية، ومن هذه الأسماء اسمين مهمين تحولا إلى رمزين الأكثر شيوعا في منظومة الفكر الإباضي الصهيوني وهما "الكنعانيون والفلسطينيون القدامى"، فبمجرد ذكرهما تُستفَز الذاكرة التاريخية، وتُستحضر أسطورة عماليق "الكتابية"<sup>2</sup>، التي كثيرا ما تتردد على ألسنة الصهيونيين وأقلامهم، كنموذج لما ينبغي التعامل به مع العرب الفلسطينيين.

لقد لعن الربّ عماليق، وأمر موسى باجتثاث ذكرهم من على الأرض، وذلك لأنهم قَاوَمُوا ، وتعرضوا لموسى في رحلته من مصر إلى أرض كنعان، كما تروي نصوص العهد القديم: "أذْكَرُ مَا فَعَلَهُ بِكَ عَمَالِيْقُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ خُرُوجِكَ مِنْ مِصْرَ. <sup>18</sup> كَيْفَ لَأَقَاكَ فِي

1 - المرجع السابق، ص 57

2 - عماليق، وردت مرة باسم العمالقة، تحكي عنهم نصوص العهد القديم خرافات وأساطير، فترة وجودهم متناقضة، مرة معاصرين لإبراهيم [التكوين 14:7]، ومرة لغيره ولكن الغالب الأعم يُنسبون إلى عماليق بن عيسو بن اسحاق بن إبراهيم [التكوين 36:13-12] [العدد 36]، والإشارة أن عماليق من نسل عيسو لها دلالتها واعتبارها، إذ حُرِمَ عيسو من بركة أبيه إسحاق الذي بارك ابنه يعقوب (إسرائيل) بدلا من أن يبارك عيسو، فهو ابن غير مبارك لا هو ولا نسله، وهذا يبرر منهج العنف عند التعامل معه. علما أن مواطنهم في شبه جزيرة سيناء والأقسام الجنوبية من أرض كنعان. وقد كثرت الحكايات التوراتية من الحديث عنهم، فقد حاربوا موسى، وحاربهم يشوع وشاؤول ودادو.

الطَّرِيقِ وَقَطَعَ مِنْ مُؤَخَّرِكَ كُلَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَرَاءَكَ، وَأَنْتَ كَلِيلٌ وَمُتَعَبٌ، وَلَمْ يَخْفِ اللَّهُ.  
<sup>٩</sup> فَمَتَى أَرَاكَ الرَّبُّ إِيَّاكَ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِكَ حَوْلَكَ فِي الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِيَّاكَ  
نَصِيبًا لِكَيْ تَمْتَلِكَهَا، تَمَحُّو ذِكْرَ عَمَالِيقَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. لَا تَنْسَ." [ سفر التثنية 25:17-19  
،ولفظ "لَا تَنْسَ" يلزم موسى بحفظ معنى الإبادة في الأجيال المقبلة ولذا أكد كاتب  
النص التوراتي على موسى هذا المعنى في نص آخر بأن أمره يهوه أن يسجل في كتاب  
تذكاري (مذكراته) أنه سيحارب عماليق من جيل إلى جيل، فقد ورد في [ سفر الخروج  
16-14:17]: <sup>٤</sup> "فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: "اَكْتُبْ هَذَا تَذْكَارًا فِي الْكِتَابِ، وَضَعْهُ فِي مَسَامِعِ  
يَشُوعَ. فَإِنِّي سَوْفَ أَتَمَحُّو ذِكْرَ عَمَالِيقَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ". <sup>٥</sup> "فَبَتَّى مُوسَى مَذْبَحًا وَدَعَا اسْمَهُ  
"يَهْوَهُ نِسِي". <sup>٦</sup> "وَقَالَ: "إِنَّ الْيَدَ عَلَى كُرْسِيِّ الرَّبِّ. لِلرَّبِّ حَرْبٌ مَعَ عَمَالِيقَ مِنْ دَوْرٍ إِلَى  
دَوْرٍ"<sup>1</sup>.

وتمتد لعنة عماليق في الزمان والمكان، ويتجدد التواصي بقتلهم كما حدث بين  
صموئيل وشاول، فقد ورد في [ سفر صموئيل الأول 15:1-3]: " وَقَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ:  
"إِيَّايَ أَرْسَلَ الرَّبُّ لِمَسْحِكَ مَلِكًا عَلَى شَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ. وَالآنَ فَاسْمَعْ صَوْتَ كَلَامِ الرَّبِّ.  
<sup>٢</sup> أَهْكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ: إِيَّيَّ قَدْ افْتَقَدْتُ مَا عَمِلَ عَمَالِيقُ بِإِسْرَائِيلَ حِينَ وَقَفَ لَهُ فِي  
الطَّرِيقِ عِنْدَ صُعودِهِ مِنْ مِصْرَ. <sup>٣</sup> فَالآنَ اذْهَبْ وَاصْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلَا تَعْفُ  
عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رِجَالًا وَامْرَأَةً، طِفْلًا وَرَضِيعًا، بَقْرًا وَعِغْمًا، جَمَلًا وَحِمَارًا".

1 - يلاحظ أن الترجمة العربية استعملت في نهاية النص لفظ "من دور إلى دور" بخلاف الترجمة في اللغات الأجنبية الأخرى، كالإنجليزية  
التي تعني: نسل أو ذرية أو جيل، "From Generation to Generation" وكذا في الفرنسية "De Generation En  
Generation "

و السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا التشديد على عماليق بهذه الصورة دون سواهم؟، ما السرّ وراء هذا الإلحاح، ألا يُخفي شيئاً ما؟.

ويأتي الجواب مرة أخرى من داخل الفكر اليهودي نفسه، ليؤكد أن صورة عماليق، المطلوب إبادته، في العهد القديم، أصبحت نموذجاً كلاسيكياً للآخر المغاير، و هذا وفق ما صرح به "جيرالد كرومر"، أستاذ علم الجريمة في جامعة "بار إيلان" الإسرائيلية، إذ يقول: "فعلى مدى أزمان عديدة، ذهب علماء الدين اليهود إلى أبعد مدى في إظهار فسق "عماليق" وفسادهم. ونتيجة لذلك فقد عُدد عماليق ذروة الشرّ في التقاليد اليهودية. في موازاة ذلك، استخدم الحاخامون والناس العاديون على السواء، مصطلح "عماليق"، ليدلُّوا به على الشعوب والمجموعات الأخرى، التي يُزعم أنها تتهدد وجود الشعب اليهودي. وهكذا فإن "عماليق" هو "الآخر المغاير" الرئيس الذي يجب سحقه.<sup>1</sup>

أينزل الله كتاباً من لدنه يأمر فيه بمثل ما مرّ معنا؟، إن الله يأمر بالرحمة والتسامح وعدم أكل أموال الناس بالباطل، ويأمر بالعدل والإحسان وصلة الأرحام، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، ويأمر بالوفاء بالعهود والعقود، قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (90) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (91)". [سورة النحل: 90-91].

1 - عصام سخنيني: الإبادة الجماعية من أيديولوجيا الكتاب العبري إلى المشروع الصهيوني، مرجع سابق، ص 58-59

أما المنظومة الصهيونية، وفي إسرائيل المعاصرة، فإن العرب عامة والفلسطينيين خاصة، هم عماليق الزمن الحديث.

وهذا ما يؤكدُه مُنظَرُوا المشروع الصهيوني وحاخاماتهم ومن هؤلاء الحاخام "يسرائيل هس" (Yisrael Hess)، حاخام جامعة "بار إيلان" الإسرائيلية، الذي كتب مقالا خطيرا في الصحيفة الطلابية التي تصدرها الجامعة "بات كول" (Bat Kol) في عدد فبراير 1980 بعنوان "الأمر بإبادة الجنس في التوراة" قال فيه: "ليس بعيدا ذلك اليوم الذي سوف تُدعى فيه إلى حرب مقدسة، وإلى هذا الأمر (من يهوه) باجتثاث عماليق. إن الله لا يقتنع فقط باجتثاث عماليق، وبمحو ذكره، بل هو يجند نفسه شخصا في ذلك، إذ هو - كما قد قيل - لديه مصلحة في هذه المسألة، وذلك هو الهدف الرئيس".<sup>1</sup>

الناظر لهذا التصريح يبقى مندهشا كيف يأمر الرب باجتثاث عماليق (العرب عامة والفلسطينيين خاصة)، بكل هذه الوحشية، بل هو يجند نفسه شخصا؟!، ولديه مصلحة في ذلك؟!، وهو الهدف الرئيس!؟؟. تعالى الله - الذي يقول للشئ كن فيكون - عما يقولون علوا كبيرا.

لذا علق باندهاش وحيرة "أمون روبنشتاين" (Ammon Rubinstein) أستاذ القانون في جامعة تل أبيب، على ماكتبه الحاخام هس بقوله: "إن الحاخام هس يفسر الأمر (أمر يهوه) الذي يأمر بمحو ذكر عماليق، ويقول إنه لا توجد أدنى رحمة في هذا الأمر، الذي يوجب حتى قتل أطفال عماليق والرضع منهم، فعماليق هم كل من يعلن الحرب على شعب

---

1 - عصام سخيني: الإبادة الجماعية من أيديولوجيا الكتاب العبري إلى المشروع الصهيوني، مرجع سابق، ص 60

الله. "ويعلق على المقال باندهاش: "إن هذا المقال الذي كتبه الحاخام هس لم يجد أدنى اعتراض عليه، لا من جانب الجامعة نفسها ، ولا من جانب هيئة تحرير المجلة، ولا من الطلاب أنفسهم، وتلك إشارة ضمنية إلى موافقة هذه الأطراف الثلاثة على ما كتبه الحاخام."<sup>1</sup>

أمام هذه الفتاوى والشروحات لا يبقى لأمر الرب "لا تقتل" في الوصايا العشر أي معنى، وهذا ما شرحه الحاخامات أنفسهم، فقد شرح الرباني "موسى بن ميمون" في شرائع القتل " فقال: "حري بنا أن نشرح أن مقولة "لا تقتل" يقصد بها فحسب اليهودي الذي قتل يهوديا آخر، وليس اليهودي الذي قتل غير اليهودي، حتى ولو كان غير اليهودي من الأتقياء. في الوقت الذي أكد فيه الرباني "إليعزر ميمتس" في كتابه "يرائيم" أن قتل غير اليهودي ليس ضمن المعاني المقصودة في مقولة "لا تقتل".<sup>2</sup>

ويوضح بعض الباحثين الخطوات العملية التي خطط لها منظروا الصهيونية، للوصول إلى مرحلة إبادة عماليق الحاضر (الفلسطينيين)، يصف "أوريئيل طال" (Uriel Tall) أستاذ الدراسات الكتابية في جامعة تل أبيب، في محاضرة له ألقاها في الجامعة في مارس 1984، أفكار الصهيونية ومن سار في فلكتها في الترويج لكيفية التعامل مع الفلسطينيين في المناطق المحتلة بحيث تتخذ ثلاث مراحل:

1 - المرجع السابق

2 - الحاخام يتسحاق شابيرا والحاخام يوسيف إيتسور: شريعة الملك (شريعة قتل الأغباء)، ترجمة وإعداد: محمود مندور وخالد سعيد، مكتبة

الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الأولى 2011، ص 28



المرحلة الأولى: إخضاع الفلسطينيين في القدس والضفة الغربية لأحكام الشريعة اليهودية بأن يكون لهم وضع "الأجنبي المقيم".

المرحلة الثانية: الدفع في اتجاه تهجير العرب وترحيلهم.

والمرحلة الثالثة: تنفيذ الأمر المتعلق بعماليق كما عبر عنه الحاخام هس في مقاله "الأمر بإبادة الجنس في التوراة"، وبكلمات أخرى، استئصال العرب الفلسطينيين.<sup>1</sup>

لذا في مارس 2007 صرح عضو الكنيست عن الحزب الوطني الديني "زفولون أوريف" (Zevulun Oriev) في مقال نشر له في كتيب تحت عنوان: "من الذي سيقتل عماليق هذا الجيل؟"، حيث كان يوزع كل سبت على جميع الأديرة اليهودية في إسرائيل، ذكر فيه قائمة اسمية لشخصيات فلسطينية وعربية وإسلامية، سماهم عماليق هذا العصر، والذين يجب أن يُنفذ فيهم حكم عماليق أي الإبادة. كما بين موقفه من كل محادثات السلام بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي قائلاً: "إننا لن نتفاوض مع عماليق، ولن تكون هناك اتفاقيات، ولا حلول سياسية، فإن الأمر المقدس بأن نتذكر [ما فعله عماليق] يتطلب إبادة ذكر عماليق بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة."<sup>2</sup>

كما أن الدارس للعنصرية في التلمود يبقى مندهشاً ومصدوماً لوقع ما يقرأ ويسمع، ويجد نصوصه أخطر من التي في الكتاب المقدس، بل الناظر إلى واقع اليهود يرى بوضوح مدى تأثرهم بهذه التعاليم، وتشكيلها للنفسية والعقلية اليهودية، والتي تُرجمت إلى سلوك واقعي مليء بالعقد والتناقض، والنصوص التالية تبين ذلك.

1 - عصام سخيني: الإبادة الجماعية من أيديولوجيا الكتاب العبري إلى المشروع الصهيوني، مرجع سابق، ص 61

2 - المرجع السابق

قال د . (جوزيف باركلي) أحد الباحثين في التلمود : "وبعض أقوال التلمود مُبالغ فيه وبعضها كربه ، وبعضها الآخر كفر ، ولكنها تشكّل في صورتها المخلوطة أثراً غير عادي للجهد الإنساني وللعقل الإنساني وللحمافة الإنسانية" <sup>1</sup> .

ويقول أحد الباحثين في مقدمة كتابه :

" للمسيحي إنجيله يبشّر به العالم ، وللمسلم قرآنه ينشره بين جميع الشعوب ، أما الإسرائيلي فله كتابان : كتاب معروف وهو التوراة لا يعمل به والآخر مجهول لا يعرفه العالم وهو التلمود ، يفضّله على الأول ويدرسه خفية ، وهو أساس كل مصيبة ، والنصارى يؤمنون بأن الله هو أبو الجميع ، والمسلمين يعترفون بأن الله رب العالمين، أما الصهيونيون يريدون أن يكون الإله لهم وحدهم زد على ذلك، أن التلمود ينصّ على أن جميع خيرات الأرض ملك لبني إسرائيل، وأن النصارى والمسلمين وعبدة الأوثان خلقوا عبداً لهم" <sup>2</sup> . ونظرة التلمود لكافة البشر هي:

المخلوقات نوعان؛ علوي وسفلي، العالم يسكنه سبعون شعباً بسبعين لغة وإسرائيل صفوة المخلوقات، واختارها الله لكي تكون لها السيادة العليا على بني البشر جميعاً سيادة الإنسان على الحيوان المدجّن، إن نفوس اليهود منعم عليها بأن تكون جزءاً من الله، فهي تنبثق من جوهر الله كما ينبثق الولد من جوهر أبيه، وهذا السبب يجعل نفس اليهودي أكثر

---

1 - خالد عبد الواحد: تهاية إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية. الفصل السادس من المقدمة منشور على الانترنت سنة 2001، على

الرابط التالي [www.go.ae/kalwid](http://www.go.ae/kalwid)

2- أنظر بولس حنا مسعد، همجية التعاليم الصهيونية، ص106

قبولا عند الله وأعظم شأننا عند الله من نفوس سائر الشعوب، لأن هؤلاء تُشتق نفوسهم من الشيطان وهي مشابهة لنفوس الحيوانات والجماد.<sup>1</sup>

ولهذا يقول التلمود: أن زرع ( نطفة ) الرجل غير اليهودي هي زرع حيواني، وزرع الأغراب كزرع الحصان، وإن غير اليهود كلاب عند اليهود، وإن غير اليهودي لا يختلف بشيء عن الخنزير البري، وإن بيوت غير اليهود زرائب للحيوانات، وقد كُتب على شعوب الأرض لحومكم من لحوم الحمير وزرعكم من زرع الحيوانات، ولو أن الله يكتب التلمود برمته على الورق لما وسعته الأرض صحفا مكتوبة.<sup>2</sup> فالفرق بين الانسان والحيوان كالفرق بين اليهودي وباقي الشعوب، الاسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة فإذا ضرب أممي اسرائيليا فكأنه ضرب العزة الالهية ويستحق الموت.<sup>3</sup>

و لذا فتعاليم التلمود تؤكد كما أن ربّة البيت تعيش من خيرات زوجها، هكذا أبناء إسرائيل يجب أن يعيشوا من خيرات الأمم دون أن يتحمّلوا عناء العمل.<sup>4</sup>

وإن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله وقد وقع يوماً الاختلاف بين الباري تعالى وبين علماء اليهود في مسألة، فبعد أن طال الجدل تقرر إحالة

---

1- شوقي عبد الناصر: بروتو كولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود ص31-34، وكذا بولس يوحنا مسعد، همجية التعاليم الصهيونية، ص54

2- بولس يوحنا مسعد ، همجية التعاليم الصهيونية ، ص102

3- شوقي عبد الناصر، بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود ، ص35

4- كامل سعفان : اليهود تاريخا وعقيدة ، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ص201-209

فصل الخلاف إلى أحد المحاضرات الرايين، واضطر الله أن يعترف بغلظه بعد حكم المحام المذكور.<sup>1</sup> تعالى الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا .

هذه التربية الصهيونية التي أنتجت "إسحاق رابين" وقاتله "إيجال عامير" ، الذي لم يكن عريدا ولا مجنونا ، فهو ابن حاخام ، وطالب ممتاز في الجامعة الإكليركية "بأرعيلان" بالقرب من "تل أبيب" ، وتشبع بتعاليم المدارس التلمودية، وجندي من جنود الصفوة في الجولان، ويحتفظ في مكتبته بسيرة "باروخ جولدشتين" الذي اغتال في الخليل 27 من العرب وهم يصلون! وهو المتأثر بجماعة "إيال" (محاربو إسرائيل)، التي بث التلفزيون الرسمي الإسرائيلي العرض الكبير الخاص بهم ، وهم يحلفون على قبر مؤسس الصهيونية السياسية: "تيودور هرتزل": بأن "يعدموا أي شخص يفرط للعرب في أرض الميعاد في يهودا وسامرا"، (الضفة الغربية) حالياً. علما أن هذا الاغتيال ، والاغتيالات التي اقترفتها جولدشتين يندرج ضمن المنطق الضيق لمثولوجية المتطرفين الصهيين، وكما يقول عامير: "إن الأمر بالقتل جاءه من الرب كما كان يحدث في عهد يشوع"<sup>2</sup>.

هذا الذي حَدَثَ ويحدث من "صبرا و شاتيلا" ، إلى "تل الزعتر" و "دير ياسين" ، ومن "جنين" إلى "غزة" ، والدارس لتاريخ الإجرام اليهودي يجده مسلسلا طويلا للعرب، ترك بصماته في كل شبر من أرض فلسطين<sup>3</sup> ، جراء تراكمات عقد الشخصية اليهودية، التي

1- روهنج ،الكنز المرصود في قواعد التلمود.لمزيد من التفاصيل راجع بحثنا المقدم في رسالة الماجستير والموسوم ب" الحوار بين اليهودية والإسلام 'ص 64-83

2 - جريدة "لوموند" (Le Monde) ، 8 نوفمبر 1995.

3 - لمزيد من التفصيل ندعو الدارسين لبحث تاريخ هذه القرى والمدن وما حدث فيها من قتل والإجرام، منها: قرية الشيخ، منصور الخيط، قيسارية، وادي عارة، قرية أبو كبير، خربة ناصر الدين، حواسة، الوعة ، السودان،حيفا،الحسينية، بلد الشيخ، عين الزيتون، بيت دراس،

صاغتها نصوص التوراة والتلمود وشكلتها بأخلاق العنصرية، وكره الآخر الألتيرفوبيا (Alterophobie)، وغيرها من العقد التي تراكمت عبر العصور، حتى أضحت ظلمات بعضها فوق بعض، تحتاج إلى إنسان آخر من طينة أخرى حتى يتفهمها، أو يصبر عليها. فكيف يحسن غيرهم الظن فيهم فيأمنوهم، أم كيف يحسنون هم الظن بغيرهم فيعاشروهم معاشرة إنسانية مفعمة بالودّ والحوار وبلا عُقد.؟

وهذا ما يجعلنا نطرح على طاولة البحث العلمي مجموعة من الأسئلة نبحت لها عن جواب مقنع أهمها: كيف نتحاور مع هؤلاء اليهود بلا تنكر لمبادئنا ولا هم لمبادئهم؟ وكيف نتعامل ونتعايش معهم، وهم ينظرون إلينا بمنظار الإقصاء التوراتي والتلمودي؟ وكيف نسترد حقنا المسلوب، و نحرر العباد والبلاد من هكذا إنسان.؟

---

خبيزة، أبو شوشة، الكابري، الطنطورة، قرآزة، اللد، الطيرة، اجزم، بئر السبع، اسدود، الدوايمة، جش، مجد الكروم، صفصاف، سسع، صالحه، عرب السمنية، قرية عيلبون، دير الأسد، الخصاص، القويه، قرية قلقليا، كفر قاسم، خان يونس، خان يونس، مخيم صبرا وشاتيلا، عين قارا، المسجد الأقصى، المسجد الإبراهيمي، جنين، غزة

## الفصل الثالث: دولة إسرائيل من التخطيط إلى الإنجاز

المبحث الأول: الحركة الصهيونية والمشروع السياسي في إسرائيل :

### الأهداف و الوسائل

المطلب الأول: مخططات وأهداف الحركة الصهيونية لبناء الدولة

ثيودور هرتزل والمسألة اليهودية

لا يمكن الحديث عن تخطيط للدولة الصهيونية دون المرور بمخططات مؤسسها

ثيودور هرتزل فمن هو هرتزل وما كانت خطته.؟

عاش هرتزل (2 ماي 1860 - 3 يوليو 1904) ، بمدينة "بوست" التي ولد بها، والتي اتحدت

مع "بودا" لتكون فيما بعد "بودابست" عاصمة هنغاريا (المجر)، وقد أطلق عليه والده اسم

"بنيامين زيف"، وقد كانت عائلته من الطبقة المتوسطة التي اتخذت من العادات والتقاليد

الإصلاحية اليهودية نمطا لحياتها. كما كانت عائلته من وسط أوروبا من أصل سفاردي من

ناحية والده، وكان جده لأبيه أرثوذكسيا بمعنى الكلمة، وعندما توفي الجد كان هرتزل في

التاسعة عشرة من عمره، وقد كان للجد أثر كبير في حياة حفيده.

في الثامنة من عمره سجله والده كعضو في جمعية يهودية، وكان من عادة اليهود

تسجيل أبنائهم في مثل هذه الجمعيات في سن مبكرة - (كالكتائب عند المسلمين) - حتى

يصبحوا أعضاء عاملين فيها. لذا عُرف عنه في حديثه أنه كان يذهب بصحبة والده إلى

المعبد الإصلاحية المجاور للمنزل بصورة منتظمة في أيام السبت والأعياد، فقد روي عنه أنه

قرأ قصة الخروج في التوراة، وتركت في نفسه أعمق الأثر وأبعده، لكنه نظر إليها نظرة أخرى بعد أن سمع معلمه يسردها أمام الصف بشيء من البرودة والجفاف، حتى بدت أشبه ما تكون بقصص الجن الخيالية<sup>1</sup>. فما كان عنده مقدسا أضحي عند غيره ضربا من ضروب الخيال.

كان هرتزل جد متأثر بأمه، والتي وجهته للاهتمام بالتراث والثقافة الألمانية، حتى تمكن منها وتأثر بها أيما تأثر، فكان تعليمه يطابق روح التنوير الألماني، وأكد أنه كان على حساب ثقافته "العبرية"، التي لم يُظهر تعلقه بها أو تعصبه لها، إلا أن هذه الأخيرة ظلت مؤثرة فيه تأثيرا غير مباشر، لم يظهر إلا عندما توفرت العوامل التي أزاحت الغطاء الألماني عنه وأبرزت معدنه للعيان<sup>2</sup>.

عندما بلغ هرتزل الثامنة عشرة من عمره انتقلت عائلته "لفيينا"، وتغير حال الأسرة فيها فأصبحت من الأغنياء في حي اليهود، فالتحق هرتزل بجامعة، وهناك درس القانون وحصل على الدكتوراة في القانون الروماني عام 1884، و كان هرتزل في تلك الفترة بعيدا كل البعد عن اليهودية وتعاليمها حتى قال بعض الكتاب عنه أنه كان يريد أن يتعمد، ويعتق المسيحية لولا خوفه على شعور والديه واحترامه لهما.

في حوالي 1885 ترك هرتزل وظيفته القضائية، واتجه إلى الأدب وذلك لاهتمامه به من جهة، ولأنه كان يعلم أنه كيهودي لن يصل إلى المناصب العليا من جهة أخرى، فاتجه للكتابة خاصة الصحفية منها حتى أصبح صحفيا معروفا.

1 - أسعد رزوق : التلمود و الصهيونية، مرجع سابق، ص 210

2 - أنظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا: "نيودور هرتزل". <http://ar.wikipedia.org>

ثم انتقل بعدها إلى فرنسا عام 1891، ودعته مجلة (Neue Freie Press) ليكون مراسلها في باريس فوافق، وقد كان لذهابه إلى باريس الأثر البالغ في حياته.

عندما ذهب إلى باريس بدأت في فرنسا حركة اللاسامية عام 1892 وقد فجرتها فضيحة "قناة بنما"، التي ظهر اضطهاد اليهود فيها جليا. ثم حدثت بعد ذلك قضية "دريفوس" - المذكورة آنفا - والتي كانت نقطة انعطاف في حياة هرتزل، حيث جعلته يركز اهتمامه على المسألة اليهودية، بل ويتبنى قضاياها. وقد روي أنه تم استمالت هرتزل من خلال حضوره لجلسات المحاكمة، ففي إحداها وهو يسجل وقائع المحاكمة، إذ جلس أحد أفراد الهيئة السرية اليهودية إلى جانبه، آملا في إقناعه ببراءة دريفوس، وكي ينقل الأخبار بشكل يوحى بالعطف والشفقة، على دريفوس، وفي غمرة انصباب العبارات الجارحة على المتهم من قبل ممثل الادعاء العام الفرنسي، اقترب عضو الهيئة السرية اليهودية من هرتزل وهمس في أذنه قائلا: " هل تعلم - يا هرتزل - من يحاكم الآن، و ينتظر أشجع مصير؟ فالتفت هرتزل مندهشا وهو يتمتم: " إنه دريفوس"، ولكن عضو الهيئة السرية هز رأسه متألما ومتحسرا، وقال: "لا، لا، يا هرتزل، ليس دريفوس الذي يجلس في قفص الاتهام.. أنا وأنت وجميع الشعب اليهودي يجلس-الآن- في قفص الاتهام، وتأكد أنه لو أدين دريفوس في هذه القضية، فلن ينجو يهودي على الأرض من العقاب، سيقتضى على دريفوس، وعليك، وعليّ، وعلى جميع الشعب اليهودي." تأثر هرتزل، وشعر بقشعريرة حادة تسري في عروقه، ومزّق الأوراق التي تحوي وقائع الجلسات، وترك الصحيفة، وانعزل عن العالم عاما كاملا، ليخرج بكتابه الجديد " الدولة اليهودية" في عام 1896، والذي يدعو فيه إلى ضرورة تطوير فكرة "استعادة الدولة اليهودية"، وتأسيس كيان سياسي لليهود العالم، دون أن يشير إلى الأرض التي ستقام عليها الدولة اليهودية المقبلة، ولم يقل بجعل فلسطين الهدف الأصلي



لحركته السياسية القومية، فهو يقول في كتابه "الدولة اليهودية": "يكفي أن يُعطونا قطعة من الأرض تتناسب مع حاجات شعبنا، وتكون لنا السيادة عليها، وإننا لا نريد أكثر من ذلك." يقول أيضا: "إن إنشاء الدولة اليهودية هو ضرورة حيوية، ولا بد أن تقوم هذه الدولة.. ولا شك في أننا سنلقى معارضة لإحباط هذه المحاولة، ولكننا إذا اعتصمنا بالصبر والأناة والدأب، فإننا سنصل - حتما - إلى غايتنا.<sup>1</sup>

بخلاف اليهود الغربيين، فقد أثر هذا الكتاب تأثيرا بالغيا في اليهود الشرقيين، حتى أنهم كانوا ينظرون إلى هرتزل على أنه المسيح المنتظر، ويُعد الكتاب بداية الحركة الصهيونية السياسية، وقد أخذ هرتزل بعدها في توحيد كلمة اليهود وجمع التبرعات لتحقيق أهدافه وآرائه التي جاءت بالكتاب، وقد استطاع عقد مؤتمر صهيوني وذلك في بازل بسويسرا عام 1897 ذلك المؤتمر الذي قال عنه هرتزل: "لو أنني أردت أن أخلص أعمال هذا المؤتمر في كلمة - وسأحرص على ألا تنشر هذه الكلمة- فإنها ستكون كما يلي: في بازل كونت أو أسست الدولة اليهودية."

وفي هذا المؤتمر انتخب رئيسا للمؤتمر وللجمعية الصهيونية وتم تصميم العلم، واختيار النشيد الوطني لليهود.

سعى هرتزل إلى أخذ تأييد من إحدى الدول الكبرى لمشروعه حتى يضمن إقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين، وفي سبيل ذلك استطاع هرتزل أن يقابل القيصر الألماني

---

1 - رجا عبد الحميد عرابي: سفر التاريخ اليهودي، المرجع السابق ص ص 519-520

مرتين وعرض عليه القضية اليهودية ووجهة نظره فيها وأظهر له القيصر الألماني التأييد لكنه لم يعطه الوعد الذي كان يريده.

كما استطاع هرتزل أن يقابل السلطان العثماني عبد الحميد الثاني وعرض عليه الأمر إلا أن السلطان العثماني كان يعلم الأهداف الخفية التي وراء هرتزل، فرفض بشدة عرض هرتزل بكل مغرياته.

ثم توجه هرتزل بعد ذلك دون يأس إلى الفاتيكان يريد منها تأييدا لليهود في إقامة وطن قومي لهم في فلسطين، ولكن البابا لم يعطه هذا التأييد، ورفض طلب هرتزل رفضا باتا. وفي نهاية المطاف استطاع هرتزل أن يحصل من الحكومة البريطانية على موافقة رسمية تسمح لليهود باستيطان أوغندا ولكن اليهود رفضوا.

وكان من رأي هرتزل أن يسكن اليهود أوغندا كوطن مؤقت لتفادي الاضطهاد في أوروبا - خاصة في أوروبا الشرقية - حيث كانت اللاسامية على أشدها، ثم بعد ذلك يمكنهم أن يأخذوا فلسطين واستطاع أن يفرض رأيه على اليهود وشكلت لجنة للذهاب إلى هناك لمعاينة الأرض التي ستكون وطنا لليهود.

وفي هذه الأثناء مات هرتزل في عام 1904 في بلدة "أولاخ" في "المجر" .. ولكن بعد أن غير مجرى التاريخ اليهودي الحديث أكثر من أي شخص آخر، وقد كان من أقواله "شعارنا يجب أن يكون فلسطين داود وسليمان". مات هرتزل دون أن يرى ثمرة تعبته، ودون

أن يفرح بالوثيقة التي كان يسعى من أجلها ولكن اليهود كافأوه بأن حققوا وصيته بأن يدفن في فلسطين ودفن فيها رفاته عام 1949.<sup>1</sup>

و السؤال الذي يطرح نفسه بقوة هل كان هرتزل يقصد بناء دولة ثيوقراطية قواعد حكمها حسب التعاليم الدينية، أم دولة علمانية وفقا لقواعد الديمقراطية، أم هما معا؟  
فبالإجابة على هذا السؤال يتبين لنا شكل الدولة الصهيونية الحالية، ومدى موافقتها لمؤسسها الأول هرتزل، أم أن شكلها النهائي يختلف تماما على ما سطره الصهاينة الأوائل؟  
نستشف الإجابة من الباحث أسعد رزوق وهو يحلل شخصية وفكر هرتزل ومحيطه بقوله: "حين نأتي إلى ثيودور هرتزل بالذات يصبح من المتعذر كليا رصد التأثيرات التلمودية، لأن مؤسس الصهيونية السياسية نشأ بعيدا عن البيئة التقليدية اليهودية، وعبثا نبحث في كتابات الرجل ويوميياته عن إشارة صريحة إلى التلمود. فالصهيونية الهرتزلية هي أشبه ما تكون بالدعوة الصادرة عن يهود غربيين في ثقافتهم و تفكيرهم، لكن القاعدة التي تستند إليها الدعوة هي تحليلها للوضع اليهودي باعتبار الأوضاع السائدة لدى يهود أوروبا الشرقية نموذجاً ومثالا لذلك الوضع. ولقد تحلّق حول هرتزل في مطلع عهده الصهيوني، عدد من التلموديين و الحاسيديين، دون أن يبدو منه أي تأثر بأفكارهم. ففي اليوميات (ج 1 ص 347) نجد هرتزل يدون الملاحظة التالية بتاريخ 8 ماي 1869: "...الحاسيدي أهارون ماركوس يكتب إليّ من "بودغورزي" (في بولونيا) رسالة رائعة مرة أخرى، ويعرض فيها

1 - أنظر التفاصيل عند جمال البدي: السيف الأحمر دراسة في الأصولية اليهودية المعاصرة، مرجع سابق، ص 88، وكذا عبد الوهاب

المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، المجلد 6، ص 227-242 ، وكذا الرابط التالي:

[http://fagreltarekh2.blogspot.com/2008/11/blog-post\\_21.html](http://fagreltarekh2.blogspot.com/2008/11/blog-post_21.html)

إمكانية انضمام ثلاثة ملايين من حسيدي "بولونيا" إلى حركتي، سوف أُرْدُ عليه في رسالة جوابية بأن مشاركة الأرثوذكسيين إلى حركتي هي على الرَّحْب والسَّعة، لكننا لن نعمل على إيجاد دولة ثيوقراطية.<sup>1</sup>

ويضيف أسعد رزوق في موضع آخر بقوله: "... هناك إشارة أخرى مصدرها هرتزل بالذات، قبل وفاته بنصف سنة، فقد أفضى إلى أحد معارفه من الكتاب بأنه قرأ في الثانية عشرة من عمره شيئاً عن "المسيا" - الملك الذي ينتظره كثير من اليهود، ويتطلعون لمجيئه على ظهر أتان، مثل أشد الناس فقراً وإملاقاً، وبعد قراءته عن المسيا في كتاب ألماني بفترة وجيزة رأى هرتزل ذلك الحلم الذي ظهر له فيه المسيا - الملك، فوصفه على النحو الآتي: " ظهر لي المسيا الملك على صورة شيخ مسن في عظمته وجلاله، فطوّقي بذراعيه وحملني بعيداً على أجنحة الريح، والتقينا على واحدة من تلك الغيوم القزحية بصورة موسى، كانت ملامحه هي تلك الملامح التي عرفتتها في حدثاتي لدى تمثال ميكال أنجلو، والتفت المسيا إلى موسى مخاطباً إياه بقوله: اذهب وأعلن لليهود بأني سوف آتي عما قريب لاجترح المعجزات العظيمة، وأسدي عظام الأعمال لشعبي وللعالم كله."<sup>2</sup>

رغم هذه الإشارة الصوفية التي تفعل فعلتها في المخيال اليهودي وخاصة الشرقي منه، وبصورة أخص الاتجاه الأرثوذكسي، إذ يرفع هرتزل إلى درجة المشيخ المخلص، إلا أن الدارس لهرتزل يجد أن اهتمامه البارز كان يتركز على أدب الاكتشاف العلمي، إلى جانب إعجابه الشديد بالتكنولوجيا العصرية، فهو يتطلع لأن يكون من الشخصيات البارزة

1 - أسعد رزوق : التلمود و الصهيونية، مرجع سابق، ص 210

2 - المرجع السابق، ص 212

القيادية من أمثال "فرديناند دي لسبس" (Ferdinand de Lesseps) الذي يُعد مثله الأعلى في الحياة<sup>1</sup>، وتنازعه نفسه باقتفاء خطوات هذا المهندس الذي أشرف على شق قناة السويس، ويبدو أن ميوله العلمية طغت في نفسه على كل ما عداها، إذ رأى في التكنولوجيا و العلم وسيلة لحل مشكلات الإنسان، فانعكست هذه الرؤية في كراس الدولة اليهودية إلى درجة بعيدة، كما عبر عنها في روايته الخيالية عن "الأرض القديمة - الأرض الجديدة"<sup>2</sup>.  
وعليه نخلص أن تصور هرتزل لشكل الدولة اليهودية التي يحلم بها، هو شكل غربي بحت، قد يكون للدين فيها دور ما، ولكن ليس دورا قياديا فاعلا. لذا فلتحقيق هذا الهدف فكر هرتزل بنفس الطريقة والتصور الغربي الاستعماري السائد في تلك الفترة.

---

1 - فرديناند دي لسبس الدبلوماسي الفرنسي (19 نوفمبر 1805 - 7 ديسمبر 1894) وصاحب مشروع حفر قناة السويس التي ربطت البحرين المتوسط والأحمر لأول مرة عام 1869. وافتتحت في عهد الخديوي إسماعيل في 16 نوفمبر 1869. ولد فرديناند دي لسبس في ضاحية فرساي القريبة من باريس بفرنسا في 19 نوفمبر عام 1805 لأسرة عريقة ترجع جذورها لعدة قرون مضت. عمل أكثر أفرادها بالدبلوماسية واشتهرت بمواقفها المؤيدة لنابليون. قضى أعوامه الأولى في إيطاليا حيث عمل مع والده ثم التحق بالتعليم في كلية هنري الرابع بباريس. عام 1803 أوفد نابليون مبعوثا شخصيا إلى مصر هو ماتيو ديليسبس والد فرديناند وكان مقربا لشيوخ الأزهر خاصة علماء الديوان الذي كان نابليون قد أسسه في القاهرة، وكان أن التقط في أثناء فترة الفراغ السياسي من 1801 إلى 1805 الطابع الخاص الذي يميز الضابط الألباني محمد علي فاقترب منه قبل أن يقربه إليه ثم يقربه من العلماء ، وما لبث أن تولى محمد علي حكم مصر بإرادة شعبية واستدعى نابليون ماتيو ديليسبس وحل محله فرنسي آخر هو دوروفيتي وأصبح المستشار الفعلي السياسي والعسكري والإداري لمحمد علي. وكان آخر ما طلبه ماتيو ديليسبس من محمد علي قبل رحيله هو الأخذ بيد ابنه الوليد فرديناند. و في سن السابعة والعشرين اختير فرديناند دي لسبس قنصلا مساعدا لفرنسا بالإسكندرية عام 1832. أنظر <http://ar.wikipedia.org/wiki>

2 - أسعد زوق : التلمود و الصهيونية، مرجع سابق، ص 212-113

## مقررات المؤتمر الصهيوني الاول و أهداف الصهيونية:

تطبيقا لمساعي الصهيونية السياسية ، عقد المؤتمر الصهيوني الأول لعموم اليهود في العالم، ومن الاتجاهات كلها، وتم ذلك في مدينة بازل (بال)، السويسرية وامتدت أشغاله ثلاثة أيام من 29 إلى 31 أوت 1897، ولهذا التاريخ دلالاته، التاريخية والدينية ، كما يشير إليه بعض الباحثين، ذلك أن سقوط الهيكل الأول والثاني كان في شهر أوت على أيدي الآشوريين والرومان، كما ترويه روايات التاريخ .

حضر هذا المؤتمر والذي أسميه "مؤتمر ميلاد الصهيونية"، 204 مندوب يهودي 117 منهم مثلوا جمعيات صهيونية مختلفة، وسبعون جاؤوا من روسيا وحدها، كما حضره مندوبون من الأمريكيتين الشمالية والجنوبية، والدول الاسكندنافية وبعض الاقطار العربية، علما أنه كان مقررا عقد المؤتمر في مدينة ميونخ الألمانية، إلا أن الجالية اليهودية هناك عارضت ذلك لأسباب خاصة بها، الأمر الذي استوجب نقله إلى مدينة بازل السويسرية.

وكان المؤتمر من المفكرين والباحثين، ورجال المال والأدباء والسياسيين اليهود من يمثلون يهود العالم دون انتخاب يخوّلهم هذا الحضور، وقد ركز المؤتمر على ثلاثة محاور: استعرض الوضع العام لليهود في العالم، والعلاقة مع القوى الدولية الكبرى -آنذاك-، ومستقبل العمل الصهيوني. (دراسة بأبعاد ثلاثة ماضي -حاضر- مستقبل).

كما سبق انعقاد المؤتمر بيومين اجتماع تمهيدي، نوقشت فيه القرارات التي ستحكم أعمال المؤتمر، كما وضع جدول أعمال يحدد المواضيع التي سيبحثها هذا المؤتمر. وإلى جانب ذلك كونت لجنة خاصة، تولّت مهمة صياغة البرنامج الصهيوني المقبل.

أما وقائع المؤتمر فكانت كالتالي: قام "الدكتور ماركس لبي" بافتتاح أعمال المؤتمر، ثمّ تُلّيت صلاة الجماعة اليهودية "المنيان" المذكورة في التلمود، والتي قام بها الجميع حتى العلمانيين، ثم ألقى بعده ثيودور هرتزل خطاب الافتتاح...

ومّا جاء في افتتاحيته: "أعزائي المندوبين، لقد مُنحتُ الشرفَ بصفتي أحد الدّاعين إلى هذا المؤتمر، لأن أرحب بكم جميعاً. سأقوم بهذا التّرحيب باختصار؛ لأنه إذا أردنا تحقيق الهدف يجب علينا أن نقتصد بلحظات المؤتمر الثّمينة. لدينا الكثير لتحقيقه في ظرف ثلاثة أيام، نريد وضع أساس الصّرح الذي سيسكن فيه الشّعب اليهودي يوماً ما."<sup>1</sup>

بهذه التوجيهات بدأ هرتزل خطابه، مبدياً حرصه على الوقت، حتى لا ينفلت منه فالأعمال أكثر من الأوقات. وقد خرج المؤتمر بعد ثلاثة أيام من الاجتماعات ووفق رؤية هرتزل ببرنامج استراتيجي واضح المعالم والخطى يعتمد المحاور الثلاثة الآتية:

أولاً: تبنّي فكرة الاستعمار اليهودي، الواسع والمنظّم، لعموم أرض فلسطين من خلال الهجرة.

ثانياً: تشكيل منظمة دائمة تعمل على توحيد جميع جهود اليهود، ووفق رؤية الحركة الصّهيونية، وتنمية الحسّ والوعي القومي اليهودي، وتعزيزهما. وهذا ما تحقّق فيما بعد فتكونت "المنظمة الصهيونية العالمية".

ثالثاً: السّعي للحصول على حقّ قانوني دولي يُعترف فيه "شرعياً" (الشرعية الدولية) بحق استعمار اليهودي لفلسطين.<sup>2</sup>

1 - جمال البديري: السيف الأحمر دراسة في الأصولية اليهودية المعاصرة، مرجع سابق، ص 97-98

2 - المرجع السابق

وهكذا كُتِلَ مؤتمر بال بالنجاح بعد أن تمكن من جمع التناقضات والطموحات ووجهات النظر المتباينة بين مُفكرَي اليهود، وأصبحت الحركة الصهيونية هي الإطار العام لهذه التيارات والاتجاهات اليهودية جميعها، وبذلك أيضا، استطاعت الحركة الصهيونية ان تفرض وجهة نظرها (السياسية والعلمية) تمثيلاً مع عصر القوميات في أوروبا، وكان هذا من أهم أسباب نجاحها واتساعها بين صفوف اليهود من غير الصهاينة آنذاك، وتقبلها لدى الساسة الأوروبيين، مُثَلَّةً لعموم اليهود.

انتهى المؤتمر بانتخاب هرتسل رئيساً للمنظمة الصهيونية ، وأهم ما خرج به المؤتمر ما عرف ببرنامج الحركة الصهيونية العالمية ( برنامج بازل ) ومن أهم بنوده: أن الحركة الصهيونية تسعى لإقامة وطن لليهود في فلسطين معترف به وفقاً للقانون العام ولتحقيق هذا الهدف يتخذ المؤتمر الوسائل التالية :

أولاً : تعزيز الاستيطان في فلسطين باليهود المزارعين والحرفيين والمهنيين بناء على قواعد صالحة .

ثانياً: تنظيم اليهود كافة، وتوحيدهم بإنشاء المؤسسات المحلية والعامّة الملائمة وفقاً للقوانين السارية في كل بلد.

ثالثاً: تقوية الشعور اليهودي القومي والضمير القومي .

رابعاً: اتخاذ الخطوات التحضيرية للحصول على موافقة الحكومات التي يجب الحصول عليها لتحقيق هدف الصهيونية.



وقد كتب هرتزل في يومياته عقب انتهاء المؤتمر: " لو طلب مني تلخيص مؤتمر بازل في كلمة لكانت هي: في بازل أسست الدولة اليهودية، ولو قلت ذلك بصوت عال لضحك الجميع مني ... " <sup>1</sup>.

وقد قام الباحث جمال البدر بتقييم لفاعلية المحاور الثلاثة المذكورة آنفا فتوصّل إلى الآتي:

أ/ منذ انتهاء أعمال المؤتمر في 31 أوت 1897، وحتى قيام الحرب العالمية الأولى لعام 1914، نجحت الحركة الصهيونية من خلال "المنظمة الصهيونية العالمية" بتهجير أكثر من ستين ألف (60000) يهودي، أقاموا في أكثر من خمسين (50) مستعمرة في فلسطين تنفيذاً لما جاء في البند الأول: تَبَيَّنَ فكرة الاستعمار اليهودي، الواسع والمنظّم، لعموم أرض فلسطين من خلال الهجرة.

ب/ وبشأن البند الثاني المتمثل في "تنظيم اليهود كافة، وتوحيدهم بإنشاء المؤسسات المحلية والعامّة الملائمة وفقاً للقوانين السارية في كل بلد"، فإنّ إيجاد المنظمة الصهيونية العالمية، ثمّ الدور الذي قامت به على المستوى السياسي، جعلها بمثابة حكومة فعلية قبل قيام الدولة اليهودية في فلسطين بخمسين عاماً. وعلى الرّغم من وجود خلافات في الرّأي في داخل صفوف الحركة الصهيونية، فقد كانت هناك قيادة تُوجه الحركة نحو تحقيق الغايات.

وأما بشأن ما جاء في البند الثالث و المتمثل في "السّعي للحصول على حقّ قانوني دولي يُعترف فيه "شرعياً" (الشرعية الدولية) بحق استعمار اليهودي لفلسطين"، فقد بذلت

---

1 - أنيس صايغ ، يوميات هر تزل ، ترجمة هدا شعبان صايغ ، بيروت ، منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ، 1968 ، ص 89

المنظمة الصهيونية، وخصوصاً، ثيودور هرتزل، جهوداً غير اعتيادية في هذا الاتجاه، سواءً مع الدولة العثمانية أو مع حكومات كل من ألمانيا، إيطاليا، الفاتيكان، رومانيا، النمسا... وغيرها، ولكنَّ لم تتويج هذه الجهود ولا غيرها بأي نتيجة إلا بعد وفاة هرتزل، وسعى "حاييم وايزمن" خليفة هرتزل، في إنجاح استصدار وعد بلفور عام 1917، لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين يضمنه القانون العام.

وطوال عهد هرتزل، كان عنصر الموازنة بين الواقع والتطورات هو الأساس الذي اعتمده ضمن الأولويات السياسية، كالاتي:

1- كَسَّب دمج الجماعات اليهودية في الحركة الصهيونية دون التّدخل في خصوصيّاتها.

2- كَسَّب الرّأي العام الأوروبي لصالح مطالب الحركة الصهيونية.

وهكذا نجح هرتزل في قيادة الحركة الصهيونية، حتى تاريخ وفاته 1904.<sup>1</sup>

---

1 - جمال البدرى: السيف الأحمر دراسة في الأصولية اليهودية المعاصرة، مرجع سابق، ص 100-101

## أهداف الحركة الصهيونية

لم تحقق الصهيونية أهدافها من فراغ ، بل لقد حشدت وسخرت لذلك كل طاقاتها وكوادرها وشبابها وأموالها ومفكريها وعلاقاتها ، إلى ساحة التخطيط و العمل ، واستطاعت بالجدية والصرامة ، والتخطيط المحكم ، وإخلاص وإقناع العاملين بما ينفذون من مخططات النجاح والتمكين ، فقد حققت أهدافها المنشودة والمرسومة بدقة ، وتتلخص أهداف الحركة الصهيونية في النقاط التالية:

1- تنشيط الدعوة للصهيونية في حواضر العالم المتمدنة، وخاصة بين رجال الحكم والسياسة في الدول التي بيدها مقاليد حكم أغلبية الشعوب . واتخذوا لذلك وسائل إما عن طريق الإقناع والإغراء، بنفوذ أو مال، أو بأساليب مؤثرة على الشخصيات العالمية والمهمة في الدول الرائدة أو عن طريق ممارسة الضغط القهري لتنفيذ المخططات الصهيونية ، كمحاولة " هرتزل " مع السلطان عبد الحميد الثاني، ولا يقف نشاط الصهيونية عن ذلك بل يمتد لسلب خيرات الدول والشعوب.

2- غرس وتنمية الفكرة الصهيونية في أعماق اليهود حيثما كانوا و حملهم على اعتناقها وتحقيقها، ففضيتهم مبنية على كسب ودّ الفرد اليهودي وإقناعه بالعمل لأجل الصهيونية، وهذا يؤكد استمرار عملهم إلى الآن، في جمع التبرعات لدعم الدولة الصهيونية، تلك الحملات التي كان لها أثران مهمان في دعم الصهيونية وهما: الأثر المادي والأثر المعنوي.

3- إغراء الدول العظمى التي بيدها الحل والعقد بربط مصالحها بمصالح اليهود في إقامة دولتهم في فلسطين والتحدث مع كل دولة بما يتماشى مع هواها وأهدافها القريبة والبعيدة، ولأجل تحقيق هذه الأغراض قاموا بالسيطرة على الأفراد الحاكمة، بالإضافة إلى الحكومات المسيطرة، مع توطين العلاقات بالدول ذات الحلّ والربط للوصول إلى الأهداف المنشودة، كبريطانيا ووعدها " بلفور " المشهور وأمريكا والامتداد الجغرافي والتوسع فيه...

4- طمأنينة العالم المسيحي على الأماكن المقدمة في فلسطين طالما أنها بعيدة عن سيطرة العرب، وتحت تصرف اليهود الذين سيؤمّنون حماية واسعة وصادقة، وذلك بتشويه صورة تلك الأماكن تحت حكم المسلمين وجعلهم من المنتهكين لحرمتها، وما أشبه اليوم بالبارحة، صليبيو الأمس يهود اليوم، فالهدف واحد.

5- هو إقامة دولة إسرائيل في فلسطين وتقوية هذه الدولة حتى يتمكن لها التوسع في المستقبل لتصبح دولة إسرائيل الكبرى.

وقد استطاع اليهود أن يقيموا دولة إسرائيل، واليوم يزيدون من قوتها للانطلاق في التوسع وتحقيق أهدافهم في السيطرة على الشعوب، ويرجع نجاح مخططاتهم لسببين:-  
الأول: عدم وضع الأهداف للتنفيذ إلا بعد خطة مدروسة على أسس موضوعية ووضع البدائل لها.

الثاني: عدم وجود القوى المواجهة التي تتصدى لتلك المخططات لدحضها وفق خطط متناسقة

6- إيجاد وطن قومي لليهود واعتبارهم شعبا واحدا تتوفر فيه المقومات الأساسية للقومية، والمتمثلة في: اللغة والتاريخ، وسيادة قومية على إقليم معيّن (لغة وتاريخ وأرض)

7- إنشاء دولة يهودية في فلسطين لا في غيرها، مهمتها حلّ المشكلة اليهودية، أي حل مشكلة شعب بلا أرض، وكذا تأمين سلامة اليهود المنتشرين في جميع أنحاء العالم.

8- العمل على الاستيلاء على الأراضي التي ستقام عليها الدولة اليهودية، ولو بالقوة لاستيطان اليهود عليها، كأرض بلا شعب، والتي يجب أن تكون فلسطين.

9- توطين اليهود بمختلف أصنافهم ووظائفهم: مزارعين وصناعيين وفنيين، لتملك الأراضي الزراعية، لنشر الزراعة اليهودية، والاستيلاء على فلسطين بكل الطرق الممكنة والمتاحة المشروعة أو غير المشروعة.

10- تنظيم جميع اليهود في العالم ، وربطهم برباط قوي، عن طريق تقوية الروح القومية والشعور القومي بينهم، وتذكية شعور الحنين العودة لصهيون أرض لقاء الرب بشعبه.

11- العمل على توطيد دعائم الدولة الإسرائيلية في فلسطين كمنطلق لتحقيق الحلم الأكبر وهو السيطرة على العالم.

12- جمع الهبات والتبرعات خاصة من أثرياء اليهود، وإنشاء "الصندوق القومي اليهودي" (الكارن كايميت)<sup>1</sup>.

---

1 - انظر التفاصيل عند محمد علي باخرية: الصهيونية باجاز - أصل نشأة المخططات الصهيونية العالمية ذات النزعة العنصرية- ، مرجع سابق، ص 38-50، وكذا رجا عبد الحميد عرابي: سفر التاريخ اليهودي، المرجع السابق ص 520-521، وكذا أسعد السحمراني : من اليهودية إلى الصهيونية، الفكر الديني اليهودي في خدمة المشروع السياسي الصهيوني، مرجع سابق، ص 189 وما بعدها.

## المطلب الثاني: الهيئات التي تولت تنفيذ المخطط الصهيوني

نتطرق في هذا المطلب للحديث عن عن الهيئات والمنظمات التي تولت تنفيذ المخطط الصهيوني وهي كثيرة ، وما دمنا في هذه الدراسة نبحث في الأصول، فسنبكتفي بذكر منظمين ثنتين فقط ، لما كان لهما من السبق في صياغة الأفكار والمشاريع التنفيذية للمخططات الصهيونية لتحقيق أهدافها. وهما بمثابة الأم الولادة لكثير من الهيئات والمنظمات التي فُتح أمامها الباب لأن تنهج نهجها أو تفتح طريقا لنهج آخر، ولكنها تبقى نتاج فرع عن أصل، وهتان المنظمتان هما: المنظمة الصهيونية العلمية والوكالة اليهودية.

## المنظمة الصهيونية العالمية: ( Organisation sioniste internationale )

بدأي ذي بدء أحيط بعناية القارئ الكريم أنني أخذت هذه المادة من داخل الفكر الصهيوني، الذي أَرَّخَ لمؤسساته، ونشر تاريخه عبر الأنترنت، ليفرض العدو مصطلحاته وتاريخه على القارئ والباحث عبر شبكة الأنترنت، ومن جهة أخرى ليضمن انتشار فكره وروايته للأحداث على أوسع نطاق، لذا سيجد القارئ أنني استبدلت كلمة إسرائيل الواردة في النص الأصلي "فلسطين"، لأنهم لا يعترفون بهذه التسمية من جهة، ومن جهة أخرى لإيهام أي قارئ أن "فلسطين" هي في الحقيقة "إسرائيل" وليس العكس، وهذا لتحطيم جدار النفرة في النفوس، وجنوحها لقبول الأمر بداية بالمصطلح ونهاية بالاحتلال.

جاء في المعجم السياسي التابع للكنيست الإسرائيلي، والمنشور على شبكة الأنترنت<sup>1</sup>، أن المنظمة الصهيونية العالمية: هي منظمة يهودية صهيونية أقيمت بمبادرة من "بنيامين زئيف هرتزل" في المؤتمر الصهيوني الأول، الذي انعقد في بازل عام 1897 بصفته "برلمانا" عاما لليهود-هذا حسب النظرة والرواية الصهيونية-. انعقد المؤتمر من أجل بحث سبل تحقيق أهداف الصهيونية، كما هو منصوص عليها في خطة بازل: "إقامة وطن للشعب اليهودي في أرض إسرائيل(فلسطين)، حسب الشريعة الدولية"على زعمهم. وعليه، اتخذ المؤتمر اجراءات لإنجاز هذه الخطة:

-توطين اليهود الفلاحين، وأصحاب المهن وأرباب الصناعة في أرض اسرائيل.

1- ينصح بعدم الدخول إلى هذه المواقع لاستيقاء المعلومات منها إلا للباحث المتخصص الذي لا ينطلي عليه تزييف الحقائق ولا التاريخ. للمتخصص انظر "المعجم السياسي" الكنيست الإسرائيلي على الرابط التالي: <http://www.knesset.gov.il/lexicon/arb/wzo.htm>

-تنظيم وتوحيد الشعب اليهودي بأسره عن جراء المؤسسات الملائمة، والمحلية والعامّة بموجب القوانين الخاصة بكل بلاد وبلاد.

- تقوية العواطف اليهودية القومية والاعتراف القومي اليهودي.

- إجراء النشاطات التمهيديّة بهدف الحصول على موافقة الحكومات التي بوسعها المساعدة على تحقيق هدف الصهيونية.

إضافة إلى ذلك، تحدّد في خطّة "بازل" أيضا: أن الحركة الصهيونية ستمارس نشاطاتها من خلال المؤتمر الذي سينعقد مرة كل سنة، إلا أنه من عام 1901 صار المؤتمر ينعقد مرة كل سنتين. علما أنه عند إقامة "المنظمة الصهيونية" انخرطت فيها حوالي 260 جمعية من جمعيّات "خوففي تصيون" (محيي صهيون) من روسيا ومن شرق أوروبا.

### وظيفة المؤتمر الصهيوني

كانت وظيفة المؤتمر الصهيوني تدور حول الآتي<sup>1</sup>:

-اتخاذ القرار الحاسم حول القضايا السياسية المتعلقة بالنشاطات السياسية والعملية للمنظمة الصهيونية العالمية.

- المصادقة على الميزانية، وانتخاب رئيسها ومؤسساتها ومنها:

اللجنة التنفيذية الصهيونية: والتي ضمن صلاحياتها صلاحية الاهتمام بكل ما يتعلق بالمنظمة الصهيونية ومؤسساتها.

---

1 - لمزيد من التفصيل في الهيكل التنظيمي للمنظمة الصهيونية العالمية العودة إلى عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية و

الصهيونية، مرجع سابق، المجلد 6، ص 330



اللجنة التنفيذية المصغرة: وهي الإدارة الصهيونية، التي تتولى مهام تطبيق قرارات المؤتمر.

اللجنة التنفيذية: وهي المسؤولة أيضاً عن النشاطات الجارية للمنظمة الصهيونية. وقد تحدد عدد النواب الذين أرسلتهم الطوائف اليهودية الى المؤتمر بصورة تناسب مع الأعضاء الدافعين "شيقل" سنويا في هذه الطوائف.

وفي بداية طريقها عملت "المنظمة الصهيونية" على توطيد الاستيطان في أرض إسرائيل (فلسطين)، حيث أقامت هيئات بهدف مساعدتها على نيل أهدافها. على سبيل المثال، تم تأسيس "بنك كنز الاستيطان اليهودي" عام 1899، بهدف تمويل فكرة "هرتزل" المتمثلة في شراء امتياز، لتوطين اليهود في أرض اسرائيل (فلسطين) من أيدي المملكة العثمانية، أو "الملاك". ولم يُسميهم التقرير بالفلسطينيين!

وفي عام 1902 أقيم "بنك أنجلو فلسطين"، كشركة فرعية لبنك "كنز الاستيطان اليهودي"، والذي كان بنكا تجاريا ومؤسسة استثمارات في أرض اسرائيل (فلسطين). ونلفت انتباه القارئ لاستعمال لفظ "الكنز"، وكأنه يريد أن يقول: "لاسترجاع كنز الأرض لابد من دفع كنز المال"، وهذا لحث اليهود على الانفاق والتطوع، علما أن الكيان الصهيوني ومؤسساته قامت على العمل الخيري التطوعي<sup>1</sup>.

1 - مع حالة الحرب التي يعيشها الكيان الصهيوني، إلا أن عدد المنظمات التطوعية فيه لا يقل عن 40 ألف منظمة. وهو رقم كبيراً جداً مقارنة بعدد اليهود، خمسة ملايين نسمة. ويسهم هذا القطاع بما نسبته 13.3 % من الناتج المحلي الإجمالي للكيان الإسرائيلي، ويوفر أكثر من 235 ألف وظيفة بما يعادل 10 %، من إجمالي العاملين هناك، كما يشارك قرابة 45 % من الإسرائيليين في أعمال تطوعية. تتنوع مصادر دعم القطاع التطوعي ما بين دعم حكومي يمثل 50 %، وعوائد تجارية تمثل قرابة الـ 35 %، حيث تمتلك كثير منها أزرعاً تجارية، بينما تمثل التبرعات القادمة من الأفراد والشركات قرابة الـ 13 %، وتعد هذه النسبة الثانية عالمياً بعد أمريكا. وتعمل المنظمات

علما أنه بهدف شراء الأراضي في أرض فلسطين وإعدادها للاستيطان تأسس "الصندوق القومي الاسرائيلي" عام 1901. وتأسست شركة "هخشرت هيشوف" عام 1909، ووظيفتها الرئيسية شراء الأراضي كذلك من أجل الصندوق القومي الاسرائيلي. في وفي "يافا" أقيم مكتب "الأرض اسرائيلي" التابع للمنظمة الصهيونية عام 1907، وترأسه "أرتور روبين"، وكانت وظيفته تمثيل المنظمة الصهيونية في أرض إسرائيل (فلسطين)، والمساعدة في تنظيم خطة الاستيطان وتحقيقها على أرض الواقع. وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية غيرت اللجنة النيابية من المكتب في أرض اسرائيل (فلسطين)، حيث تحول إلى الإدارة الصهيونية في عام 1921. وبالإضافة، تأسس الصندوق التأسيسي عام 1920، بهدف تجنيد الأموال المطلوبة لنجاز المشاريع الاستيطانية وإجراء نشاطات الرفاه الاجتماعي، والصحة والتعليم.

وأدار "هرتزل" جلسات المؤتمر الصهيوني الأول، وكذلك أنتخب رئيساً للمنظمة الصهيونية، حيث شغل مهام هذا المنصب حتى وفاته، عام 1904. فقد اعتبر "ضائقة الشعب اليهودي" مشكلة سياسية عالمية، يجب التعامل معها على الصعيد الدولي، وعمل على إنجاز الهدفين الرئيسيين:

---

اليهودية خارج الكيان دوراً محورياً في عمليات الدعم والمؤازرة. ففي بريطانيا وحدها ما لا يقل عن 2300 منظمة تطوعية جمعت في عام 2007 ما لا يقل عن 1400 مليون دولار، وفي أمريكا أعداد كبيرة من المنظمات التطوعية وغير الربحية والصناديق المالية التي يصب ريعها على مشاريع يهودية داخل الكيان الإسرائيلي وخارجه. وإجمالاً فقد بلغت ميزانية المشروعات التي تدخل في هذا الإطار 11 مليار دولار في السنة الواحدة، أنظر التفاصيل في مقال ابراهيم بن سليمان الحيدري: العمل التطوعي في إسرائيل، مجلة "الاقتصادية" 2010/12/19: [http://www.aleqt.com/2010/12/19/article\\_480361.html](http://www.aleqt.com/2010/12/19/article_480361.html) :النسخة الإلكترونية على الرابط التالي:

الأول - إقامة وطن للشعب اليهودي في أرض إسرائيل (فلسطين) بموافقة من الدول الكبرى، عن جراء "شارتير" (وثيقة حقوق سياسية يتم الحصول عليها بالمفاوضات الدبلوماسية) كما تقرر في خطة بازل.

والآخر - تقوية وتطوير المنظمة الصهيونية، من أجل أن تتحول الى هيئة ذات أهمية في المفاوضات السياسية، إذ في يوم من الأيام سيكون بمقدورها تولي قيادة المشروع الاستيطاني.

هذا، ومارست "المنظمة الصهيونية العالمية" نشاطاتها بصورة دبلوماسية، وخاصة في المملكة العثمانية وفي ألمانيا، ولكن لم تؤد الجهود السياسية المباشرة التي بذلها هرتزل الى النتائج المنشودة.

وفي عام 1900 دعا هرتزل الى عقد "المؤتمر الصهيوني الرابع" في "لندن"، حيث حاول جذب عطف السياسيين والرأي العام في بريطانيا الى جانب الصهيونية. فقد أجرى مراسلات مع الحكومة البريطانية من أجل نيل الامتياز لتوطين اليهود في كل من: قبرص، وشبه جزيرة سيناء، والمنطقة المجاورة لوادي "العريش"، ولكن جهوده في إقناعها في توطين اليهود في هذه المناطق باءت بالفشل هي كذلك. واستمر هرتزل في إجراء المفاوضات مع الحكومة البريطانية حول إمكانية توطين اليهود في "أوغاندا"، بما أنه اعتقد أن "أوغاندا" قد تشكل ملجأً سياسياً لليهود الناجين من أوروبا الشرقية، علمًا بأن خطة "أوغاندا" قد أثارت انتقادات حادة في المؤتمر الصهيوني السادس، الذي انعقد في بازل عام 1903.

وتسببت وفاة هرتزل، بعد سنة، في صدمة عميقة في صفوف الحركة السياسية وأدت إلى تغيير خطواتها على الصعيد السياسي. واصل "دافيد وولفسون" الذي تعين رئيساً للمنظمة الصهيونية في المفاوضات مع الأتراك. وفي الحين نفسه استمرت النشاطات العملية

في أرض إسرائيل. وقام (الحالوتسيم)<sup>1</sup> الأشخاص الذين قدموا إلى إسرائيل (فلسطين) في موجة الهجرة الثانية بترسيخ المشروع الاستيطاني في أرض إسرائيل. وفي سنوات الحرب العالمية الثانية أظهرت "تركيا" العداوة للمشروع الصهيوني في أرض إسرائيل، فقد تدخل السفير الأمريكي في "استانبول"، وكذا سلك السفارة الألمانية هناك، أنقذوا السكان اليهود من تهديد الهلاك. وفي نهاية المطاف نجح حاييم فايتسمان (وايزمان)، الذي مكث في بريطانيا في فترة الحرب العالمية الثانية، في إقناع الحكومة البريطانية أن دعم الفكرة الصهيونية بخصوص توطين أرض إسرائيل (فلسطين) سيخدم المصالح البريطانية. وفي 2 تشرين الثاني/نوفمبر 1917 صدر وعد "بلفور"، بموجبه: "حكومة جلالة تنظر بعين الرضا والتأييد الى اقامة وطن قومي للشعب اليهودي في أرض إسرائيل (فلسطين)، وستبذل قصارى جهدها لتحقيق هذا الهدف".

وفي عام 1920 صادق مجلس الحلف للدول الحلفاء (المنظمة التي سبقت عصبة الأمم) على الانتداب البريطاني على أرض إسرائيل، على أساس وعد بلفور، وقرر أنه من أجل تحقيق التعهدات الواردة في وعد بلفور بشأن الوطن القومي اليهودي في أرض

---

1- الحالوتسيم: كلمة عبرية تعني رواد أو طلائع، وقد أطلق هذا الاسم على تيار الهجرة الثانية بين 1904-1914م. وكان كثير من هؤلاء المهاجرين أعضاء في جمعيات ثورية روسية وترجع أصول هذا التيار إلى أحداث 1905 في روسيا والاضطرابات ضد اليهود، ويفترض في الحالوتس أن يكون مضحياً بذاته، وعلى استعداد لحياة النسك من أجل الجماعة. وأن يكون مهتماً بالعمل الزراعي وبإحياء اللغة والثقافة العبريتين. وقد رفض الحالوتسيم فكرة الشتات وآمنوا بفكرة عودة يهود العالم إلى فلسطين، وقد أوجزوا أهدافهم في ثلاث نقاط: "أرض عبرية وعمل عبري ولغة عبرية". وبرزت في تلك الفترة الدعوة إلى احتلال الأرض وممارسة العمل العبري، وساهم الحالوتسيم في فكرة الحراسة الذاتية للمستعمرات الصهيونية في فلسطين، وهذا سبب ارتباط الريادة بالكيبوتسات الزراعية. ويعتبر "أهارون غوردون" الأب الروحي المؤسس للحالوتسيم الذي استمد دعوته من التوراه وهي تنص على تقديس العمل كجزء من الدين.

اسرائيل (فلسطين)، سيتم إقامة "وكالة يهودية"، تتولى إسداء المشورة إلى حكومة palestine في المواضيع الاقتصادية والاجتماعية وفي المواضيع الأخرى. وعندما أقيمت "الإدارة الصهيونية العالمية" عام 1920، مارست نشاطاتها بمثابة "الوكالة اليهودية" المفوضة الصلاحية. وضمت عددا من الدوائر حسب مجالات عملها: دائرة الشؤون السياسية، دائرة الهجرة والشغل، دائرة الاستيطان (وفيها قسم التجارة والصناعة) ودائرة التعليم والصحة، إذ مارست نشاطاتها كذلك عن طريق المؤسسات المالية الخاصة بالمنظمة الصهيونية العالمية.

## الوكالة اليهودية: ( Agence Juif )

عرّفت "موسوعة السياسة" للباحث الكيالي عبد الوهاب ومن معه من الباحثين الوكالة اليهودية بقولهم: "هي مؤسسة صهيونية أسست عام 1920 بالاتفاق مع الحكومة البريطانية بموجب المادة الرابعة من صك الانتداب البريطاني على فلسطين لتكون المساعد التنفيذي للمنظمة الصهيونية العالمية. وقد اقتصت الوكالة بالنشاط الاستيطاني في فلسطين، بينما ركزت المنظمة الصهيونية جهودها على تعبئة الأقليات اليهودية في العالم وتسخيرهم في خدمة المشروع الصهيوني واغتصاب فلسطين وطردها أهلها العرب.

قامت الوكالة بنشاطات كبيرة في ميادين كثيرة منها هجرة الشباب، والاستيطان الزراعي، واستيعاب المهاجرين، وتعليم الأطفال وتدريبهم، وتعليم اللغة العبرية، وتوفير الوحدات السكنية للمهاجرين، وتأسيس المستوطنات (490 مستوطنة).<sup>1</sup>

وقد حاولت القيادة الصهيونية اجتذاب اليهود الذين لا يعتقدون العقيدة الصهيونية، عن طريق توسيع الوكالة اليهودية لتشمل الصهاينة وغير الصهاينة، فالمهم عندها تحقيق النتائج بسرعة وبأي ثمن، ففي عام 1929، نجح وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية آنذاك، في إقناع أعضاء المؤتمر الصهيوني السادس عشر بضرورة توسيع الوكالة اليهودية، بحيث يتشكل مجلسها من عدد من أعضاء المنظمة وعدد مماثل من غير أعضائها، وكان الغرض من ذلك استمالة أثرياء اليهود التوطينيين لتمويل المشروع الصهيوني دون إلزامهم بالانخراط في صفوف المنظمة، والإيجاء في الوقت نفسه بأن الوكالة تمثل جميع اليهود في العالم ولا تقتصر على

1 - الكيالي عبد الوهاب، وآخرون: موسوعة السياسة، مرجع سابق، ج7، ص313

أعضاء المنظمة. وكان من شأن هذه الخطوة أن تعطي دفعة قوية للحركة الصهيونية وتدعم الموقف التفاوضي للمنظمة الصهيونية مع الحكومة البريطانية التي كان يقلقها تصاعد الأصوات الراضية للصهيونية في أوساط يهود بريطانيا.<sup>1</sup>

وفعلاً نجحت الخطة، ففي عام 1947، تحول جميع أعضاء الوكالة إلى صهاينة قلباً وقالباً، وتوحدت الجهود والطاقت في تكتل كبير، فأصبحت الوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية العالمية شيئاً واحداً من جديد في كيان عملاق، كلٌّ له خصوصيته ومجال عمله، ولكن يصبّ في إطار موحد. فكانت الوكالة في فلسطين بمثابة حكومة داخل حكومة، لأن نشاطها شمل جميع مرافق الحياة، فكان لها إدارتها القويّة والفعّالة، ومدارسها النشطة الجادة، ومحاكمها العادلة، ومجالسها وجيشها المسلح، كان الجميع على أهبة الاستعداد، فبمجرد إعلان الدولة الصهيونية كان كل شيء جاهزاً، فأصبح المجلس التنفيذي للوكالة مجلس الوزراء، وجهازها الإداري أصبح جهاز الحكومة. وحتى رئيسها بن غوريون أصبح رئيساً للوزراء، وصار "موشي شاريت" المسؤول عن القسم السياسي والخارجي فيها وزيراً للخارجية.<sup>2</sup>

وبعد أربع سنوات من إعلان دولة إسرائيل صدر "قانون الحالة"، -سنفصل فيه لاحقاً- والذي حدد العلاقة بين الدولة الصهيونية والوكالة اليهودية حتى لا يكون هناك تداخل في الصلاحيات وتبدد الجهود. فقصر نشاط الوكالة على الاستيطان واستيعاب

1 - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية و الصهيونية، مرجع سابق، المجلد 6، ص 324

2 - المرجع السابق، المجلد 6، ص 333

المهاجرين، وتجميع اليهود، مع توفير الحماية والرعاية، وكذا الإشراف على تنسيق نشاطات الهيئات والمؤسسات اليهودية غير الإسرائيلية التي تعمل في إسرائيل. ونجمل نتاج ما حقته الوكالة اليهودية خلال عقدين فقط من إعلان الدولة الصهيونية وانطلاقتها لتحقيق حلم العيش في صهيون في الآتي<sup>1</sup>:

فعلى مستوى الهجرة، بلغ مجموع ما جلبته الوكالة من مهاجرين يهود إلى فلسطين، حوالي مليون وثلاثمائة الف مهاجر.

و على مستوى الإنفاق المالي والاقتصادي فالوكالة أنشأت أكبر مصرف مالي في إسرائيل (فلسطين) وهو "بنك ليثومي الإسرائيلي".

كما تشرف على تسعة وخمسين (59) شركة ومشروعاً اقتصادياً، من بينها شركة تصدير المنتجات الزراعية وشركة المعارض والأسواق الرسمية وشركة طيران "ال عال". (عليا بالعبرية الصعود)، وقد بلغ ما انفقته الوكالة داخل إسرائيل في الفترة ما بين 1967 و 1972 مليار ونصف المليار دولار.

أما على المستوى تنشيط الحياة السياسية والاجتماعية، فإن جزء كبير من ميزانية الوكالة يذهب للأحزاب الإسرائيلية مباشرة، خاصة الموالية للصهيونية، كاليمين الصهيوني واليسار العمالي، كما تغدق المساعدات بشكل غير مباشر على هؤلاء وهؤلاء وغيرهما من المنظمات الصهيونية. أما المنظمات و الأحزاب المعارضة لها أو غير الصهيونية كـماتزين، وافنيري، والفهود السود... وغيرهم فلا تحصل على شيء من هذه المساعدات.

<sup>1</sup> - لمزيد من التفصيل أنظر المرجع السابق، المجلد 6، ص 337



علما أن هذه المساعدات تزيد من أعباء ميزانية الدولة الصهيونية القائمة أساسا على المساعدات الخارجية ليهود الخارج، ومناصرو الامبريالية العالمية، وخاصة من يهود الولايات المتحدة، الذين تُخصِّم تبرعاتهم من ضرائبهم بشكل استثنائي واضح الأهداف والأبعاد. في عام 1971 أُعيد تنظيم علاقة الوكالة اليهودية بالمنظمة الصهيونية، بحيث أُعتمد نظام الفصل الشكلي مع هيئات حاكمة مستقلة، وذلك لأسباب قانونية وشكلية قصد التمويه والتحايل، خاصة بالنسبة لجمع التبرعات في الولايات المتحدة، حيث وُحِّدَت الوكالة جهودها مع "النداء الاسرائيلي الموحد".<sup>1</sup>

الدارس لأرشيف الوثائق الرسمية الإسرائيلية المتاحة، يجدها في توثيقها لتاريخها وتاريخ مؤسساتها، لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا وذكرتها، حفاظا على الذاكرة الجماعية اليهودية من جهة، ولإبراز قدرات اليهود الإدارية والتنظيمية، وأنهم أهلٌ لتكوين دولة وقيادة أمة. و قد عرِّفت وأرَّحت واحدة من هذه المؤسسات الصهيونية الرسمية و هو الكنيست الإسرائيلي(البرلمان)، عَبرَ موقعه على الانترنت، في المعجم السياسي التابع له تعريف وتاريخ للوكالة اليهودية جاء فيه:

في عام 1929 تأسست "الوكالة اليهودية" لأرض إسرائيل(فلسطين) كهيئة منفصلة، بهدف أداء مهام وظيفة "المنظمة الصهيونية العالمية" تجاه كل من: الحكومة البريطانية، والهيئة الإدارية في البلاد، وعصبة الأمم.

---

1 - الكيالي عبد الوهاب، وآخرون: موسوعة السياسة، مرجع سابق، ج7، ص 313- 314

وفي المؤتمر التأسيسي الذي جرى في "زوريخ" عام 1929، كان نصف عدد النواب هم مندوبو "المنظمة الصهيونية العالمية" ونصفهم الآخر، مندوبو "المنظمات غير الصهيونية". وأنتخب "حاييم فايتسمان" (حاييم وايزمان)، رئيس "المنظمة الصهيونية"، كرئيس "الوكالة اليهودية" أيضا، علما بأنه على مرّ الزمن شهدت نسبة مشاركة الهيئات غير الصهيونية في الوكالة اليهودية انخفاضاً ملحوظاً.

وفي عام 1942 تم تحديد هدف "المنظمة الصهيونية" بصورة رسمية: الرغبة في إنشاء "جمهورية يهودية". في خطة "بليتيمور"<sup>1</sup> جاء أن "تكون أرض إسرائيل (فلسطين) بمثابة جمهورية يهودية، يتم دمجها ضمن تركيبة العالم الديمقراطي الجديد". كانت هذه المرة الأولى التي قدمت الحركة الصهيونية بصورة رسمية بطلب باقامة دولة يهودية في أرض إسرائيل (فلسطين)، ولكن لم يتم ذكر كلمة "دولة" بصورة واضحة، حتى وأنه اتفق معظم الصهاينة أن الغاية هي إقامة دولة ذات سيادة مستقلة. ومنذ ذلك الحين أصبح الطلب بالدولة هو الهدف المعلن عنه للحركة الصهيونية.

وعلاوة على ذلك وفي سبيل تحقيق هذا الهدف، أقرّ المؤتمر في قراراته: المطالبة بفتح أبواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية على مصراعيها، وأن تُحوّل الوكالة اليهودية بسلطة الإشراف على الهجرة إلى فلسطين، وأن تُمنح كلّ السلطات الضرورية لتطوير الأراضي،

---

1- برنامج بليتيمور: Programme de Biltmore: خطة عمل صهيونية أقرها مؤتمر صهيوني أمريكي انعقد في فندق بليتيمور في نيويورك في ماي 1942 جسدت التخطيط الصهيوني في أعقاب إعلان الكتاب الأبيض البريطاني في ماي 1939 و ذلك إزاء قضيتين أساسيتين هما: أولاً: نقل مركز الثقل في التحالف الإمبريالي - الصهيوني من بريطانيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وثانياً: الإفصاح أن هدف الصهيونية ليس مجرد كومونولث يهودي ، وإنما هو بالتحديد إقامة الدولة اليهودية.

وتحويل البلاد إلى دولة يهودية تشكل جزء من "العالم الديمقراطي" أي الغربي. وتشير الدلائل إلى أن مؤتمر "بلتمور" كان نقطة تحول في السياسة الصهيونية، ومؤشرا على بداية التناقض بين الكولونيالية الصهيونية، والإمبريالية البريطانية الأم، وممثابة إعلان بداية مرحلة إقامة الدولة انطلاقا من الاستفادة من ظروف الحرب العالمية الثانية، وقيادة الولايات المتحدة للمعسكر الغربي، ومن الإمكانيات الذاتية المتنامية للحركة الصهيونية نفسها، وتهيئة سياسية ونفسية لاستخدام العنف والإرهاب الصهيوني ضد العرب والإنجليز معا، ولأول مرة في فلسطين.<sup>1</sup>

وفي فترة كون الدولة آخذة بالإنشاء كانت الوكالة اليهودية شبه حكومة تهتم بتنظيم الهجرة المنتظمة، والهجرة اليهودية السريّة، كما اهتمت باستيعاب القادمين إلى البلاد. فأقامت "عليات هنوعار"<sup>2</sup>، وأدارت دوائر خاصة بالشغل، والاستيطان والصناعة وكانت شريكة في إقامة وحدة دفاعية تحمي السكان اليهود وفي تنظيم إقامة مستوطنات "حوما ومجدال" (السور والبرج). وبالمشاركة مع اللجنة القومية قامت بتمثيل السكان اليهود في البلاد تجاه سلطات الانتداب والحكومات الأخرى. شغل دافيد بن غوريون منصب رئيس إدارة الوكالة في السنوات ما بين 1935-1948، وعلى رأس دائرتها السياسية وقف حاييم أزلوزوروف (1931-1933) وموشيه شرتوق.

وفي عام 1948 مع قيام الدولة، اعتنقت دولة إسرائيل راية المنظمة الصهيونية ونشيدها. وبما أنه أسفر قيام الدولة عن تحقيق الهدف الرئيسي للمنظمة الصهيونية، أصبح

1 - الكيالي عبد الوهاب، وآخرون: موسوعة السياسة، مرجع سابق، ج1، ص 551

2 - "عليات هنوعار": عليا بالعبرية الصعود، وهي كلمة تشير للهجرة اليهودية نحو فلسطين. أما هنوعار بمعنى الشباب.

السؤال يطرح نفسه: هل يترتب على الحركة الاستمرار في البقاء، علما بأنه معظم القيادة الصهيونية والإسرائيلية لم توافق رأي رئيس الحكومة "دافيد بن غوريون"، الذي قال: "يجب حلّها"، وفي عام 1951، في المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين - المؤتمر الأول الذي انعقد بعد قيام الدولة ولأول مرة (ومنذ ذلك الحين) في القدس - تم تحديد المهام الجديدة للصهيونية ضمن البرنامج المعروف بالاسم "خطة القدس"، وهذه هي: "تعزيز دولة إسرائيل، جمع الجاليات اليهودية في أرض إسرائيل وضمان وحدة الشعب اليهودي".

وتم تحديد المكانة الجديدة للمنظمة الصهيونية في دولة إسرائيل في قانون مكانة المنظمة الصهيونية العالمية و الوكالة اليهودية لأرض إسرائيل لعام 1952. واعترف هذا القانون بالمنظمة الصهيونية وبالوكالة اليهودية، كاهيئات الرسمية التي تعمل في دولة إسرائيل على تطوير الأرض وتوطينها، واستيعاب الهجرة وتنسيق نشاطات المؤسسات والمنظمات اليهودية، التي تعمل في هذه المجالات في إسرائيل. وأعرب القانون عن الأمل في أن يساهم جميع اليهود في إنشاء الدولة، إذ تم تكليف المنظمة الصهيونية بالعمل على نيل الوحدة بين كل الأطراف اليهودية في العالم. وفي عام 1954 تم توقيع ميثاق بين حكومة إسرائيل والإدارة الصهيونية، قام بتحديد قواعد التعاون بين الهيئتين حيث مُنحت المنظمة الصهيونية مكانة رسمية كاهيئة التمثيلية لليهود العالم في كل ما يتعلق بتحقيق مهام وظيفتها. وحسب هذا الميثاق بقت مجالات المسؤولية المركزية للوكالة اليهودية هي تنظيم الهجرة، واستيعاب القادمين إلى البلاد وتوطينهم. ولم يعد الانتساب في المنظمة الصهيونية يستند إلى الذين يدفعون

"الشيقل" كأفراد- كما أوردناه في البداية-، وإنما إلى هيئات جماعية ومنظمات صهيونية مختلفة.<sup>1</sup>

وفي سنوات الخمسين فقدت الحركة الصهيونية كثيرا من سمعتها ونفوذها. ولم تستطع أن تكون الجهة التي توّحد بين كل الجاليات اليهودية ودولة اسرائيل، بيد أنه في ليلة حرب الأيام الستة، وخلالها وبعد انتهائها، صار دعم اليهود المتحمس في أنحاء العالم بمثابة خشبة إنقاذ للمنظمة الصهيونية، وأنعش مرة أخرى فكرة التدخل المباشر للحكومة الاسرائيلية في شؤون تتعلق بالجاليات اليهودية في الشتات. وفي المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين، في عام 1968، تمت بلورة "خطة القدس الثانية"، التي عبرت عن تضامن يهود العالم مع دولة إسرائيل في وقت المحنة، وعن المكانة المركزية للدولة في حياة الشعب، وحددت من جديد أهداف الصهيونية<sup>2</sup>:

-وحدة الشعب اليهودي، ومركزية فكرة دولة اسرائيل في حياة الشعب.

-وجمع أبناء الشعب اليهودي في وطنهم التاريخية - أرض اسرائيل - عن جراء الهجرة من كل البلدان.

- ترسيخ دولة "إسرائيل" و تعزيز التربية على القيم اليهودية والعبرية ودعم قيم الآداب والثقافة اليهودية وحماية حقوق اليهود في كل محلات اقامتهم.

في المؤتمر تقرر تمكين العضوية في المنظمة الصهيونية أمام الهيئات اليهودية القومية وغير القومية المستعدة لأخذ خطة القدس على عاتقها، علما بأنه في أعقاب هذا القرار انظمت

1 - المعجم السياسي الكنيسيت الإسرائيلي، مرجع سابق

2 - أنظر التفاصيل عند عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية و الصهيونية، مرجع سابق، المجلد ج6، ص 327 وما بعدها

الى المنظمة الصهيونية العالمية المنظمات اليهودية الخمس: الاتحاد العالمي لطوائف اليهود السفارديم، والرابطة العالمية لـ"مكابي"، والرابطة العالمية لليهود المتقدمين، والمجلس العالمي للكنس، والمؤتمر العالمي للكنس والطوائف اليهودية.

إنَّ هذا التضامن المحدد للطوائف اليهودية في العالم مع دولة إسرائيل زاد من اعتراف الزعماء اليهود في العالم بضرورة مشاركة يهود العالم فيما يجري في دولة إسرائيل. وعليه، تقرر توسيع الإطار التنظيمي للوكالة اليهودية ليضم منظمات الجبايات اليهودية. وفي عام 1970 تم توقيع تغيير تركيبة الوكالة اليهودية ومهام وظيفتها، وفي عام 1971 جرى في القدس المؤتمر التأسيسي للوكالة اليهودية الموسَّعة، التي 50% من العاملين فيها هم مندوبو المنظمة الصهيونية، و 30% هم وكلاء الجباية اليهودية الموحدة (في أمريكا)، و 20% هم مندوبو المنظمات التي معظمها تنفرع عن الصندوق التأسيسي.

وكجزء من التغيير في تركيبة الوكالة اليهودية تم فصل المنظمة الصهيونية عنها، ولكن تقرر أن تتمتع المنظمتان بنفس الرئيس، المدير العام وأمين الصندوق. كذلك تقرر أن المنظمة الصهيونية تتولى المهام التالية:

التنظيم، وحملات التوعية، والتعليم في الشتات، والمجرة من دول الرفاه والاستيطان ما وراء "الخط الأخضر"، إذ تبقى مسؤولة عن نشاطات الصندوق القومي الاسرائيلي.

في حين تتولى الوكالة اليهودية المهام التالية:

استيعاب المهجرة من الدول التي يتعرض فيها اليهود للاضطهاد، والاستيعاب الأول للقادمين في البلاد، وضمان أماكن السكن للقادمين، والاستيطان داخل "الخط الأخضر"، واستيعاب القادمين في المستوطنات الزراعية، وإجراء النشاطات التربوية في أوساط أبناء الشبيبة، وتطوير شتى المرافق في إسرائيل (فلسطين)، وتوفير خدمات الرفاه الاجتماعي.

وفي حزيران/جوان 1979، و إستنادا إلى هذا التغير، تم توقيع ميثاقين جديدين بين الوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية من جهة، والحكومة الاسرائيلية من جهة أخرى. كذلك، تم انتخاب إدارة المنظمة الصهيونية في المؤتمر الصهيوني، الذي انعقد منذ عام 1960، سنويا كل أربع أو خمس سنوات. يتم انتخاب أعضاء المؤتمر من قبل المنظمات الصهيونية في الشتات ومن قبل الأحزاب الصهيونية في إسرائيل حسب تمثيلها في الكنيست. معظم النواب هم من إسرائيل والولايات المتحدة، وأقليتهم هي من دول العالم الأخرى. اللجنة التنفيذية الصهيونية التي تنعقد سنويا، تخضع لإشراف المؤتمر، في حين تخضع الإدارة الصهيونية لإشراف اللجنة التنفيذية الصهيونية، علما بأن الإدارة تهتم بإدارة شؤون الحركة بشكل فعال.

هذا، وتكون الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية هي الإدارة، التي تعمل من خلال الدوائر الأربع: دائرة الهجرة والاستيعاب، دائرة الاستيطان الزراعي، دائرة هجرة الأولاد وأبناء الشبيبة وأمانة الصندوق.

ويراقب مجلس الأمناء المصغر نشاطات الوكالة بصورة مستديمة. ولا تأخذ الوكالة اليهودية على عاتقها نشاطات توجد ضمن مجال المسؤولية لحكومة اسرائيل أو للمنظمة الصهيونية، وتمتنع لأسباب سياسية عن العمل ما وراء "الخط الأخضر"، علما بأنه المصادر الممولة لنشاطاتها هي الصندوق التأسيسي، الجباية اليهودية الموحدة وحكومة إسرائيل.<sup>1</sup> هذه عموما مهمة الوكالة اليهودية من الداخل الفكر الصهيوني.

---

1 - عن المعجم السياسي الكنيست الإسرائيلي على الرابط التالي: <http://www.knesset.gov.il/lexicon/arb/wzo.htm>

## المبحث الثاني: مشاريع الاحتلال الاستيطاني بين التأيير والرفض

### المطلب الأول: مشاريع الاستيطان بين الصهيونية والامبريالية الغربية

الحديث عن برامج ومشاريع الاستيطان يقودنا رأساً للحديث عن أصول فكرة الاستيطان والتي تقودنا بدورها إلى المخطط الأول للصهيونية ثيدور هرتزل هل أسس لهذه المرحلة وهل كان العنف وسيلة لتحقيق هذا الهدف؟ كما يجب أن نتطرق للحديث عن البدايات الأولى لمشاريع الاستيطان بين وعد الرب الذي فصلنا فيه في الفصول السابقة وبين وعد الإمبريالية الغربية مجسداً في وعد بلفور، فكان نتاج ذلك مباشرة جاء إعلان الاستقلال لدولة إسرائيل الحديثة، وتحولت الفكرة من النظري إلى التطبيقي ومن صالونات المؤتمرات إلى دخان البواخر و ضحيج المهاجرين في ميناء حيفا وغزة



## أصول فكرة الاستيطان والتأسيس لطرد الفلسطينيين

إن التأسيس لطرد السكان الفلسطينيين من أرضهم جاء لتحقيق المقولة المروج لها في تلك الفترة والتي أصبحت عقيدة مُصطنعة عند اليهود عموماً والصهيونية خصوصاً وهي: "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، وأول من التقط هذه المقولة ونشرها وفعلها، الكاتب والناشط السياسي اليهودي الإنكليزي "إسرائيل زانغويل" (Israel Zangwill 1864-1926) الذي أدرج المقولة في إحدى كتاباته عام 1905، ولتحقيق طرد العرب وإحلال اليهود مكانهم قال زانغويل في إحدى مقالاته: علينا أن نتجهز لطردهم من الأرض بالسيف، تماماً مثلما فعل أسلافنا في شأن القبائل التي كانت قد احتلتها<sup>1</sup>.

لم يكن "إسرائيل زانغويل" وحيداً في تفكيره القاضي بطرد واستئصال شأفة الفلسطينيين من أرضهم، بل لقد كان لتيودور هرتزل، - أبو الصهيونية السياسية - مشروع الخاص بكيفية ترحيل السكان الأرض الأصليين (غير اليهود) من الأرض التي ينوي إقامة دولة اليهود عليها. وقد أورد هذا المشروع مفصلاً في يومياته 17 جوان 1895، إذ رسم هرتزل مشروعه موجهاً نحو فئتين من السكان العرب: ملاكي الأراضي الأغنياء وهم قلة، والفقراء وهم الأغلبية فبالنسبة إلى ملاكي الأراضي كتب هرتزل:

"عندما نحتل الأرض علينا أن نقدم منافع مباشرة للدولة التي سوف تستقبلنا، علينا أن نصادر، بكمياسة، الأملاك الخاصة في الأراضي المخصصة لنا"، وأقترح أسعاراً عالية تفوق أسعارها الحقيقية تدفع للملاكين. أما بالنسبة إلى الفئة الثانية فكتب: "علينا أن نشجع

---

1 - عصام سخيني: الإبادة الجماعية من أيديولوجيا الكتاب العبري إلى المشروع الصهيوني، مرجع سابق، ص 73

السكان المفلسين على عبور الحدود وذلك بأن ندبر لهم عملاً في الدول التي سوف يرحلون إليها وبأن نحرّمهم في الوقت نفسه من العمل في بلادنا".<sup>1</sup>

أما الممتنعين عن الرحيل، فقد تعهد هرتزل في مشروعه بأن يتدبر لهم وسائل النقل إلى أي مكان يرغبون الذهاب إليه!؟، وقد استبقى هرتل في مشروعه دوراً مهيناً للسكان الأصليين: أن تعهد إليهم مهمة تخليص البلاد من الوحوش الكاسرة فيها، لكن أن يكون ذلك قبل أن يُمنحوا عملاً في البلاد المرشحين إليها: "إذا دخلنا منطقة يكثر فيها الحيوانات البرية، كالأنعام الكبيرة وغيرها، التي لم يألفها اليهود، فسوف أستخدم السكان الأصليين، قبل أن أوفر لهم العمل في مناطق الترحيل للقضاء على هذه الحيوانات". وقد أكد هرتزل أن مشروعه ينبغي أن يظل محاطاً بالسرية: "إن عملية المصادرة وإبعاد الفقراء ينبغي أن تنفذ بتكتم وحذر". علماً أن هرتل لم يعين ولم يحدد في مشروعه الأقطار التي يريد ترحيل العرب الفلسطينيين إليها، غير أن غيره من الزعماء الصهيونيين كانوا أكثر تحديداً منه فرشحوا عدداً من الأقطار العربية لتكون مأوى لهم.<sup>2</sup>

طوّر هرتزل الخطاب المراوغ ودعا كل الأطراف (العالم الغربي ويهود العالم بشقيه الغربي والشرقي) لتوقيع العقد الصامت بين الحضارة الغربية والحركة الصهيونية. ولكن هناك طرفاً لم يُدعَ للتوقيع، رغم أنه سيصيبه الضرر والمعاناة حين يُوضَع العقد موضع التنفيذ، ألا وهم العرب. فقد ذكر هرتزل هذا الطرف بشكل عابر أحياناً في معرض نقده للصهيونية التسليية

1- المرجع السابق ص 74

2 - المرجع السابق، ص 73-74

ولم يرد لهم ذكر في دولة اليهود أو في الخطاب الذي ألقاه أمام المؤتمر الأول (1897)، ولكن هناك وثائق علنية أخرى موجهة للرأي العام، مثل الأرض الجديدة القديمة، حيث يُقدّم هرتزل صورة وردية لمصير العرب من مواطني الدولة اليهودية الذين سيزدادون رخاءً وسينعمون بالهناء. وقد كتب هرتزل عام 1899 خطاباً لأحد القادة الفلسطينيين يبشره بالرفاهية التي ستعم والثروة التي ستزيد. ولكن، مهما كانت رقة قلب هرتزل، فإن العرب والسكان الأصليين لم يُدعوا لتوقيع العقد، فسيادة الدولة اليهودية مصدرها الغرب، والحكومات المعنية يمكن أن تسبب المضايقات، أما السكان الأصليون فلا أهمية لهم. وهرتزل لم يكن فريداً في هذا، فتحديث الغرب على الطريقة الاستعمارية كان يفترض أن يدفع الشرق فواتير التقدم الغربي. وبالتالي، فإن السكان الأصليين ليسوا ضمن عملية التحديث وإنما يقعون خارجها تماماً. ولذا، فإن الإغفال والتغيب مقصود لا سهو فيه، وك لكن كيف نطبق هذه المفاهيم؟. الجواب على هذا التساؤل واضح جدا ، إنه العنف... فهو من سيصبح الآلية الفعالة لتنفيذ المشاريع التي تتحرك في إطار القانون الدولي العام أي القانون الاستعماري الغربي. علما أن هرتزل، بمراوغته، لا يتحدث قط عن العنف في الوثائق العامة، إلا من إشارة عابرة للمكابين في دولة اليهود، وهي إشارة يمكن أن تُفهم على أن المقصود بعث عسكري وليس بالضرورة عنفاً ضد العرب. والتفسير نفسه يمكن أن ينطبق على خطابه للبارون دي هيرش حين ذكر خطته التي تهدف لأن يخلق من البروليتاريا اليهودية المثقفة أي المفكرين المتوسطين الذين يتحدث عنهم في كتابه دولة اليهود. شيئاً نافعاً "جنود وكوادر الجيش الذي سيبحث عن الأرض ويكتشفها ثم يستولي عليها". وعلى أية حال، فإن العنف يطل برأسه في كلمة "يستولي". والأمر يختلف قليلاً في اليوميات التي يختلط فيها الإعجاب بالعسكرية البروسية بالحديث عن كيفية الاستيلاء على الملكية الخاصة للسكان الأصليين وكيفية استخدامهم

لقتل الثعابين وتأمين عمل لهم في بلاد أخرى (كما دَوّن في مذكراته عام 1885). وفي عام 1902، كتب هرتزل "لتشامبرلين" عن مصير السكان الأصليين في قبرص إن وقعت في الدائرة الصهيونية بقوله: "سيُرْحَل المسلمون، أما اليونانيون فسيبيعون أرضهم بكل سرور نظير سعر جيد ثم يهاجرون إلى أثينا أو كريت"، أي أن الاستيلاء على الأرض وإخلاءها من سكانها هو الافتراض الكامن في كتاباته، فالعنف رابض بين السطور، يتحين الفرصة لكي يتحقق، وينتظر اللحظة المواتية كي ينهمر الرصاص ويسقط النابالم. ومما يجدر ذكره أن هرتزل لا يستبعد استخدام العنف ضد اليهود أنفسهم (إن رفضوا الخضوع للرؤية الصهيونية) كما يتضح في مفهوم غزو الجاليات<sup>1</sup>.

كانت سوريا أيضا محط أنظار بعض الزعماء الصهاينة وقد استهدفوها بأفكارهم. منهم آرثر روبين (Arthur Ruppin)، الذي يلقب بأبي الاستيطان اليهودي في فلسطين. و الذي عينته اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية مسؤولا عن الاستيطان في فلسطين حتى وفاته عام 1943. و تمثل مشروع "روبين"، الذي أعلنه في ماي 1914، بشراء أراض في منطقتي "حمص" و "حلب" وغيرهما، ثم بيعها من جديد بشروط ميسرة للفلاحين الفلسطينيين حتى يهجروا فلسطين، والذين سيتضررون من شراء اليهود للأراضي في فلسطين.<sup>2</sup>

على كل حال، فمهما كان الاتجاه الذي سوف يرسل إليه المرخّلون الفلسطينيون، فإن الترحيل نفسه، أو الطرد أو التطهير العرقي هو الأساس الذي بني عليه الخطاب الصهيوني، فالمشروع الصهيوني برمته ما كان له أن ينجح إن لم يتحقق شرطه الواجب وهو: استلام الأرض

1 - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، المجلد 6، ص 241-242

2 - عصام سخيني: الإبادة الجماعية من أيديولوجيا الكتاب العبري إلى المشروع الصهيوني، مرجع سابق، ص 75

خالية من السكان، وإن لم تكن خالية تماما وهذا هو الحال، فعلى الأقل تغيير النسب وجعل الأغلبية يهودية مع أقلية عربية لا قيمة لها . ولن يكون هذا ممكنا إلا بإجبار السكان الأصليين على الخروج منها.

لقد كان يوسف فايتس (Yosef Weitz) ، مدير دائرة الأراضي في الصندوق القومي اليهودي و من أكثر العاملين على " اغتصاب ملكية " الأراضي لصالح اليهود، فقد صرح بوضوح فيما كتب عام 1940 حيث قال: "ينبغي أن يكون واضحا أنه ، لا مكان في هذا البلد للشعبين معا . . . إذا تركه العرب فسيصبح المكان واسعا وفسيحنا لنا . . . وليس في هذا الشأن حل وسط . . . إذ ليست هناك وسيلة غير ترحيل العرب من هنا إلى الأقطار المجاورة ، ترحيلهم جميعا بحيث لا تترك قرية واحدة أو قبيلة واحدة . . . وبعد هذا الترحيل فقط فإن البلد سوف يكون قادرا على استيعاب الملايين من إخواننا، وبذلك لن يعود للمشكلة اليهودية وجود." <sup>1</sup>

إن هذا النوع من الترحيل وكذلك هذه الأهداف متجذرة في فقه الكتاب المقدس حول الأرض. فهي ملك " بني إسرائيل " المتوارث بموجب العهد الذي أصدره يهوه لجيل " الاباء"، وبالتالي ، فإن إخراج غير اليهود منها الآن ، وهم ليسوا أصحابها، هو فعل شرعي له سوابقه الشرعية القديمة عندما " طهر " بنو إسرائيل أرض كنعان من الأقوام التي كانت تسكنها.

هذه الصلة ما بين ملكية الأرض و الترحيل والكتاب المقدس ظاهرة تماما في فكر دايفد بن غوريون ، أبرز زعيم صهيوني في عهد الانتداب البريطاني على فلسطين وأول رئيس لحكومة إسرائيل بعد قيامها. فعنده أن الكتاب المقدس هو سند ملكية الأرض المقدس لسلالة تمتد

<sup>1</sup> - المرجع السابق ص 76

3500 سنة ، وهو يحاجج بأن "عودة" اليهود إلى فلسطين إنما هي ، في الحقيقة ، تكرار لفتح يشوع فلسطين القديمة .وهكذا، فإن إعادة الفتح تستوجب طرد السكان بالقوة ويؤكد هذه القناعة بقوله : "إن ترحيل العرب الإجباري من الوديان التي تقع في إطار الدولة اليهودية المقترحة، يعطينا شيئاً "الجليل في الشمال الفلسطيني" ، والذي لم نحصل عليه عندما كنا نقف على أقدامنا في أيام الهيكل الأول و الثاني".<sup>1</sup>

وكان راديكالي في طرحه إذ يرى ضرورة التمسك "بالترحيل الإجباري" بالقوة لذا كان يقول: إن علينا أن نطرد العرب ونحل محلهم ، وإذا كان علينا أن نستخدم القوة... فإننا نمتلك القوة."

و تتضح مقولة احتكار اليهود الأرض بالقوة في كتابات موشيه شرتوك ( شاريت في ما بعد)،والذي كان معاوناً لبن غوريون في عهد الانتداب وأول وزير خارجية لإسرائيل بعد قيامها عام 1914 حيث قال: " لقد نسينا أننا لم نأت إلى أرض خالية لنتخذها، بل أتينا لنتزع بلاداً من سكانها الذين يقيمون فيها وهم يحكمونها بفضل لغتهم وثقافتهم الممجية. وقد ظهرت في صحفنا مؤخراً شروح عن " سوء الفهم المتبادل "بيننا والعرب وعن المصالح، المشتركة ، وعن إمكانية الوحدة والسلام بين شعبين شقيقين، لكن علينا ألا نضلل أنفسنا بهذه الآمال الخادعة ، لأننا إذا توقفنا عن النظر إلى أرضنا إسرائيل ، باعتبارها لنا وحدنا، وسمحنا لشريك بأن يدخل في أملاكنا، فإننا سنضيع محتوى مشروعنا ومعناه".<sup>2</sup>

1 -المرجع السابق 77

2 - المرجع السابق 78

ومما زاد انفتاح شهية الحركة الصهيونية لترحيل الفلسطينيين من ديارهم أعمال "لجنة بيل" ، وتوصيتها بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود فقد أوصى تقريرها بالتبادل السكاني بين الدولتين العربية واليهودية المقترحتين . وقد قدرت اللجنة أن عدد العرب الذين سوف تشملهم الدولة اليهودية هو 225 ألفا ( عدا سكان المدن التي سوف تبقى تحت الانتداب ) ، في مقابل 1250 يهودي في الدولة العربية المقترحة ، بمعنى أن من سوف يشملهم التبادل السكاني " ربع مليون عربي . ولم يرد في توصيات لجنة بيل تعبير ( Transfer الترحيل ) ، بل استبدل بتعبير ( Population Exchange التباد السكاني ) الأكثر " تهديبا " ، كما لم تشر اللجنة بصراحة إلى كيفية " تبادل السكاني ، بل ضمنت تقريرها سابقة تاريخية جعلتها مرجعية لها في هذه العملية ، هي الاتفاقية التي عقدت بين تركيا واليونان ، بإشراف عصبة الأمم، عقب الحرب بينهما عام 1922 قضت الاتفاقية بتبادل السكان بين هاتين الدولتين فشملت ترحيل مليون و 300 الف تركي من اليونان مقابل أربع مئة الف يوناني من تركيا . وقد نُفذ الترحيل بالإكراه والإجبار . يفهم ضمنا من اتخاذ هذه الحادثة مرجعية تاريخية للترحيل بالقوة، أنها تنطبق أيضا على عملية "التبادل السكاني " في فلسطين ، ولا سيما أن اللجنة حثت في تقريرها الطرفين العربي واليهودي على أن ينهجا نهج الأتراك واليونان في هذا الشأن (الترحيل بالقوة). حقزت أعمال لجنة بيل وتوصياتها، الصهيونية لترحيل الفلسطينيين من ديارهم . وقد عقدت لذلك اجتماعات على مستويات مختلفة في المؤسسات الصهيونية، لبحث هذا الأمر من جهة وكيفية تنفيذه من جهة أخرى . بحثت اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ، التي كانت في عهد الانتداب البريطاني بمثابة حكومة الأمر الواقع لليهود في فلسطين ، مسألة طرد الفلسطينيين من ديارهم بحماسة شديدة ، وذلك في اجتماعات عقدتها في بدايات شهر جويلية 1937 ، وارتفعت فيها الأصوات المؤيدة للفكرة بالإجماع ، بينما كان معظم الأعضاء فيها يجذبون الترحيل بالإكراه .

وكان بن غوريون قاطعا في هذه المسألة بقوله: "إنني أدمع الترحيل بالإكراه ، ولا أرى فيه أي شيء غير أخلاقي". وقد طرحت في هذه الاجتماعات أفكار لا يمكن وصفها إلا بالشيطانية ، كمثل ما عرضه أحد أعضائها بأنه إن اتبعت إجراءات مالية مناسبة مثل إفقار العرب في الدولة اليهودية الوليدة " يمكن إقناع الفلسطينيين بالترحيل طوعا. " كذلك ما عرضه عضو آخر من أنه يجب زيادة الضرائب على العرب الذين سيقون في الدولة اليهودية، ما يجعلهم يهربون منها.<sup>1</sup>

عبد القادر للعلوم الإسلامية



## مشاريع الاستيطان بين وعد الرب ووعد بلفور

الناظر لتاريخ الحركة الصهيونية وممارساتها على الواقع الفلسطيني، يلاحظ أن هناك علاقة اندماجية بين الصهيونية واليهود مهما اختلفت في الظاهر مشاربهم وأحزابهم وأفكارهم، وهذا ما انتهى إليه " دافيد بن غورين " حين قال: "رابطة لا تنفصم عراها بين دولة إسرائيل والشعب اليهودي..."<sup>1</sup>.

لذا فالقيادات الصهيونية كما الشعب اليهودي يمارسان سياسة استئصال عنصري كبيرة تفوق كل التصورات، وينفذان مخططات تهويد منهجية مدروسة لتغيير كلي للملامح الحضارية العربية والإسلامية بل وحتى الإنسانية، عن الأراضي المحتلة عموماً، وعن وجه القدس خصوصاً<sup>2</sup>، وتشويه جوهرها النقي الطاهر إذ تجسّد مدينة الالتقاء بين السماء والأرض، وأرض المحبة والإخاء والتسامح والسلام، منذ أسسها العرب اليوسيون قبل خمسة آلاف عام وسموها "مدينة السلام"... واستمروا فيها ما يزيد على ألفي عام، كوّنوا فيها حضارة متميزة، تقبل الآخر الوافد إليها، فقد تواتر عليها ما يزيد على أربعين حضارة عمرتها بالمحبة والتعايش المشترك، عدا المراحل التي عبر فيها اليهود المناطق المحيطة بتلك المدينة الطاهرة (722-1004) قبل الميلاد. فقد سبق أن وقعت في قيد الأسر اليهودي في هذه المدة القصيرة نسبياً بالنظر إلى حياة الشعوب والحضارات، وهي مدة لا يمكن أن تقدم لليهود أو

1 - انظر أبراهام ليون: الماركسية والمسألة اليهودية، ترجمة عماد نويهض، دار الطليعة، بيروت 1969م، ص 42 وكذا أنيس صايغ: الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية . بيروت . 1970م، ص 238.

2 - انظر عفيف بهنسي: أورسلام عاصمة الثقافة العربية منذ خمسة آلاف سنة وحتى اليوم ، مجلة التراث العربي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، العدد 113 - 2009 م ، ص 13 - 22 وانظر في العدد نفسه بحث شحادة الخوري: القدس في التاريخ ، ص 125-138.

للحركة الصهيونية أي حق تاريخي فيها، ثم إن الدعوة السياسية للحركة الصهيونية المعاصرة، لا تمت بأي صلة لأولئك اليهود العبرانيين الذين مرّوا يوماً ما بالقدس، ولم يتركوا فيها أثراً إلا المآسي للمقدسيين، وكان الفينيقيون قد صنعوا فيها أول سفينة قادرة على عبور البحار، ثم أخذ اليونان منها الكتابة، يوم غزوها وسيطروا عليها قبل (300 سنة) من الميلاد.<sup>1</sup>

---

1 - حسين جمعة مصير القدس في ظل مشروع التهويد ، مقال قدم بمناسبة القدس عاصمة الثقافة العربية لعام 2009، المرجع السابق،

## وعد بلفور و إعلان الاستقلال لدولة إسرائيل الحديثة

### وعد بلفور (Balfour Declaration)

وهو اسم أطلق على رسالة تأييد من قبل الحكومة البريطانية في إقامة وطن قومي يهودي في بلاد إسرائيل، أرسلها في 2 نوفمبر 1917 وزير الخارجية البريطاني آرثور جيمس بلفور إلى اللورد "ليونل روتشيلد"، أحد رؤساء الطائفة اليهودية في إنجلترا.

#### نص الوعد:

"إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في بلاد إسرائيل (فلسطين)، وستبذل قصارى جهدها من أجل تسهيل تحقيق هذه الغاية، على شرط عدم ممارسة شئ من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في بلاد إسرائيل (فلسطين) ولا بالحقوق والوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى".

#### خلفية الوعد:

مع اندلاع الحرب العالمية الثانية بذل زعماء الحركة الصهيونية، - منهم حاييم وايزمان وناحوم سوكلوف -، جهودا في تجنيد بريطانيا إلى جانب فكرة إقامة الدولة اليهودية في بلاد إسرائيل (فلسطين). وأرادت بريطانيا أخذ السيطرة على بلاد إسرائيل (فلسطين) توسيعا لأطماعها الاستعمارية خلال الحرب، مما يؤمن سيطرتها في شمالي قناة السويس. وبواسطة الوعد أملت بريطانيا أن يتم حث اليهود الأمريكيين على دعم الجهود الحربي الأمريكي كما يساعد الأمر على تجنيد دعم يهود روسيا في استمرار الحرب مع ألمانيا. وأثار وعد بلفور ردة فعل عربية وإسلامية كبيرة، ونشأت على إثر ذلك حركات ثورية مسلحة تابعة للدول والجموع الجماهير العربية والمسلمة.

في نظر العرب والمسلمين ومن حالفهم من منظمات التحرر العالمية في ذلك الوقت، بدا قرار بريطانيا بإجراء الفصل بين فلسطين الغربية والشرقية وإقامة مملكة أردن الشرقية في المنطقة الواقعة شرقي نهر الأردن، على أنه تجسيد فعلي لنية البريطانيين ورغبتهم في تأسيس دولة يهودية وحدها في القسم الغربي من البلاد. علما أن كثيرا من اليهود خرجوا ضد القرار لأنه مزق من بلاد إسرائيل التاريخية - على زعمهم - أكثر من ثلثي أراضيها!<sup>1</sup> ويعتبر هذا الوعد بمثابة نقطة تحول على تاريخ الحركة الصهيونية، إذ به تمكنت الحركة ولأول مرة منذ تأسيسها من نيل دعم إحدى الدول العظمى، (بريطانيا) فكان ذلك نصرا عظيما للحركة الصهيونية لأنها خرجت من العدمية والمجهول إلى الواقع السياسي العالمي. وفي ذات الوقت رغبة بريطانيا في السيطرة على فلسطين وأخذها من أيدي الدولة العثمانية، فسح المجال أمام تفعيل حركة العمل على إقامة كيان يهودي سياسي في فلسطين، علما بأنه وعد بلفور ورد في وثيقة الانتداب البريطاني على فلسطين، التي تسلمتها بريطانيا في مؤتمر "سان ريمو" عام 1920 والتي صادق عليها مجلس عصبة الأمم في 24 تموز 1922.<sup>1</sup>

### الانتداب البريطاني على فلسطين:

كان نظام السلطة على فلسطين والأردن لما يزيد عن عقدين ونصف ابتداء من 1920 وبالحدود التي قررتها بريطانيا وفرنسا بعد سقوط الامبراطورية العثمانية إثر الحرب العالمية الأولى وبموجب معاهدة سيفر.

<sup>1</sup> - بتصريف "المعجم السياسي" الكنيست الإسرائيلي: <http://www.knesset.gov.il/lexicon/arb/wzo.htm>. أنظر أيضا الكيالي

عبد الوهاب، وآخرون: موسوعة السياسة، مرجع سابق، ج 1، ص 560

في 11 سبتمبر 1922 أقرت عصبة الأمم الانتداب بشكل رسمي على أساس وعد بلفور. غطت منطقة الانتداب ما يعرف اليوم فلسطين التاريخية (أي المنطقة التي تقع فيها اليوم كل من دولة إسرائيل والأراضي الفلسطينية - الضفة الغربية وقطاع غزة) بالإضافة إلى منطقة شرق الأردن (اليوم: المملكة الأردنية الهاشمية) غير أن منطقة شرق الأردن تمتعت بحكم ذاتي (فيما كان يعرف بامارة شرق الأردن)، ولم تخضع لمبادئ الانتداب أو لوعد بلفور.

كانت مدينة القدس عاصمة الانتداب حيث سكن الحاكم البريطاني ومؤسسات حكومة الانتداب. عند بداية فترة الانتداب أعلنت بريطانيا هدفاً له تحقيق وعد بلفور، أي فتح الباب أمام اليهود الراغبين في الهجرة إلى فلسطين وإقامة "بيت وطني" يهودي فيها. أما في منتصف ثلاثينات القرن العشرين فغيرت بريطانيا سياستها وحاولت وقف توافد اليهود على فلسطين ومنع شراء الأراضي من قبل اليهود.<sup>1</sup>

ومن نتائج الانتداب على المجتمع الفلسطيني في الحقبة العثمانية والذي كان مجتمعاً ريفياً، في معظمه، ولم تكن الأراضي الريفية ملكاً إنما يتم الانتفاع من العقار وهذا العقار ينتقل بالتوارث على أساس الحيازة وعرفت هذه الأراضي بالميري، ويعتبر المالك الحقيقي للدولة المتمثلة بالسلطان مما جعل حقوق أصحاب حق الانتفاع في مهب الريح، وهذا يفسر سهولة السيطرة على الأراضي من قبل الصهاينة وطرد أصحاب حقوق الانتفاع وخاصة في عهد الانتداب عندما انتقلت ملكية الأراضي إلى هذه السلطات، وموجب صك الانتداب

---

1 - الموسوعة الحرة ويكيبيديا مادة الانتداب البريطاني على فلسطين. <http://ar.wikipedia.org>

وضعت الأراضي الميرية (45 % من مساحة فلسطين) تحت تصرف الاستيطان اليهودي وبتصرف مدير الأراضي اليهودية "أبراماستون" وكانت أولى عمليات سلب الأراضي الكبرى في وادي جزرائيل حيث سيطر الصندوق القومي اليهودي على أراضي سبعة قرى بتسهيل كامل من سلطات الإنتداب. وتم أيضا السيطرة على مساحات واسعة من أراضى سهل مرج بن عامر الخصبة مما أدى إلى تشريد آلاف الفلاحين، وحتى عام 1930 بلغت مساحة الأرض التي استولى عليها الصهاينة 454,840 دونما.

أصدرت سلطات الانتداب سلسلة تشريعات ساعدت الصهاينة على تملك الأراضي، ففي عام 1926م صدر قانون نزع ملكية الأراضي الذي بموجبه يعطي الصلاحية لأصحاب المشاريع الاقتصادية التفاوض مع أصحاب الأراضي الفلسطينيين لشرائها وإلا فإنه يتم نزع ملكيتها بأمر من المندوب السامي، وبعد عامين صدر قانون تسوية ملكية الأراضي لتأمين الاستيلاء على الأراضي المشاع التي تملكها الأسر والقبائل الفلسطينية لصالح اليهود، وبعد هذا التمهيد قامت الحكومة البريطانية بإصدار دستور فلسطين المعدل لعام 1933 حيث تم تحويل الأراضي الأميرية إلى أراضي ملك مما يعني تثبيت ملكية اليهود للأراضي.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - إبراهيم أبو لغد: تهويد فلسطين، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، شباط 1972، ص 83-84

## إعلان الاستقلال لدولة إسرائيل الحديثة

أشار إعلان الاستقلال لدولة إسرائيل الحديثة الذي أصدره مجلس الأمة المؤقت في تل أبيب في 14 ماي 1948 أشار إلى إعادة إنشاء الدولة اليهودية بناء على ما كان في الماضي، والذي توثقه الوثيقة المقدسة المتمثل في الكتاب المقدس والذي في زعمهم كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والحقيقة أنه ليس كذلك، حيث جاء في افتتاحية الإعلان ما يلي:

"لقد كانت أرض إسرائيل مسقط رأس الشعب اليهودي. هنا تكونت هويتهم الروحية والدينية والقومية. وهنا حقق هذا الشعب الاستقلال وأنشأ ثقافة كان لها أثر قومي وعالمي. وهنا أيضا كتبوا "الكتاب المقدس" ووهبوه للعالم، وبعد النفي من أرض إسرائيل، ظل الشعب اليهودي وفيها لهذه الأرض في جميع البلدان التي تشتت فيها، ولم ينقطع قط عن الصلاة والأمل بالعودة إليها لاستعادة استقلاله القومي بدافع هذا الرابط التاريخي، جاهد اليهود طيلة القرون الماضية للعودة إلى أرض آبائهم ولاستعادة دولتهم، عاد اليهود بأعداد كبيرة في العقود الأخيرة، واستصلحوا القفار وأعادوا إحياء لغتهم، بنوا المدن والقرى، وأسسوا مجتمعا قويا دائم النمو، له حياته الاقتصادية والثقافية الخاصة... سعوا إلى السلام، لكنهم في الوقت نفسه استعدوا للدفاع عن أنفسهم، لقد جلبوا نعمة التقدم لجميع سكان البلد وتطلعوا للتحرر والاستقلال.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - كيث وابتلام: إختلاق إسرائيل القديمة، إسكات التاريخ الفلسطيني، ترجمة سحر الهندي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، سبتمبر 1999،

يبرز هذا الإعلان الحق في امتلاك الأرض على أساس لا نجد له مثيلاً ولا شبيهاً، في أي أمة من الأمم أو أي قانون من القوانين الإنسانية التي تنظم حياة الأفراد والمجتمعات، إلا عند اليهود ألا وهو قانون "السابقة التاريخية"، أي سبق في التاريخ وجود دولة إسرائيلية مستقلة وذات سيادة في هذه المنطقة، وعليه فحيازة هذه المناطق بأي شكل أو صورة من الصور يُعدُّ قانونياً وشرعياً، وهذا ما ذكره الباحث "كيث وايتلام"، وهو يفسر كيفية اختلاق الدولة اليهودية بناء على فترة زمنية ماضية، أقاموا فيها مع غيرهم في فلسطين، وبالمقابل أسكتوا التاريخ الفلسطيني من أن يعبر عن وجوده في هذه المنطقة لقرون، كما يشرح فحوى القرار المشار إليه آنفاً بقوله: "... هذه الدولة تدعي الحق في الأرض باعتبار أن هذا هو التعبير النهائي عن التطور السياسي، وهو يلغي ويتجاوز كل نوع آخر من التنظيم السياسي في المنطقة، وهي التنظيمات التي ينظر إليها في نهاية المطاف على أنها أخط، أما المعنى الضمني من وراء هذا الادعاء فهو أنه في الفترة المعاصرة جلب المستوطنون اليهود "نعمة التقدم لكل السكان"، قبيل إنشاء الدولة القومية، وتسرّب نفس تلك الادعاءات الضمنية والصريحة إلى العديد من تصورات هذا الماضي المتخيّل حول نشوء إسرائيل في فلسطين كما رأينا في السابق، وينتشر هذا الادعاء الصريح بامتلاك أو استرداد الأرض، على أساس تلك "السابقة التاريخية"، على نطاق واسع، وقد سيطر طويلاً على المفاهيم السياسية والشعبية المتعلقة بدولة إسرائيل الحديثة وحقها في الأرض، ففي مذكرة كتبها "اللورد بلفور" بعد سنتين من إعلانها للوعد الشهير عام 1917، ذلك الوعد الذي تعهدت فيه الحكومة البريطانية بتأييد إنشاء "وطن قومي لليهود في فلسطين" نجد العبارات التالية:

إن القوى الأربع العظمى ملتزمة بالصهيونية، وسواء أكانت الصهيونية على خطأ أم على صواب، أو كانت شيئاً جيداً أو سيئاً، فإنها متأصلة بعمق في تراث من الماضي البعيد، وفي



حاجات الحاضر وآمال المستقبل، وهي أهم بكثير من رغبات وتحييزات الالسبعمائة ألف (700000) عربي الذين يقطنون الآن تلك الأرض القديمة.

تتجسد مثل هذه المزاعم في الإشارات المتكررة إلى "أرض إسرائيل التاريخية" في أيامنا هذه. كما أن إعلان الاستقلال الإسرائيلي لعام 1948 يشير إلى "إعادة إنشاء الدولة اليهودية" وما هذا التعبير إلا إعادة صياغة لوعده "بلفور" الذي أعلن قبل واحد وثلاثين (31) عاما من إنشاء الدولة، ذلك الوعد الذي تحدث عن "إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، ويتجلى اهتمام "حايم وايزمن" البالغ الاصطلاحات وإعادة صياغتها في إعلان الاستقلال الذي يعبر بصراحة عن "الحق" في إنشاء دولة يهودية، لا مجرد وطن قومي، وذلك على أساس "السابقة التاريخية"، وعلى هذا الأساس، فإن دولة إسرائيل المعاصرة ما هي إلا "إعادة بناء لما كان موجودا في الماضي".<sup>1</sup>

ثم يخلص إلى نتيجة هامة مفادها أن سياق المطالبة والمطالبة المضادة بحق امتلاك الأرض يدل على أن الدراسات التوراتية، في اختلاقها لدولة إسرائيلية قديمة، متورطة في الصراع الحالي الدائر حول هذه الأرض، وهكذا سيطر الصراع الصهيوني للحصول على دولة مستقلة ذات سيادة على تاريخ المنطقة خلال معظم القرن الحالي، أما المسألة التي لم تركز اهتماما كافيا فهي: إلى أي مدى أثر هذا الصراع المعاصر الدائر حول فلسطين في فهم التاريخ القديم وتصوره؟<sup>2</sup> ويؤكد الباحث "كيث وايتلام" في نسفه لحجة "السابقة التاريخية"، أنه على الرغم من أن الأطماع الصهيونية لم تتحقق إلا في عام 1948 مع قيام دولة إسرائيل الحديثة، فإن الأحداث

1 - كيث وايتلام: اختلاق إسرائيل القديمة، إسكات التاريخ الفلسطيني، المرجع السابق، ص 179

2 - المرجع السابق

التي حصلت منذ بداية هذا القرن، تركت آثارا لا تُمحى في عقول الباحثين التوراتيين وفي مخيلتهم خاصة - وهذا هو الأهم على حدّ تعبيره-، حيث كوّنوا في خيالهم صورة عن الماضي المتعلق بمملكة "داود"، وكأنه العصر الذهبي للتاريخ الإسرائيلي. فإذا كانت الأمم عبارة عن سرد للتاريخ كما يقال، إذن يكون سرد هذا التاريخ مرتبطا بشكل وثيق بحقائق الحاضر، ويؤدي إلى استبعاد وتنحية أي تمثيلات وسيناريوهات أخرى محتملة للماضي، أو أي تصور مختلف له فالباحث المنصف والعلمي يروي أحداث التاريخ كما حدثت، ولا يؤلفها حسب هواه ورؤيته الأيديولوجية، ذلك أن الباحثين التوراتيين، وكذلك علماء الآثار اليهود والصهيانية، قد بحثوا بكل قوة - كمن يبحث عن إبرة في صحراء شاسعة-، عن دولة كبرى، قوية وذات سيادة مستقلة ومؤسسها الملك داود، وتصوروا خيالا لا واقعا وكأن هذه الدولة قد وجدت بالفعل!، وقد هيمنت هذه القناعة التي أصبحت "حقيقة" مزعومة في خطاب الدراسات التوراتية خلال معظم القرن الحالي، وأتاحت مجالا لتطوير كثير من فرضيات التراث التوراتي، وهذه "الحقيقة المزعومة" أسهمت أكثر من أي شيء آخر في إسكات التاريخ الفلسطيني بل ومَحَتْ معالمه البادية للعيان، وكانت عقبة في وجه أي روايات أخرى بديلة للماضي.<sup>1</sup>

وعليه نخلص إلى قاعدة نفسية جلييلة مارستها الصهيونية والتي تعد من الحيل النفسية والعقلية أيضا وهي: "أن القناعات الداخلية" هي أخطر من الحقيقة، ذلك أن المقتنع بأمر ما لدرجة اليقين، فإنه لن يتنازل عن تصوره وقناعته حتى ولو خالفت الحقيقة والواقع. مثله

---

1 - كيث وايتلام: اختلاق إسرائيل القديمة، إسكات التاريخ الفلسطيني، المرجع السابق، ص 180

كمثل من اقتنع أن الوقت عنده ليلا فهو لا يرى إلا العتمة، حتى ولو رأى نور الشمس. فالنهار عنده يحتاج إلى دليل.

وليس يصح في الأفهام شيء \*\*\* إذا احتاج النهار إلى دليل

عبد القادر للعطوم الإسلامية

## الرعاية الغربية للمشروع الصهيوني

بدأ المهاجرون اليهود يقدون على فلسطين في أوائل العشرينات عن طريق مينائي حيفا ويافا، وكانت اليد البريطانية ممثلة في السلطة البريطانية في فلسطين هي التي تتولى تسهيل هذه الهجرة اليهودية وتنشيطها والأخذ بها.. وكانت الجماهير الفلسطينية العربية تتجمع عند هذين المينائين لتصعد المهاجرين اليهود وتعيدهم إلى سفنهم ليرجعوا من حيث أتوا.. وكانت السلطات البريطانية المسلحة تتصدى للجماهير الفلسطينية، تمنع تجمعهم وتفرقهم بالقوة، كما تتولى في الجهة المقابلة حماية المهاجرين اليهود منذ نزولهم من البواخر إلى أن يصلوا إلى مستعمراتهم ومنازلهم، ولم يكن اليهود يجرؤون يومذاك أن ينظروا في وجوه العرب، ناهيك عن أن يمدوا أيديهم إليهم بسوء. وحتى في المستعمرات اليهودية، كانت الجماهير الفلسطينية تحرق بها وتطوقها وتهاجمها، وكانت القوات البريطانية المسلحة - كالعادة - تسارع إلى نجدة اليهود، وتهاجم الجموع الفلسطينية، وتفك الطوق عن المستعمرات اليهودية وتخرج المهاجرين اليهود من مخابئهم، ولم تكن لليهود يد يدافعون بها عن أنفسهم، فقد كانت اليد البريطانية هي التي تتولى الدفاع عنهم، كما قال تعالى: لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ. [الحشر:14]، ولسان حال اليهود يقول كما قال أسلافهم لموسى عليه السلام، اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، بل ومختبئون..

أما بالنسبة للأراضي فكانت السلطات البريطانية تمنح اليهود مساحات شاسعة من الأراضي العامة، ليقيموا عليها المستعمرات، وكان على هذه الأراضي كثير من القرى الفلسطينية بناها وسكنها أهل فلسطين منذ القدم، ولم يستطع اليهود الوصول إليها والاستقرار فيها إلا باليد البريطانية، فقد كانت القوات البريطانية المسلحة تسارع إلى تلك

القرى العربية تهدم البيوت على رؤوس أصحابها وتحلّيتهم عن أرضهم وتسلمها إلى اليهود لينوا عليها مستعمراتهم، ولم تكن لليهود يد إطلاقاً، وكانت اليد البريطانية هي التي تعمل على إجلاء العرب عن أراضيهم وتسلمها إلى اليهود خالية من أهلها وبيوتها ومساجدها ومقابرها.

ولنأخذ الثورات الفلسطينية مثلاً رابعاً، لقد خاض الشعب الفلسطيني ضد الاستيطان اليهودي خمس عشرة ثورة خلال ثلاثين عاماً من الحكم البريطاني بمعدل ثورة كل عامين وكان الشعب الفلسطيني يتصدى للمستعمرات اليهودية بكل ما أوتي من قوة. وكانت السلطات العسكرية البريطانية، هي التي تتصدى للثورات الفلسطينية وتتولى حماية المستعمرات والمدن اليهودية من الهجمات الفلسطينية. ولم تكن لإسرائيل يد إطلاقاً، وكانت اليد التي تتولى حماية الوجود اليهودي كله في فلسطين هي اليد البريطانية.

ومضى الحكم البريطاني على هذا الحال ثلاثين عاماً يتولى بقواته ودماء أبنائه الدفاع عن الجالية اليهودية، يحمي الهجرة اليهودية، ويمكّن اليهود من الاستيلاء على الأرض العربية ويقمع الثورات الفلسطينية بالحديد والنار..

وليس هذا فحسب، بل إن بريطانيا تولت فيما بعد تسليح اليهود وتدريبهم حتى أصبحت لهم قوة مسلحة، تجلّت في العصابات الإرهابية التي أفشت الإرهاب في فلسطين، وكان بيغن أحد رؤساء هذه العصابات، وهو يعلم أكثر من غيره أن اليد البريطانية هي التي

كانت تدافع عن الوجود اليهودي في فلسطين وأنه إذا كان هناك من نصر فإنه نصر لليد البريطانية لا لليد الإسرائيلية لا من قريب ولا من بعيد.<sup>1</sup>

ثم انتقلت الصهيونية من اليد البريطانية إلى اليد الأمريكية بعد مؤتمر بلتيمور وكان التأييد الأمريكي للصهيونية صارخا، وقد كشف جزء من حقيقته الباحث نورمان ج. فنكلستين<sup>2</sup> بقوله: " ليس غريبا أن يتلقف الاستعمار الأمريكي المشروع الصهيوني لرعايته والاعتناء به، فالفكرة الصهيونية نشأت ونضجت في المدرسة الفكرية القائمة على الإبادة والتدمير، وبالتالي هي جزء لا يتجزأ من المنظومة الفكرية التي تسببت في تدمير حضارات الأمم الأخرى، وذبح وتشريد أهلها بالاعتماد على مبدأ صناعة الحقائق على الأرض بغض النظر عن المعاهدات والمواثيق الموقعة، في المثال الأمريكي قام الإحاليون، ممن أمثال جورج واشنطن، بذبح الهنود الحمر وتدمير حضارتهم وتشريدهم أو على الأقل الفصل بين البيض والهنود بإقامة جدار فاصل، واعتبر الرئيس روزفلت أن البلاد ما كان من الممكن أن (تتحرر) إلا نتيجة الحرب أو كنتيجة لسلم يحرز خوفا من الحرب.<sup>3</sup>

---

1 - أحمد الشقيري : خرافات يهودية، المؤسسة العربية الدولية للنشر والتوزيع، الطبعة الإلكترونية الأولى 2005 ، ص 275-

2 - نورمان غاري فينكلشتاين (مواليد 8 ديسمبر 1953) هو أستاذ جامعي أمريكي يهودي مختص في العلوم السياسية وهو أيضا كاتب وناشط سياسي، معروف عنه مساندته للقضية الفلسطينية وكره استخدام اليهود للمحرقة كوسيلة لجذب التعاطف العالمي والتغطية على جرائم إسرائيل ضد الفلسطينيين.

3 - نورمان ج. فنكلستين: صعود وأفول فلسطين، ترجمة أيمن حداد، دار كنعان الطبعة الأولى-دمشق ، ص 265، وانظر أيضا داديان: الصهيونية على حقيقتها، ترجمه عن الروسية إلياس شاهين، دار التقدم -الاتحاد السوفياتي، 1989، ص 3 وما بعدها

لقد سار الإحلال الصهيوني على الطريق نفسه، فلم يعبأ برأي أو قانون دولي، المهم أن يقام الكيان الصهيوني بأي ثمن، وتعبيراً عن ذلك قال (بن غوريون): "ليس المهم ما يقوله الأعراب، المهم ما يفعله اليهود"، وقالت (جولدا مائير): "أن الحدود هي حيث يعيش اليهود وليس هناك خط على خارطة". وكانت هذه القيادات مبهورة بالتجربة الأمريكية، ففقي خطاب لـ(بن غوريون) ألقاه عام 1915 في نيويورك قال فيه: "إن تاريخ الاستيطان الأمريكي يظهر كم كانت شجاعة المهمات التي قام بها المستعمرون الذين وفدوا ليقموا وطناً جديداً في العالم الجديد، كم هي كثيرة وكم كانت شرسة تلك المعارك التي خاضوها ضد طبيعة متوحشة، وسكان أوحش من جلودهم الحمراء. كم كانت "التضحيات" التي قدموها كثيرة، قبل أن يتسنى لهم فتح أبواب القارة أمام الهجرات الجماعية والاستعمار".<sup>1</sup>

هذا ما يفسر التقارب الفكري الكبير و الارتباط الوثيق بين الاستعمار الأمريكي و المؤسسة الصهيونية. وفي هذا الصدد أوضح الصهيوني (ناحوم سوكلوف) أهمية أمريكا للمشروع الصهيوني قائلاً: "كانت كل فكرة تولد في لندن تخضع لامتحان المنظمة الصهيونية في أمريكا وكان كل اقتراح من أمريكا يلقى أقصى ما يمكن من الاهتمام الدقيق في لندن، وكانت المفاوضات الدائرة في الأوساط السياسية في إنجلترا وفرنسا معروفة في أمريكا، حيث كان كل نجاح يلقى ترحيباً حماسياً، كما كان يلقى في معظم الحالات دعماً إضافياً هناك أي في أمريكا".<sup>2</sup>

---

1- نظرة في واقع الإحلال الصهيوني، محمد جميل، مكتبة ابن القيم، الطبعة الأولى، 2005م، ص34.

2 - المرجع السابق

لذا في عام 1940م لم يُخفِ بن غوريون انتقال ولاء الصهيونية واعتمادها الكلي على أمريكا بدل بريطانيا لذا صرح قائلاً: "أما أنا فلم أكن أشك في أن مركز الثقل بالنسبة لعملنا السياسي كان قد انتقل من بريطانيا إلى الولايات المتحدة التي كانت قد احتلت المرتبة الأولى في العالم كدولة كبرى".<sup>1</sup>

و يصف الباحث أحمد الشقيري العلاقة الحميمة بين الصهيونية وأمريكا بقوله: (...). وبعد اليد البريطانية، جاءت اليد الأمريكية.. فقد انسحبت بريطانيا من فلسطين، لأسباب لا مجال لسردها هنا، وحلت محلها الولايات المتحدة في حماية اليهود في فلسطين، وقامت إسرائيل كدولة، وكان الفضل الأكبر في ذلك يرجع إلى أمريكا صاحبة قرار التقسيم، وأمر الولايات المتحدة فيه مشهور أيُّما شهرة ولا يحتاج إلى تفصيل !! فإن الدور الأمريكي في تلك الحقبة سردته مؤلفات في مجلدات. وما أن أصبحت إسرائيل دولة حتى تولت اليد الأمريكية مساندة إسرائيل عسكريا واقتصاديا وسياسيا، والعالم كله يعرف الشعار الذي رده رؤساء أمريكا من ترومان إلى كارتر، وهو: "أن إسرائيل وجدت لتبقى"، ثم الشعار الذي جاء بعده: "أن إسرائيل وجدت لتنمو وتزدهر" والذي جاء بعده: "أن إسرائيل وجدت لتحارب وتنتصر"، وكانت اليد الأمريكية هي التي أدت هذه المهمة الكبرى ثلاثين عاما أخرى بعد ثلاثين عام من اليد البريطانية.

لم تكن لإسرائيل يد في مجموع هذه السنين، في الستين عاما منذ صدور وعد بلفور إلى يومنا هذا، ففي الثلاثين الأولى كانت اليد البريطانية هي التي تتولى أمر إسرائيل

---

1- نظرة في واقع الإحلال الصهيوني، المرجع السابق، ص35.



من البذرة إلى الشجرة إلى الثمرة، وفي الثلاثين الثانية كانت اليد الأمريكية هي التي تقدم لإسرائيل كل أسباب الوجود والقوة، من الرغيف إلى الزبدة إلى المدفع، (...) علما أن نصيب إسرائيل من مجموع الاعتمادات الأمريكية العالمية يمثل 48 % ، كما يمثل 47 % من مجموع المنح الأمريكية العسكرية العالمية. وقد قدر الدارسون للأرقام والإحصاءات أن مجموع ما تلقتة إسرائيل من المعونات الأمريكية منذ نشوئها حتى الآن- في العقد الماضي - يتجاوز ثلاثين مليار دولار، هذا خلاف الهبات والتبرعات التي تقدمها الجالية الإسرائيلية في أمريكا، والمعفاة من الضرائب.<sup>1</sup> هذا المعلوم والمصرح به وما خفي كان أعظم، والله المستعان.

---

<sup>1</sup> - أحمد الشقيري : خرافات يهودية، مرجع سابق، ص 275-278

## المطلب الثاني: نتاج المشروع الصهيوني بين المولاة والمعارضة

ما كل اليهود يساندون الحركة الصهيونية ، وما كل اليهود يعارضونها ، وعليه فهناك الموالي وهناك المعارض لها، وهناك الطرف الثالث وهو من لا يهتم الأمر، يعيش سواء بين اليهود أو في المجتمع الأصلي، دون أن يبدي لا رغبة ولا نفرة من الصهيونية ومشروعها، وهذا الطرف بعيد عن مجال دراستنا، والمقصود من هذا المطلب هما الفريقان: الموالي صراحة وعن قناعة ، والمعارض بوضوح وعن قناعة، والملفت للنظر أن الفريقين يعيشان حالة من الأصولية والتطرف بالنسبة للطرف الآخر، فنحن أمام وجهين للأصولية اليهودية: يرى بعض الباحثين والدارسين للأصولية من أمثال "موقف العطار"، الذي يرى أن الأصولية اليهودية، باعتبارها من أقدم الأصوليات في الشرائع السماوية الثلاث، تحتل مكاناً بارزاً في الديانة اليهودية. وقد برزت كاستجابة لأزمات حلت في المجتمع اليهودي وهددت كيانه ووجوده، فغالباً ما وجدت نفسها أمام قوى دينية وسياسية تعارض أفكارها وتوجهاتها، وغالباً ما جابهتها قوى العلمانية وأنصار المعاصرة، وقاومتها المؤسسات القومية. إلا أنها تمكنت رغم كل التيارات المضادة لها، أن تنجح في تثبيت أقدامها في المجتمع اليهودي، وأضفت عليه علامة مميزة وتمكنت من جره إلى عتبة التعلق بالأساطير الدينية وإعطاء مقولاتها التي تنشرها والمفاهيم التاريخية المشوهة التي تبناها هالة كبيرة من التقديس والاعتبار.<sup>1</sup>

1- موقف العطار: الأصولية في الشرائع السماوية الثلاث، دار الرشيد، بيروت، ط1، 2002، ص22.

فهذه الأصولية التي تلتزم بتعاليم دينية موضوعة، وتمسك بها وترفض التعامل مع أي مظهر من مظاهر الحداثة والتقدم، وتصبر على أن هذه الحداثة مخالفة للشريعة اليهودية، وأنها خطر يقوض أركان الدين اليهودي، وتحارب العلمانية الفاصلة بين الدين والواقع، كما أنها ترفض الدخول بجوار مع المنادين بها، وتسعى جاهدة إلى قيادة مجتمعها إلى دائرة التطرف الديني المقيت، هذه الأصولية التي تعتبر حركة "غوش أمونيم" أبرز وجوهها، هي التي تعمل الآن على إحداث تغيير جذري في المناخ السياسي "الإسرائيلي"، جراء ضغطها بخطاب تطرفي قد يقود الدولة إلى طريق غامض يصعب سلوكه.<sup>1</sup>

ويذكر "موقف العطار" ما يعتقد الباحث "بروث لورنس" (Bruth Laurance) من أن

الحركات الأصولية تشترك فيما بينها بمفاهيم مشتركة تميزها بوضوح منها:

أ/ الاعتقاد بأنهم الصفوة المؤهلة لقيادة مجتمعاتها.

ب/ الاشتراك بفكرة الإيمان بقدسية وحرفية الكتاب المقدس.

ج/ محاربة التحديث والعلمانية والسعي إلى إقامة مجتمع ديني وفق معتقداتها.

د/ الاتفاق على تحويل نظام السلطة الإدارية استناداً لتعاليم الكتاب المقدس.

أما في "إسرائيل" ولأنها مركز الأصولية اليهودية فإن الأصولية فيها تأخذ مظهراً متميزاً

من مظاهر الهيمنة والصراع التاريخي لتحويل شخصية المجتمع والثقافة والتقاليد.

ويفضل في بداية الحديث عن الأصولية اليهودية أن نميز بين فريقين منها:

الفريق الأول ما يمكن أن نسميه بالأصولية المحافظة التي تتمسك بالتراث الديني "التوراة" وتلتصق بها وتؤمن بحرفيته وقداسته كلماته التي تعتبرها كلاما إلهيا وجهه الرب مباشرة إلى موسى عليه السلام وترفض أي تعديل أو تطوير لكلمات الكتاب المقدس لأنها تعتبر أن عقل الإنسان قاصر عن أن يجاري أو يتفوق على الكلام الإلهي وتعطي قداسة كبيرة لتعاليم "التلمود" وأحيانا كثيرة تصل هذه القداسة إلى اعتبار هذه التعاليم أكثر أهمية والتزاما من النص الإلهي رغم الاعتراف بأن الشريعة الشفوية "التلمود" وضعها الحاخامات وكتبوها في عهود متأخرة بما يزيد عن سبعة قرون من كتاب "العهد القديم"<sup>1</sup>.

إن هذا الفريق الذي يتمثل في مجموعات "الحاريديم" **Haredim** (الذين يخشون الله) والحسدسم "Hasidim" (المتقين) "والنيتوري كارتاه" **Neturei Karta** (حراس المدينة) يتميز في عمله السياسي ونشاطه الديني بإتباع الأسلوب السلمي، ولا يستخدم القوة والعنف لنشر آرائه ومعتقداته، ويكتفي بالتنديد والاحتجاج على سلوك الآخرين سلميا وبوسائل خالية من أي نوع من أنواع العنف. إنه يؤمن بحرفية النص التوراتي الذي يبين مراحل العهد المسيحاني (العودة الشخصية للمسيح أو بالأحرى، حسب التعبير اليهودي، المحيي وليس العودة للمسيح، وعودة اليهود إلى فلسطين، وجعل القدس عاصمة مملكة شعب الله المختار، وبناء الهيكل) وأن كل هذه الأمور هي رهن المشيئة الإلهية.

أما الفريق الثاني ورغم تماثل الأسس الفكرية والعقيدة الدينية بينه وبين الفريق الأول فإن اختلاف جذريا يبقى قائما بينهما ليس فقط في أسلوب عمل كل فريق بل وأيضا في

---

1- المرجع السابق، ص 23.

معتقد الفريق الثاني حول فكرة العودة والعصر المسيحاني إذ أن هذا الفريق الذي يتمثل في حركة غوش أمونيم والمجموعات الدينية الأخرى التي تساندها وتعمل معها يرى خلافا لما يعتقد الفريق الأول أنه ليس من الضروري انتظار الإرادة الإلهية وتجميع اليهود في أرض (اسرائيل) بل يمكن للإرادة البشرية تخطي الإرادة الإلهية لتسريع مجيء المسيح المخلص وهذا ما كانت تسعى إليه حركة غوش أمونيم لتجميع أكبر عدد من اليهود في فلسطين تمهيدا للعهد المسيحاني المنتظر. ومن منطلق هذا التحوير للمعتقد الديني أخذت الحركة تمارس عملية الاستيلاء على الأراضي العربية بالقوة والعنف واستخدام كل الأساليب غير الشرعية لإقامة المستوطنات وجلب أكبر عدد من المهاجرين اليهود إليها بعد طرد أصحاب الأرض الشرعيي<sup>1</sup>.

---

1- المرجع السابق، ص 24.

## نماذج للحركات والجماعات الدينية المؤيدة للمشروع الصهيوني

### حركة "كتلة الإيمان : غوش أمونيم"

#### النشأة التاريخية

ظهرت حركة غوش أمونيم، كجماعة داخل حزب المفدال، في أعقاب حرب العام 1967، ثم كحركة غير حزبية، مستقلة عن حزب المفدال، في مطلع العام 1974. وكان ظهور هذه الحركة نتيجة لعدة ظروف وعوامل شهدتها إسرائيل، في أعقاب حربي 1967، 1973.

#### هدف الحركة

الهدف الرئيسي هو استيطان الأراضي المحتلة عام 1967 - وخاصة الضفة الغربية - وتهويدها، تنفيذاً لما جاء على لسان الأب الروحي، والفكري، للحركة الحاخام "زيفي يهودا كوك"، قال في شأن هذه الأراضي: "إن هذه البلاد لنا ولا توجد هنا أية مناطق عربية أو أراضٍ عربية، بل أراضي إسرائيل، تراث الآباء الخالد، وهي في جميع حدودها الواردة في التوراة تابعة للحكم الإسرائيلي"، وقد ضمت هذه الحركة جملة من المتدينين الشباب من أمثال: "حانان بورات"، و"موشى ليفنغر"، و"يوحنان فريد"، و"أوري اليتسور"، و"حاييم دور كمان"، و"بيني كاتسوفر"، و"يوثيل بن نون"...، وغيرهم، بجانب عدد آخر من العلمانيين. وينتمي جميع المتدينين إلى جيل واحد تقريبا، وثقافة دينية عميقة، وخلفية

اقتصادية مستقرة، فهم أبناء لعائلات إشكنازية قديمة ثرية متدينة، تلقوا تعليمهم في المدارس الثانوية الدينية التابعة للدولة، وخاصة مدارس "بني عقيبا"، و"مركز هآراب".<sup>1</sup> ومنذ عام 1967، صار "كوك" واتباعه - الذين أنشأوا حركة "غوش أيمونيم" - لا يستطيعون الفصل بين الصهيونية واليهودية، وبين "القومية اليهودية" و"الديانة اليهودية"، فكما سخر "كوك" الأب، حياته للتوفيق بين الدين والسياسة، وبين المتدينين والعلمانيين، فإن "كوك" الابن سار على نفس الطريق، فراح يسمح على الصهيونية "دياجات خلاصية ومسيحانية تخرجها من طبيعتها السياسية لتصبغها صبغة دينية صوفية، بل وجاوز الأب بتحديدته ثلاث مراحل كبرى لعملية الخلاص، هي:

المرحلة الأولى: عودة يهود الشتات - بجهود علمانية - إلى "أرض إسرائيل"، وقد بدأت هذه المرحلة مع ما أسماه بـ "توبة الخوف" من الأذى الجسدي في الشتات.

المرحلة الثانية: باتت ممكنة بفضل التقاء الشعب اليهودي قلب يهودا والسامرة التوراتي، وهي تستلزم "الاستيطان الكامل في الأرض".

أما المرحلة الثالثة والأخيرة: فهي تستلزم "توبة الحب"، وفيها يدب النشاط في صحة اليهود الروحية بفضل احتكاكهم بكامل أرض إسرائيل، فيتوبون إلى الله ويلتزمون بأوامره ونواهيه، وكلما تزايد التزام الشعب بالفرائض الدينية كلما اقترب مجيء المسيح والخلاص.

---

1 - يذكر أن مدارس بني عقيبا ظهرت من داخل حركة الكيبوتز الديني، ولا يزال عدد كبير من قياداتها يأتي تقليدياً من الكيبوتزات الدينية. وهي تدير اليوم أكثر من ثلاثين مؤسسة تربوية وغير تربوية، وساهمت في تأسيس الكثير من المستعمرات التعاونية والجماعية، ويبلغ عدد فروعها في إسرائيل (350) فرعاً، وينتمي إليها اليوم ما يقرب من (50) ألف عضو.

## التنظيم الداخلي

مرت الحركة، من الناحية التنظيمية، بعدة مراحل بدأت بتمرد جناح الشباب داخل حزب المفدال . في أول مؤتمر للحزب عُقد بعد حرب 1967 ، في صيف 1968. على القيادات التاريخية. وقد تزامن ذلك مع شيوع آراء الحاخام "كوك"، واعتباره مرشداً روحياً لهؤلاء الشباب من جهة ومع قيام هؤلاء الشباب بأول نشاط عملي لتجسيد آراءه ، من خلال واقعة الاستيطان في مدينة الخليل العربية المحتلة، على يد الحاخام "ليفنغر"، من جهة أخرى.

وبنجاح أسلوب «ليفنغر»، المتمثل في «خلق الوقائع على الأرض»، تطابقت أهداف غوش أيمنيم، مع أهداف حركة أخرى نشأت بعد شهرين من حرب 1967، هي حركة «أرض إسرائيل الكاملة»، التي ضمت نخبة من الكتاب المعروفين، والمثقفين، والشعراء، والجنرالات، وزعماء كيبوتزات، وشخصيات صهيونية بارزة أخرى، بهدف العمل على الاستيطان العاجل والدائم، في الأراضي المحتلة عام 1967. وقد افتقد بيانها السياسي من أية ديباجات دينية، فجاءت تعبيراً عن الجناح القومي المتشدد من الصهيونية العلمانية. وفي أعقاب الظهور الرسمي لحركة غوش أيمنيم، انضم إليها الكثير من أعضاء حركة أرض إسرائيل الكاملة.

جاء الإعلان الرسمي عن حركة غوش أيمنيم في عام 1974، في مستوطنة "كفر عتسيون" شمال الخليل كحركة شعبية احتجاجية على ما صار يسمى في إسرائيل، "زلزال" 1973. تم



إنشاء سكرتارية من تسعة أعضاء، وعدد من اللجان<sup>1</sup>، وقُدّر عدد أفرادها ببضعة آلاف من الشباب، ولم يكن للحركة بطاقات عضوية، ولا هياكل تنظيمية. وقد حددت الحركة مبادئها فيما يلي:

1- لا تنازل ولا انسحاب ولا تخلي عن طريق الإيمان بضرورة استيطان جميع أرجاء أرض إسرائيل.

2- حق اليهود في هذه البلاد ليس خاضعاً لقوانين الشعوب بل هو وعد من الله ومن التوراة، وإذا كانت قوانين الدولة لا تتفق وأوامر الله، فإن الواجب يدعو إلى عدم الانصياع لها لأن الاستيطان في المناطق المحتلة هدف أسمى وتنفيذ لإرادة الله وليس القانون الإسرائيلي. كان الهدف المعلن للحركة - التي قُصد بها أن تكون كتلة من كتل المفدال، في بادئ الأمر - عدم مشاركة المفدال، في أية حكومة ائتلافية إلا إذا اشتمل برنامجها على بند صريح يمنع تقديم أية تنازلات في الضفة الغربية، ولذا فقد أيدت الحركة تشكيل ائتلاف وطني يضم حزب الليكود في ذلك الوقت.

وقد استمدت الحركة جمهورها، من دعاة الاستيطان، وغلاة المتشددين من المحاخامات، والكتاب، وجنرالات الجيش، ومستوطني الضفة الغربية وغزة، وخرجي المدارس الدينية التابعة للدولة، التي أنشأت في الأراضي المحتلة عام 1976، والمعروفة باسم "الشيغوت

---

1 - من هذه اللجان: اللجنة الاستيطانية برئاسة «بورات»، واللجنة السياسية برئاسة «ليفنغر»، واللجنة المالية برئاسة «يعقوب ليفين»، واللجنة الإعلامية برئاسة «يهودا حزاني»، وغيرها.

هسدر<sup>1</sup>. كما ضمت الحركة عناصر علمانية متشددة من أنصار حركة الصهيونية العمالية، وحزب الليكود. بظهور حركة غوش أيمنيم، شهدت إسرائيل ميلاد قطاع جديد يمزج بين الدين والقومية، كما أراد الحاخام «كوك» الأب في مطلع هذا القرن، وخلافاً للعلمانيين الذين يسيرون حاسري الرؤوس، ولغلاة المتشددين الحريدسم الذين يرتدون اللباس الأسود على الطريقة الليتوانية، وقبعة سوداء» يارمولكا» من النسيج الأسود، صار يوجد «متدينون قوميون» يعتمدون مظهراً يجمع بين التقيد الصارم بالتعاليم الدينية والانتماء التام للحدثاثة، فهم يرتدون الجينز أو البنطلون القصير، وقميص يظهر فيه بوضوح خمار الصلاة وقلنسوة منسوجة وملونة بألوان متنوعة.

وانطلاقاً من تلك الأفكار التي استندت إليها حركة غوش أيمنيم، وارتباطاً بما آلت إليه الدولة في أعقاب حربي 1967، 1973، مارست الحركة نشاطات مختلفة، لتحقيق هدفها الأوحد، المتمثل في عدم التنازل عن أي شبر من أرض إسرائيل، والعمل على استيطان هذه الأرض وتوحيدها. ويتمثل أبرز هذه الأنشطة في التظاهر والاحتجاج، والضغط على الحكومة، وإنشاء مستوطنات غير مرخصة، والقيام بعمليات إرهابية ضد العرب. وعلى الرغم من وجود جماعات أخرى تقوم بمثل هذه الأعمال، فإن أهم ما يميز حركة غوش أيمنيم، هو قيامها بهذه الأعمال بشكل مؤثر ومنظم، ونجاحها في دعم وصول الليكود إلى السلطة عام

---

1 - نشأت اليشيفوت هسدر في الجيش، بالتعاون مع المتدينين، لإجتذاب خريجي المدارس الدينية وبنى عقيباً لتأدية الخدمة العسكرية في هذه اليشيفوت، بعد 1967. صُممت على شاكلة وحدات الناحال العسكرية المتاحة للشباب الراغب في حياة الكيبوتزات (التي يُقسم العمل فيها بين الزراعة والتدريب العسكري) حيث يقسم العمل فيها بين الخدمة العسكرية والدراسة الدينية.

1977، وزرع بذور التنافس بين قادة حزب العمل "ديان" و "ألون" من جهة، و "رابين" و "بيريز" من جهة أخرى.

وعلى الرغم من أن الحركة غير حزبية، إلا أنها نجحت في لعب دور مؤثر في سياسات الحكومة من أجل تحقيق أهدافها، حيث استطاعت إيصال بعض قادتها إلى الكنيست، على قوائم أحزاب أخرى قريبة من أفكارها، كما كان للحركة دوماً أنصار داخل الأحزاب الأخرى، ومن هؤلاء "آريل شارون"، الذي وُصف دوماً بأنه "الممثل الرسمي لغوش أيمنيم"، في حكومات الليكود.<sup>1</sup>

---

1 - لمزيد من التفاصيل أنظر موقف العطار: الأصولية في الشرائع السماوية الثلاث، مرجع سابق، ص، 45. وكذا عبد الناصر بن محمد مغنم: الكيان الصهيوني دولة القمع والإرهاب، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى -2003، ص156، وكذا عثمان سعيد العاني: الأساطير التاريخية اليهودية حول أرض المسجد الأقصى، مرجع سابق، ص231، وكذا عبد الفتاح محمد ماضي: الدين والسياسة في إسرائيل، مرجع سابق، ص491، وكذا جمال البدري: السيف الأحمر دراسة في الأصولية اليهودية المعاصرة، مرجع سابق،

## حركة «هكذا: كاخ»

تأسست حركة كاخ، على يد الحاخام "مائير كهانا"، في إسرائيل، عام 1973، كامتداد لرابطة الدفاع اليهودية التي أنشأها «كهانا»، في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1968.

### النشأة تاريخية

وُلد مؤسس الحركة «مائير كهانا»، في حي بروكلين بنيويورك عام 1932، لأسرة هاجرت من صغد بفلسطين إلى الولايات المتحدة، مع مطلع القرن العشرين. وقد انضم «كهانا» - في صباه - إلى حركة بيتار، ثم تركها وواصل دراسته الدينية حتى صار حاخاماً، كما حصل على الماجستير في القانون الدولي. وبعد أن فُصل من وظيفته بتهمة «الهوس الديني المفرط»، وفشل في أن يصبح محامياً، هاجر إلى «إسرائيل»، غير أنه فشل في الحصول على وظيفة حاخام، فعاد مرة أخرى إلى الولايات المتحدة، حيث أسس صحيفة "Jewish press"، ثم صار عميلاً ومخبراً سرياً لدوائر الاستخبارات الأمريكية، وتجنس على اليمين الأمريكي المتطرف، والطلاب اليساريين. وفي العام 1968، شكل «رابطة الدفاع اليهودية»<sup>1</sup>، واتخذ من مقاطعة كوينز بولاية نيويورك مقراً لها، بهدف مواجهة نشاط السود في الدفاع عن حقوقهم المدنية، ومطالبتهم بمقاسمة اليهود الامتيازات، التي كانوا يتمتعون بها على حساب الأقلية السوداء. وقد استخدمت الحركة شعارات مثيرة مثل: «لن تعاد أبداً» (ويُقصد به لن تعاد "المحرقة" أبداً، "ولكل يهودي بندقيته الطويلة"، «أيها اليهود: اشترُوا الأسلحة - إن النازيين

1 - اتخذ كهانا من نجمة داود التي يتوسطها قبضة شعاراً للحركة .

الجدد والشيوعيين والمسلمين .... والذين ينشرون الكراهية ..... موجودون في الولايات المتحدة، وكلهم يهدفون إلى تدمير الجماعة اليهودية.....».

وخلال الفترة من 1969-1972، نفذت الرابطة سلسلة طويلة من الاعتداءات، ضد المصالح الفلسطينية والعربية والسوفيتية، في الولايات المتحدة بهدف تحقيق المصالح الإسرائيلية، وتخريب العلاقات الأمريكية - السوفيتية. وقد دفع ذلك بمكتب التحقيقات الفيدرالية (FBI) إلى تصنيف الرابطة ضمن المنظمات الإرهابية الرئيسية في الولايات المتحدة، وفي فبراير 1975، أدين «كهانا» بتهمة الحض على اغتيال دبلوماسيين عرب وسوفيت، وحُكم عليه بالسجن لمدة عام واحد، قضى منها ثمانية أشهر<sup>1</sup>.

وفي العام 1969، انشق «كهانا» عن حركته في الولايات المتحدة - تاركاً إياها تمارس حتى اليوم العنف والإرهاب ضد العرب والمسلمين<sup>2</sup> - وهاجر إلى إسرائيل، ليؤسس حركة باسم «قمع الخونة: دوف»، شعارها هو شعار رابطة الدفاع، ثم ما لبث أن حوّل الحركة إلى حزب سياسي تحت اسم «كاخ : هكذا» في عام 1973.

### أيديولوجية كاخ وأنشطتها السياسية

هي أيديولوجية رابطة الدفاع اليهودية، وقد حُددت الملامح الرئيسية لهذه الأيديولوجية من خلال أفكار وكتابات «كهانا»، على أسس دينية متشددة وأخرى عنصرية متطرفة.

- 1 - على الرغم من ذلك، لقيت الرابطة دعماً من عدد من الأمريكيين اليهود، بل أن «مناحيم بيجن» أعرب عن دعمه الرسمي لأساليب الحاخام «كهانا» في الولايات المتحدة، في بروكسل في فبراير 1971، أثناء «المؤتمر العالمي للجماعات اليهودية»
- 2 - من الجرائم البشعة، التي اتهمت فيها الحركة، اغتيال الدكتور «إسماعيل راجي الفاروقي» - الأستاذ الفلسطيني الأمريكي الجنسية في جامعة تمبل بفلادلفيا - وزوجته في 27 مايو 1986

وانطلاقاً من هذه الأيديولوجية، راحت حركة كاخ تمارس نشاطها السياسي في إسرائيل بهدف تحقيق أهدافها ومبادئها. وقد تمثل نشاطها هذا، في عمليات إرهاب وقتل وتخريب وتهديد، قام بها الأعضاء النشطين بالحركة وأنصارها، عن طريق تنظيم مظاهرات عنصرية ضد العرب، أو إنشاء تنظيمات سرية مسلحة.

وجهت الحركة نشاطها، في البداية، ضد عرب 1948، فنظمت حملات ومسيرات لإثارة الكراهية ضدهم والتحريض على طردهم من البلاد، والتضييق عليهم ريثما يتحقق ذلك. واتسمت هذه الحملات بالسوقية والابتدال من جهة، وبقدر كبير من الإثارة الإعلامية المسرحية من جهة أخرى، مما أدى بالسلطات إلى إصدار قرار بحظر دخول كهانا إلى المدن العربية المحتلة عام 1948. وقد امتدت نشاطات حركة كاخ إلى المناطق المحتلة عام 1967، من الاعتداء على العرب بالقتل أو التهديد به، والإضرار بالمتلكات، وتخريب المزروعات، من مقر قيادة الحركة في مستعمرة كريات أربع بالخليل المحتلة. وقد أدى ذلك إلى ملاحقة عدد كبير من النشطين بالحركة واعتقالهم، بل أن «كهانا»، نفسه أُعتقل بأمر إداري من وزير الدفاع عام 1980، وسُجن ستة أشهر بتهمة تدير عملية تخريبية ضد المسجد الأقصى.

أقامت الحركة تنظيماً شبايياً خاصاً باسم "تاناخ"، يقوم بتنظيم معسكرات تدريب عسكرية للفتيان بغرض تأهيلهم لاستخدام السلاح وممارسة العنف. وترتبط الحركة بالعديد من التنظيمات السرية المسلحة، أهمها: تنظيم "لجنة الأمن على الطرق" الذي أنشئ عام 1986، بغرض توفير حماية مسلحة لسيارات وأتوبيسات المستوطنين في الضفة الغربية، ويضم التنظيم مئات الأعضاء، معظمهم من كريات أربع، وأجهزة اتصال ونقل حديثة وأسلحة ومواد تخريبية.

وقد انتقلت الحركة إلى العمل السري، فنظمت حملات إرهابية عديدة ضد العرب وممتلكاتهم، كما أنشأت «منظمة دولة يهودا»، التي مارست العديد من عمليات القتل والتخريب ضد العرب. وترتبط هذه المنظمة بما يسمى بـ "دولة يهودا المستقلة"، التي أعلنها ممثلون عن مستوطنات الضفة الغربية، والجولان، وغزة - في يناير 1989 - والتي اختارت لها علماً ونشيداً ودستوراً وهيئات منتخبة. انتخب «كهانا» رئيساً فخرياً للدولة، و«ميخائيل بن حورين» - من مستوطني الجولان وعضو كاخ - رئيساً للجنة التنفيذية، التي تألفت من سبعة أعضاء. وقد أعلن مؤسسو الدولة أنهم موالون لدولة «إسرائيل» الحالية وقوانينها ومؤسساتها، ولكن هذا الولاء سينتهي في اللحظة التي تتخلى الدولة عن أي جزء من «أرض إسرائيل»، كما تعهدوا بالسيطرة - ولو بالقوة - على أية أراض يتم التخلي عنها.

كما اقترن اسم «كهانا»، وحركة كاخ بتنظيمات سرية أخرى مثل منظمة "الإرهاب ضد الإرهاب: T. N. T" - التي حاربت العرب، ومنظمة «حملة الخناجر: السيكا ريكيم»، التي تعمل ضد الشخصيات اليهودية التي تدعو إلى السلام مع العرب.

وإلى جانب أنشطة الحركة الإرهابية تلك، خاضت انتخابات الكنيست في أعوام 1973، و1977، و1981، بيد أنها فشلت في تجاوز نسب الحسم في كل مرة. وفي انتخابات عام 1984، نجحت في الحصول على نحو 26 ألف صوت أي (1.2%) من مجمل الأصوات الصحيحة، فحصلت على مقعد واحد شغله «مائير كهانا»<sup>1</sup>.

---

1 - هناك عدة ظروف ساعدت على حصول قائمة كاخ على هذه الأصوات، منها وصول حزب الليكود اليميني إلى الحكم عام 1977، وتصاعد نفوذ المتدينين واليمين عموماً، ونمو مشاعر العداوة ضد العرب. وقد صوت لكاخ (33%) من أصوات سكان

ولعل أبرز خطوط البرامج السياسية للحركة ما يلي:

- ضرورة طرد العرب من «أرض إسرائيل»، لتصبح دولة إسرائيل دولة يهودية حقاً.
- ضرورة إبعاد العرب المسلمين «الغرباء»، عن ساحة حرم المسجد الأقصى تطبيقاً لقول التوراة، «فليقتل كل غريب يقترب من جبل البيت»، ومقاطعة التجار العرب، وعدم السماح للعرب بالدراسة في الجامعات الإسرائيلية، ومحاربة «الذنس» الناجم عن زواج العرب من اليهوديات.
- حرمان العرب في «إسرائيل»، من كافة الحقوق والمساعدات، والزج بهم في معسكرات للقيام بالأعمال الشاقة.
- العفو عن أعضاء التنظيمات السرية الإرهابية.
- عدم التنازل عن أي جزء من «أرض إسرائيل»، وضم الضفة الغربية، وقطاع غزة، للدولة.
- توطين اليهود في كامل «أرض إسرائيل»، وتكثيف الهجرة إليها.
- تدمير المسجد الأقصى، وقبة الصخرة.
- تنقيف اليهود بالقيم اليهودية، وتطبيق تعاليم التوراة.
- عشية انتخابات العام 1988، قررت لجنة الانتخابات المركزية حظر مشاركة حزب كاخ في الانتخابات بسبب أفكاره العنصرية، وممارسته التي تثير مشاعر الكراهية والعداء ضد العرب.

---

مدن التطوير) حيث يقطن الشرفيون الفقراء)، و (32% من القرى التعاونية الدينية) الموشاف)، و (23% من سكان الأحياء الفقيرة بالمدن الكبرى).



## مصير الحركة بعد مقتل زعيمها

فقدت حركة كاخ بمقتل «مائير كهانا» - على يد رجل مسلح قيل أنه مصري يحمل الجنسية الأمريكية في 6 نوفمبر 1990 - مصدر قوتها الرئيسي، فقد كان هو المنظم والداعية وجامع الأموال، وقائد الحملات الدعائية، ومتخذ القرارات الأساسية، وموجه الأنشطة السياسية ومحركها الرئيسي. ولم يكن بين معاونيه من يتمتع بنضج سياسي، أو كفاءة فكرية أو جاذبية جماهيرية كما كان «كهانا». لقد كان معاونوه «أدوات تنفيذية له، واستمروا بعد مقتله في إدارة الحركة بالأساليب نفسها، ولكن في نطاق أضيق وبفاعلية أقل». وقد انقسمت الحركة، بعد مقتل «كهانا»، إلى تنظيمين هما:

أ/ حركة كاخ: مقرها كريات أربع، ويقودها «باروخ مرزل»، كرئيس للحركة، و «نوعام فدرمان»، كناطق بلسان الحركة، و «تيران بولاك»، كرئيس لـ «لجنة الأمن على الطرق». ومن الشخصيات المعروفة داخل الحركة، «شموئيل بن يشاي»، و «بن تسيون غوفشتاين»، والحاخام «إبراهام توليدانو». وقد صارت أنشطة الحركة أكثر شراسة وحدة.

ب/ تنظيم «كهانا حَي»: مقره في مستعمرة كفار تبواح في نابلس، ويتزعمه نجل «مائير كهانا»، «بنيامين كهانا»، ويساعده «ديفيد أكسلرود»، ويدير أنشطة التنظيم في الخارج «يكتوئيل بن يعقوب»، المطلوب من قبل مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي. ولهذا التنظيم فروع في الولايات المتحدة، وله فرع للفتيان في إسرائيل، يسمى «نوعير مائير» أي فتیان مائير.

في أعقاب مجزرة الحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل المحتلة في 25 فبراير 1994 - والتي نفذها أحد النشطين برابطة الدفاع اليهودية في الولايات المتحدة، الناطق باسم حركة كاخ في

«إسرائيل» في فترة معينة،» باروخ غولدشتاين» - وحظر نشاط تنظيمي كاخ وكهانا حي، وأعلن أنهما منظمتان إرهابيتان .

وهكذا، فإن حركة كاخ، حركة سياسية دينية عنصرية هدفها الرئيسي طرد العرب من أرضهم بكافة السبل بما فيها التنكيل والقتل، وهي تستمد أيديولوجيتها من الدين اليهودي، وتحمل بشكل واضح سمات النظم الفاشية، عبادة الزعيم - تقديس الأرض والجماعة التي تسكن فيها - كراهية اليساريين والليبراليين والعرب - العنف والإرهاب.

نالت الحركة تأييد قطاعات واسعة من الجمهور الإسرائيلي، وخاصة الجمهور الديني، كما تلقت الدعم من العديد من الحاخامات، وعلى رأسهم الحاخام «زيفي كوك»<sup>1</sup>.

---

1 - لمزيد من التفصيل أنظر جمال البدري: السيف الأحمر دراسة في الأصولية اليهودية المعاصرة، مرجع سابق، ص 267، وكذا عبد الناصر بن محمد مغنم: الكيان الصهيوني دولة القمع والإرهاب، مرجع سابق، ص 153، وكذا عبد الفتاح محمد ماضي: الدين والسياسة في إسرائيل، مرجع سابق، ص 507، وكذا عصام علي العبيدي: الأحزاب السياسية في إسرائيل، دراسة تاريخية، دار المنهل اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى - 2011، ص 163

## حركة "الوسط الديني: ميماد"

### النشأة التاريخية

هي حركة دينية صهيونية إشكنازية، أسسها الحاخام "يهودا عميطال" - رئيس «يشيفا هرعتسيون»، في «غوش عتسيون»، بالقدس - في يولييه عام 1988. وقد خاضت انتخابات عام 1988، وحصلت على نحو 16 ألف صوتاً، إلا أنها لم تتخط نسبة الحسم. وتنبع أهمية هذه الحركة في أنها تتسم بالاعتدال فيما يتعلق بعلاقة الدين بالدولة في إسرائيل، من جهة، وقربها من حزب العمل واليسار الصهيوني عموماً، من جهة أخرى.

انشق "عميطال"، عن حزب المفدال، بسبب نزوع الحزب نحو التطرف القومي والديني، واستخدام الدين في عمليات الاستقطاب، والمساومة، عشية كل ائتلاف حكومي، حيث عُرف عن «عميطال»، نظرتة المعتدلة في شأن العلاقة بين الدين، والدولة، فهو يرفض انحياز الجمهور الديني إلى اليمين، ويخشى من أن يولد انطباع بأن هناك توافقاً بين التوراة واليمين المتطرف. ويؤمن بأن هدف الأحزاب الدينية المتمثل في تحقيق دولة، تحكمها الهالاخاه، لا يمكن تحقيقه من خلال الأحزاب الدينية الحالية، وهاجم آراء الحاخامات، الذين يُيدون استعداداً للتنازل عن مطالب المتدينين في مجال التعليم، مقابل الحفاظ على «أرض إسرائيل التاريخية»، ورأي أن على الدولة أن تتنازل عن أجزاء من «أرض إسرائيل» المقدسة - وليس كل الأرض - إذا رأت أن في ذلك صيانة للمصالح العليا للدولة. وللحاخام «عميطال» مواقف معتدلة أخرى؛ فقد أدان مذابح صبرا وشاتيلا، ورأى فيها تدنيساً لاسم الرب، وحرّم على تلاميذه المشاركة في مظاهرات غوش أيمونيم الاستيطانية في الضفة الغربية المحتلة، وفي مستعمرة "ياميت" بسيناء.

عارض « عميपाल » حركة غوش أيمنيم، ورأى أنها « حركة مسيحية كاذبة ». وهو يؤمن بأفكار الحاخام «أبراهام كوك»، وبأن دولة إسرائيل مرحلة مهمة من مراحل تحقيق الخلاص، إلا أنه يرفض أفكار «كوك» الإبن، التي يعدها «متطرفة» .  
ومن ثم أنشأ «عميपाल» حزبه الجديد، آملاً أن يكون جسراً وسطاً، بين الكتل والقوائم الحزبية، وحزباً دينياً قادراً على تعديل شكل العلاقة بين المتدينين والعلمانيين.

### أفكار البرنامج الانتخابي للحركة

يمكن أن نلخص أفكار البرنامج الانتخابي للحركة على صعيدين الداخلي والخارجي كالتالي:

أولاً: الصعيد الداخلي :

- (أ) الدعوة إلى تعزيز "الشخصية اليهودية الوطنية" للدولة.
- (ب) العمل على تضيق الهوة بين المتدينين والعلمانيين حتى يقل الخلاف وتتوحد الجهود.
- (ج) تعزيز السلطة الحاخامية الرئيسية.
- (د) معارضة تعديل قانون من هو اليهودي.
- (هـ) التوسع في التعليم الديني ودعم المؤسسات الدينية.
- (و) ضرورة تأدية طلبة المدارس الدينية للخدمة العسكرية.
- (ز) تعزيز مركز المرأة في المجتمع والسماح لها بعضوية المجالس الدينية.
- (ح) عدم مخالفة النشاطات الاقتصادية لتعاليم التوراة والحد من تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي وتشجيع الاستثمار ومحاربة الفساد وتوزيع الدخل بشكل عادل.
- (ط) توسيع الخدمات الاجتماعية والصحية و سن قانون وطني للتأمين الصحي.

ثانياً: على الصعيد الخارجي:

- (أ) الإيمان بحق "إسرائيل"، الأبدى في كامل «أرض إسرائيل».
- (ب) إمكانية التنازل عن أجزاء من هذه الأرض مقابل سلام حقيقي، إذا كان ذلك في مصلحة الدولة، مع بقاء المستوطنات، والمستوطنين.
- (ج) معارضة فكرة الطرد الجماعي للعرب.
- (د) عدم خرق القيم الإنسانية أثناء التصدي للانتفاضة.
- (هـ) رفض قيام دولة فلسطينية مستقلة.
- ونظراً لأن «عميطال»، كان يميل دوماً نحو حزب العمل، وزعيمه الأسبق «رابين»، فقد علق حزب العمل عليه آمالاً كبيرة، بيد أنها تبددت مع فشل الحركة عام 1988. ثم أحجمت الحركة عن خوض الانتخابات التالية في عامي 1992، و1996، خوفاً من الفشل مرة أخرى. شارك الحزب في الحكومة المؤقتة التي شكلها "بيريز"، في أعقاب مقتل «رابين»، وشغل «عميطال»، منصب وزير بلا وزارة.<sup>1</sup>

1 - لمزيد من التفصيل أنظر عبد الفتاح محمد ماضى: الدين والسياسة في إسرائيل، مرجع سابق، ص 514

## نماذج للحركات والجماعات الدينية المعارضة للمشروع الصهيوني

### حركة "حباد" الحسيدية

#### النشأة التاريخية

تأسست حركة حباد<sup>1</sup> الحسيدية على يد الحاخام «شنيور زلمان ملادي»<sup>2</sup> (1745-1813)، في بيلوروسيا، ثم انتقلت إلى لاتفيا، ثم بولندا، ثم الولايات المتحدة الأمريكية، عام 1940. ويوجد أكبر تجمع للحركة اليوم في الولايات المتحدة، ثم في إسرائيل.<sup>3</sup>

تهتم الحركة بدراسة التوراة والتأمل العقلي؛ فهي من أوائل المدافعين عن مصالح اليهود في كل مكان، وقدمت العون للناجين من النازية. واهتمت بتقديم الخدمات الدينية والاجتماعية والثقافية، لأتباعها في كل مكان كما بادرت إلى إنشاء مدارس دينية، وأنشأت منظمات نسائية، وأخرى خاصة بتربية الأطفال، ويُقدر عدد مراكزها، في قارات العالم الست، بحوالي ألف وخمسمائة مركز، وتمتلك محطة إذاعة خاصة في نيويورك، وأخرى في

1 - كلمة حباد عبرية تمثل اختصاراً للكلمات الثلاث: الحكمة والفهم والمعرفة.

2 - تزعم الحاخام «زلمان ملادي» الحركة حتى وفاته، ثم حل ابنه الحاخام دوف بار (1773-1827) محل أبيه، ونظراً لأن هذا الحاخام كان من مدينة لوبافيتش الروسية فقد صار هذا الاسم يطلق على أدمرة هذه الحركة حتى اليوم. وقد جاء بعد «دوف بار» صهره الحاخام «مناحيم مندل شنيورسون» (1789 - 1866) ثم نجله، الحاخام «شمونيل مندل» (1834 - 1882) ثم الحاخام «شالوم دوف بار» (1866 - 1920)، فابنه الحاخام «سوسيف اسحاق» (1880 - 1950)، ثم الحاخام «مناحيم مندل شنيورسون» (1902 - 1994). وانظر أيضاً، رشاد عبد الله الشامي: القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 186، ص 212 وما بعدها

3 - أحمد محمد: حركة حباد الحسيدية الدينية، النشأة والأفكار والأهداف، صحيفة تشرين 2006/06/13، مقال على الرابط الإلكتروني

التالي: <http://tishreen.news.sy/tishreen/public/read/76584>

فرنسا، تبث برامج دينية ودروساً في التوراة يومياً. وتقدر مصادر الحركة عدد مؤيديها في العالم بأكثر من مليون يهودي، أما أتباعها الملتزمون بتعاليمها فيقدرون بحوالي مائة وخمسين ألف شخص، يتمركزون في الولايات المتحدة وإسرائيل.<sup>1</sup>

خاضت وتحوض حباد الحسيدية صراعاً عنيفاً مع التيارات اليهودية الأخرى، في الولايات المتحدة أو في غيرها، خاصة مع الجماعات الأرثوذكسية، ففي مطلع القرن العشرين شن "الأدمور الخامس" للحركة حملة شعواء على الحركة الصهيونية، ووصفها بأنها مبادرة سلبية لاستعجال النهاية، بما يتناقض مع التقاليد اليهودية، وأكد أنه «حتى لو أتبع الصهاينة أوامر الإله بشكل دقيق فإنه لا يجوز لليهودي أن ينضم إليهم لكي يبحث عن الخلاص بجهود "ذاتية"، ولهذا أفنى «دوف بار»، بعدم جواز استخدام السبل المادية والسياسية للهجرة إلى فلسطين لتعجيل الخلاص، لأن ذلك يخالف وصايا التوراة. ورفض الطرح الصهيوني المتعلق بخلاص اليهود والقائم على نظرية المراحل، وقد ارتكزت معارضة الحركة الصهيونية على أساس أن على اليهود أن يظلوا في المنفى حتى يظهر المسيح المخلص، فهو وحده المكلف من قبل الرب بإنقاذ الشعب اليهودي، و«العودة» به إلى أرضه لتأسيس «مملكة إسرائيل»<sup>2</sup>.

لم تدم هذه المعارضة طويلاً فمع قدوم الأدمور السابع «مناحيم مندل شنيورسون»، راحت الحركة تقترب من الصهيونية، حيث أعلن «شنيورسون»، أن إنشاء

1 - أحمد محمد: حركة حباد الحسيدية الدينية، النشأة والأفكار والأهداف، المرجع السابق وانظر أيضاً، رشاد عبد الله الشامي: القوى الدينية

في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، المرجع السابق، ص 211-212

2 - المرجع السابق، وانظر أيضاً، رشاد عبد الله الشامي: القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، المرجع السابق، ص 208

الدولة «فضل من الإله، والتفاته منه نحو اليهود، من أجل خلاصهم»، غير أن الصهاينة - في رأيه - أضعوا الفرصة، وبنوا الدولة على «أسس لا يجمعها جامع مع توراة شعب إسرائيل». وكان "شنيورسون" قد أعلن، عند تعيينه، أن «الفترة التي نعيشها هي الفترة التي يجب أن يأتي فيها المسيح. وعندما اندلعت حرب 1967، اعتبر أن النصر الإسرائيلي يشير إلى بداية الخلاص واقترب ظهور المسيح<sup>1</sup>. علما أن هذا التحول للحركة من المعارض إلى الموالي، يعود للحركة التي يتمتع بها منظرو الصهيونية، إذ لا يدون رفض المعارضة من أول وهلة، بل يقبلون بها ظاهراً، ثم يدخلون عناصرهم ضمنها، ويقوم هؤلاء بتفجير الحركة من الداخل وذلك بالسيطرة على القيادة والقمة، كما مرّ معنا ذلك في الفصول السابقة.<sup>2</sup>

حققت الحركة نفوذاً واسعاً في الولايات المتحدة، وإسرائيل، وفي كل مكان يوجد فيه يهود، إبان رئاسة «مناحيم مندل شنيورسون»، لها في الفترة من عام 1950، حتى العام 1994. ففي خارج «إسرائيل» يسعى مختلف المرشحين للانتخابات في الولايات المتحدة وفرنسا، على سبيل المثال، للحصول على أصواتهم. وكان لـ «شنيورسون»، نفوذاً هائلاً في الولايات المتحدة، وحظي بتقدير الرؤساء وأعضاء الكونجرس وكبار الساسة.

وكان "شنيورسون"، يرى أن «القدرة الإلهية» تتحكم في كل صغيرة وكبيرة في العالم، وأن التوراة كلها مقدسة، وأنها سبقت خلق العالم، ومن ثم كانت دعوته لتأليف قلوب اليهود ودعم التراث اليهودي، من أجل تحقيق وحدة "الشعب اليهودي". وكان يعتقد أن حب «أرض إسرائيل» فريضة لا يمكن على الإطلاق فهم وتطبيق التوراة وإقامة الفرائض دونها.

1 - أحمد محمد: حركة حباد الحسيدية الدينية، النشأة والأفكار والأهداف، المرجع السابق

2 - راجع الصفحة 40 من هذا البحث



وعلى الرغم من ذلك لم تطأ قدماه «أرض إسرائيل»، وظل يرفض الهجرة إليها - على الرغم من معلوماته الواسعة عنها - حتى وفاته.<sup>1</sup>

تمتع الحركة في داخل إسرائيل، بنفوذ كبير، حيث تتبنى مواقف سياسية محددة، ويمارس أتباعها وأنصارها حقوقهم السياسية بحرية، فعلى صعيد الشؤون الداخلية تطالب الحركة بالآتي:

1- تعديل قانون العودة بهدف ضمان نقاء «الجنس اليهودي المختار»، إذ يرى «شنيورسون»، أن اليهود من جنس أسمى وأعلى من بقية الأمم التي مكانها في الدرك الأسفل، «فأصل أرواح بني إسرائيل هو الروح القدس، أما أصل أرواح شعوب العالم فهو من طبقات النجاسة الثلاث»، وهي نظرة عنصرية محضة تفوق نظرة «هتلر» للأجناس.

2- منع الإجهاض وتشريح جثث الموتى.

وقد كان للحاخام «شنيورسون»، مكانة مرموقة عند ساسة الدولة وكبار المسؤولين فيها، وكثيراً ما كانت شخصيات مثل «بيجن»، و«بيريز»، و«شارون»، و«يوسف بورغ»، و«أهارون ياريف»، وغيرهم تطلب مشورته. وعلى الرغم من أنها حركة غير حزبية، ولم تشارك في أية انتخابات عامة أو محلية، ولم تؤيد رسمياً أية قائمة انتخابية، إلا أن أتباعها كانوا يصوتون دوماً لصالح بوعالي أعودات إسرائيل، عدا عام 1965، حينما أمرهم «شنيورسون»، بالتصويت لصالح المفدال.<sup>2</sup>

1 - انظر الفاصيل: رشاد عبد الله الشامي: القوي الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، المرجع السابق، ص 213 وما بعدها

2 - المرجع السابق ص 213-218، [http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia21/isra-parts/sec08.doc\\_cvt.htm](http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia21/isra-parts/sec08.doc_cvt.htm)

وللحركة آراء متشددة تجاه العرب، فهي تؤيد فكرة «أرض إسرائيل الكاملة»، برغم عدم اعترافها علناً بدولة «إسرائيل»، ومن ثم ترفض فكرة الأرض مقابل السلام، وتطالب الحكومات الإسرائيلية بضم الأراضي المحتلة وعدم إرجاع الأراضي التي غنمتها إبان حرب الأيام الستة»، وذلك لأن السيطرة اليهودية على كامل «أرض إسرائيل» هي شرط مسبق لا غنى عنه لظهور المسيح المنتظر. وارتباطاً بهذه الأفكار دعا الحاخام «شنيورسون»، إلى ترحيل العرب عن أراضيهم، بل ونادى، في أكتوبر 1968، بقتل العرب صراحة، وقال «إن العرب يتغنون شيئاً واحداً لا غير، وهو القضاء علينا إن عاجلاً أو آجلاً وإن علينا أن نتبع القول المأثور «عجل بقتل من يسعى لقتلك»، كما احتج هذا الحاخام بشدة - مراراً - على بقاء العرب في القدس، وعلى ما أسماه المعاملة الحسنة التي تعامل بها إسرائيل، «مخربي» فتح. وكان «شنيورسون» من القادة الحريديين القلائل، الذين أعربوا عن دعمهم لحركة غوش أيونيم، ومشاريعها الاستيطانية في الضفة الغربية والقطاع.

توزعت قيادة الحركة في إسرائيل، بين عدد من الحاخامات منهم: «شموئيل هينغر»، و«ليب كفلن» و «مردخاي أشكنزي»، و«لايفشتس» زعيم منظمة «النشيطون: يد الأخوة» الحريدية، التي تحارب كل ما يشكل خطراً على الدين اليهودي، وظاهرة تسرب العناصر الحريدية إلى العلمانية، والتنصير.

وهكذا، فعلى الرغم من أن حركة حباد حركة حريدية معارضة للصهيونية، ولا تعترف بالدولة، إلا أنها لم تقاطعها، بل إن طلاب مدارسهم يخدمون بالجيش، بعد انتهائهم من

دراستهم، كما أن أنصار الحركة يقتربون دوماً من العلمانيين، بغية توبتهم، باعتبار أن هذا شرط لقدم المسيح المخلص في نظرهم.<sup>1</sup>

---

1 - لمزيد من التفصيل أنظر موقف العطار: الأصولية في الشرائع السماوية الثالث، مرجع سابق، ص 25. وكذا عبد الفتاح محمد ماضي: الدين والسياسة في إسرائيل، مرجع سابق، ص 516، وكذا أحمد فوزي خالد أشبيرة: الفرق اليهودية نشأتها وعقائدها، دار وحي القلم، دمشق، الطبعة الأولى - 2009، ص 74

## حركة "الطائفة الحريدية"

### النشأة التاريخية

ظهرت الطائفة الحريدية، عام 1921، في القدس احتجاجاً على إنشاء الحاخامية الرئيسية. وأطلق عليها وقتذاك اسم "لجنة المدينة للطوائف الإشكنازية"، وكانت تمثل أغلب الحريديم في القدس، بالتعاون مع حركة أغودات إسرائيل. وظل التعاون بين الطائفة الحريدية وحركة أغودات حتى العام 1945، حينما صار "المعتدلون" من الحريديم ينضمون تحت راية أغودات، بينما أضحت حركة الطائفة الحريدية، تمثل "متطرفي" الحريديم. وتتكون الحركة من عدة جماعات حسيدية، منها: طائفة "ذرية أهارون"، وطائفة "ساطمر"، والمدرسة الدينية التابعة لتلاميذ «دوشنسكي»، وقسم من جماعة «المقدسين: هيروشلميم»<sup>1</sup>. وتقدر الحركة عدد اتباعها بثلاثين ألف نسمة، بينما تقدرهم مصادر حزب أغودات بثمانية آلاف نسمة، يعيش معظمهم في الضواحي والأحياء الحريدية، وخاصة حي «المائة بوابة: مئشعاريم» بالقدس.

---

1 - يذكر أن ثمة جماعات تدخل الطائفة، وأخرى تخرج منها بين الحين والآخر. ومن أهم الانشقاقات، التي شهدتها الحركة انشقاق جماعة ناطورى كارتا، فرع الحاخام «عميرام بلوي» بسبب رفض محكمة الحركة عقد زواج «بلوي» على مطلقه فرنسية يهودية عام 1965، وكذلك انشقاق طائفة «بعلاز» الحسيدية عام 1980، بعد أن أصدر الحاخام الأكبر «اسحاق فايس» أمراً يمنع تعليم الأولاد في مؤسسات تتلقى الأموال من الدولة، وقد رفضت «بعلاز» الانصياع للأمر.

## التنظيم الداخلي

تدار الحركة عن طريق عدد من الهياكل التنظيمية، أهمها مجلس الواحد والسبعين، ومجلس الثلاثة والعشرين، والمجلس التنفيذي، ومحكمة الطائفة. وهي تساوي مجالس حكماء التوراة في الحركات والأحزاب الدينية الأخرى.

وعلى عضو الحركة أن يلتزم بالأسس الثمانية عشرة التي تعتبر دستور الطائفة. وأهم هذه الأسس التي تحدد واجبات كل عضو:

1. الانصياع لأوامر حاخاماته ومحكمة الطائفة.
2. معارضة الصهيونية ومقاطعة أنشطة الدولة وعدم المشاركة في انتخابات الكنيست أو الانتخابات البلدية.
3. الإيمان القاطع بأن إقامة الدولة الصهيونية - قبل قدوم المسيح - إنما هو عقاب من الله، وأن الكنيست تدنيس لأوامر الله، وإهانة للتوراة، لأن قوانينه تتناقض مع شريعة «موسى».

4. مقاطعة حزب أعودات إسرائيل، لتصالحه مع الصهيونية.
5. مقاطعة مدارس تعليم اللغات الأجنبية، وإرسال الأبناء إلى المدارس المجازة من الطائفة، والتي غالباً ما تستخدم اللغة البيديشية.
6. عدم تناول أي طعام أو شراب غير مصرح به من الطائفة.
7. المحافظة على اللباس الشرعي المحتشم.

وتقدم الطائفة مجموعة من الخدمات الطائفية لأتباعها، عن طريق عدد من المؤسسات، مثل المحاكم الدينية والمطاعم والمسارح وأماكن الترفيه والتسلية، وصندوق لتمويل المؤسسات التربوية، بدلاً من أموال الحكومة، ولمساعدة العائلات الفقيرة، ولجان للحفاظ على تعاليم

التوراة، وغيرها. ونظراً لأن الحركة لا تعترف بالصهيونية، وتقاطع الدولة فإنها لا تشترك في انتخابات الكنيست، ولا في الانتخابات المحلية، ولا تتلقى الأموال من الحكومة، بيد أن ثمة جماعات حسيديية - من داخل هذه الحركة - تتلقى الأموال من التأمين الوطني، وهى تبرر ذلك بأن الأموال المخصصة للمؤسسات التربوية، هي «أموال أيديولوجية»، تحمل رائحة الدولة، بينما أموال التأمين الوطني محايدة، ولا رائحة لها.

مارس آدمور طائفة «ساطمر»، السابق، «يواليش طايطلوبويم»، نفوذاً واسعاً داخل الحركة، فقد كان المرشد الروحي للطائفة الحريدية، ورفض فكرة أن كل مكاسب حرب 1967، إنما هي مساعدة الرب لشعب إسرائيل، لأن هذه الفكرة ستؤدي حتماً إلى إثبات أن الصهاينة صادقون وأن أسلوبهم صادق، وأن دولتهم ليست دولة كفار؛ لأن جنودها حرروا «حائط المبكى» وقبر «راحيل»، بينما يرى هو أن شعب هذه الدولة من المارقين عن الدين، ولا يستحق معجزة إلهية لمساعدته. ولدى طائفة «ساطمر»، كما ترفض الحركة مفاهيم مثل «دولة التوراة» أو «دولة الشريعة». ينحصر نشاط الحركة السياسي في تنظيم الاحتجاجات على تدنيس حرمة السبت وانتشار الإباحية. وواقع الحال يؤكد أن الدولة - بمؤسساتها وإمكانيتها - قد استطاعت أن تُحد من نفوذ الحركة ونشاطها، وأغرقت بأموالها جماعات عدة على الخروج من الحركة.<sup>1</sup>

1 - لمزيد من التفصيل أنظر موقف العطار: الأصولية في الشرائع السماوية الثلاث، مرجع سابق، ص 25. وكذا عبد الفتاح محمد ماضي: الدين والسياسة في إسرائيل، مرجع سابق، ص 521، وكذا جمال البديري: السيف الأحمر دراسة في الأصولية اليهودية المعاصرة، مرجع سابق، ص 277، وكذا يوسف حسن المصري: عالم خفايا الصهيونية سر أبناء صهيون، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، الطبعة الأولى -

## حركة "حراس المدينة: ناظوري كارتا"

### النشأة التاريخية

ظهرت حركة ناظوري كارتا، كحركة منشقة عن حركة أغودات إسرائيل، في العام 1935، بعد أن قام ممثلون عن أغودات بإجراء مفاوضات مع المجلس الملّي اليهودي - الذي كان يخضع لنفوذ الحركة الصهيونية - بهدف التوصل إلى اتفاق بشأن إقامة حاخامية رئيسية موحدة في فلسطين من جهة، والوصول إلى صيغة عمل مشتركة مع حركة همزراحي، من جهة أخرى، حيث شكلت العناصر الحريدية، التي تصر على رفض أي تعاون مع الحركة الصهيونية حركة خاصة بها، تحت اسم «رابطة الحراسة المقدسة: أغودات مشمرت هكودش»، ثم تغير الاسم إلى «رابطة الحياة: أغودات هحاييم»، ثم إلى الاسم الحالي «حراس المدينة: ناظوري كارتا»<sup>1</sup>.

تضم الحركة معظم يهود العالم، الذين يرفضون الصهيونية ويعارضون الدولة، ويُقدر عددهم حسب مصادر الحركة ذاتها - بأكثر من نصف مليون نسمة في الخارج، وعشرات الآلاف في إسرائيل، بينما تؤكد مصادر أخرى أن عددهم لا يتجاوز بضعة آلاف في إسرائيل<sup>2</sup>. وقد ظلت الحركة - حتى عام 1965 - إحدى الجماعات التي تشكل الطائفة الحريدية في القدس، ثم انفصلت عنها، بعد زواج زعيم حركة ناظوري كارتا من فرنسية متهوددة مطلقاً. ويعد الحاخام «يوايش طايطلبويم» - أدمور طائفة ساطمر الحسيدية - هو

1 - كان الحاخام «الياهو بروش» هو الذي اختار هذا الاسم و«ناظوري كارتا» عبارة آرامية وردت في التوراة.

2 - يقطن اتباع الحركة في فلسطين المحتلة في حي «المائة بوابة: منشعاريم» بالقدس، وثمة تجمعات أخرى لأتباع الحركة في حي بروكلين بنيويورك، وفي لندن ومونتريال، وغيرها.

الزعيم الروحي لكل الطوائف الحريدية بما فيها حركة ناطوري كارتا، أما أبرز قيادي حركة ناطوري كارتا، فهما الحاخامان «عميرام بلوي»، و«أهارون كتسلوبوين»، اللذان يكمل أحدهما الآخر، فالأول يقود المظاهرات ومسيرات الإحتجاج. أما الثاني فيمثل قوة العقل والتفكير

والحركة مفتوحة أمام كل يهودي يرغب في الانضمام إليها شريطة الالتزام بعقيدها ومبادئها.

### عقيدة الحركة

تتمحور عقيدة الحركة في:

-عدم الاعتراف بالصهيونية، ومقاطعة الدولة بشكل نهائي، فالحركة تعتبر نفسها امتداداً للتراث والتقاليد اليهودية، وأنها هي التي تلتزم بالتعاليم الدينية اليهودية دون بقية التيارات والفرق والجماعات اليهودية الأخرى.

-عاش اليهود، منذ أكثر من ألفي عام، تحت حكم غير اليهود كعقاب من الله لهم على خطاياهم وذنوبهم.

-لا تمثل الصهيونية استمراراً للتراث اليهودي أو تنفيذاً للتعاليم الدينية، وإنما هي رفض لها وخروج عليها، بل هي واحدة من أخطر المؤامرات الشيطانية على اليهودية. والصهيونية مروق من الدين، لأنها أقامت دولة لليهود، وتعمل على تجميع المنفيين، وهذان أمران من شأن المسيح المخلص الذي سيرسله الرب إلى اليهود، لذا فالدولة -في نظر اتباع الحركة - ثمرة المروق من الدين وانتهاك التوراة، لأنها قامت على أيدي نفر من الكافرين الذين تمردوا على مشيئة الإله، وهي خيانة للشعب اليهودي الذي تأسس كجماعة دينية في سيناء (لا في أرض الميعاد). ويذهب أنصار الناطوري كارتا، إلى أبعد من ذلك حينما ينظرون إلى كل من



الصهيونية، والنازية، على أنهما ينبعان من مصدر واحد فهو فكرة «القومية»، التي ظهرت في أوروبا، بل ثمة من أكد منهم على أنه هناك تفاهم وتعاون بين الحركة الصهيونية والنظام النازي. وهكذا ترى الحركة أن الصهيونية حركة معادية لليهود، لأنها تخلق مشكلة ازدواج الولاء أمام اليهود أينما وجدوا، وتؤجج الاتهامات المعادية لهم، وتزدهر بازدهار معاداة اليهود. وانتصارات الصهيونية - في عقيدة الحركة - من عمل الشيطان لأنها انتهكت العهد الثلاثة، التي قطعها اليهود للرب قبل خروجهم من المنفى، وهي - كما جاءت في التوراة - ألا يسبوا الأُم للأغيار الذين يُقيمون بينهم وألا يحاولوا احتلال «أرض إسرائيل» بالقوة، وألا يستعجلوا الأمور. ولهذا يرى أنصار الحركة أن العمل داخل إطار الحكومة مستحيل لأمرين: الأول، لأن قيام دولة قبل مجيء المسيح خرق للتوراة، والثاني، لأن قيم وتعاليم التوراة لا تشكل الأساس الاقتصادي والاجتماعي للدولة.

-الشعب اليهودي ليس شعباً بالمعنى الذي قدمته الصهيونية، وإنما هو جماعة دينية ظهرت منذ ثلاثة آلاف سنة، واستمدت وجودها من ميثاق مع خالقها، يلتزم بموجبه كل اليهود بالتوراة وتعاليمها.

-وضع الخالق اليهودي في منزلة «شعب الله المختار» ليس الهدف منه تمكين هذا الشعب من السيطرة على العالم، وإنما لخدمة الجنس البشري كله، وقد تم اختيار اليهود لهذا الأمر لأنهم أكثر الناس سلاماً وتواضعاً. وهذا الاختيار يفرض على اليهود عدة واجبات، فالشريعة اليهودية ترى أن ثمة سبعة قوانين أساسية ملزمة لكل البشر كي يصبحوا بشراً (حسب شريعة نوح)، وهناك عشرة قوانين (الوصايا العشر) ملزمة لاتباع الديانات التوحيدية، أما اليهود، فعليهم وحدهم الالتزام بالأوامر والنواهي التي جاءت في التوراة (المتسفوات).

- يلخص الحاخام «موشى هيرش» - سكرتير الطائفة للشؤون الخارجية - موقف الحركة من الصهيونية ومن الدولة في مقال نشره في صحيفة «الواشنطن بوست» في مطلع أكتوبر 1978، بقوله: «إن الصهيونية تتعارض تعارضاً كاملاً مع اليهودية، فالصهيونية تريد أن تُعرّف الشعب اليهودي باعتباره وحدة قومية، وهذه هرطقة، فقد تلقى اليهود الرسالة من الرب، لا لكي يفرضوا عودتهم إلى الأرض المقدسة ضد إرادة سكانها، فإن فعلوا ذلك فإنهم يتحملون نتائج فعلتهم، والتلمود يقول: (إن هذا الانتهاك سوف يجعل من لحكم فريسة للسباع في الغابة). وإن المذبحة الكبرى ستكون نتيجة من نتائج الصهيونية».

- كما أوضح «هيرش»، أن التوراة أمرت اليهود بالعيش في سلام مع جيرانهم من غير اليهود في فترات الشتات، وأنه يمكن العيش في ظل دولة فلسطينية، وفي هذه الحالة يمكن تشجيع هجرة اليهود إليها!! ويعرف «هيرش»، الحريدسم بأنهم «يهود فلسطينيون». ويقول أحد حاخامات الحركة «إبراهام جرينباوم»، «إن إسرائيل ستظل دولة الشتات الروحية حتى الوقت الذي تحكم فيه التوراة حياة كل فرد في المجتمع»، ولا يعني ذلك أن هذا الحاخام من أنصار إصدار تشريعات توراتية تحكم الأفراد، فالقانون لا يُغير اعتقادات الأفراد وقناعاتهم كما يقول.

- وتؤكد الحركة على أن علاقة اليهودي المتدين بـ «أرض الميعاد» تتمثل في اتجاهه بعواطفه وقلبه إلى هذه الأرض، وخاصة مدينة القدس، ففي كل صلاة تُذكر القدس. وعلى اليهودي أن يستمر في هذا حتى يستجيب له الإله ويأمر بعودة اليهود مع المسيح المنتظر. وتنتقد الحركة اليهود المتدينين والحاخامات، الذين يتعاونون مع الدولة ويؤيدونها مقابل المساعدات المالية الحكومية، وترى أن ذلك تدنيس لاسم الرب وخروج عن تعاليمه.

-واستناداً إلى ما سبق يعمد اتباع الناطوري كارتا، إلى مقاطعة الدولة وعزل أنفسهم عنها كلية من جهة، والاحتجاج على نشاطاتها وفضح ممارساتها من جهة أخرى. وامتنعوا عن الدفاع عنها إبان حرب 1948. وطلب «عميرام بلوي» - في رسالة بعث بها إلى الأمين العام للأمم المتحدة، في جويلية 1949- وضع القدس تحت وصاية دولية، وإصدار «جوازات الأمم المتحدة» للمتدينين اليهود الذي يرغبون في ذلك، وأعلن قبول أتباع الحركة مغادرة القدس إلى أي مكان آخر يستطيع هؤلاء العيش فيه بموجب أحكام التوراة. واعترفت الحركة بكفاح الشعب العربي الفلسطيني وحقه في كامل تراب فلسطين، وبمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل وحيد وشرعي للشعب الفلسطيني، وأبدت استعدادها للعيش في ظل دولة علمانية تجمع اليهود والعرب.

وقد نددت الحركة باحتلال الضفة الغربية، وقطاع غزة، وأمرت اتباعها بعدم الذهاب إلى هذه المناطق، أو زيارة «حائط المبكى»، لأن القدس فُتحت عنوة، كما أدانت غزو لبنان، ونددت باعتراف منظمة التحرير بدولة «إسرائيل». ويرفض أتباع الحركة أي شكل من أشكال الحياة العلمانية، ويمتنعون عن استخدام المنافع والتسهيلات الاجتماعية والمادية، التي توفرها الدولة، وعن دفع الضرائب والجمارك، كما يقاطعون الانتخابات ولا يخدمون في الجيش، ويتكلمون اللغة اليبديشية في التعاملات اليومية، أما العبرية فهي عندهم للصلاة فقط. تقاطع الحركة كذلك قراءة الصحف الإسرائيلية، والاستماع إلى الإذاعة العبرية ومشاهدة الإذاعة المرئية، وتعد «يوم الاستقلال» يوم حداد وحزن، يصوم فيه أتباعها. كما أن للحركة ساعة مركزية خاصة بأتباعها تلتزم بالتوقيت اليهودي الذي تؤمن به الطائفة، ويلتزم به أتباعها قدر المستطاع. ولا يستعين اتباع الحركة بالشرطة لأنها شرطة صهيونية.

ويُنظّمون مظاهرات ومسيرات احتجاجية ضد انتهاكات العلمانيين - ومؤسسات الدولة وموظفيها بشكل عام - لتعاليم التوراة (كتدنيس السبت ونشر الإباحية والاختلاط وغيرها)، والتي تسبب حوادث عنف في بعض الأحيان. وتتولى الحركة تدريس عقيدتها وأفكارها لاتباعها وأبنائها، في مدارس دينية تابعة لها في حي مئشعاريم، كما تنشر أفكارها عبر عدد من الصحف أهمها: «الحائط» و «حائطنا». إضافة إلى نشاطها دعائياً وسط الشعب الأمريكي بهدف إيضاح أن اليهود والصهيونية أمران منفصلان. وتحصل الحركة على مساعدات مالية من يهود بالخارج، وخاصة من طائفة ساطمر الحسيدية، وتطالب الحركة كل يهود العالم بالعودة إلى الدين والإيمان بالافتداء الإلهي.

وقد كان لـ «ديفيد بن جوربون» رأي في هذه الحركة، حينما أجاب عن سؤال عن سبب عدم معاقبته لاتباعها، بقوله: «إن هناك صعوبة متزايدة باستمرار تحول دون اتخاذ إجراءات مع أناس تنبع أفعالهم من إيمان ديني عميق، وليسوا من مخالفين القوانين بالمعنى المألوف، ومن جهة أخرى، فإن هؤلاء يمثلون عالماً انحدراً معظمنا منه، وهو عالم أجدادنا وآبائنا الذي عرفناه من سن الطفولة فكيف تريدون أن يزعج المرء بجده الأكبر في السجن، حتى ولو رمى غيره بالحجارة».<sup>1</sup>

1 - لمزيد من التفصيل أنظر موقف العطار: الأصولية في الشرائع السماوية الثلاث، مرجع سابق، ص 35-38. وكذا عبد الفتاح محمد

ماضي: الدين والسياسة في إسرائيل، مرجع سابق، ص 523

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ففي ختام هذه الدراسة المتواضعة ، يجدر بنا أن نذكر بأهم النتائج المتوصل إليها، وهي كالتالي : .

إن فضاة النصوص سواء التوراتية أو التلمودية التي تعرضنا لها خلال الدراسة، وهي من الأمور التي تشكل التعاليم الدينية اليهودية، تجعلنا نجزم أن الديانة اليهودية ديانة محرفة ويستحيل أن تكون مثل تلك النصوص صادرة عن الله تبارك وتعالى، أو عن أنبيائه الأطهار الميامين، من وجوه عدة منها:

- إن أساس أي ديانة سماوية هو التوحيد ونشر البر و الفضيلة بين الناس، إلا أن الدارس لمثل هذه النصوص وغيرها يصل إلى قناعة أن اليهود قد حرفوا نصوص الديانة التي أنزلت على موسى عليه السلام. لذلك فاليهودية بشكلها هذا تعد خليطاً من أفكار وميولات بشرية لا علاقة لها بالوحي الرباني، فقد تراكم وتشكل بناء و هيكل اليهودية اعتماداً على قرارات وأفكار الحاخامات، و المؤسسات الدينية المختلفة عبر التاريخ ، فضلاً عن تداخل عناصر الثقافات البشرية من الحضارات "الشرق أوسطية" القديمة ، وعناصر من الحضارة الغربية الحديثة .

- الديانة اليهودية بهذا الشكل ديانة مادية دنيوية ، تتعلق تعلقاً شديداً بأشواق شعب وطموحاته المبنية على عقد نفسية أورثت له حالة من النرجسية، شعب يكرهه الأغيار لتفوقه، همّ الوحيد إستعادة أرض فلسطين، والتي هي جنته، حتى يتسنى له من خلال هذه الأرض ممارسة السلطة على المجتمعات الإنسانية . لذلك فاليهودية نسق دنيوي يسعى لإيجاد جنة لليهود على الأرض. لا العمل من أجل دخول الجنة مع البشر يوم القيامة.

فهي بدلاً من الإهتمام بالأمور الأخروية و الحياة الأبدية في القيامة - كأية ديانة سماوية أخرى مثل الإسلام أو المسيحية - تهتم بتحقيق أمور دنيوية تقوم على أساس التسلط و الهيمنة على الوجود البشري ، بنسق مادي سياسي يجردها من سمات الديانة الربانية. ونظراً لدنيوية اليهودية فإنها تنكر وجود الآخر قطعاً ، وترسم المستقبل رسماً دكتاتورياً من خلال ادعائها بأن الإله جعل اليهود القوة المهيمنة على جميع الشعوب و الديانات ، ومن هنا فقد أنكرت وجود ديانات أخرى ، بل أوجبت سحق جميع الديانات وإخضاعها لليهودية وحاخاماتها .

الديانة اليهودية بهذا الشكل ديانة مغلقة قائمة على الأنانية، إذ لابشارة فيها للآخر الضال، لذلك فاليهود عبر التاريخ لا يحاولون نشر تعاليم ديانتهم الخاصة، بقدر ماحاولوا فرض سيطرتهم عن طريق الإستغلال والمال، وجذب الرؤسا والزعماء إلى مشاريعهم ، وخلق المشاكل و الأزمات ... فهي أشبه بالأقليات المتطلعة إلى السيطرة على الحكم في الدول والإستحواذ عليها لا هدايتها وتعريفها بالسرطان المستقيم، فاليهودية خالية من سمات الديانة السماوية التي تستهدف إسعاد البشرية جميعاً في الدنيا والآخرة، فالربّ خاص باليهود دون غيرهم، وشريعته خاصة بهم وحدهم، والآخرة كذلك هي لليهود وحدهم دون سواهم، وحتى لفظ البشر لا يطلق إلا عليهم أما الغويم فهم مخلوقون من نطفة حصان، لذا لا يمكن للديانة اليهودية ولا لليهود، التعايش مع الديانات و الأفكار و المذاهب الأخرى.

-إن العزلة اليهودية "الجيتوية" عبر التاريخ، هي نتيجة الفكرة العنصرية الخرافية القائلة بتفوق اليهود على جميع الشعوب والأمم ، وهي في الوقت نفسه سبب رئيس لما تعرض له اليهود من اضطهاد و طرد و تشريد عبر التاريخ .

وبسبب هذه العزلة لم يدن اليهود بالولاء إلى الوطن الذي يجمعهم بالآخرين، وإنما اتجهوا بولائهم نحو أشواقهم وتاريخهم الذي تخيلوه بدل أن يصنعوه ، فأصبحت هذه الأشواق والأحلام هي وطنهم ، وهي دينهم، لكن عند مجيء هرتزل والحركة الصهيونية غير هذا الاتجاه في فكر اليهودي، وعجل بخلصهم، فجعل لهم دولة يقدسونها ويضعونها موضع حنينهم وأشواقهم السابقة، فغير ولاءهم إلى الولاء للدولة الصهيونية.

- لم تظهر في العالم الإسلامي المشكلة اليهودية ، لعدم وجود الغيتو و لتسامح الإسلام و الشعوب المسلمة تجاه الملل الأخرى بما فيها اليهود، وسمتهم بأهل الذمة أي الضمان والأمان، يعيشون في كنف ذمة الله ورسوله وجماعة المسلمين، تجب لهم حقوق وتجب عليهم واجبات... والحركة الصهيونية و مشاريعها الإستعمارية التي استهدفت العالم العربي والإسلامي هي المسؤولة عن تشويه تلك العلاقة.

- في دراستنا للحركات اليهودية في القرن التاسع عشر وصلنا إلى وضع إطار تعريفي لكل حركة منها ، على النحو الآتي :

أ/ حركة التنوير اليهودية (المسكلاه) : هي الفكر أو الاتجاه العلماني الإندماجي ، والتيار العقلاني الذي أكد على العقل مصدراً وحيداً للمعرفة . وقد أكد التيار التنويري الدين باعتباره ثقافة لا ديناً ، أي ثقافة حضارية بشرية عالمية .

ب/الحسيدية : هي التيار الصوفي و الاتجاه الحلولي الديني المتمسك بالنصوص الدينية اليهودية وعلى رأسها القبلاه .

ج / اليهودية الإصلاحية : هي اتجاه إصلاح الدين ، وإبراز الجانب الديني لليهودية ، وإلغاء البعد القومي ، وقد أكد الدين باعتباره ديناً.

د / اليهودية الأرثوذكسية : هي الرجوع إلى المفاهيم العنصرية القومية التقليدية ، أي الرجوع إلى مرتكزات الفكر اليهودي الحاخامي التلمودي الضيق. وقد أكدت الأرثوذكسية الدين باعتباره رسالة خاصة للشعب اليهودي المقدس . وكانت تعتقد بعدم التعجيل بالخلاص ، بل على اليهود أن يصبروا حتى عودة الماشيح شخصياً ، ويجب عليهم تحمل النفي ، إما كعقاب الله على خطيئة إسرائيل و اليهود، أو كتكليف إلهي قبل الخلاص النهائي . أي كانت الأرثوذكسية تعتقد بوجوب عودة اليهود إلى فلسطين ، لكن رأت أن تحقيق ذلك هو من شأن الله .

هـ / اليهودية المحافظة : هي الخط الوسط بين الإتجاه الإصلاحى و الأرثوذكسى . وقد عدّ التيار المحافظ الدينَ جانباً من جوانب الفلكلور و التراث القومي القديم ، أي قد اهتم بالدين جزءاً من تراث الأجداد . وهو التيار الذي كان يحافظ على مقومات الشعب اليهودي ، تاريخه و لغته و ديانته و آدابه ، واهتمامه بالدين يأتي من اهتمامه بالحفاظ على تراث الأجداد و إحياءه، علماً أن من هذا التيار انبثق معظم مؤسسوا الحركة الصهيونية لأنهم كانوا على نفس المسافة بين الإصلاحيين والأرثوذكسيين، وقد جمعوا حولهم الناقمين من هذا التيار أوداك.

و/ الصهيونية : هي التيار القومي السياسي نتاج المنظومة الغربية الإمبريالية بامتياز، مكّنت له تحقيق استعمار فلسطين وتأسيس الدولة الصهيونية فيها . وهي الإتجاه الذي رفض قطعاً فلسفة الاندماج والولاء للأوطان الحاضرة له، بل عمق شعور الجماعات اليهودية بالغربة في المجتمعات ، وساهم في تعميق تأثير "القومية واللاسامية " على المجتمعات الغربية والجماعات اليهودية معاً .



- الناظر في مصير الحركات الفكرية والدينية للجماعات اليهودية يجدها تحولت فيما بعد إلى أحزاب وحركات داخل المجتمع الإسرائيلي، منها المؤيد والمعارض بوضوح، ومنها الساكت الخائف من هؤلاء وهؤلاء، سواء في الداخل أو الخارج. علما أنه منذ انتشار مثل ورموز النهضة الأوروبية، والاستنارة الغربية، وشعارات الثورة الفرنسية والعلمانية، حدثت نهضة فكرية كبيرة في الأوساط اليهودية، فقد كان جانب من هذه النهضة ثورةً على المعتقدات الدينية التقليدية والمفاهيم القومية العنصرية التفوقية الضيقة لليهودية مثل (حركة التنوير اليهودية واليهودية الإصلاحية)، إلا أن هذه الحركات لم تصل إلى أهدافها لتتكرر الحركة الصهيونية لها، ووجدت نفسها أنها هي الأخرى كانت مستعملة فقط وانتهت صلاحيتها بمجرد تأسيس دولة الحركة الصهيونية، فبعد التأسيس عادت المسيرة اليهودية بكل قوتها إلى المفاهيم التقليدية الخرافية القديمة، التي تقوم على أسس عدائية الأغيار ومنطق الكراهية، وعقيدة الاختيار ووجوب التأسيس لمملكة داود الثالثة، وكل من يخرج عن هذا الخط يُعد عدواً للدولة اليهودية المعاصرة في فلسطين.

- إن الدارس لتاريخ اليهودية والصهيونية يجد أنهما وجهان لعملة واحدة، فالصهيونية ليست بديلاً لليهودية، ولم تحل محلها، وإنما هي صورة من صورها، في شكلها المعاصر، لأن جذور وأصول الفكرة الصهيونية قديمة جداً على حدّ تعبير إسماعيل راجي الفاروقي، الذي يُعيدُه إلى ما قبل العهد البطركي وإلى ما قبل عزرا الذي كتب التوراة.

فالفكرة الصهيونية قديمة، وإنما تأخرت في البروز بسبب عدم وجود مناخ (دولي وذاتي) للبروز في العصور الماضية، ولما توفرت شروط النهضة والظهور ظهرت، ولما تحقق شروط الأفلو تهيوي كما وقع للحضارات من قبل، فهذه سنة الله في خلقه، فهي سنة اجتماعية وحضارية باقية ما دامت السماوات والأرض.

وهناك من الباحثين من يرى المسألة من زاوية أخرى، إذ أن الصهيونية تعرض قاداتها ونفسها بأن فكرها ونشأتها هي غربية علمانية بحتة، ولكنها في ذات الوقت تريد تحقيق فكرة دينية، فيصنف العلاقة بين اليهودية والصهيونية بتصنيف مغاير فيرى أن الفكر الديني اليهودي استُخدم لمصلحة المشروع السياسي الصهيوني وهذا ما تبناه أسعد السحمراني في كتابه: "من اليهودية إلى الصهيونية، الفكر الديني اليهودي في خدمة المشروع السياسي الصهيوني".

وعليه يلاحظ أن هناك علاقة اندماجية بين الصهيونية واليهود مهما اختلفت في الظاهر مشاربهم وأحزابهم وأفكارهم، وهذا ما انتهى إليه " دافيد بن غورين " حين قال: "رابطة لا تنفصم عراها بين دولة إسرائيل والشعب اليهودي...".

- إن الصهيونية بحلها السياسي الاحتلالي قد خلقت أزميتين كبيرتين :

الأولى هي تغريب اليهود واقتلاعهم من أوطانها الحقيقية، وبذلك أمانت فرصة الاندماج نهائياً، وخلقت دولة قائمة على أساس وهمي وكاذب، ولذلك فإن شعوب المنطقة ستنتهي هذا الوجود الغريب القائم على الظلم والكذب كلما سنحت لها الفرصة لذلك .

والثانية هي طرد شعب عريق من أرضه فلسطين، نحو المجهول، وممارسة الظلم والقمع عليه وعلى ما تبقى منهم ، وصناعة صراع متوارث، ومنتشعب الجوانب مع دول المنطقة والعالم الإسلامي عموماً، ولا بد للغائب أن يرجع وللمطروود أن يعود، فلكل قفل مفتاح ولا يمكن فصل هذا عن ذلك ولا يمكن للباب أن يبقى موصداً ولا المفتاح مشرداً، فإذا اط النهضة من جديد فستكون هناك إقلاعة حضارية جديدة وهذا ما بشرت به آيات الذكر الحكيم وأحاديث النبي ﷺ .

-بالاعتماد على النتائج التي توصلنا إليها نستطيع أن نقترح جملة من النقاط

ملخصةً فيما يلي:

-الاهتمام بدراسة علم مقارنة الأديان في أوساطنا العلمية والأكاديمية ، خاصة اليهودية ، وإنشاء مراكز أو أقسام أو جمعيات لدراسة الفكر اليهودي من جميع النواحي، في مختلف الجامعات، حتى ندرك طبيعة عدونا فننخرط في تفعيل سنة التدافع الحضاري، حتى نصنع الفعل المدروس ولا نكتفي بردة الفعل المرتجلة.

-واضح من خلال الدراسة أن أقوى سند للفكر اليهودي وادعاءاته القومية العنصرية التفوقية هو النصوص الدينية اليهودية، من هنا نقترح الاهتمام بقراءة هذه النصوص قراءة علمية دقيقة، وعرض زيفها للغات العالم الحية، في حركة نقدية علمية دقيقة للكتاب القدس، خاصة أن هناك أخطاء فادحة في هذه النصوص. وذلك يتطلب منا جميعاً بذل جهود حثيثة، حتى نتحول إلى الفكر المؤسسي، فنكون باحثين متخصصين ومؤسسات متخصصة تُعدُّ مشاتل لمراكز الرصد الفكري، تسير الشعوب والحكومات على هدى نتائج بحثها، ومن جهة أخرى لتزويد المفاوضين والمحاورين للجانب اليهودي والصهيوني بالصورة الشاملة لعدوه من الداخل، حتى لا يناقشه من زاوية ويهمل زويها، والتي بها يتحاور و إليها يحتكم الطرف الآخر.

-إبقاء فلسفة مقاومة المشاريع الصهيونية ، وتطوير هذه الفلسفة في الأوساط الفكرية والسياسية والشعبية ، ويجب أن تكون مواجهتنا للمخططات الصهيونية تشمل على جميع الوسائل المتاحة للرصد والتحليل والصدّ، وعلى كافة الأصعدة. وهذا الاقتراح يأتي من قناعتنا الراسخة بأن الدولة الصهيونية هي عقدة العقد الرئيسة لشعوبنا الإسلامية، وهي تمزق هذه الشعوب وتستلب قدراتها على النهوض، لا لأن اليهود أقوياء، ولكن لأن غيرهم

ضعفاء لا يمتلكون ناصية المقومات الصادة والضاغطة والمغيّرة لمجرى التاريخ، والصانعة للحضارة .

أما الأفاق المستقبلية لهذه الدراسة فيمكن تلخيصها في نقطة جوهرية، وهي أنه بعد أن تمت هذه الدراسة -بحمد الله ومنته-، يمكن للقارئ وخاصة المتخصص، أن يلحظ أنها لم تكن دراسة دينية بحتة لليهودية، ولا هي تاريخية صرفة تؤرخ لليهود واليهودية، ولا هي سياسية أو اجتماعية أو نفسية صرفة، تبحث في أغوار الأنماط الشخصية والاجتماعية السياسية، وإنما هي متنوعة وشاملة لهذه المحاور والجوانب كلها، فهي دراسة متعددة الأبعاد والمناهج من الاستقرائي للتحليلي للوصفي للمقارن... ذلك أن جوهرها كان يدور حول دراسة أصول "فكر و حركة"، وكلما كانت الدراسة تأصيلية تعديدية كلما أمكن استعمالها كأداة لدراسة كل جانب من الجوانب المتعلقة بها على حدة، دون إغفال الجوانب الأخرى، وهذا ما يمكن الدارسين والباحثين في شتى المجالات من تتبع ورصد وتصنيف كل تيار أو توجه أو حزب ينبثق عن المنظومة الفكرية اليهودية، سواء من المجتمع الإسرائيلي خصوصا، أو الجماعة اليهودية عموما والتي سنحاول تطبيقها في مشاريع و دراسات علمية مستقبلية إن كان في العمر بقية.

والله ولي التوفيق وهو يهدي السبيل.

## قائمة المصادر والمراجع

(أ)

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. ط دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط عن الترجمة اليونانية سنة 1865م.
- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط 1
- ابن منظور ، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري: لسان العرب ، دار صادر(بيروت) ، بدون سنة الطبع ، ط 1 ، ج 5
- الجرجاني علي: التعريفات، دار الكتاب العربي-بيروت، ط 1، 1405، تحقيق إبراهيم الأبياري، ج 1
- الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر : مختار الصحاح ، التحقيق : محمود خاطر ، دار النشر(بيروت) 1415. 1995، ج 1
- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس :التعريب والجمع التصويري والمونتاج والأعمال الفنية شركة ماستر ميديا، القاهرة، الطبعة الرابعة، 2002، الشركة العالمية للكتاب المقدس، المملكة البريطانية
- أحمد فوزي خالد أشبير: الفرق اليهودية نشأتها وعقائدها، دار وحي القلم، دمشق، الطبعة الأولى - 2009
- أحمد بن عبد الله بن ابراهيم الزغيبي: العنصرية اليهودية وأثرها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، 1998، ج 1
- أحمد شلي: مقارنة الأديان - اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية-1967

- أحمد عثمان: تاريخ اليهود، مكتبة الشروق، القاهرة- مصر، الجزء الثالث
- أسعد السحمراني : من اليهودية إلى الصهيونية، الفكر الديني اليهودي في خدمة المشروع السياسي الصهيوني، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية 2000
- أنيس صايغ ، يوميات هر تزل ، ترجمة هلدا شعبان صايغ ، بيروت ، منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ، 1968
- أنيس صايغ: الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية . بيروت . 1970م
- إبراهيم أبو لغد: تهويد فلسطين، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، شباط 1972
- إسماعيل راجي الفاروقي: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، دار التضامن للطباعة، القاهرة، ط 2، 1988
- إسماعيل راجي الفاروقي: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، مكتبة وهبة- دار التضامن للطباعة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1988
- إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي: الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية، تحقيق وتعليق: عبد الوهاب الطويلة، دار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى - 1989
- الأب بولس حنا مسعد: همجية التعاليم الصهيونية المكتب الإسلامي ، بيروت، الطبعة الثانية 1983
- إبراهيم خليل أحمد: إسرائيل فتنة الأجيال العصور القديمة ، مكتبة الوعي العربي، 1969
- إبراهيم خليل أحمد: إسرائيل فتنة الأجيال العصور الحديثة ، مكتبة الوعي العربي، 1970، ط 1

- إبراهيم الحارثي : الصهيونية من بابل إلى بوش، دار البشير للثقافة والعلوم
- أبكار السقاف: إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، مكتبة مدبولي ،القاهرة، الطبعة 2، 1997
- أرلوند توينبي: فلسطين جريمة ودفاع، ترجمة: عمر الديراوي، بيروت: 1961م
- الحاخام يتسحاق شايرا والحاخام يوسف إيتسور: شريعة الملك (شريعة قتل الأغيار)، ترجمة وإعداد: محمود مندور وخالد سعيد، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الأولى 2011
- أبراهام ليون: الماركسية والمسألة اليهودية، ترجمة عماد نويهض - دار الطليعة ، بيروت 1969م
- ألبيرتو دانزول: اليهودية والغيرية، غير اليهود في منظار اليهودية، ترجمة ماري شهرستان، دار الأوائل للنشر و التوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، الطبعة الثانية 2009
- إتخاف الأخصا بفضائل الأقصى لأبي عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد بن علي المنهاجي السيوطي - الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة 1398 ط 1.
- إسحاق موسى الحسيني: عروبة بيت المقدس، مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد 67 لسنة 1421هـ.
- القدس تقرير شهري يصدر عن مركز الإعلام العربي. أعداد 32,28,24.
- ( ب )
- بيان نويهض الحوت: فلسطين القضية الشعب الحضارة ،دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 1999
- بشير موسى نافع: الامبريالية والصهيونية والقضية الفلسطينية. دار الشروق ط 1 سنة 1420هـ.

• برنار لازار: مناهضة السامية تاريخها وأسبابها، ترجمة ماري شهرستان، دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، الطبعة الثانية، 2009

• باولو فرايري: تعليم المقهورين، دارالقلم، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى 1980

(ت)

• تاريخ الطبري. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط2 دار المعارف بمصر سنة 1962م.  
• التوراة السامرية ترجمة أبي الحسن السوري ونشر د. أحمد حجازي السقا. دار الأنصار بالقاهرة ط1 سنة 1398هـ.

(ج)

• جمال البديري: السيف الأحمر، دراسة في الأصولية اليهودية المعاصرة، دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، الطبعة الأولى 2003  
• جون روز: أساطير الصهيونية، ترجمة قاسم عبده قاسم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الأولى 2006

(ح)

• حنا حنا: هفوات التوراة، دار النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق ، 2008  
• حسن ظاذا: الشخصية الإسرائيلية ، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، 1999  
• حسن ظاذا: الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه، دار القلم دمشق- الدار الشامية بيروت، الطبعة الرابعة، 1999  
• حسن ظاذا: إسرائيل ركيزة الاستعمار والعدوان بين المسلمين، دار القلم-دمشق، دار الشامية-بيروت، الطبعة الأولى، 1996

• حمودي صبحي و كوربون جان: معجم الإيمان المسيحي، دار المشرق، بيروت، ط 1،

1994



( خ )

- خطط الشام محمد كرد علي . ط/ دار العلم للملايين بيروت سنة 1389هـ.
- خالد عبد الواحد: "نهاية إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية . الفصل السادس من المقدمة منشور على الانترنت الموقع [www.go.ae/kalwid](http://www.go.ae/kalwid) . سنة 2001

( د )

- داديابني: الصهيونية على حقيقتها، ترجمه عن الروسية إلياس شاهين، دار التقدم -الاتحاد السوفياتي، 1989

( ر )

- ريتشارد إليوت فريدمان: من كتب التوراة؟، ترجمة عمرو زكريا، مراجعة وتقديم أيمن حامد، دار البيان للنشر والتوزيع، الطبعة العربية الأولى 2003.
- رجينا الشريف: الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 96 ديسمبر 1985
- رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد 102، يونيو 1986
- رشاد عبد الله الشامي: موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2002
- رشاد عبد الله الشامي: القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 186

- روجيه جارودي: ملف اسرائيل دراسة للصهيونية السياسية، ترجمة مصطفى كامل فوده، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر/دار الشروق، الطبعة الثالثة
  - روجيه جارودي: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة محمد هشام، دار الشروق، الطبعة الرابعة 2002
  - روجيه غارودي: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة حافظ الجمالي-صياح الجيهم، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، و دار الفراي، بيروت، الطبعة الثالثة 2001
  - روجيه جارودي: محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، ترجمة : حسين قبيسي، الفهرست، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1998
  - رجا عبد الحميد عرابي: سفر التاريخ اليهودي، الأوائل للنشر والتوزيع ، دمشق، الطبعة الثانية شباط 2006
  - رقية العلواني و آخرون: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، تحرير منى أبو الفضل ،نادية محمود مصطفى، دار الفكر -دمشق، 2008
- (س)
- سعد البازعي: المكون اليهودي في الحضارة الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، الطبعة الأولى 2007
  - سناء عبد اللطيف حسين صبري: الجيتو اليهودي دراسة للأصول الفكرية والثقافية والنفسية للمجتمع الإسرائيلي، دار القلم -دمشق، الطبعة الأولى -1999
- (ص)

- صابر طعيمة: الماسونية ذلك العالم المجهول دراسة في الأسرار التنظيمية لليهودية العالمية، دار الجيل بيروت - لبنان ، الطبعة السادسة، 1993
- صابر طعيمة: بنو إسرائيل في ميزان القرآن الكريم، دار الجيل، بيروت، لبنان
- صابر طعيمة: التاريخ اليهودي العام، دار الجيل بيروت، الطبعة الثالثة-1991، ج1
- صالح الرقب: يا مسلمي العالم أفيقوا، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى 2004

(ظ)

- ظفر الإسلام خان: التلمود تاريخه و تعاليمه ، دار النفائس ، بيروت، 1985 ، ط 6
- ظفر الإسلام خان: التلمود تاريخه و تعاليمه، بيروت: دار النفائس،، بيروت، ط 7، 1410هـ/1989م

(ع)

- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق: بيروت-القاهرة
- عبد الوهاب المسيري: فكر حركة الاستنارة وتناقضاته، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ديسمبر 1989
- عبد الوهاب المسيري: الأيديولوجية الصهيونية، دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد ديسمبر 1982
- عبد الوهاب المسيري: الجماعات الوظيفية اليهودية نموذج تفسيري جديد، دار الشروق- القاهرة، الطبعة الثانية ، سبتمبر 2002
- عبد الوهاب المسيري: إنهاء إسرائيل من الداخل، مؤسسة دار المعارف، القاهرة-2002

- عبد الوهاب المسيري: البروتوكولات واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الرابعة، يناير 2005
- عبد الوهاب عبد السلام طويلة: مغالطات اليهود وردّها من واقع أسفارهم، دار القلم دمشق، ط 1، 2005
- عبد الفتاح محمد ماضى: الدين والسياسة في إسرائيل، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1999
- عبد المجيد هُمُو: الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق سوريا، الطبعة الثانية-2004
- عرفان عبد الحميد فتاح: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، دار عمار - عمان الأردن، الطبعة الأولى 1996
- عثمان سعيد العاني: الأساطير التاريخية اليهودية حول أرض المسجد الأقصى، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى 2010
- علي خليل: اليهودية بين النظرية والتطبيق " مقتطفات من التلمود والتوراة"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1997
- عادل فرج عبد المسيح: موسوعة آباء الكنيسة، دار الثقافة، القاهرة-2006، الطبعة 2، ج 3
- عابد توفيق الهاشمي: التربية في التوراة، العهد القديم (عرض وتقوم) بميزان الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 2000
- عباس إسماعيل: عنصرية إسرائيل، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، الطبعة الأولى-2008

- عصام سخيني: الإبادة الجماعية من أيديولوجيا الكتاب العبري إلى المشروع الصهيوني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، الطبعة الأولى، أغسطس - 2012
- عبد الغفار الدويك: أنبياء إسرائيل الجدد رؤى اليهود للعالم ولأنفسهم، ميريت للنشر، القاهرة - 2003
- عيسى اليازجي: المسيحية المتهددة في خدمة الصهيونية العالمية، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، سورية - دمشق، الطبعة الأولى 2004
- عبد الناصر بن محمد مغنم: الكيان الصهيوني دولة القمع والإرهاب، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى - 2003
- عصام علي العبيدي: الأحزاب السياسية في إسرائيل، دراسة تاريخية، دار المنهل اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى - 2011
- عبد الله الشرقاوي: الكنز المرصود في فضائح التلمود، دار عمران، بيروت، ط 1، 1993
- غنيم أحمد وآخرون: اليهود والحركة الصهيونية في مصر 1879 - 1947، القاهرة: 1969م

(ف)

- فتحي محمد الزغبي: تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، مصر، الطبعة الأولى 1994م
- فيلسيان شالي: موجز تاريخ الأديان، ترجمة حافظ الجمالي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة الثالثة 2007

(ك)

- كامل سغفان : اليهود تاريخاً وعقيدة ، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة
- كيث وايتلام: اختلاق إسرائيل القديمة، إسكات التاريخ الفلسطيني، ترجمة سحر الهنيدي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، سبتمبر 1999، العدد 249

(ل)

- ليوتا كسيل: التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ترجمة حسان ميخائيل اسحاق، دار الكوثر، دمشق، 2006

(م)

- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت 1983
- محمد علي باخرية: الصهيونية بإيجاز - أصل نشأة المخططات الصهيونية العالمية ذات النزعة العنصرية- ، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 2001
- محمد بن علي بن محمد آل عمر: عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولى 2003
- محمد حمزة بن علي الكتاني: مفهوم الخلاص في الديانة اليهودية وأثره في الواقع اليهودي والحوار الإسلامي-اليهودي، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى 2012
- محمد عزت عارف: نهاية اليهود لأبي الفداء. دار الاعتصام بالقاهرة.
- محمد جميل: نظرة في واقع الإحلال الصهيوني، مكتبة ابن القيم - دمشق، الطبعة الأولى، 2005م،

- محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الأولى 1981
- محمد خليفة حسن: البعد الديني للصراع العربي الاسرائيلي، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد 8، عام 1999
- محمد خليفة حسن: علاقة الإسلام باليهودية رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة-1988
- موسى بن ميمون: "دلالة الحائرين" ترجمة وتحقيق: حسين أتابي، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة. ج 3
- محمود دياب: الصهيونية العالمية و الرد على الفكر الصهيوني العالمي، دار الكتب المصرية، 1976.
- محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل، الحضارة، الحياة الدينية و الاجتماعية الاقتصادية و القضائية و العسكرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط: 01، 2008، م، ج 4
- مرسي الأسيوطي: الغرب والإسلام، دراسة في الأصول العقائدية والثوابت الثقافية لرؤية الآخر، عولمة أم صراع، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- موفق العطار: الأصولية في الشرائع السماوية الثلاث، دار الرشيد، بيروت، ط 1، 2002
- ميثم الجنابي: اليهودية واليهودية الصهيونية في روسيا، دار الحصاد للطباعة والنشر، سورية - دمشق، 2006
- مسعود خولد: الموسوعة التاريخية الجغرافية، الشركة العالمية للموسوعات، بيروت، 2004، ج 1

(ن)

- نورمان ج. فنكلستين: صعود وأفول فلسطين، ترجمة أيمن حداد، دار كنعان الطبعة الأولى-دمشق هويدا عبد الحميد مصطفى: الجماعات اليهودية المتطرفة والاتجاهات السياسية الدينية في إسرائيل، مكتبة الشروق الدولية، مصر، الطبعة الأولى 2010
  - ندى الشقيقي: الهولوكوست: حقيقتها والاستغلال الصهيوني لها، باحث للدراسات، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2001
  - نعمان عبد الرزاق السامراتي: الماسونية واليهود والتوراة، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة 2، 2001.
- (هـ)
- هنري فورد: اليهودي العالمي، ترجمة علي الجوهري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، 2001
- (ي)
- يوسف أيوب حداد: هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ط 1 يناير 2004، ج 1.
  - يحيى أحمد الكعكي : في الأصولية الصهيونية ، الشركة العالمية للموسوعات ، بيروت 2004 ، ج 1
  - يحيى علي يحيى الدجني: تحدي الحركة الصهيونية للقوى العربية والإسلامية، دار النمير للنشر والطباعة والتوزيع، دمشق
  - يوسي ميلمان: الإسرائيليون الجدد، مشهد تفصيلي لمجتمع متغير، ترجمة : مالك فاضل البديري، دار الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية- عمان



• قاموس القارىء (انكليزي - عربي) English - Arabic Reader's Dictionary ، العزبي

. هورني، ثارنويل ، دار جامعة أكسفورد للطباعة والنشر ، 1980

### المراجع الأجنبية

- Mircea Eliade, La nostalgie des origines, éd. Gallimard, 1971
- Arthème Fayard, les Juifs, Foi et destinée, Paris, 1961.
- Alexandre Payot, Histoire du peuple juif: Margolis, Maxl; Marx, Paris, 1930.
- Franck Claude, Herzlikoicz Michel PUF, Le Sionisme, Paris, 1993, 3<sup>éd.</sup>
- Cohen Shalom, Dieu est un Baril de poudre. Israel et ses intégristes , Calmann-Levy, Paris, 1989.
- Montagne Robert, Le Problème Politique du Sionisme, Plon et Nourrit, Paris, 1937.
- Spire André, Valeurs Spirituelles, du Sionisme, Plon et Nourrit, Paris, 1937.
- Buber martin. Une Terre et deux Peuples. la question judéo-arabe. Traduit de L'Allmand: vergne, Brigitte [Lieu Commun, Paris, 1985].
- Goetschel Roland Peeters, La Diabolisation du Sionisme dans les écrits de R. Joel Teitelbaum, maitre des Hasidin de Satnar, Louvain-Paris, 1993.
- Herzl, Théodore, L'Etat Juif. essai d'une solution de la question Juive. Librairie lipschuitz, Paris, 1926.
- Herzl Théodore, Terre Ancienne. Terre Nouvelle. Altneuland, Rieder, Paris, 1931.
- Valensi Alfred, Le Sionisme, Revue politique et Pomementaire Paris, 1906.
- Bohm Adolf: Le Fonds national juif. Son histoire, Son but, Son Activité. Kéren Kayéneth leisrael, Paris, 1931.
- Paraf Pierre, Israel 1931, Librairie valois, Paris, 1931.
- Spire André, Les Juifs et la Guerre, Payot, Paris, 1917.
- BUI SP: La notion d'Alliance dans l'A.T., (Lectio Divina, 88) , Paris , 1976
- BEAUCAMP E., Les grands thèmes de l'Alliance, (Lire la Bible, 81), Paris, 1988
- -Shlomo Sand: COMMENT LE PEUPLE JUIF FUT INVENTÉ "De la Bible au sionisme", Traduit de l'hébreu par Sivan Cohen-Wiesenfeld et Levana Frenk , © Librairie Arthème Fayard, 2008.

- Shlomo Sand:COMMENT LA TERRE D'ISRAEL FUT INVENTÉ, De la Terre sainte à la mère patrie , Traduit de l'hébreu par Michel Bilis, © Flammarion, 2012.
- LIPINSKI Edward: Essai sur la révélation et la Bible, (Lectio Divina, 60),Paris, 1970,
- MUSSNER F., Traité sur les Juifs, (Cogitatio Fidei, 109) Paris, 1981,
- F.Lovsky: Antisimitisme et Mystere D'Israel,Edition Alibun Michel,Paris,1953
- Noureldin Khalil :English /Arabic Dictionary of the Three Great Religions, Judaism – Christianity – Islam, Horus International Institution for Publishing and Distribution, Alexandria, Egypt , 2007,p 816-817
- Le Petit Larousse compact,1998, édition Larousse, p763

### مواقع إلكترونية

- المعجم السياسي الكنيست الإسرائيلي: <http://www.knesset.gov.il/lexicon/arb/wzo.htm>
- مركز التأصيل للدراسات والبحوث، 1433 هـ، 2012م، على رابط الانترنت التالي:  
<http://taseel.com/display/pub/default.aspx?id=3073&ct=4&ax=6>
- ابراهيم بن سليمان الحيدري: العمل التطوعي في "إسرائيل" مجلة "الاقتصادية" ، النسخة الإلكترونية: [http://www.aleqt.com/2010/12/19/article\\_480361.html](http://www.aleqt.com/2010/12/19/article_480361.html)
- أحمد محمد: حركة حباد الحسيدية الدينية،النشأة والأفكار والأهداف، صحيفة تشرين 2006/06/13، مقال على الرابط الإلكتروني التالي:  
<http://tishreen.news.sy/tishreen/public/read/76584>
- الموسوعة الحرة ويكيبيديا. <http://ar.wikipedia.org>
- [http://fagreltarekh2.blogspot.com/2008/11/blog-post\\_21.html](http://fagreltarekh2.blogspot.com/2008/11/blog-post_21.html)
- <http://www.saaaid.net/mktarat/flasteen/67.doc>
- [http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia21/isra-parts/sec08.doc\\_cvt.htm](http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia21/isra-parts/sec08.doc_cvt.htm)
- [www .go .ae/kalwid](http://www.go.ae/kalwid)

## فهرس النصوص المقدسة

### نصوص القرآن الكريم

الصفحة

النص وموضعه

#### البقرة

- قال لا ينال عهدي الظالمين .. [البقرة: 124].....ص 196  
فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ [البقرة: 92-93].....ص 225  
وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ [البقرة: 89].....ص 241  
وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ [سورة البقرة: 124-141].....ص 181

#### آل عمران

- فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ [سورة آل عمران: 52-55].....ص 24  
أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا [آل عمران 68]...ص 196  
قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا [آل عمران 137] ..ص 181

#### الأنعام

- "قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ." [الأنعام 11]..ص 181

#### الشورى

- "شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا [الشورى 13-14].....ص 181

#### الأحزاب

- وَإِذِ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ. [الأحزاب 7].....ص 181

#### النمل

- "قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ." [النمل 69]....ص 181

## الحجرات

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى [سورة الحجرات:13].....ص 202

## النحل

مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه [سورة النحل:97]..ص 202

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## فهرس نصوص العهد القديم

الصفحة

النص وموضعه

التكوين

- " بَنُو سَامٍ: عِيْلَامُ وَأَشُّورُ وَأَزْفَكْشَادُ وَلُودُ وَأَرَامُ. " [سفر التكوين 10:22] ص... 98
- " وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ: " اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ [تكوين 12: 1-9]..... ص 138
- سفر التكوين 13:7-14.....ص 144
- سفر التكوين 15:18-21.....ص 144
- أَبْرَامُ سَكَنَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ [تكوين 13: 12-17]..... ص 147
- [تكوين 18: 1-8]..... ص 147

الخروج

- " مِنْ بَحْرِ سُوفٍ إِلَى بَحْرِ فِلِسْطِينَ [خروج 25:23-31].....ص 154
- <sup>٥</sup> فَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ. فَأَرَاهُ الرَّبُّ شَجَرَةً [خروج 15:25-26]..... ص 168
- <sup>٥</sup> قَالَ لَآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لَصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي [خروج 19:5-6]..... ص 168
- <sup>٥</sup> وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: "رَأَيْتُ هَذَا الشَّعْبَ [سفر الخروج 32: 9-10].....ص 178
- [سفر الخروج 3:8]..... ص 183
- [سفر الخروج 19:5].....ص 183
- [خروج 29:45].....ص 189
- <sup>٥</sup> وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: "رَأَيْتُ هَذَا الشَّعْبَ [سفر الخروج 32: 10].....ص 209
- وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: وَأَنْتَ تَأْخُذُ لَكَ [سفر الخروج 30: 22-25].....ص 218
- <sup>٢٠</sup> وَتَمْسَحُ هَارُونَ وَبَنِيهِ وَتُقَدِّسُهُمْ لِيَكُونُوا لِي. [الخروج 30: 30-32].....ص 219

وَيَكُونُ مَتَى اجْتَاَزَ مَجْدِي، أَيَّ أَضْعَكَ فِي نُفْرَةِ [الخروج 22:33] ص.....ص 234  
وَحِجَارُهُ جَزَعٍ وَحِجَارُهُ تَرْصِيعٍ لِلرِّدَائِ وَالصُّدْرَةِ. [ الخروج 25 : 7-8] ص.....ص 260  
[ سفر الخروج 11 : 2-3 ] ص.....ص 275  
[ سفر الخروج 12 : 35-37] ص.....ص 275  
فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى اكْتُبْ هَذَا تَذْكَارًا [ سفر الخروج 17:14-16] ص.....ص 280

### اللاويين

وَأَمَّا عَيْدُكَ وَإِمَاؤُكَ الَّذِينَ يَكُونُونَ لَكَ [ سفر اللاويين 25 : 44-47 ] ص.....ص 115  
وَالْأَرْضُ لَا تُبَاعُ بِنَتِّهِ، لِأَنَّ لِي الْأَرْضَ وَأَنْتُمْ غُرَبَاءُ [سفر اللاويين 25 : 23] ص.....ص 187  
أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ الَّذِي مَيَّرَكُم مِّنَ الشُّعُوبِ [سفر اللاويين 20 : 24-26] ص.....ص 199  
ثُمَّ أَخَذَ مُوسَى دُهْنَ الْمَسْحَةِ وَمَسَحَ الْمَسْكَنَ [اللاويين 8:10-12] ص.....ص 219

### العدد

"مُبَارِكُكَ مُبَارِكٌ، وَلَا عَيْنُكَ مَلْعُونٌ" [سفر العدد 24 : 9] ص.....ص 110  
[ العدد 33:52-56 ] ص.....ص 148  
وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا أَوْصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَفَرِ [العدد 34 : 1-12] ص.....ص 152  
سَفَرِ [العدد 34 : 4-5] ص.....ص 153  
حَتَّى مَتَى يُهَيِّنُنِي هَذَا الشَّعْبُ؟ [سفر العدد 14 : 11-12] ص.....ص 178-209  
حَتَّى مَتَى أَعْفِرُ لَهُدِهِ الْجَمَاعَةَ الشَّرِيرَةَ [سفر العدد 14 : 26-35] ص.....ص 209  
أَرَاهُ وَلَكِنْ لَيْسَ الْآنَ. أَبْصِرُهُ وَلَكِنْ لَيْسَ قَرِيبًا. سفر [العدد 17:24] ص.....ص 230  
[ سفر العدد 25 : 3-4 ] ص.....ص 276

## التثنية

- " مُبَارَكًا تَكُونُ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. " [ سفر التثنية 14:7 ] ص..... 110
- لَأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ [ سفر التثنية: 14 : 2 ] ص..... 110
- " أَنْتُمْ أَوْلَادٌ لِلرَّبِّ إِلَهُكُمْ [ سفر التثنية 14 : 1 - 3 ] ص..... 110
- [ سفر التثنية 7 : 16 - 24 ] ص..... 112
- [ تثنية 7 : 2 - 4 ] ص..... 114
- حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا [ سفر التثنية 20 : 10 - 16 ] ص..... 116
- " اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ، أَنْتِ الْيَوْمَ عَابِرُ الْأُرْدُنِّ [ تثنية 9 : 1 - 6 ] ص..... 143-144
- مَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا [ تثنية 1 : 1 - 3 ] ص..... 148
- حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا [ تثنية 20 : 10 - 18 ] ص..... 149
- وَصَعَدَ مُوسَى مِنْ عَرَبَاتِ مُوَابَ إِلَى جَبَلِ نَبُو [ تثنية 34 : 1 - 6 ] ص..... 155
- وَمِنْ أَجْلِ أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ هَذِهِ الْأَحْكَامَ وَتَحْفَظُونَهَا [ التثنية 7 : 12 - 16 ] ص..... 168
- " انظُرْ. أَنَا وَاضِعٌ أَمَامَكُمْ الْيَوْمَ بَرَكَةً وَلَعْنَةً [ التثنية 11 : 26 - 28 ] ص..... 169
- وَإِنْ نَسِيتَ الرَّبَّ إِلَهُكَ، وَذَهَبْتَ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى [ التثنية 8 : 19 - 20 ] ص..... 169
- الْعَدْلَ الْعَدْلَ تَتَّبِعْ، لِكَيْ تَحْيَا وَتَمْتَلِكَ الْأَرْضَ [ التثنية 16 : 20 ] ص..... 169
- هَذَا الْيَوْمَ قَدْ أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ أَنْ تَعْمَلَ [ التثنية 16 : 26 - 19 ] ص..... 169
- وَإِنْ سَمِعْتَ سَمْعًا لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلَهُكَ لِتَحْرِصَ أَنْ تَعْمَلَ [ التثنية 1 : 28 - 4 ] ص..... 169
- يُقِيمُكَ الرَّبُّ لِنَفْسِهِ شَعْبًا مُقَدَّسًا كَمَا حَلَفَ لَكَ [ التثنية 9 : 28 - 11 ] ص..... 170
- وَيَجْعَلُكَ الرَّبُّ رَأْسًا لَا ذَنْبًا [ التثنية 28 : 13 ] ص..... 170
- " وَلَكِنْ إِنْ لَمْ تَسْمَعْ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلَهُكَ [ التثنية 28 : 15 - 19 ] ص..... 170

- يُسَلِّمُ بَنُوكَ وَبَنَاتِكَ لِشَعْبٍ آخَرَ وَعَيْنَاكَ [التثنية 32:28].....ص 170
- الْغَرِيبُ الَّذِي فِي وَسْطِكَ يَسْتَعْلِي عَلَيْكَ سَفَرِ [التثنية 43:28-44].....ص 171
- إِنْ لَمْ تَحْرِصْ لِتَعْمَلْ بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هَذَا النَّامُوسِ [التثنية 58:28-67].....ص 171
- أَنْظُرْ. قَدْ جَعَلْتُ الْيَوْمَ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْحَيَّرَ، [التثنية 15:30-19].....ص 172
- فَأَحْبِبِ الرَّبَّ إِلَهَكَ وَاحْفَظْ حُقُوقَهُ وَفَرَائِضَهُ [التثنية 11:1-32].....ص 173
- أَمَرَ مُوسَى الْأَوْيَيْنَ حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ قَائِلًا [التثنية 31:25-30].....ص 176
- [التثنية 6:10-13].....ص 183
- [تثنية 10:13-6].....ص 185
- أَوْرَثَ الْعَلِيِّ الْأُمَمَ، وَوَزَعَ حُدُودَ الشُّعُوبِ سَفَرِ [التثنية 32:8-9].....ص 187
- لَأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ. [التثنية 7:6-8].....ص 199
- وَوَاعَدَكَ الرَّبُّ الْيَوْمَ أَنْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا [التثنية 26:16-19].....ص 199
- أَمَرَ مُوسَى الْأَوْيَيْنَ حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ [سفر التثنية 25:29-31].....ص 208
- إِذَا وَلَدْتُمْ أَوْلَادًا وَأَوْلَادًا أَوْلَادٍ، وَأَطَلْتُمْ الزَّمَانَ [سفر التثنية 4:25-27].....ص 209
- أَفْسَدَ لَهُ الَّذِينَ لَيْسُوا أَوْلَادَهُ عَيْبُهُمْ، جِيلٌ أَعْوَجُ [سفر التثنية 32:1-6].....ص 211
- إِنَّهُمْ أُمَّةٌ عَدِيمَةُ الرَّأْيِ وَلَا بَصِيرَةَ فِيهِمْ [سفر التثنية 32:28].....ص 211
- [التثنية 5:34-6].....ص 233
- إِذَا وَجَدَ رَجُلٌ فَتَاهَ عَذْرَاءَ غَيْرَ مَخْطُوبَةٍ، فَأَمْسَكَهَا [سفر التثنية 22:28].....ص 272
- مَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا [تثنية 1:1-3].....ص 275
- [سفر التثنية 13:15-18].....ص 276
- وَعِنْدَمَا تَقْرُبُونَ مِنَ الْحَرْبِ يَتَقَدَّمُ الْكَاهِنُ وَيُخَاطِبُ [تثنية 17:15].....ص 277



أذْكَرُ مَا فَعَلَهُ بِكَ عَمَالِيقُ فِي الطَّرِيقِ [ سفر التثنية 17-19:25 ].....ص 279-280

### يشوع

[ يشوع 24 : 13-18 ].....ص 184

ثُمَّ أَتَيْتُ بِكُمْ إِلَى أَرْضِ الْأُمُورِيِّينَ السَّاكِنِينَ [ يشوع 24 : 8 ].....ص 184

[ يشوع 13:24 ].....ص 185

[ سفر يشوع 11 : 10 - 15 ].....ص 276

فَقَالَ الرَّبُّ لِيَشُوعَ: "الْيَوْمَ أَبْتَدِي أُعْظِمُكَ [ سفر يشوع 7:3 ].....ص 277

### سفر القضاة

أَقْطَابُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ الْخُمْسَةَ، وَجَمِيعَ الْكَنْعَانِيِّينَ [ سفر القضاة 3:3-8 ].....ص 176

وَعَادَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعْْمَلُونَ الشَّرَّ [ سفر القضاة 10:6-7 ].....ص 177-208

[ سفر القضاة 3 : 5 - 8 ].....ص 208

### سفر صموئيل الأول

[ صموئيل الأول 1:10 ].....ص 219

[ سفر صموئيل الأول 3:4-15 ].....ص 276

وَقَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ إِيَّايَ أَرْسَلَ الرَّبُّ [ سفر صموئيل الأول 15:1-3 ].....ص 280

### صموئيل الثاني

وَعَيَّنْتُ مَكَانًا لِشَعْبِي إِسْرَائِيلَ وَغَرَسْتُهُ [ صموئيل الثاني 7 : 10 ].....ص 184

وَأَتَى رِجَالُ يَهُودَا وَمَسَحُوا هُنَاكَ دَاوُدَ مَلِكًا [ صموئيل الثاني 4:2 ].....ص 219

[ صموئيل الثاني 1:14 ].....ص 220

أَنَّ الْمَلِكَ قَالَ لِنَاتَانَ النَّبِيِّ: "انظُرْ إِلَيَّ سَاكِنٌ [ صموئيل الثاني 7:2-13 ].....ص 248

## الملوك الأول

إِنْ كُنْتُمْ تَنْقَلِبُونَ أَنْتُمْ أَوْ أَبْنَاؤُكُمْ مِنْ وِرَائِي [الملوك الأول 9:6-7].....ص 172

إِنْ كُنْتُمْ تَنْقَلِبُونَ أَنْتُمْ أَوْ أَبْنَاؤُكُمْ مِنْ وِرَائِي [الملوك الأول 9:6-9].....ص 173

وَأَخَابَ بَنُو عُمَرِي مَلَكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ [سفر الملوك الأول 16:29-33]....ص 234

حِينَئِذٍ تَكَلَّمَ سُلَيْمَانُ: "قَالَ الرَّبُّ إِنَّهُ يَسْكُنُ [سفر الملوك الأول 7، 8].....ص 249

## أخبار الأيام الاول

وَأَمَّا بَنُو قَطُورَةَ سُرِّيَّةَ إِبْرَاهِيمَ، فَإِنَّهَا وَلَدَتْ [أخبار الأيام الاول 32:1].....ص 157

## عزرا

إِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تَدْخُلُونَ لِيَمْتَلِكُوهَا هِيَ أَرْضُ [سفر عزرا 9: 11 - 12]....ص 113

فَقَامَ عَزْرَا الْكَاهِنُ وَقَالَ لَهُمْ: "إِنَّكُمْ قَدْ خُنْتُمْ [سفر عزرا 10: 10-11]....ص 114

## المزامير

وَتَعَلَّقُوا بِبَعْلِ فَعُورَ، وَأَكَلُوا ذَبَائِحَ الْمَوْتَى. [سفر المزامير 106: 28-43]....ص 210

مَرَّةً حَلَفْتُ بِقُدْسِي، أَيُّ لَأُكْذِبَ لِدَاوُدَ [المزامير 89: 35-37].....ص 255

يَكُونُ اسْمُهُ إِلَى الدَّهْرِ. قُدَّامَ الشَّمْسِ يَمْتَدُّ اسْمُهُ [المزامير 72: 17-18].....ص 256

لِمَاذَا ارْتَحَّتِ الْأُمَّمُ، وَتَفَكَّرَ الشُّعُوبُ فِي الْبَاطِلِ؟ [المزامير 1: 12-12].....ص 258

## أشعيا

[سفر إشعيا 5: 2]: " يَا بَيْتَ يَعْقُوبَ، هَلُمَّ فَتَسَلِّكُ فِي نُورِ الرَّبِّ.".....ص 17

[سفر أشعيا 61 : 9].....ص 110

[سفر أشعيا 49 : 22-23].....ص 111

وَيَبْنُو الْعَرِيبِ يَبْنُونَ أَسْوَارَكَ، وَمُلُوكُهُمْ يَخْدِمُونَكَ [سفر إشعيا 60 : 10-14]....ص 111

[سفر أشعيا 4:4].....ص 189

وَيَصْنَعُ رَبُّ الْجُنُودِ لِكُلِّ شَعْبٍ فِي هَذَا الْجَبَلِ [إشعيا 6:25-10].....ص 223

لَأَنَّهُ يُؤَلِّدُ لَنَا وَلَدًا وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَّاسَةُ [سفر إشعيا 9:6-7].....ص 238

وَيَخْرُجُ فَضِيبٌ مِنْ جُدْعِ يَسَى، وَيَنْبُتُ عُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ [سفر إشعيا 11]....ص 239

وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ السَّيِّدَ يُعِيدُ يَدَهُ ثَانِيَةً [سفر أشعيا 11:11-16]...ص 243

وَحَيٌّ مِنْ جِهَةِ مِصْرَ هُوَذَا الرَّبُّ رَاكِبٌ [سفر أشعيا 19:1-17].....ص 244

لَأَنَّ لِلرَّبِّ ذَبِيحَةً فِي بُصْرَةَ وَذَبْحًا عَظِيمًا [سفر أشعيا 34:6-11].....ص 245

اسْتَيْقِظِي، اسْتَيْقِظِي! الْبَسِي عِزِّكَ يَا صِهْيُونُ! [سفر أشعيا 52:1-2].....ص 246

هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ هَا إِنِّي أَرْفَعُ إِلَى الْأُمَمِ [سفر أشعيا 49:22-23].....ص 246

#### إرميا

فَتَقُولُ لَهُمْ: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ [إرميا 5:11-3].....ص 173

فَقَالَ الرَّبُّ لِي "نَادِ بِكُلِّ هَذَا الْكَلَامِ فِي مَدِينِ [سفر إرميا 11:10-13].....ص 177

حَقًّا إِنَّهُ كَمَا تَحُونُ الْمَرْأَةُ فَرِينَهَا، هَكَذَا خُنْتُمُونِي [سفر إرميا 3:20].....ص 178

اسْمَعْ هَذَا أَيُّهَا الشَّعْبُ الْجَاهِلُ وَالْعَلِيمُ الْفَهْمِ [سفر إرميا 5:21-28].....ص 179

وَقَالَ الرَّبُّ لِي تَوَجَّدُ فِتْنَةٌ بَيْنَ رِجَالِ يَهُودَا [سفر إرميا 11:10-13].....ص 208

حَقًّا إِنَّهُ كَمَا تَحُونُ الْمَرْأَةُ فَرِينَهَا، هَكَذَا خُنْتُمُونِي [سفر إرميا 3:20].....ص 208

لَأَنَّ شَعْبِي أَحْمَقٌ. إِنِّي لَمْ يَعْرِفُوا. هُمْ بَنُونَ جَاهِلُونَ [سفر إرميا 4:22].....ص 209

كَيْفَ جَلَسَتْ وَحَدَهَا الْمَدِينَةُ الْكَثِيرَةُ الشَّعْبِ [سفر مراثي إرميا 1:5-9].....ص 211

#### مراثي إرميا

كَيْفَ جَلَسَتْ وَحَدَهَا الْمَدِينَةُ الْكَثِيرَةُ الشَّعْبِ [سفر مراثي إرميا 1:5-9].....ص 211

## هوشع

لَمَّا تَكَلَّمَ أَفْرَايِمُ بِرِعْدَةٍ، تَرَفَّعَ فِي إِسْرَائِيلَ. [هوشع 1:13].....ص 234

[سفر هوشع 13: 15-16].....ص 276

## عاموس

إِيَّاكُمْ فَقَطْ عَرَفْتُ مِنْ جَمِيعِ قَبَائِلِ الْأَرْضِ [عاموس 3: 2].....ص 203

ضَيْقٌ حَتَّى فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ الْأَرْضِ [سفر عاموس 3: 11-15].....ص 210

## دانيال

كُنْتُ أَرَى فِي رُؤْيِ اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ [دانيال 7: 13-28].....ص 241

## ميخا

وَقُلْتُ: "اسْمَعُوا يَا رُؤَسَاءَ يَعْقُوبَ، وَفُضَاةَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ [ميخا 3: 1-12].....ص 257

## ناحوم

الرَّبُّ بَطِيءُ الْعَضَبِ وَعَظِيمُ الْقُدْرَةِ، وَلَكِنَّهُ لَا يُبْرِيءُ الْبَتَّةَ [ناحوم 3: 1].....ص 234

## ملاحي

أَذْكُرُوا شَرِيعَةَ مُوسَى عَبْدِي الَّتِي أَمَرْتُهُ بِهَا [ملاحي 4: 4-6].....ص 233

## أعمال الرسل

بَعْدَ هَذَا قَامَ يَهُودًا الْجَلِيلِيُّ فِي أَيَّامِ الْاِكْتِسَابِ [أعمال الرسل 27: 5].....ص 235

## متى

ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ وَمَضَى مِنَ الْهَيْكَلِ، فَتَقَدَّمَ تَلَامِيذُهُ [متى 24: 1-25].....ص 231

ومجيء المجوس إلى اورشليم [متى 2].....ص 250

ومذبحة أطفال بيت لحم [متى 2: 16].....ص 250

لوقا

[لوقا 1: 5].....ص 250

يوحنا

[يوحنا 2: 20].....ص 250

جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## فهرس المحتويات

16.....	الفصل التمهيدى
16.....	تحديد وضبط لبعض مصطلحات الموضوع
16.....	الأصول الفكرية:
20.....	تعريف الحركة الصهيونية:
22.....	مفهوم الصهيونية
26.....	اتجاهات الصهيونية
32.....	التعاليم الدينية
34.....	مفهوم الدوافع السياسية
39.....	الفصل الأول: حال الجماعة اليهودية قبل وبعد ظهور الصهيونية وموقف الملل اليهودية منها
40.....	المبحث الأول: حال الجماعة اليهودية في أوروبا قبل ظهور الصهيونية
41.....	المطلب الأول: حال الجماعة اليهودية في أوروبا قبل التحرير من الجيتو
42.....	حياة الجيتو وأثرها على اليهود وغيرهم
42.....	تعريف الجيتو ghétto
45.....	بنية الجتو:
48.....	نظام الجيتو
49.....	اليهود بين العزلة و الانعزال:
52.....	آثار ونتائج حياة الجيتو
58.....	المطلب الثاني: حال الجماعة اليهودية في أوروبا عصر النهضة
61.....	الاستجابة اليهودية الأولى نحو التحرر و الاندماج
63.....	موسى مندلسون والتنظير للتحرر
70.....	الحركة الإصلاحية ( Mouvement Réformiste )
83.....	الحركة الأرثوذكسية ( Mouvement Orthodoxe )
92.....	الحركة المحافظة ( Mouvement Conservative )
102.....	المبحث الثاني: ظهور الفكرة الصهيونية وموقف الملل اليهودية منها
102.....	المطلب الأول: عوامل نشأة الفكرة الصهيونية ومراحل تطورها
103.....	ظهور القوميات الأوربية المتطرفة و تفعيل فكرة اللاسامية
113.....	ظهور فكرة اللاسامية

113.....	حقيقة السامية (Sémitisme)
114.....	مفهوم اللاسامية (Antisémitisme)
115.....	سبب ظهور اللاسامية
134.....	المطلب الثاني: موقف الملل و المذاهب اليهودية من الصهيونية
135.....	موقف الحركة الإصلاحية من الصهيونية:
139.....	موقف الحركة المحافظة من الصهيونية
142.....	موقف الحركة الأرثوذكسية من الصهيونية
145.....	الفصل الثاني: الحركة الصهيونية والتعاليم الدينية
145.....	البعث الأول (الصهيونية بين عقيدة الأرض الموعودة والشعب المقدس)
147.....	المطلب الأول: إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة (الأرض و الوعد)
148.....	حقيقة العهد والوعد بأرض الميعاد
149.....	مدلول " العهد " بين الدين والسياسة (بين اليهودية والصهيونية):
167.....	حدود الأرض بين الحقيقة والخيال
172.....	من المقصود بالعهد؟
182.....	نسوا الشروط وركنوا للوعود
198.....	خلاصة واستنتاج:
204.....	المطلب الثاني: شعب الله المختار بين التقديس والتدنيس
214.....	نصوص تقديس الشعب
222.....	نصوص تدنيس المقدس (Désacrilisation du sacré)
228.....	المبحث الثاني: العقائد المصطنعة ودورها في صوغ أيديولوجيا الإبادة الأهداف والوسائل
232.....	المطلب الأول: عقيدة الخلاص اليهودي و المسيح المنتظر
232.....	عقيدة الخلاص اليهودي:
232.....	تعريف الخلاص: (Delivrance / Salvation):
236.....	مفهوم الخلاص
243.....	المسيح المخلص (المسيح) بين الحقيقة والخيال
253.....	وقت الخلاص اليهودي
263.....	المطلب الثاني: بناء الهيكل وأيديولوجيا الإبادة
263.....	ما هو الهيكل (Temple).
264.....	الهيكل الأول "بيت ريشون"

265.....	الهيكل الثاني " بيت شيني "
267.....	الأحكام الجوهرية و بعض الجماعات اليهودية المتعلقة بالهيكل
280.....	أيدولوجيا الإبادة بين التمييز العنصري وهمجية النصوص.
280.....	تعريف التمييز العنصري .....
304.....	الفصل الثالث: دولة إسرائيل من التخطيط إلى الإنجاز.....
304.....	المبحث الأول: الحركة الصهيونية والمشروع السياسي في إسرائيل : الأهداف و الوسائل.....
304.....	المطلب الأول:مخططات وأهداف الحركة الصهيونية لبناء الدولة.....
304.....	ثيودور هرتزل والمسألة اليهودية.....
317.....	أهداف الحركة الصهيونية.....
320.....	المطلب الثاني: الهيئات التي تولت تنفيذ المخطط الصهيوني.....
321.....	المنظمة الصهيونية العالمية:( Organisation sioniste internationale ).....
328.....	الوكالة اليهودية:( Agence Juif ).....
338.....	المبحث الثاني: مشاريع الاحتلال الاستيطاني بين التأييد والرفض.....
338.....	المطلب الأول: مشاريع الاستيطان بين الصهيونية والامبريالية الغربية.....
339.....	أصول فكرة الاستيطان والتأسيس لطرد الفلسطينيين.....
349.....	وعد بلفور و إعلان الاستقلال لدولة إسرائيل الحديثة.....
349.....	وعد بلفور (Balfour Declaration).....
353.....	إعلان الاستقلال لدولة إسرائيل الحديثة.....
358.....	الرعاية الغربية للمشروع الصهيوني.....
364.....	المطلب الثاني:نتاج المشروع الصهيوني بين المولاة والمعارضة.....
368.....	نماذج للحركات والجماعات الدينية المؤيدة للمشروع الصهيوني.....
368.....	حركة "كتلة الإيمان : غوش أمونيم".....
374.....	حركة «هكذا: كاخ».....
381.....	حركة "الوسط الديني: ميماد".....
384.....	نماذج للحركات والجماعات الدينية المعارضة للمشروع الصهيوني.....
384.....	حركة "حباد " الحسيدية.....
390.....	حركة "الطائفة الحريدية ".....
393.....	حركة "حراس المدينة: ناظوري كارتا ".....
399.....	الخاتمة.....



407.....	قائمة المصادر والمراجع
421.....	فهرس النصوص المقدسة
432.....	فهرس المحتويات

الإسلامية  
الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية